بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي) : أحمد بن عبد الله بن جمعان بن سرور الغامدي **كلية :** الدعوة وأصول الدين **قسم :** العقيدة

الأطروحة مقدمة لنيل درجة : الماجستير **في تخصص :** العقيدة

عنوان الأطروحة : ((أسباب سقوط الشيوعية " الماركسية "))

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ...

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه – والتي تمت مناقشتها بتاريخ ١٤١٨/٢/٩هـ – بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم ، فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ...

أعضاء اللجنة

المشرف	المناقش الداخلي	المناقش الداخلي
الاسم : د. سليمان بن عبدالله السلومي	الاسم : د. محمود محمد مزروعه	الاسم : د. عبد الله بن عمر الدميجي
التوقيع :	التوقيع :	التوقيع :

يعتمد

رئيس قسم العقيدة

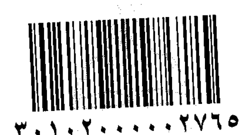
الاسم : د. أحمد بن عطية الزهراني

التوقيع :

١٧ / ١ / ١٤٢٨هـ

يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة

المملكة العربيه السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة ام القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة



أسباب سقوط الشيوعية
(الماركسية)

رساله مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة

إعداد الطالب
أحمد بن عبد الله بن جمعان آل سرور الغامدي



إشراف الدكتور
سليمان بن عبد الله السلومي

المجلد الأول
١٤١٦هـ - ١٤١٧هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : {فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون}(1)

قال تعالى : {سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا}(2)

قال صلى الله عليه وسلم : [كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه](3)

---

(1) سورة الروم : (٣٠) .
(2) سورة الأحزاب : (٦٢) .
(3) متفق عليه .

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

ملخص رسالة ماجستير مقدمة من الطالب أحمد بن عبد الله بن جمعان بن سرور الغامدى بعنوان : **"أسباب سقوط الشيوعية (الماركسية)"**

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبى بعده ، وبعد :

تتكون الرسالة من مقدمة وثلاثة أبواب وتحت كل باب عدة فصول .

المقدمة تحدثت فيها عن فساد أوروبا ودور الكنيسة فى ذلك وعوامل قيام الشيوعية والفصل الأول تحدثت فيه عن مراحل الإشتراكية عبر التاريخ .

وفى الفصل الثانى تحدثت عن أهداف ومبادىء الشيوعية وعرضتها كما جاءت عند الشيوعيين دون الرد عليها .

وفى الفصل الثالث تحدثت عن الشيوعية وعلاقتها بالصهيونية وبينت الرابطة الوثيقة بينهما .

وفى الفصل الرابع تحدثت عن المادة وقوانينها وأقسامها .

أما الباب الثانى فكان بعنوان أسباب سقوط الشيوعية الداخلية وفيه خمسة فصول

الفصل الأول مصادمة الشيوعية للفطرة ، فطرية التدين وفطرية التملك وفطرية الزواج وفطرية التجمع والانتماء .

الفصل الثانى : القضاء على الحريات كحرية الدين والفكر والسياسة والتعليم ، وأثر ذلك فى سقوط الشيوعية .

الفصل الثالث : فشل النظام الاقتصادى الشيوعى ، وبينت فيه أهم المرتكزات الاقتصادية الشيوعية وبينت أثر ذلك الفشل فى السقوط .

الفصل الرابع : فساد تنبؤات الماركسية ، وضربت الأمثلة على ذلك ثم بينت أثر ذلك التصادم والعدولات التى سجلها زعماء الشيوعية .

الباب الثالث : أسباب سقوط الشيوعية الخارجية ، وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : الحرب الباردة وتحدثت فيه عن أبرز وسائلها بين الدولتين الكبريين ثم بينت أهم آثارها .

الفصل الثانى : الوفاق الدولى ، وبينت فيه معنى الوفاق وأهدافه ونتائجه وأثره فى سقوط الشيوعية .

الفصل الثالث : الجهاد الأفغانى ، تحدثت فيه عن علاقة الاتحاد السوفييتى بأفغانستان ثم غزو السوفييت لها وأثر ذلك فى سقوط الشيوعية .

الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات .

العميد	المشرف	الطالب	
			الاسم :
			التوقيع :

شكر وتقدير

الحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا ، والشكر له جل وعلا على توفيقه وتسخيره وإنعامه ، شكرا يليق بجلاله على مايسره لى من إتمام هذه الدراسة فله الحمد والشكر من قبل ومن بعد .

ثم أتقدم بالشكر للمشرف على هذه الرسالة فضيلة الشيخ الدكتور سليمان بن عبد الله السلومى والذى تحمل معى مشاق ومتاعب البحث وفتح لى صدره وبيته ، وأفدت من توجيهاته وتصويباته ، فأسأل الله تعالى أن يجعل ذلك كله فى ميزان حسناته .

كما أتقدم بالشكر لفضيلة الشيخ الدكتور عبد الله بن عمر الدميجى الذى أشار على بالموضوع ورعانى بتوجيهه وفتح لى بيته ، ومكتبته ، ثم تفضل مشكورا بالموافقة على مناقشة الرسالة ، فأسأل الله تعالى أن يجزل له المثوبة ، وأن يعظم له الأجر .

كما أتقدم بالشكر لفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور محمود محمد مزروعة على تفضله بالموافقة على مناقشة الرسالة رغم ضيق وقته وانشغاله ، فأسأل الله تعالى أن يجزل له الأجر والمثوبة .

ولايفوتنى أن أتقدم بالشكر لجامعة أم القرى ممثلة فى كلية الدعوة وأصول الدين والتى يسرت لى طلب العلم الشرعى ومواصلة الدراسة ، فجزى الله القائمين عليها خير الجزاء .

كما أتقدم بالشكر لكل من قدم لى عونا أو مساعدة فى كتابة هذه الرسالة سواء كان ذلك بكتاب ، أو توجيه ، أو مشورة ، أو نصيحة فلهم منى جميعا جزيل الشكر والعرفان .

وأسأل الله تعالى أن يعظم لهم الأجر والمثوبة ، إنه سميع مجيب الدعاء وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

(ب)

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلامضل له ومن يضلل فلاهادى له .

وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . {**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن إلا وأنتم مسلمون**}(١).

{**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا**}(٢).

{**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما**}(٣)(٤).

أما بعد .. خلق الله تبارك وتعالى الخلق ورزقهم ، ولعبادته أوجدهم وعلى محبته والاعتراف بوحدانيته فطرهم ، وبكل خير أمرهم ، وعن كل شر حذرهم ، وعلى سائر المخلوقات فضلهم ، وجعل مافى الكون مسخرا لهم ليحققوا مافرض عليهم من توحيد ربهم . فأراد تعالى أن يمحص مافى قلوبهم وأن يبلو أخبارهم ، فاقتضت حكمته جل وعز أن يجعل من مخلوقاته عدوا لهم ، ليبتليهم وليميز الخبيث من الطيب منهم ، وليعلم من يصبر على أمره ، ويجتنب نهيه ، ممن يرتكب ماحرم عليه ويتجاوز حده ، لتنال طائفة منهم وعده ، ويحق على الأخرى وعيده ، وتمضى فى الطائفتين سنته .

---

(١) سورة آل عمران : (١٠٢) .

(٢) سورة النساء : (١) .

(٣) سورة الأحزاب : (٧٠-٧١) .

(٤) خطبة الحاجة . رواه أبو داود (٢/٤٧٠-٤٧١) الحديث (٢١١٨) ، كتاب النكاح ، باب فى خطبة النكاح ، والترمذى (٣/٤١٣) الحديث (١١٠٥) ، كتاب النكاح ، باب فى خطبة الكناح .

ومن هنا كان الصراع بين الحق والباطل منذ أن خلق الله تعالى آدم وأسجد له ملائكته ، وزادت حدة الصراع بعد أن أهبط آدم عليه السلام إلى الأرض . ثم كان الصراع الدائم بين الحق والباطل ، فضعفت نفوس فريق من الناس ، وتعلقت بالدنيا وزخارفها ، فانتكست فطرها وتمردت على خالقها ، وارتكبت مالايرضى ربها حيث أشركت به تعالى . حين ذلك أرسل الله تعالى الرسل مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتب ليصححوا ذلك الانحراف ، ويعيدوا الفطر إلى صفائها وعهدها الأول .

فاستجاب لهم من استجاب وبقى الآخرون فى غيهم .

وعلى قدرالتمسك بمنهج الله تعالى يكون الثبات على الحق ، وعلى قدر البعد عن منهجه جل وعلا يحدث الانحراف فى تصوراتهم وأفكارهم ومناهجهم .

وبسبب البعد عن منهج السماء وجدت الأفكار المنحرفة ، والآراء المعوجة ، والمذاهب المختلفة ، وكل ذلك بسبب التخبط فى ظلمات الجهل ، والبعد عن نور السماء ، ومنهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

وكان من حكمته تعالى أن تكون رسالة محمد صلى الله عليه وسلم آخر الرسالات وأشملها وأعمها ، حيث أرسل عليه السلام للبشرية كافة ، ليخرجهم من الظلمات إلى النور ، وكانت رسالته ناسخة لكل الشرائع السماوية السابقة ، ولايسع أحد الخروج عليها أو البقاء على ديانة أخرى - سواء كانت ديانة محرفة أو وضعية - مع وجودها .

واختار المولى جل وعلا لرسوله صلى الله عليه وسلم صحب كرام ، قدموه على أنفسهم وأهليهم ، وحبوه أكثر من آبائهم وأمهاتهم . فأصبح ذلك الجيل خير قرن بشهادة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، حيث حملوا لواء التوحيد ، ونافحوا عنه ، وتصدوا لأهل الضلال والطغيان ، ثم جاء من بعدهم ، التابعون لهم وأتباعهم وكانوا قرونا خيرة على نهج صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم . تصدوا لفرق الضلال ، وأصحاب البدع والأهواء فكشفوا أباطيلهم ، وأبانوا انحرافهم وضلالهم ... ثم تعاقبت

الأجيال ، وتتالت القرون وكلما زاد الابتعاد عن القرون الأول ، زاد البعد عن منهج الله تعالى ومنهج رسوله صلى الله عليه وسلم ، وذلك بسبب التخاذل والانغماس فى ملذات الدنيا وشهواتها ، والتقاعس عن حمل الرسالة المنوطة بهم من أجل تبليغها . فدب الانحراف فى جسم الأمة سواء فى الأمور العقدية أو التشريعية . فأدى ذلك إلى ضعفها وتفككها ، وانقسامها إلى فرق وأحزاب ، وتصارعها مع بعضها بعضا . فوجد الأعداء تلك الفرصة فاستغلوها أيما استغلال ونفذوا من خلال هذه الثغرة لينفثوا سمومهم وليحققوا مآربهم وأهدافهم . وذلك حين فقدت الأمة الكثير من عزها وأصالتها ، بسبب بعدها عن دين ربها وسنة نبيها صلى الله عليه وسلم ، وكل مايحفظ لها ثباتها ونصرها على أعدائها ، فأصبحت تابعة بعد أن كانت قائدة .

ومن هناولج الأعداء ، وتستروا بشعارات براقة ، ودعاوى كاذبة ، اتخذوها مطية لهم فى تحقيق أهدافهم ونشر أباطيلهم فانخدع بها المسلمون - إلا من رحم ربك - فى ظل غياب الفهم الصحيح لعقيدة التوحيد ، وعرفت الأمة هذه الدعاوى منذ تاريخها الأول ، إلا أنها اتخذت فى الأزمان اللاحقة أساليب أكثر خطورة وأشد خداعا وتمويها ، ففسرت الإسلام بأنه يخدم تلك الأفكار ، ويدعو إليها ، فانطلت تلك المزاعم على كثير من المسلمين - خاصة إذا ماوضعنا فى اعتبارنا التخاذل والركون إلى الدنيا وزخارفها - فسهل تقبلها وعدم رفضها رغم تعارضها مع نصوص الإسلام وتشريعاته ، ومن تلك الدعاوى (الشيوعية) التى هى مسخ لكل عقيدة تقر بالله تعالى ربا .

ومن فضل الله تعالى على هذه الأمة أن كثيرا من علمائها ومفكريها وساستها تنبهوا لهذا الفكر وخطورته فقاموا بمحاربته ، وتبيين ضلاله وإنحرافه ، وخطورته على المسلمين . فتصدى كثير من الكتاب لدراسة هذا المذهب ، وكشف زيفه ، وبيان بطلانه ، وهتك أستاره وكشف آرائه الإلحادية .

هـذا فى حين ، وجد من أبنـاء المسلمين من انخدع بهـذا الفكـر وتبناه ودافع عنه ، وأخذ يقايس بين ماجاء فيه وماجاء فى تشريعات الإسلام وذلك بسبـب الضعف والانهزام النفسـى الذى منى به أولئـك . ومـاذلك إلا بسبب البعد عن دين ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم .

ومـاكان ذلـك الدفاع ، لامـن أصحاب الفكر ولامـن الأتبـاع ليغنى ، حيـث إن الله تعالى بالغ أمـره ، وقدرته نافذة ، وسنتـه ثابتـة ، فأراد تعالى لذلك الفكر أن يسقط ، ولذلك النظام القائم عليه أن ينهار ، كما هى سنته تعالى فى الذين ظلموا من قبل .

وفـاجأ ذلك السقوط الكثير مـن مسلمين وغيرهم ، لأنه كـان سقـوطا مفاجئا لأكبر دولة فى العالم ، أو ثانى أكبر دولة على أقـل تقدير ، من حيث الحسابات المادية ـ غير أن من عرف ذلك المذهب وأصوله كان يعتقد سقوطه وإنهياره ولو بعد حين .

ومـن فضـل اللـه تعـالى على أن التحقـت بجامعـة أم القـرى لمواصلـة دراستى العليـا بقسم العقيدة . وقدر الله عز وجل فى هـذه الأثناء أن يسقط ذلـك الفكـر ، وتنهـار تلـك الـدولة الـدكتاتورية ، ولكـون الشيـوعية (الماركسيـة) مـذهبا فكريا معـاصرا ، وكان الحدث هـو الطـاغى على السـاحة العالمية ، أشار على بعض الأساتذة الفضلاء باختيار (أسباب سقوط الشيوعية) موضوعا أتقدم به لنيل درجة الماجستير فى العقيدة .

وبعـد استشارة كثير من الأسـاتذة أبانوا لى أهميـة الموضـوع وجدارته بالـدراسة . وعنـدها أعددت خطـة البحث وتقدمت بها وتمت الموافقـة عليهـا بفضـل مـن الله تعالى . ومـن ثم بدأت فى جمـع المادة العلميـة ، فـوجدت الكثير ممـا كتب عن الشيـوعية من حيث نشأتها ، وفكـرها كمـا وجدت فى هذه الكتابات الإشارة إلى أن مصير ذلك الفكر السقوط نظرا لمصادمته للفطرة الإنسانية ، ولقضائه على الحرية ، فكانت الدراسات السابقة متنوعة وإن كان جل تركيزهـا على بيان فساد النظـرية ، ومصادمة الفطرة الإنسـانية ، والقضاء على الحرية .

ثم بعد سقوط الفكر الماركسى وإنهيار النظام السوفييتى ، وجدت كثيرا من الدراسات التى تناولت ذلك الحدث ، وقد اختلفت هى الأخرى فى توجهاتها .

وعلى هذا يمكننى أن أصنف الكتابات والدراسات السابقة كما يلى :

أولا : الكتب التى ألفها المفكرون والكتاب المسلمون وقد وجد فيها الحديث عن فساد الفكر وكون مصيره الزوال ، ومن ذلك باختصار :

سقوط الماركسية : وحيد الدين خان

حوار مع الشيوعيين فى أقبية السجون : د. عبد الحليم خفاجى

نقض أوهام المادية الجدلية : د. محمد سعيد رمضان البوطى

نقض الإشتراكية الماركسية : غانم عبده

الماركسية بين النظرية والتطبيق : د. عبد المنعم النمر

نقد النظرية الماركسية : هادى المدرسى

موقف الإسلام من نظرية ماركس : د. أحمد العوايشة

هذا بالإضافة إلى الكتب التى تحدثت عن الفكر المادى عامة وأبانت بطلانه ومن ذلك :

الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى : د.محمد البهى

الفكر المادى الحديث وموقف الإسلام منه : د.محمد عتمان

تهافت الفكر المادى : د. محمد البهى

الفكر المادى فى ميزان الإسلام : د. صابر طعيمة

عصر الإلحاد : تقى الدين الندوى

نقد الثقافة الإلحادية : د. أحمد عبد الرحمن إبراهيم

ثانيا : الكتب التى ألفها بعض من اعتنق الفكر الشيوعى ثم تركه بعد أن اتضحت له الحقيقة وعرف زيف وكذب ذلك الفكر ومن ذلك :

المعبود الذى هوى : مجموعة من المؤلفين
الطبقة الجديدة : ميلوفان دجيلاس
حقائق عن نظام الحكم الشيوعى : ليونهارد
تجربة عربى فى الحزب الشيوعى : قدرى قلعجى
تجربتى مع الماركسية : طارق حجى

ثالثا : الكتب والدراسات التى ألفت بعد إعلان جورباتشوف عن السياسة الجديدة فى الاتحاد السوفييتى ، وهى كثيرة وإن اختلفت فى عرضها وطريقة تناولها للموضوع . ومن ذلك :

مستقبل الإسلام بعد سقوط الشيوعية : أنور الجندى
سادات الماركسية : حسين أحمد صبرا
البرسترويكا من منظور إسلامى : فتحى يكن ومنى حداد
الإنهيار : سامى محمد صالح الدلال
إنهيار إمبراطورية شيوعية : ممدوح لطفى
وسقطت الماركسية : عبد القادر العمارى
عملية إعادة البناء : ميخائيل غورباتشوف
نشوء وإنهيار الإمبراطورية الشيوعية : ميشيل هيلير
الفشل الكبير : بريجنسكى
مجدد الأمم : هيليس كاريروانكوس
غورباتشوف صانع القرار وضحيته : غيردروغ
الاتحاد السوفييتى إلى أين فى ظل غورباتشوف : آرنست ماندل
النار والجليد : مجموعة من المؤلفين

هذا من حيث الدراسات السابقة وليس مقصودى هنا حصر مارجعت إليه .

على أن الكتابات التى تحدثت عن السياسة الجديدة فى أغلبها خلطت بين أسباب السقوط وآثاره ، كما أنها فى عمومها لايوجد فيها دراسة أفردت الأسباب التى أدت إلى سقوط الشيوعية . هذا بالإضافة إلى أن هذه الدراسات والكتابات وغيرها مما وقعت عليه عينى ليس فيها دراسة جامعية

ومن هنا ولمشورة بعض الأساتذة الفضلاء آثرت الكتابة فى هذا الموضوع دون غيره . بالإضافة إلى الأسباب التالية :

أولا : أن هذا المذهب تتبناه دول متعددة وملايين من الشعوب ، وفجأة سقط .

ثانيا : انتشار هذا الفكر فى المجتمع الإسلامى والعربى والانبهار به ، والدعاوى الباطلة فى جدواه ، والدفاع عنه ، حتى بعد أن سقط فى معقله .

ثالثا : الغفلة والجهل بالواقع ، ومايحيكه الشرق والغرب ضد المسلمين فى ظل تقاربهم (الوفاق الدولى) لاتحاد الأعداء فى معسكر واحد لضرب المسلمين وإبعادهم عن دينهم .

رابعا : إظهار أثر الجهاد الأفغانى فى سقوط الشيوعية وأثر ذلك على الدول الرأسمالية فى تخوفها من الإسلام والمسلمين .

خامسا : استخلاص السنن الربانية فى بقاء الحق واستمراره وزهوق الباطل وإنهياره .

وعنوان البحث (**أسباب سقوط الشيوعية**) .

ويشتمل على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة .

وبيان ذلك مفصلا كالآتى :

المقدمة :

تحدثت فيها عن أهمية الموضوع ، والأسباب الدافعة لاختياره ، وأشرت فيها إلى بعض الدراسات السابقة ، كما ضمنتها خطتى التى سأسير عليها فى كتابة الموضوع .

أبواب الرسالة :

قسمت الرسالة إلى ثلاثة أبواب ، وكل باب إلى عدة فصول ، وكل فصل إلى عدة مباحث .

فالباب الأول : الشيوعية (الماركسية) نشؤها وفكرها .

ويشتمل على تمهيد ، وأربعة فصول .

التمهيد : تحدثت فيه عن الشيوعية كمذهب من المذاهب الفكرية المعاصرة ، نشأ فى البيئة الأوربية التى كانت تساعد على نشوء هذه الأفكار ، حيث الدين المحرف ، وفساد الكنيسة وطغيان رجالها . كما ضمنت هذا التمهيد الحديث عن العوامل التى أدت إلى قيام الشيوعية وانتشارها .

الفصل الأول : الحركات الإشتراكية عبر التاريخ .

ويشتمل على تمهيد وعدة مباحث :

التمهيد : وبينت فيه مختصرا أن الفكر الشيوعى ليس وليد هذا العصر بل يضرب بجذوره إلى أزمان متطاولة فى الماضى .

المبحث الأول : أفلاطون .

المبحث الثانى : المزدكية .

المبحث الثالث : القرامطة .

المبحث الرابع : الإشتراكيون الطوباويون .

المبحث الخامس : ماركس .

المبحث السادس : الشيوعيون بعد ماركس .

الفصل الثانى : الأهداف والمبادىء الأساسية للشيوعية .

ويشتمل على تمهيد وعدة مباحث .

التمهيد : وبينت فيه مختصرا أن لكل أمة عقيدة تؤمن بها وإن كانت فاسدة .

المبحث الأول : القضاء على الملكية الفردية .

المبحث الثانى : إلغاء الطبقات وإقامة طبقة البروليتاريا .

المبحث الثالث : كفالة الدولة لجميع المواطنين .

المبحث الرابع : المساواة فى الأجور .

المبحث الخامس : مبدأ من كل حسب كفاءته ولكل حسب عمله .

المبحث السادس : مبدأ من كل حسب كفاءته ولكل حسب حاجته.

المبحث السابع : إلغاء الدين .

المبحث الثامن : تأميم وسائل الإنتاج .

المبحث التاسع : الأممية .

المبحث العاشر : إلغاء الدولة .

الفصل الثالث : الماركسية وصلتها بالصهيونية .

ويشتمل على تمهيد وعدة مباحث .

التمهيد : ألمحت فيه عن الحياة الأوربية والبيئة التى نشأ فيها ماركس واستغلال اليهود للأحداث ودورهم فى الإفساد .

المبحث الأول : حياة كارل ماركس .

المبحث الثانى : مصادر الماركسية .

المبحث الثالث : الشيوعية وليدة الصهيونية .

المبحث الرابع : البراهين الدالة على أن الشيوعية وليدة الصهيونية .

الفصل الرابع : المادة .

ويشتمل على تمهيد وعدة مباحث .

التمهيد : تحدثت فيه عن الإتجاه المثالى والمادى وضربت الأمثلة بالفلاسفة من الإتجاهين ، وأفردت بالدراسة كل من فيشتة وهيغل وفيورباخ نظرا لتأثر ماركس بأفكارهم أكثر من غيرهم .

المبحث الأول : مادية ماركس .

المبحث الثانى : المادية الجدلية .

المبحث الثالث : أزلية المادية وأبديتها وقوانينها .

المبحث الرابع : المادية التاريخية .

المبحث الخامس : التفسير المادى للدين والأخلاق والأسرة .

الباب الثانى : أسباب سقوط الشيوعية (الداخلية) .

ويشتمل على تمهيد وخمسة فصول .

التمهيد : تحدثت فيه عن السنن الربانية ومفهومها ، وعرفت بها فى اللغة والإصطلاح ، ثم بينت مفهوم السقوط ، والأسباب التى أدت إليه وقسمتها إلى قسمين : الأسباب الداخلية ، والأسباب الخارجية ، وبينت مفهوم كل منهما .

الفصل الأول : مصادمة الشيوعية للفطرة .

ويشتمل على تمهيد وعدة مباحث .

التمهيد : تحدثت فيه عن معنى الفطرة لغة وإصطلاحا وبينت القول الراجح فى معناها وأنه مقتضى الأدلة الشرعية والتاريخية .

المبحث الأول : مصادمة الشيوعية لفطرية التدين .

المبحث الثانى : مصادمة الشيوعية لفطرية التملك .

المبحث الثالث : مصادمة الشيوعية لفطرية الزواج والحياة الأسرية .

المبحث الرابع : مصادمة الشيوعية لفطرية التجمع والإنتماء .

الفصل الثانى : القضاء على الحريات .

ويشتمل على تمهيد وعدة مباحث .

التمهيد : تحدثت فيه عن معنى الحرية ومفهومها وأهميتها ، وبينت أنها مقيدة وليست مطلقة .

المبحث الأول : الحرية الشخصية :

(أ) فى النظام الشيوعى (ب) فى الإسلام مختصرا

المبحث الثانى : الحرية الدينية :

(أ) فى النظام الشيوعى (ب) فى الإسلام مختصرا

المبحث الثالث : الحرية الفكرية :

(أ) فى النظام الشيوعى (ب) فى الإسلام مختصرا

المبحث الرابع : حرية التعلم والتعليم .

(أ) فى النظام الشيوعى (ب) فى الإسلام مختصرا

المبحث الخامس : الحرية السياسة :

(أ) فى النظام الشيوعى (ب) فى الإسلام مختصرا

المبحث السادس : حرية العمل .

(أ) فى النظام الشيوعى (ب) فى الإسلام مختصرا

المبحث السابع : حرية التنقل :

(أ) فى النظام الشيوعى (ب) فى الإسلام مختصرا

الفصل الثالث : فشل النظام الإقتصادى الشيوعى .

ويشتمل على تمهيد وعدة مباحث .

التمهيد : تحدثت فيه عن الإهتمام بالإقتصاد ، وأن ماركس أول من فسر أحداث التاريخ تفسيرا إقتصاديا ، وذكرت فيه بعض النظريات الإقتصادية فى روسيا والأوضاع التى ساعدت على انتشار الفكر الماركسى فيها.

المبحث الأول : المذهب الإقتصادى الشيوعى ومرتكزاته .

المبحث الثانى : النظام الإقتصادى الشيوعى بين النظرية والواقع .

المبحث الثالث : نظرية القيمة وفائض القيمة .

المبحث الرابع : مميزات النظام الإقتصادى الإسلامى .

الفصل الرابع : فساد تنبؤات الشيوعية وبطلان نظرياتها .

ويشتمل على تمهيد وعدة مباحث .

التمهيد : بينت فيه أن الماركسية قامت فى فكرها على عدد من التنبؤات غير أن الواقع أبطلها وكشف زيفها .

المبحث الأول : فساد نبؤات الماركسية ، وأثر ذلك .

المبحث الثانى : إبطال العلم للأفكار الماركسية .

المبحث الثالث : إبطال قوانين الجدل .

المبحث الرابع : بطلان المادية التاريخية .

الفصل الخامس : مصادمتها للواقع والتغيير فى مبادئها .

ويشتمل على تمهيد وعدة مباحث .

التمهيد : تحدثت فيه عن مصادمة الفكر الشيوعى للواقع ثم بينت أثر ذلك التصادم .

المبحث الأول : التراجع والتغيير زمن لينين .

المبحث الثانى : التراجع والتغيير زمن ستالين .

المبحث الثالث : التراجع والتغيير زمن خروشوف .

المبحث الرابع : التراجع والتغيير زمن بريجنيف .

المبحث الخامس : التراجع والتغيير زمن اندروبوف .

المبحث السادس : التراجع والتغيير زمن تشرنينكو .

المبحث السابع : التراجع والتغيير زمن غورباتشوف .

الباب الثالث : أسباب سقوط الشيوعية (الخارجية) .

ويشتمل على تمهيد وثلاثة فصول .

التمهيد : تحدثت فيه عن الأسباب الخارجية وبينت أنها أسباب مساعدة فى إنهيار الشيوعية ، كما ألمحت فيه عن الحرب ومفهومها وأساليبها قديما وحديثا .

الفصل الأول : الحرب الباردة .

ويشتمل على تمهيد وعدة مباحث .

التمهيد : تحدثت فيه عن الحرب الباردة ومفهومها وأساليبها واستخدامها قديما وحديثا تحت مسميات عديدة ، ثم عرفت بمصطلح الحرب الباردة وبداية استخدامه .

المبحث الأول : أسباب الحرب الباردة ومقدماتها .

المبحث الثانى : الحرب الباردة بين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة وأبرز أساليبها .

المبحث الثالث : آثار الحرب الباردة .

المبحث الرابع : إنهاء الحرب الباردة وآثار ذلك .

الفصل الثانى : الوفاق الدولى .

ويشتمل على تمهيد وعدة مباحث .

التمهيد : تحدثت فيه عن الوفاق ، ومفهومه ، وتطرقت لدراسة بعض المصطلحات المستخدمة فى العلاقات السوفيتية الأمريكية كالإنفراج ، والتعايش السلمى .

المبحث الأول : بداية الوفاق وفكرته .

المبحث الثانى : أهدافه ونتائجه .

المبحث الثالث : أثر الوفاق فى تنازل الاتحاد السوفييتى عن كثير من مبادئه .

المبحث الرابع : الموقف من الوفاق .

الفصل الثالث : الجهاد الأفغانى .

ويشتمل على تمهيد وعدة مباحث .

التمهيد : تحدثت فيه عن فضل الجهاد وأهميته وغايته ، بالإضافة إلى لمحة تاريخية عن أفغانستان .

المبحث الأول : دراسة تاريخية موجزة عن العلاقة بين حكومة الاتحاد السوفييتى وأفغانستان .

المبحث الثانى : التدخل الروسى فى أفغانستان ، وإعلان الجهاد .

المبحث الثالث : الخسائر الفكرية والسياسية والإقتصادية للاتحاد السوفييتى وأثر ذلك فى سقوطه .

المبحث الرابع : موقف الدول الرأسمالية من الجهاد الأفغانى .

الخاتمة : واشتملت على أهم النتائج والتوصيات .

وأود أن أشير إلى بعض المسائل المهمة والتى تعتبر ضوابط عامة فى البحث .

أولا : أن حديثنا هنا ينصرف بالدرجة الأولى إلى الاتحاد السوفييتى (البلد الأم للشيوعية) والموطن الأول للتطبيق العملى للأفكار الماركسية .

ثانيا : نظرا لضخامة المادة العلمية وغزارتها وتشعبها رأيت بالتشاور مع فضيلة المشرف أن يكتفى بالحديث عن الاتحاد السوفييتى دون الدخول فى تفصيلات أحداث أوروبا الشرقية إلا مادعت الحاجة إليه ، مع أن العاصفة بدأت فى بعض دولها قبل إعلان غورباتشوف عن سياسته الجديدة . ومما دفعنى أيضا لاستبعاد أحداث أوروبا الشرقية هو قناعتى التامة بأن كل باب من أبواب هذه الرسالة يصلح أن يكون رسالة علمية مستقلة ، ولاأرانى مبالغا لو قلت إن كل فصل من فصولها يصلح لذلك أيضا .

ثالثا : وإمعانا منى فى عدم تضخم المادة العلمية ، وطولها استبعدت من هذه الدراسة ، الدراسة الميدانية ـ على أهميتها ـ وذلك خشية الإطالة بسرد الحقائق والنتائج الإحصائية ـ هذا فضلا عن جدارة تلك الدراسة وأحقيتها بأن تكون رسالة علمية مستقلة ـ بالإضافة إلى أن عامل اللغة الروسية يشكل عقبة أمام الباحث الميدانى خاصة إذا ماوضعنا فى الاعتبار أن من يتكلم العربية من سكان الجمهوريات مازال الخوف يتملكهم نتيجة للسياسة السابقة مما قد يجعل الدراسة لاتعطى نتائجها العلمية الدقيقة الآن .

رابعا : أن حديثى هنا سيكون مقتصرا على الأسباب التى أدت إلى سقوط الشيوعية وليس عن آثار سقوطها ، لأن بعض الكتاب قد خلط بين الأمرين . على أنى قد جمعت مادة علمية كبيرة فيما يتعلق بآثار تفكك الاتحاد السوفييتى ، تصلح أن تكون بحثا مستقلا ، وحال بينى وبين إبرازها طول الرسالة والفترة الزمنية المحددة لإعدادها .

خامسا : من المسلم به أن عوامل سقوط الشيوعية وآثار ذلك السقوط ونتائجه مازالت مستمرة ومتلاحقة ، الشيشان ، أحداث أفغانستان ، إنضمام بعض دول أوروبا الشرقية لحلف الناتو .

سادسا : أن حديثنا هنا لن يتناول الدول التى بقيت على شيوعيتها (السياسية) مثل الصين وكوبا وفيتنام الشمالية ، حيث إن ذلك يصلح أن يكون بحثا مستقلا لذكر أسباب عدم انهيار الشيوعية فى تلك البلدان وخاصة الصين .

سابعا : نظرا لورود بعض المصطلحات والشخصيات بصورة مستمرة ، فإن من منهجى إذا مر بى مصطلح أو شخصية داخلة فى صلب البحث أرجىء التعريف بذلك لحين الحديث عنه تفصيلا .

ثامنا : لاأود الإشارة إلى الصعوبات التى واجهتنى فى إعداد هذه الرسالة ، سواء من حيث قلة المراجع المرتبطة بالحدث مباشرة وبموضوع الرسالة خاصة . مما اضطررت معه إلى السفر بحثا عن المادة العلمية إلى عدد من الدول وعلى نفقتى الخاصة ، بالإضافة إلى كثرة الخلافات والتفسيرات فيما

يحدث على الساحة السوفيتية ودول أوروبا الشرقية ، وكذلك تسلسل الأحداث وترابطها إلى هذه اللحظة .

هذا وأسأل المولى جل وعلا أن أكون قد أوجدت بعملى هذا لبنة صالحة يبنى عليها ، وحسبى أن هذا جهدى فما كان فيه من صواب فهو من الله تعالى وماكان فيه من خطأ فهو منى ، وأسأله تعالى العفو والغفران كما أسأله جل وعلا أن يجعل عملنا خالصا لوجهه الكريم ، وأن يعلمنا ماجهلنا **{ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا . ربنا ولاتحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا . ربنا ولاتحملنا مالاطاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين}**[1].

---

(١) سورة البقرة : (٢٨٦) .

الباب الأول
الشيوعية [الماركسية]

ويشتمل على تمهيد ، وأربعة فصول .

التمهيد

الفصل الأول : الحركات الإشتراكية عبر التاريخ .

الفصل الثانى : المبادىء الأساسية للشيوعية .

الفصل الثالث : الماركسية وصلتها بالصهيونية .

الفصل الرابع : المادة .

(١)

الباب الأول
الشيوعية (الماركسية)
نشؤها وفكرها

تمهيد :

إن الباحث حين يدرس مذهبا من المذاهب الفكرية المعاصرة يتعين عليه ، دراسة البيئة التى نشأ فيها ذلك المذهب والعوامل التى أدت الى قيامه وساعدت على بقائه ، وإذا كانت المذاهب المادية والتى وجدت فى أوروبا قد درست ، وكتب فيها كثيرا الا أن دراسة مايتعلق بمذهب منها يجعل الدارس يعرج على تاريخ الفكر الأوروبى ليصل من خلاله الى الأسباب التى أدت الى قيام ذلك الفكر ، أو المذهب الذى تتجه الدراسة إليه .

وإن المتتبع لتاريخ أوروبا وحضارتها المادية ، يجد أنها كانت مسرحا لكثير من الفلسفات والخلافات المذهبية بين الطوائف ، بل بين الطائفة الواحدة ، التى كانت بمثابة المقدمات فى الأعم الأغلب لنشوء تلك المذاهب ومن هنا رأيت أنه يتعين على التقديم بلمحة تاريخية عن أوروبا وحضارتها المادية .

ومن المسلم به أن الحضارة الغربية (المادية) ليست وليدة هذا العصر بل هى امتداد لما سبقها من حضارات قديمة (مادية) أعنى الحضارة اليونانية والرومانية (الماديتين) .

حيث أخذت الحضارة الأوربية الحديثة عنهما ، واستقت منهما كثيرا وتأثرت بهما تأثرا بليغا ـ أضحى ذلك واضحا فى فكرها واقتصادها ، وإن كانت فى صورة تختلف عن سابقتها ، فهى سلسلة واحدة تجمعها أفكار عدة ، وتنفرد بعضها ببعض أفكار حسب زمانها وبيئتها .

يقول أبو الحسن الندوى : (ليست الحضارة الغربية فى القرن العشرين المسيحى وليدة هذه القرون المتأخرة التى تلت القرون المظلمة فى أوروبا أو حديثة كما يتوهم كثير من الناس ، بل يرجع تاريخها إلى آلاف من السنين

(٢)

فهى سلسلة الحضارة اليونانية والحضارة الرومية ، قد خلفتهما فى تراثهما السياسى والعقلى والمدنى ورثت عنهما كل ماخلفتا من ممتلكات ونظام سياسى وفلسفة اجتماعية وتراث عقلى وعلمى وانطبعت فيهما ميولهما ونزعاتهما وخصائصهما بل انحدرت اليها فى الدم فقد كانت الحضارة اليونانية أول مظهر رائع - حفظه التاريخ - للعقلية الأوربية وأول حضارة سجلها التاريخ - قامت على أساس الفلسفة الأوربية تجلت فيها النفسية الأوربية وعلى أنقاضها قام صرح الحضارة الرومية تحمل روحا واحدة هى الروح الأوربية ، وظلت الشعوب الأوربية طيلة قرون محتفظة بخصائصها وطبيعتها ، وارثة لفلسفتها وعلومها وآدابها وأفكارها حتى برزت بها فى القرن التاسع عشر[١]فى ثوب براق يوهمك - بطلاوته وزهو ألوانه - أنه جديد النسيج ولكن لحمته وسداه من نسيج اليونان والرومان)[٢].

وحيث إن الحديث عن الشيوعية كمذهب من المذاهب التى انتشرت فى أوروبا الشرقية خاصة ، وفى أوروبا عامة ، فلابد من الحديث عن حضارتين وديانتين .

أما الحضارتان فهما الحضارة اليونانية والحضارة الرومانية ، وأما الديانتان فهما اليهودية والنصرانية .

---

(١) يعتبر عام ١٨١٥م هو المدخل الطبيعى لأوربا القرن التاسع عشر لاعام ١٨٠٠م حيث كانت الصدمات التى أحدثت التصدع فى صرح الأنظمة القديمة الجامدة .
انظر الحضارة الأوربية فى القرن التاسع عشر ١٨١٥-١٩١٤ تأليف جيفرى برون (١٥) ، ترجمة عبلة حجاب ، منشورات المكتبة الاهلية ، بيروت ، نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر ، بيروت ، نيويورك ١٩٦٣م ، دون ذكر لرقم الطبعة .

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، (١٥٦-١٥٧) ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

أولا : بعض خصائص الحضارة اليونانية :

ان لكل حضارة خصائص تميزها عن الحضارات الاخرى رغم ماقد تشترك فيه معها .

والحضارة اليونانية (إذا نظرنا فيها نظرة تحليل وانتقاد وصرفنا النظر عما تشترك فيه مع الحضارات من مظاهر وظواهر وبحثنا عن طبيعتها وخصائصها وجدنا من المزايا التى تمتاز بها عن المدنيات الاخرى ـ خصوصا المدنيات الشرقية ـ مايلى :

(١) الايمان بالمحسوس وقلة التقدير لما لايقع تحت الحس .

(٢) قلة الدين والخشوع .

(٣) شدة الاعتداد بالحياة الدنيا والاهتمام الزائد بمنافعها ولذائذها .

(٤) النزعة الوطنية)[١].

(٥) تمجيد الإنسان واعتباره سيد الخلق[٢].

ويمكن ان نحصر هذه المظاهر المتعددة فى كلمة مفردة وهى (المادية) فكان شعار الحضارة اليونانية (المادية) وهى التى تظهر فى كل مايتصل باليونان من ثقافة وعلم وفلسفة وشعر ودين[٣].

وليس ذلك أمرا مستغربا اذا علمنا أن اليونان قد صوروا آلهتهم (كأنهم بشر ورسموهم فى صورة الإنسان شكلا وقواما وإن تميزوا كلهم تقريبا بالقوة الخارقة والقوام البديع والجمال الرائع . وكانوا كالبشر يحتاجون إلى النوم ويأكلون ويشربون وإن اقتصر طعامهم على الامبروسيا ، وشرابهم على النكتار ، وهما طعام وشراب مقصوران على الآلهة دون سواهم ، وكانوا يحبون ويكرهون ويفرحون ويحزنون ، كانت بالإجمال

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (١٥٧-١٥٨) .

(٢) انظر التاريخ اليونانى ، الدكتور عبد اللطيف أحمد على (١٩٦) ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٦م ، دون ذكر لرقم الطبعة .

(٣) انظر ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (١٥٨) .

تساورهم نفس المشاعر التى تساور بنى الإنسان ويتزوجون وينجبون أولادا ويعقدون علاقات مشروعة وغير مشروعة مع الآلهة ومع البشر . وقد يستبد بهم الغضب الجنونى وتنهش قلوبهم الغيرة العمياء ، بل كانوا لايتورعون أحيانا عن النفاق والمداهنة والكذب والختال . ويسود الوئام بينهم أحيانا وأحيانا أخرى يشيع الخصام . لكنهم كانوا يتميزون عن البشر فى شىء جوهرى وهو أنهم كانوا يعيشون أبدا فى شباب دائم فلاتتقدم بهم السن ولايهرمون . كانوا خالدين لايذوقون طعم الموت وكان زيوس[١] أكثرهم قوة وهيبة وأعلاهم شأنا ومكانا بوصفه ربا للآلهة والناس ولذلك كان بقية الآلهة يدينون له بالطاعة ويمتثلون لأوامره ويخشون بأسه وبطشه ومع هذا فإن ذلك لم يمنع من أن يتبع كل إله هواه وينساق وراء ميوله الخاصة وقد يتمرد على زيوس نفسه أحيانا أو يتملقه أو يداهنه أحيانا أخرى ...)[٢].

هذا شىء من صورة الآلهة عند اليونان .

---

(١) Zeus كبير الآلهة اليونانية مشتق من لفظ بمعنى الضياء واللمعان أو السماء ، أو يسكن السماء التى يرسل منها البرق والرعد . وهو الإله الأعلى عند اليونان ، فهو المسيطر على الظواهر الجوية وعلى الطقس كله . وبقية الآلهة المشهورة هى :
هيرا : اسمها يعنى السيدة راعية النساء وكل مايتصل بحياتهن من زواج وولادة ورضاعة وغيرها وهى زوجة زيوس . انظر التاريخ اليونانى (٢٢٤-٢٣٢) .
هاديس = بلوتون وهو إله العالم السفلى حيث كانت تذهب أرواح الموتى ومعنى الاسم غير المنظور أو الخفى الذى لاتراه العين . واللقب الآخر معناه الغنى ولقب به لأنه مالك باطن الأرض وثرواتها . انظر المرجع السابق (٢٣٢-٢٣٩) .
ديمتير : وهو اسم للربة ومعناها (أم الأرض) أو (ربة الأرض) ومعنى دى مختلف فيه قيل الأرض وقيل نوع من القمح وميتير معناه الأم . انظر المرجع السابق (٢٣٩-٢٤٦) .
بوسيدون : وكان إله البحر . (٢٤٦-٢٦٠) .
هستيا : وهى ربة الموقد . انظر المرجع السابق (٢٦٣ ومابعدها) .
وغيرها من الآلهة المتعددة التى عرفها أهل اليونان . انظر انظر المرجع السابق (٢٦٠-٢٦٢) .

(٢) التاريخ اليونانى (١٩٥-١٩٦) .

وقد عرف عنهم قلة الخشوع . ولاغرابة فى ذلك إذ أنهـم صوروا الإله بهـذه الصورة التى تجعل الإذعـان والخضوع له فى درجة متـاخرة مـن مراعاة أهواء النفس ولذائذ الشهوة .

كمـا عـرف عن اليونانيين كثرة لهـوهم وغنائهم ، بل كـانوا يتقـربون لآلهتهم بالرقص والغناء .

أمـا حب الـوطن عنـدهم فكـان يتعـدى فضـائل الأخلاق وقـد قـال ارسطـاليس : (ان اليونانيين ينبغـى لهم أن يعاملوا الأجانب بما يعـاملون به البهائم)[١].

ثانيا : خصائص الحضارة الرومانية :

عندما كانت الحضارة الرومانية فى ترتيبها الزمنى بعـد الحضارة اليونانية فقد تأثرت بها ، إلا أنها فاقتها فى قضية التنظيم الإدارى والسياسى[٢].

أمـا مـن ناحيـة التعليم والتـأليف والأدب ، فـانهم تبعـوا اليـونان فلم يستطيعـوا الخروج عمـا جاءوا به بل تأثروا بهـم لـدرجة أن لغـة التـأليف عندهم كانت فى بداية الأمر باللغة اليونانية .

يقـول ليكى عن الرومان : (لم يزالوا مأخوذين بسحـرهم فى كل قسم من أقسام العلم فكان المؤرخون الأقـدمون فى الروم يؤلفـون كتبهم باليونانية واستمرت اليونانية لغة التاليف والعلم بعدما بدأ شعراء الروم ينظمون الشعر فى اللاتينية)[٣].

فانتقلت الفلسفة اليونانية إلى الرومان مع ثقافتهم المادية . ومـن هنا لم تفـرق كثيرا النفسيـة الرومـانية عن اليونانية من حيـث الخصـائص التى تمس

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (١٦١) .

(٢) ولمزيد عـن ذلـك انظـر الإمبراطـورية الـرومانية ـ النظام الامبراطـورى ومصـدر الـرومانية ، د. مصطفـى العبادى (١١-١٢) ١٩٨١م ، دا ر النهضـة العـربية للطباعة والنشر .

(٣) نقلا من كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (١٦٢) .

العقيدة الدينية (بل هناك شبه عظيم بين الأمتين ، إيمان بالمحسوس ، وغلو في تقدير الحياة ، وشك في دين ، وضعف في يقين ، واضطراب في العقيدة ، واستخفاف بالنظام الديني وطقوسه ، واعتزاز بالقومية وتعصب لها ، وحب مفرط للوطن . زد إلى ذلك كله اعتدادا بالقوة واحتراما زائدا لها يبلغ العبادة والتقدس ...) . زد على ذلك (أن النظام الديني الوثني الخرافي الذي كان سائدا في رومه يقتضي بطبيعته الشك والاضطراب وضعف الإيمان ، فكلما تقدموا في العلم وتنورت أفكارهم ، ازدادوا استخفافا به ، وقد قضوا من أول يوم أن الآلهة لادخل لهم في السياسة وأمور الدنيا)[١].

يقول (سيسرو) :

(لما كان الممثلون ينشدون في دور التمثيل أبياتا معناها أن الآلهة لادخل لهم في أمور الدنيا يصغي إليها الناس ويسمعونها بكل رغبة)[٢].

ومما تقدم عرضه يتضح أن الحضارتين (الماديتين) قد قامتا على شفا جرف هار ، وكانت الأصل الذي ترجع إليه الحضارة الأوربية المادية الحديثة.

فهي وليدة لها ، مطبقة لأفكارها ، وإن زادت عليها في محاولة البرهنة على اثبات صحة ماتذهب إليه .

فجاءت حضارة لادينية تعظم المحسوس وترفض غير المشاهد وسيظهر لنا ذلك جليا إذا قمنا بدراسة المادية فلاتكاد تختلف الأفكار إلا في الصياغة التعبيرية ... وعلى كل فإن هاتين الحضارتين أنتجت مايلي :

أولا : تعظيم المادة والايمان بالمحسوس دون غيره .

ثانيا : الانغماس في ملذات الدنيا وزخارفها والشك في الوعود الدينية وتكذيبها (على مافيها من الخراف) .

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (١٦٢-١٦٣) .

(٢) تاريخ أخلاق أوروبا ، نقلا من كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (١٦٣) .

ثالثا : فصل الدين عن الحياة . واتخذ فى الحضارة الأوربية الحديثة شكلا واضحا فى الدعوة لذلك (العلمانية) .

رابعا : القوميات والاعتداد بالوطنية كثيرا .

خامسا : العنف والقوة والتسلط على الآخرين . ولأجل ذلك نجد النزعات الاستعمارية الغربية التى عانت منها الشعوب وخاصة الشعوب المسلمة إلى الآن ، وخاصة الحضارة الرومانية التى اهتمت بالسياسة والنظم الإدارية كثيرا ، ورغبت فى توسيع نطاق رقعتها بالاضافة إلى تمييزها للفرد الرومانى عن غيره .

وهكذا كانت الحضارة الرومانية مادية بحتة ، ووثنية واضحة ورثتها أوروبا المعاصرة ، فى ظل غياب العقيدة الصحيحة عنها ، فقد وجد فى بلاد الرومان ثلاثة أديان : (الوثنية الرومانية ، واليهودية ، والمسيحية الناشئة)[1].

الا أن هاتين الديانتين اليهودية والمسيحية حرفتا ، وبالتالى فعندما أخذت الدولة الرومانية بالنصرانية أخذت بدين محرف . فانتقلت من وثنية الى وثنية أخرى تتلبس بالدين وهو منها براء . قال تعالى : {**يحرفون الكلم عن مواضعه**}[2]. ونلقى نظرة على هاتين الديانتين .

ثالثا : اليهودية :

لقد تحدث القرآن الكريم عن اليهود وفضح حقائقهم ، وأبان مواقفهم مع أنبيائهم عليهم السلام ، ثم كشف عن أخلاقهم وأساليبهم . وكان التاريخ اليهودى طويلا ولأجل ذلك كثرت طوائفهم ، وتعددت أساليبهم ، وقلما خلا مجتمع من مكرهم وخداعهم منذ أن بدأ تاريخهم زمن يعقوب

---

(١) محاضرات فى النصرانية (٣٦١) ، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربى ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨١هـ/١٩٦١م .

(٢) سورة المائدة : (١٣) .

عليه الصلاة والسلام ، وقد لقى اليهود بسبب شخصيتهم وسلوكهم الاضطهاد والتشريد . ولن نذهب بعيدا فى فضح شخصية اليهود فإن الله تعالى قد أخبرنا عنهم الخبر اليقين فنورد بعضا من الآيات عن حقيقتهم وأخلاقهم .

أولا : عبادتهم غير الله تعالى ، مع أن أنبياءهم دعوهم إلى عبادته تعالى دون سواه .

قال تعالى : {**قالوا ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون**}(١).

يقول أحمد شلبى : (لم يستطع بنو اسرائيل فى أى فترة من فترات تاريخهم أن يستقروا على عبادة الله الواحد الذى دعا له الأنبياء)(٢).

ثانيا : تكذيبهم للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقتلهم لهم .

قال تعالى : {**أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون**}(٣).

ثالثا : كثرة مزاعمهم وقد أبطلها الله تعالى .

(أ) ومن ذلك : زعمهم أنهم أبناء الله تعالى وأحباؤه .

قال تعالى : {**وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق**}(٤).

(ب) زعمهم أن العزير ابن الله :

قال تعالى : {**وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون**}(٥).

---

(١) سورة الأعراف : (١٣٨) .

(٢) اليهودية (١٨٦) ، أحمد شلبى ، الطبعة الحادية عشرة ١٩٩٣م ، مكتبة النهضة المصرية .

(٣) سورة البقرة : (٨٧) .

(٤) سورة المائدة : (١٨) .

(٥) سورة التوبة : (٣٠) .

(ج) زعمهم أنهم لايعذبون فى النار إلا قليلا :

قال تعالى : {**وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة . قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده؟ أم تقولون على الله مالاتعلمون**}[١].

(د) زعمهم قصر الجنة عليهم :

قال تعالى : {**وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم . قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين**}[٢].

(هـ) زعمهم أن إبراهيم كان يهوديا :

قال تعالى : {**أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى؟ قل أأنتم أعلم أم الله؟ ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وماالله بغافل عما تعملون**}[٣].

رابعا : كذبهم ، وحسدهم ، وحقدهم ، وتربصهم بالأنبياء الذين أرسلوا من بعد موسى عليهم السلام (عيسى عليه السلام ، ومحمد صلى الله عليه وسلم)[٤]. وحاول اليهود أن يتسللوا بين المسيحية بالأفكار الوثنية لأن (اليهودية نفسها أصيبت بالتأثيرات الوثنية من فارس وبابل وخضعت لنفوذهما عندما كان اليهود فى المنفى)[٥].

ونأتى الآن للحديث عن النصرانية .

---

(١) سورة البقرة : (٨٠) .

(٢) سورة البقرة : (١١١) .

(٣) سورة البقرة : (١٤٠) .

(٤) انظر هذا كله وغيره فى كتاب الشخصية اليهودية من خلال القرآن (١٣٣) ومابعدها ، د. صلاح عبد الفتاح الخالدى ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق .

(٥) الأصول الوثنية للمسيحية (٢٠) ، تأليف إدغار ويند ، كارل غوستاف يونغ ، ترجمة سميرة عزمى الزين ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م ، منشورات المعهد الدولى للدراسات الإنسانية .

رابعا : النصرانية :

بعد أن فشل اليهود فى القضاء على النصرانية أخذوا يعملون على الإساءة إلى نبى الله عيسى عليه السلام وأمه ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل حاولوا قتل نبى الله عيسى عليه السلام ونجاه الله تعالى منهم . قال تعالى : {**وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما ، وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ، مالهم به من علم إلا إتباع الظن ، وماقتلوه يقينا ، بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما**}[١].

وهذه عادة اليهود مع كل من يخالفهم ، القتل ، وانتهاك الأعراض ، والإتهام فى الشرف والطهر[٢]، ثم قاموا بتحريفها وادخال الأفكار الغريبة عنها ليتسنى لهم إدخال الأباطيل فيها فوجد فى القوم من اعتنق هذه الديانة نفاقا وخداعا لبث الأفكار الوثنية ، فجاء بعقائد لم تكن معروفة لدى معتنقيها الذين أخذوها كما أنزلها الله تعالى على نبيه عيسى عليه الصلاة والسلام ، ومن أخطر من حرف فيها بولس[٣]اليهودى الذى عرف فى أول أمره باضطهاد المسيحيين ثم فجأة تحول إلى شخصية نصرانية وقطبا كنسيا معظما فحرف فى المسيحية وأدخل اليها عقائد وثنية لم تعرفها من قبل (وهو

---

(١) سورة النساء : (١٥٦-١٥٨) .

(٢) انظر الشخصية اليهودية من خلال القرآن (١٨٦) ، وقد ذكر صفاتهم وشخصيتهم وموقفهم من الأنبياء عليهم السلام مما هو جيد فى موضوعه .

(٣) يذكر سارلز جنيبير أن بولس ولد فى أسرة يهودية أقامت بمدينة طرسوس ، وكانت المدينة مليئة بأصحاب المذهب الرواقى ، وقد عاش فى هذا الوسط المطبع بالتراث اليونانى ، وقد تلقى العلوم الخاصة بأصول اليهودية واستوفاها ، وكان فى بداية حياته عنيفا على المسيحيين ، وانتهى به الأمر أن تحول إليهم ، مع الإشارة إلى أن بولس لم يلتق بالمسيح مدة حياته ، وكان فكره مزيجا من الأفكار اليهودية والوثنية اليونانية ، ومن الذكريات الانجيلية .
انظر المسيحية نشأتها وتطورها (٩٩) ، ترجمة د. عبد الحليم محمود ، المكتبة العصرية ، بيروت ، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها .

أول من ابتدع فى شأن المسيح اللاهوت والناسوت وكانت النصارى قبله كلمتهم واحدة أنه عبد رسول مخلوق مصنوع مربوب لايختلف فيه اثنان منهم ، فقال بولس هذا ـ وهو أول من أفسد دين النصارى ـ إن سيدنا المسيح خلق من اللاهوت إنسانا كواحد منا فى جوهره وأن ابتداء الابن من مريم ، وأنه اصطفى ليكون مخلصا للجوهر الإنسى صحبته النعمة الإلهية فحلت فيه بالمحبة والمشيئة ، ولذلك سمى ابن الله)[(١)].

وقد تحدث بعض كتاب المسيحية عن مراحل تحول بولس إليها واعتبروا أن السبب المباشر والحقيقى فى طى المجهول ، فيقول شارل جينبير بعد أن ذكر المراحل التى مر بها بولس : (وبذلك تصبح مراحل إتمام هذا التحول واضحة لنا كل الوضوح وإن ظل سببه الحقيقى المباشر فى طى المجهول)[(٢)].

ويقول درابر : (ودخلت الوثنية والشرك فى النصرانية بتأثير المنافقين الذين تقلدوا وظائف خطيرة ومناصب عالية فى الدولة الرومية بتظاهرهم بالنصرانية ، ولم يكونوا يحفلون بأمر الدين ، ولم يخلصوا له يوما من الأيام وكذلك كان قسطنطين ، فقد قضى عمره فى الظلم والفجور ولم يتقيد بأوامر الكنيسة الدينية إلا قليلا فى آخر عمره سنة ٣٣٧م)[(٣)].

وحصل التقارب فحرفت المسيحية لما كان فى نفوس اليهود ، وللبيئة الوثنية ، ولوجود دعاة النصرانية المحرفين الذين رغبوا فى الحصول على تأييد الناس لهم ، وعلى رأسهم بولس ، وقبل ذلك كله أن الله تعالى قد جعل حفظها على القائمين بها لحكمة منه جل وعلا .

---

(١) هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى (٢٠٣) ، للإمام شمس الدين محمد بن أبى بكر ابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها (٩٩) .

(٣) نقلا من كتاب مذاهب فكرية معاصرة (١٠) ، محمد قطب ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

التحريف :

إن التحريف فى المسيحية ، ثبت بنص كتاب الله تعالى {**يحرفون الكلم عن مواضعه**}[١]. واتخذ التحريف طريقين :

الأول : التحريف العقدى .

الثانى : فصل العقيدة عن الشريعة .

أولا : التحريف العقدى :

ونقصد به التغيير والتبديل فى الأصول التى كانت عليها المسيحية الحقة التى أوحى الله تعالى بها لنبيه عيسى عليه الصلاة والسلام .

ولو نظرنا فى المسيحية كما صورها القرآن العظيم ، لوجدنا أنها تقوم على التوحيد وإفراد الله تعالى بالعبادة ، واثبات نبوة عيسى عليه السلام وأنه رسول الله تعالى ونفى أن يكون إلها أو ابنا لله تعالى ، ونفى أن تكون أمه مريم عليها السلام إلها ، أو أن تكون حملت من أحد بل بكلمة الله تعالى ، ورد قضية الصلب ، أما جوهر عقيدتهم هم فقد جاء فى كتاب سوسنة سليمان ، لنوفل بن نعمة الله ابن جرجس النصرانى أن (عقيدة النصارى التى لاتختلف بالنسبة لها الكنائس ، وهى أصل الدستور الذى بينه المجمع النيقاوى ، هى الايمان باله واحد ، أب واحد ، ضابط الكل خالق السماء والأرض ، كل مايرى ومالايرى ، وبرب واحد ، يسوع الابن الوحيد المولود من الأب قبل الدهور من نور الله . إله حق من إله حق مولود غير مخلوق . مساو للأب فى الجوهر ، الذى به كان كل شيء والذى من أجلنا نحن البشر ، ومن أجل خطايانا نزل من السماء ، وتجسد من الروح القدس ، ومن مريم العذراء تأنس وصلب عنا على عهد بيلاطس وتألم وقبر ، وقام من الأموات فى اليوم الثالث على مافى الكتب ، وصعد إلى السماء وجلس على يمين الرب وسيأتى بمجد ، ليدين الأحياء والأموات ، ولافناء لملكه والإيمان بالروح بالقدس الرب المنبثق من الأب ، الذى هو الابن يسجد له ، ويمجد الناطق بالأنبياء)[٢].

---

(١) سورة المائدة : (١٣) .

(٢) نقلا من كتاب محاضرات فى النصرانية (١٠١) .

وعند التتبع لعقائد النصارى التى جاءت بعد التحريف يمكن جعل أبرزها فى الآتى :

أولا : تأليه المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام والقول بأنه ابن الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا .

ثانيا : القول بالتثليث .

ثالثا : تأليه مريم وروح القدس عليهما السلام .

رابعا : استحلال الحرام وتحريم الحلال وطاعة الرهبان فى ذلك .

وقد رد الله تعالى على هذه العقائد وأبان بطلانها ومخالفتها لحقيقة الرسالة التى بعث الله تعالى بها نبيه عيسى عليه الصلاة والسلام ، وبين كذبهم فى دعواهم .

قال تعالى : **{ماكان لله أن يتخذ من ولد سبحانه}**(١).

وقال عز وجل : **{لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ومامن إله إلا إله واحد}**(٢).

وقال تبارك وتعالى : **{وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ، قال سبحانك مايكون لى أن أقول ماليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم مافى نفسى ولاأعلم مافى نفسك إنك أنت علام الغيوب ماقلت لهم إلا ماأمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد}**(٣).

وقال تعالى : **{اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وماأمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لاإله إلا هو سبحانه عما يشركون}**(٤).

---

(١) سورة مريم : (٣٥) .
(٢) سورة المائدة (٧٣) .
(٣) سورة المائدة (١١٦-١١٧) .
(٤) سورة التوبة : (٣١) .

وبهذا يثبت بطلان العقائد النصرانية التى وضعها بولس ومن معه وكلها تخالف ماأخبر به الحق جل وعلا عن عيسى عليه السلام وأمه وكفاهم كفرا ماجاء عنهم من عقائد لايمكن أن يتصورها الإنسان صاحب الفطرة السوية . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (وقولهم : فالإله واحد ، خالق واحد ، رب واحد ، هو حق فى نفسه ، لكن قد نقضوه بقولهم فى عقيدة إيمانهم [نؤمن برب واحد ، يسوع المسيح ابن الله الوحيد ، إله حق من إله حق ، من جوهر أبيه ، مساو الأب فى الجوهر] فأثبتوا هنا إلهين ، ثم أثبتوا روح القدس إلها ثالثا . وقالوا إنه مسجود له ، فصاروا يثبتون ثلاثة آلهة ، ويقولون : إنما نثبت إلها واحدا ، وهو تناقض ظاهر ، وجمع بين النقيضين : بين الاثبات والنفى . ولهذا قال طائفة من العقلاء : إن عامة مقالات الناس يمكن تصورها إلا مقالة النصارى ، وذلك إن الذين وضعوها لم يتصوروا ماقالوا ، بل تكلموا بجهل ، وجمعوا فى كلامهم بين النقيضين ، ولهذا قال بعضهم : لو اجتمع عشر نصارى لتفرقوا عن أحد عشر قولا . وقال لو سألت بعض النصارى وامرأته وابنه عن توحيدهم لقال الرجل قولا ، وامرأته قولا آخر ، وابنه قولا ثالثا)[١].

ومما نراه فى الوقت الحاضر هو إسلام كثير من النصارى ورجوعهم إلى دين الله تعالى الحق (الإسلام) خاصة بعدما تبين لهم بطلان العقيدة النصرانية .

وفى كثير من لقاءاتهم مع بعض المجلات أو الصحف أو عبر وسائل الإعلام الأخرى نجد أن من الأسباب الرئيسية التى تدفعهم لترك النصرانية هو مافيها من تناقضات كثيرة ومغالطات للحقائق الفطرية . ناهيك عن أن الإسلام قد صور المسيحية تصويرا دقيقا وإنها ديانة من عند الخالق جل

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١٦٥/٢) ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق مجدى قاسم ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م ، توزيع مكتبة البلد الأمين . ولمزيد عن عقائد النصارى الوثنية انظر كتاب الأصول الوثنية للمسيحية (٣١) ومابعدها .

وعلا ورسولها المسيح عليه الصلاة والسلام . ولد من أم بغير أب بل بكلمة من الله وروح منه تعالى .

فآمن هؤلاء وزالت الغشاوة عن أعينهم .

{ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين}(١).

الثانى : فصل العقيدة عن الشريعة :

ونعنى بذلك عدم تحكيم العقيدة فى شئون الحياة العامة ، بل تستمد الأحكام والتشريعات من أقوال الرهبان ومايرضى السلطان .

يقول الشيخ محمد قطب : (على أن التحريف الذى وقع فى العقيدة من جعل الإله الواحد ثلاثة أقانيم وتأليه عيسى عليه السلام وإدعاء بنوته لله تعالى ، وتأليه مريم وروح القدس جبريل عليه السلام ، واختراع قصة الصلب والفداء وعبادة الصليب وعبادة التماثيل والأوثان ...الخ هذا التحريف على بشاعته لم يكن هو التحريف الوحيد الذى أدخلته الكنيسة والمجامع المقدسة على دين الله المنزل بل أضافت الكنيسة إنحرافا آخر لايقل سوءا ولاتشويها للدين المنزل من عند الله وذلك بعزل العقيدة عن الشريعة واتخاذ الدين عقيدة فقط ، وترك القانون الرومانى يحكم الحياة)(٢).

ولاشك أن دين الله تعالى يؤخذ كاملا عقيدة وشريعة ولايترك منه شيئا **{أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب}**(٣).

وقد رددت الكنيسة مقولة نسبتها إلى عيسى عليه السلام وهى قوله (أعطوا إذن مالقيصر لقيصر ومالله لله)(٤). وذلك مشكوك فيه وعلى افتراض أن المسيح عليه السلام قالها فلايفهم منها ماأرادته الكنيسة بفصل الدين أو

---

(١) سورة آل عمران : (٨٥) .

(٢) مذاهب فكرية معاصرة (١٣) .

(٣) سورة البقرة : (٨٥) .

(٤) متى ، الاصحاح ٢٢:١٨-٢٢ .

العقيدة عن الحياة . بل قصد بذلك أن الوقت لم يحن بعد لمقاتلة القيصر وفى معرض رده على الفريسيين عندما سألوه عن اعطاء الجزية له . وهذا يذكرنا بعلمانية العصر الحديث فى أوروبا والتى انتقلت إلى البلاد الإسلامية ، وتعمل على نشر ذلك الفكر الالحادى بفصل الدين عن شئون الحياة الإجتماعية والسياسية والإقتصادية وغيرها . وهذا يدلنا على أن الحضارة الأوربية المادية الحديثة ماهى إلا امتداد لتلك الأفكار التى حظيت بها الامبراطورية الرومانية واليونانية!!

وكانت حياة الناس فى الغرب محكومة بالديانة المحرفة سواء فى المعاملات أو العلاقات الإجتماعية أو الإقتصادية أو أنها خليط من الأفكار الوثنية والديانة المحرفة ، فكانت تفرض على الناس تلك الأفكار بالقوة من قبل الأباطرة الرومان ، وكان اضطهاد النصارى قد بلغ مبلغا كبيرا فى عصر الدولة الرومانية إلا أن حدة ذلك الاضطهاد خفت فى زمن قسطنطين[١] الذى اعتنق النصرانية[٢] (وكان أول عمل قام به هذا الامبراطور هو الاعتراف الرسمى بالمسيحية ، وبذلك بدأت عهدا وتاريخا جديدا يختلف كل الاختلاف عن سيرتها السابقة ، فمنذ ذلك الوقت بدأ المسيحيون يعملون فى حرية واطمئنان ، وكان لذلك نتائجه السيئة أيضا . ففى عصر الخوف والترقب السابق لم يجرؤ المسيحيون على إظهار خلافهم وانقسامهم فى الرأى ، لأنهم فى ذلك الوقت كانوا فى أشد الحاجة إلى تماسكهم وتساندهم ، وربما أدى أى إنقسام بينهم بالحركة كلها ... ولكن ماأن أمن المسيحيون على أنفسهم الاضطهاد وضمنوا الدولة إلى جانبهم حتى وجدناهم يظهرون ماكانوا يضمرون من التشيع والانقسام ويهمنا من ذلك انقسامان حدثا فى مصر .

---

(١) أول إمبراطور مسيحى للإمبراطورية الرومانية ، تولى الحكم عام ٣٢٣-٣٣٧م ، اعترف بالمسيحية وخفف الوطأة على أهلها فى فترة حكمه .

(٢) عن المسيحيين وبعض مالاقوه فى عهد الرومان انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١٢/٣ ومابعدها) .
وانظر هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى (١٩٩ ومابعدها) .

الأول وهـو ظهـور الـدعوة الاريوسيـة فى الاسكنـدرية ، والثـانى هـوموقف ميلتيوس من المرتدين فى عصر الاضطهاد .

أما عن الدعوة الاريوسية فهى نسبـة الى اريوس (Arius) الذى كان من أصل ليبى وتعلم فى انطاكية ، وأصبح أحد رجال الكنيسـة فى الإسكندرية ... ونظـرا لتعلمـه فى مدرسة أنطـاكية المسيحية التى كـانت تسـود فيها فلسفة أوريجنيس الدينية التى كانت مشبعة بالفلسفة الأفلاطونية فقد بقى محافظا على تعـاليم هذه المدرسة وأخذ يطبقهـا ويمارسها فى الاسكنـدرية بصـورة متطرفة ، وسرعان ماصاغ آراء مستقلة فى العقيدة المسيحية تختلـف عن العقائد السائدة ممـا أوقعـه فى صدام عنيف مـع أسقـف كنيسة الاسكنـدرية فى ذلـك الوقت المسمـى اسكندر . وتتلخص عقيـدة اريوس فى أنه ابتـدأ بموقـف أفلاطونى[١] وهـو أن الإلـه وجود دائم ولايمكـن إدراكـه ، ثم استنتـج مـن ذلـك نتيجة منطقيـة فى أن (الابن) لايمكـن أن يكـون إلهـا بنفس المعنى ، ولـذلك يلـزم منطقيـا أن وجوده كان لاحقـا لوجود الإله ، وبعبارة أخرى أن (الابن) لـه بداية فى حين أن الالـه (الأب) قـديم ودائم . وأخيرا بما أن الالـه (الأب) لايقبـل الانقسام فلابد أن الابن خلـق من العدم ، مثـل هـذه الآراء صدمت كثيرين مـن رجال الكنيسـة فى الاسكنـدرية الذين كانوا يعتقـدون أن الابن مثـل الأب قديم دائم وأنهمـا من طبيعة واحدة ، وقـد تحرج الموقـف كثيرا نتيجـة لـذلك حتى اضطر الأسقـف اسكندر إلى عقد مجمـع مـن القساوسة فى مصـر وليبيا وأصدروا استنكارا لعقيدة أريوس وأعلنـوا حرمانه وأتباعه من الكنيسة . ولكن خطر دعوة اريوس لم يقتصر على مصر بل انتشر خارجها فى فلسطين وليبيـا وآسيا الصغرى ، ولم يمكث اسكندر مكتـوف الأيدى بل راح يعمـل بنشـاط جم بين أسـاقفـة الكنـائس فى الولايات الشـرقية يحضهـم على مقاومة دعوة اريوس فى مناطقهم بكل قوة ، فى ذلك الـوقت حاول قسطنطين

---

(١) الأفلاطـونية نسبـة إلى أفلاطـون وكـانت تقـوم على الاعتراف بوجود الإلـه لهـذا الكـون ، وأفلاطون فيلسوف يونانى ، ولد فى أثينا ٤٢٧ق.م وتوفى سنـة ٣٤٧ق.م وله عدة مؤلفات ومن أشهرها (الجمهورية) .

أن يتدخل فى الأمر ويصلح بين أريوس واسكندر بدون جدوى ، فقرر عقد مجمع دينى عالمى يشترك فيه أساقفة الكنائس المختلفة فى الشرق والغرب لوضع حد للانقسامات العقائدية التى انتشرت فى ذلك الوقت ، وأرسلت الدعوة للإجتماع فى نيقيا فى آسيا الصغرى فى سنة ٣٢٥م[١].

أما عن المسألة الثانية وهى موقف ميليتوس من معاملة الكنيسة للمرتدين فتتلخص فى ان ميليتيوس كان يدعو إلى اتخاذ موقف متطرف متزمت من الذين ضعفوا أمام الاضطهاد وارتدوا عن المسيحية فى حين أن الأسقف اسكندر كان يؤثر موقفا متسامحا ، يبيح العفو بعد التوبة .

ورغم عدم خطورة موضوع الانقسام وبقائه مصريا الا أن ميليتيوس كان عنيدا متعصبا ، فلم يتزحزح عن آرائه قيد أنملة ، وشجعه على ذلك كثرة أتباعه ، حتى اضطرته الكنيسة المصرية إلى نفيه إلى فلسطين . وقد بلغ به التعصب أن بنى له ولأتباعه كنيسة خاصة أطلقوا عليها اسم كنيسة الشهداء حتى لايشاركون المسيحيين الآخرين كنيستهم الكاثوليكية ورفع الأمر إلى قسطنطين الذى قرر عرضه على مجمع نيقيا أيضا)[٢].

مجمع نيقية ٣٢٥م :

بعد دعوة قسطنطين لعقد المجمع حضره عدد كبير من الأساقفة والبطاركة ، فاجتمع فى مدينة نيقيا ثمانية وأربعون وألفان من الأساقفة وكانوا مختلفين فى كثير من القضايا التى طرحت فى المجمع[٣].

---

(١) وهو مجمع نيقية المشهور وسيأتى الحديث عنه بشىء من التفصيل .

(٢) الإمبراطورية الرومانية (٢٤٧-٢٥٠) ، وانظر محاضرات فى النصرانية (١٢٦-١٢٧) ، وانظر هداية الحيارى (٢٠٦) .

(٣) انظر محاضرات فى النصرانية (١٢٧-١٢٨) ، وذكر بعضا من الاختلافات الواقعة بينهم . وانظر الإمبراطورية الرومانية (٢٥٠) وانظر كواشف زيوف (٣٢-٣٣) عبد الرحمن الميدانى ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، وانظر هداية الحيارى ، ابن القيم (٢٠٦-٢٠٧) .

(وسمع قسطنطين مقال كل فرقة من ممثليها ، فعجب أشد العجب مما رأى وسمع ، فأمرهم أن يتناظروا لينظر الدين الصحيح مع من[١]، وأخلى دارا للمناظرة ولكنه جنح أخيرا إلى رأى بولس ، وعقد مجلسا خاصا للأساقفة الذين يمثلون هذا الرأى وكانت عدتهم ثمانية عشر وثلاثمائة)[٢].

وقد اختلفوا كثيرا فى أى العقائد يأخذون .

فمنهم من قال المسيح ومريم إلهين من دون الله .

ومنهم من قال بأن ربنا المسيح وهى العقيدة التى قال بها ثلاثمائة وثمانية عشرا أسقفا[٣].

العقيدة التى أقرها المجمع :

ذكر صاحب كتاب تاريخ الأمة القبطية تلك العقيدة فقال : (إن الجامعة المقدسة والكنيسة الرسولية تحرم كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله موجودا فيه ، وأنه لم يوجد قبل أن يولد ، وأنه وجد من لاشىء . أو من يقول إن الابن وجد من مادة أو جوهر غير الأب ، وكل من يؤمن أنه خلق ، او من يقول أنه قابل للتغيير ، ويعتريه ظل دوران)[٤].

---

(١) ولعل هذا يؤيد أن دخول قسطنطين فى النصرانية لم يكن إلا لمصلحة سياسية حفاظا على دولته وكسبا لود هولاء . فالعقيدة المنتصرة صاحبة الأغلبية سيأخذ بها ليضمن استمرار ملكه .

(٢) محاضرات فى النصرانية (١٢٨) .

(٣) انظر هداية الحيارى (٢٠٧) . وذكر بعض الأقوال والآراء التى وردت فى مجمع نيقية .

(٤) نقلا من كتاب محاضرات فى النصرانية (١٢٩) .

أهم قرارات المجمع :

أولا : تأليه عيسى عليه السلام والقول بالتثليث .

ثانيا : اختيار الكتب المقدسة المؤيدة للقرارات وحرق الأخرى [١].

ويظل هنا تساؤل لماذا تم اختيار هذا الرأى رغم أنه لم يقر إلا من قبل ثلاثمائة وثمانية عشر بطريق؟

وللاجابة على ذلك التساؤل نقول :

أولا : بالنظر فى قرارات المجمع نجدها وثنية وبالتالى لاتعارض مالدى قسطنطين فلاحرج فى قبولها من قبله وتأييدها ، ثم مامقدار معرفة قسطنطين بالمسيحية حتى يحكم على الرأى الصحيح علما بأنه لم يتنصر إلا فى آخر حياته .

يقول المؤرخ أبو سيبوس الذى تقدس كلامه الكنيسة ، وتسميه سلطان المؤرخين : (إن قسطنطين عمد حين كان أسير الفراش ، وان الذى عمده هو ذلك المؤرخ نفسه ، وقد كان له صديقا) .

والتعميد اعلان دخول المسيحية ، إذن فقسطنطين ماكان مسيحيا فى ابان انعقاد ذلك المجمع ، وماكان من حقه أن يحكم بفلج هؤلاء وليسوغ لنا أن نقول أنه كان له فى هذا ارب خاص ، وهو تقريبها من وثنية أو على الأقل عندما رجح رأى فريق كان يرجح ماهو أقرب إلى وثنيته ، وأدنى إلى مايعرفه من عقيدة ، فلم تكن الحجة القوية فى جانب ترجيحه على هذا الاعتبار ، أوكان متهما فى ترجيحه بناء على الاعتبار الأول ، وسواء أكان هذا أم ذاك فهو قد رجح ماهو أقرب إلى الوثنية لوثنيته)[٢].

---

(١) انظر محاضرات فى النصرانية (١٣١،١٢٩) ، وانظر هداية الحيارى (٢٠٧) وذكر أنهم (وضعوا له أربعين كتابا فيها السنن والشرائع وفيها مايصلح أن يعمل به الأساقفة ومايصلح للملك أن يعمل بما فيها).

(٢) محاضرات فى النصرانية (١٣٢) .

ثانيا : سكوت البقية وقبولهم للأمر الواقع خوفا من التنكيل والرغبة فى الحصول على شىء من السلطان المتاح لهم ، فقد صرح قسطنطين بذلك بعد إن نزع خاتمه وسيفه ودفعهما إليهم وقال : (قد سلطتكم اليوم على المملكة فاصنعوا مابدالكم)[١].

أما مايتعلق بالأمر الآخر وهو فتنة ميليتوس فصدر قرار طابعه الرحمة[٢].

ثم تعاقبت المجامع بعد ذلك ورفضت بعضها ماجاء فى مجمع نيقية مثل مجمع صور .

إلا أن كثيرا من هذه المجامع أقرت الوثنية والشركيات فى العقيدة النصرانية[٣].

حتى إنها لو عرضت على أحد لايعرف له إلها أصلا لما قبل النصرانية.

يقول الامام ابن القيم رحمه الله : (لو أن قوما لم يعرفوا لهم إلها ثم عرض عليهم دين النصرانية ، هكذا لتوقفوا عنه وامتنعوا عن قبوله . فوازن بين هذا وبين ماجاء به خاتم الأنبياء والرسل صلوات الله عليه وسلامه تعلم علما يضارع المحسوسات أو يزيد عليها إن الدين عند الله الإسلام)[٤].

نعم إن صاحب الفطرة السليمة والعقل الرشيد (لايستطيع ان يعتنق المسيحية إلا إذا ألغى عقله ، وأسلم قياده لهواه وعاطفته ، حيث إن كل

---

(١) هداية الحيارى (٢٠٧) ، وانظر محاضرات فى النصرانية (١٣٠) .

(٢) انظر الحضارة الرومانية (٢٩٧) .

(٣) انظر فى هذه المجامع : هداية الحيارى (٢٠٨-٢١٨) ، محاضرات فى النصرانية (١٣٣ ومابعدها) ، الامبراطورية الرومانية (٢٥٥-٢٥٩) .

(٤) هداية الحيارى (٢١٨) .

العوامل الفكرية تنأى به عن المسيحية ، والا فكيف يقوده عقله الى الايمان بدين تعتور كتابه الشكوك ، وتضج صفحاته بالأباطيل والخزعبلات؟ كيف يقوده العقل ـ فى عصر العقل ـ إلى دين يقر مالايقره العقل ، ويقول بما لايتفق مع العلم الحديث ، كيف يقوده العقل الى الإيمان بدين عقيدته مستوردة من غيره ، وعباداته لاتمت إليه بأدنى وشيجة؟ كيف يقوده العقل إلى الإيمان بدين لم يقدم الله منه إلا الجزء الضئيل والقسط الأكبر منه من صنع الإنسان؟)[١].

النتائج :

وكان لهذا المجمع ومن قبل اعتلاء قسطنطين السلطة وجعله النصرانية دينا للدولة نتائج سيئة أثرت فى الفكر الأوروبى الحديث بأكمله وذلك للآتى:

أولا : مسخت الوثنية الرومية العقيدة الدينية واقرت فيهما مبادىء الانحراف واعتبرتها الدين الصحيح وكان لذلك أثره البالغ فى اقرار الأفكار المنحرفة .

ثانيا : كسب النصارى سمعة دنيوية وذلك بكون صاحب السلطة الأول قد تنصر غير أنهم فقدوا دينهم .

ثالثا : كان ذلك بداية فقدان رجال الدين والبابوات تقدير الناس أو السماع لهم حيث أعقب ذلك ادعاءات كنسية نظرا لعدم استقرار الأفكار الدينية فى أذهان الناس مما أدى برجال الكنيسة أن يبدأوا بطغيانهم ظنا منهم ان ذلك الخلاص الوحيد من الاشكالات التى تواجههم .

رابعا : عندما دمجت الوثنية بالعقيدة النصرانية ، باركت الكنيسة ذلك وبالتالى (فتحت على نفسها ثغرة واسعة ليستطيع أعداؤها أن ينفذوا من خلالها إلى هدم الدين البولسى الكنسى بسهولة وكانت هذه العقيدة

---

(١) الجفوة المفتعلة بين العلم والدين (١٦-١٧) ، محمد على يوسف ، ١٩٦٦م ، دون ذكر لرقم الطبعة ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت .

واضرابها المقومات الأساسية للفكر اللاديني الذى تستر بستار النقد التاريخى للكتب المقدسة إبتداء من القرن السابع عشر)[١].

واستغلت الكنيسة ذلك المزج بين العقيدة الصحيحة ، والعقيدة الوثنية لصالحها ، فبعد أن غدت المفاهيم مختلطة ، ادعت الكنيسة تفردها بمعرفة أسرار تلك المفاهيم ، ثم فرضت من خلال هذا الإنفراد سيطرتها على العقول والأفكار ، وبسطت سلطانها على جوانب الحياة كلها واستغلت ذلك لصالح رجالها ومطامعهم . ففسد رجالها واستغلوا الناس استغلالا بشعا ، فافتقر الناس للقدوة التى كان يجب توفرها فى (رجال الدين) ، بل بالغ هؤلاء فى الانحراف لدرجة الطغيان ، فانعكس ذلك على مفاهيم الناس وتصوراتهم ، ولم تدع الكنيسة للناس مجالا أو جانبا يختصون به (دون أن تمسكه بيد من حديد وتغله بقيودها العاتية فهيمنت على المجتمع من كل نواحيه الدينية والسياسية والإقتصادية والعلمية وفرضت على عقول الناس وأموالهم وتصرفاتهم وصاية لانظير لها البتة وإن التاريخ ليفيض فى الحديث عن طغيان الكنيسة ويقدم نماذج حية له فى كل شأن من الشئون)[٢].

وكان لهذا الطغيان آثاره فى الحياة الأوربية ، من عداء للدين وتأليه للعقل والعلم ، وعدم الإيمان إلا بالمحسوس لكثرة الأسرار الكنسية ، التى كانت تفيض فيها للناس دون أن تجيب على أبسط التساؤلات القائمة فى أذهانهم .

وقد يعجب الإنسان من كثرة الآراء والمذاهب التى وجدت فى أوروبا إلا أن ذلك العجب يزول شيئا فشيئا إذا عرف ماكانت عليه الكنيسة من فساد وطغيان وهى التى تمثل الفكر الدينى ذلك الوقت ، مما جعل ردود الأفعال على أفعال الكنيسة عنيفة وصلت إلى المادية الإلحادية .

---

(١) العلمانية (٤١-٤٤) ، د. سفر الحوالى (٤١-٤٤) ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، مطابع جامعة أم القرى .

(٢) المرجع السابق (١٢٧) .

طغيان الكنيسة [1]:

أضحت الكنيسة صاحبة السلطة السياسية بعد تمكنها باقرار قسطنطين ، فاستغلت تلك السلطة فى زيادة طغيانها وتحقيق مصالح رجالها ، ونوعت فى ذلك الطغيان حتى غدت المهيمنة على حياة الناس هيمنة فعلية سواء سياسيا أو إقتصاديا أو فكريا ، ويمكن جعل الطغيان الكنسى ممثلا فى الآتى :

أولا : الطغيان الاستعبادى [2].

ثانيا : الطغيان السياسى .

ثالثا : الطغيان المالى .

رابعا : الطغيان العلمى .

ونوجز الحديث عن كل مما ذكرنا .

---

(١) يقول جينبير : (إن فكرة الكنيسة نشأت عند انتقال الأمل المسيحى من فلسطين إلى ربوع العالم اليونانى ، وأيضا اذا شئنا عند تطور هذا الأمل إلى العالمية) . المسيحية نشأتها وتطورها (١٣١) ، شارل جنيبير ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت .

(٢) يعبر بعض المفكرين والدعاة والباحثين عن ذلك بالطغيان الروحى . ولعل ماذكرناه أقرب حيث ان الروحانية دعت اليها المسيحية ، ثم ان حال رجال الكنيسة بالنسبة للناس أقرب الى الاستعباد منه الى الروحانية ، بل ان رجال الكنيسة مسخوا الروحانية المسيحية الى ملذات واسراف على أنفسهم فكانوا مستعبدين للناس فكريا وسياسيا وماليا .

أولا : الطغيان الاستعبادى :

كانت الكنيسة ترقب مصالحها الخاصة فى كل أفعالها ، وكانت سلطة رجالها تكاد تكون مطلقة ، والذى دفعهم إلى هذا الطغيان هو مارآه رجال الكنيسة من تصدع الايمان بالنصرانية فى نفوس الناس فأرادوا أن يصلوا إلى حفظ شىء من الدين حتى ولو كان محرفا . يقول الدكتور عبد الرحمن حبنكة : (ومع الرغبة بانقاذ الدين من حالة الضياع والنسيان ، التى مست أحكامه وشرائعه ، المنزلة على لسان عيسى [عليه الصلاة والسلام] وقبله ، وجد رجال الكنيسة هذه السلطة المطلقة تحقق لهم ربوبية على شعب الكنيسة وبها يصلون الى مايهوون ويشتهون)[١].

وعندما كانت النصرانية قد لقحت بالوثنية الرومية لم تستطع أن تغير من واقع الحياة شيئا ، فاضطرت إلى ابتداع الرهبانية وجن جنونها وتخطى حدود القياس[٢].

فادعت لنفسها القداسة ، وأحاطت عقائدها بالسرية[٣]التى لايمكن فك رموزها إلا من قبل رجالها ، وعلى الناس التسليم والإذعان . (فهناك الأسرار التى لايعلم تأويلها الا الراسخون لافى العلم ولكن فى الكهنوت)[٤].

واستتبع ذلك الإدعاء بالعصمة لرجال الكنيسة حتى لايتردد الناس فى قبول مايجىء عن طريقهم من تفسيرات ولكى يحللون ويحرمون حسب مايشتهون . يقول الميدانى : (ومنح رجال الدين هؤلاء أنفسهم العصمة عن الخطأ فيما يقررون من أحكام ، فكانوا بذلك أربابا من دون الله ، يحللون

---

(١) كواشف زيوف (٤٣) .

(٢) انظر ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (١٦٧) ، وانظر شيئا من عجائب الرهبان (ص١٦٨) .

(٣) مثل الاستحالة والعشاء الربانى والثالوث ومن جادل فى تلك الأمور وغيرها من الأسرار فمصيره الحرمان .

(٤) مذاهب فكرية معاصرة (٣٢) .

ويحرمـون لشعـب الكنيسة بحسـب آرائهـم وأهوائهم ومـايرون مـن مصـالح لأنفسهم ...)[١].

ونخرج من ذلك بالآتى :

أولا : أن الكتاب المقدس الذى يفترض فيه أن يكـون بين يدى الناس ليقرأوه ويعملوا بما فيه قد استأثر به رجال الدين .

ثانيا : أن رجال الدين بحكم عصمتهم ، واطلاعهم على خفايا المقصود بألفاظ الكتاب المقدس أخذوا صفة المشرعين من دون الله تعالى .

ثالثا : أن هـذا الاستعباد جعل الإنسان الأوروبى ينظـر إلى الدين وإلى الإله الذى تسلطت باسمه الكنيسة نظرة ازدراء وذلك للتمييز الذى وجد فيه من قبل ذلك الاله .

رابعا : نتـج عن ذلك بحث الناس بجدية فى حقيقة الـدين الذى تدعيه الكنيسـة وبدأت علامات السخط والتذمر منه ومنه الإلـه الذى يؤمر وينهى باسمـه مما كان لذلك أكبر الأثر فى ردة فعـل الإنسان الأوروبى تجاه الـدين ظنـا منه أن كل الأديان كذلك ، فعمم حكمه وحصـل الرفض للدين بسبب أفعال رجال الكنيسة .

---

(١) كواشف زيوف (٤٣) .

ثانيا : الطغيان السياسى :

عندما أصبح التحريف سمة من سمات النصارى لم يكن ذلك التحريف فيما نزل من عند الله فحسب بل تجاوز الى الأقوال التى ترد عليهم فيجعلون لها معان تتفق مع مصالحهم . ومما اتخذوه ذريعة لهم فى فصل العقيدة عن الشريعة مقولة نسبوها إلى المسيح عليه الصلاة والسلام وهى (اذن اعطوا مالقيصر لقيصر ومالله لله) . وقد مر معنا مفهومها الحقيقى إن كان قالها عليه السلام .

وإذا كان من المسلم به أن يكون لرجال الدين سلطة سياسية فى الأمة التى تدين بدينهم ويكون زمام الأمر فى يد نخبة مؤمنة صالحة وهذا هو الأصل لكن الواقع هو ظهور هذه الفئة بطابع الاستبداد والطغيان أصحاب مصالح شخصية . فبعد وصول هذه الفئة (عنيت رجال الكنيسة) إلى السلطة السياسية استغلوها فى تحقيق مصالحهم وفرضت الكنيسة سلطانا قاسيا على كل أمر (ولم ينج حتى الملوك من طغيانها ، فقد كان انقسام الدولة الرومانية الغربية إلى ممالك مختلفة ، واعتبار كل مملكة وحدة سياسية لاتتصل بالأخرى إلا اتصال محبة وسلام ، أو حرب وخصام ـ كان ذلك سببا فى أنصار البابا لاسلطان لأحد من ولاة الأمر عليه ، وقد تقرر هذا من بعد كما صار تعيين البابوات باختيار المجامع ، لابتعيين ملك أو أمير ، مهما تكن قوته وسطوته ، وصار البابوات بعد تعيينهم غير خاضعين بأى نوع من أنواع الخضوع لأى ملك من الملوك ، وعلى النقيض من ذلك لهم هم السلطان الذى لايرد على كل مسيحى ، مهما تكن مكانته ، فيستوى فى ذلك الأمير والحقير ، والراعى والرعية ، فليس لأى ملك سلطان على البابا ، والبابا له سلطان على كل ملك ، لأنه مسيحى ، وله السلطان الكامل على كل المسيحيين ، ولأن البابا خليفة لبطرس الرسول وبطرس الرسول أقامه المسيح رئيسا على الحواريين من بعده ، فالبابا على هذا الأساس خليفة للمسيحيين ينطق باسمه ويتكلم بخلافته ، وينفذ بسلطانه ، ومن خرج عن

طاعته فقد خرج عن طاعة المسيح ، وحارب دينه)[1]. بل (بلغت سلطة البابا الدينية المهيمنة على ذوى السلطة الادارية والسياسية أوجها حتى كان باستطاعة البابا أن يتوج الملوك والأباطرة ، وأن يخلع تيجانهم إذا نازعوه ورفضوا أوامره ، وأن يحرمهم من الدين ، وأن يحرم شعوبهم الذين يوالونهم ، ولايستجيبون لأوامر الخلع البابوية حتى أعلن البابا (جريجورى) السابع : أن الكنيسة بوصفها نظاما إلهيا خليقة بأن تكون صاحبة السلطة العالمية ، ومن حق البابا وواجابه بصفته خليفة الله فى أرضه ، أن يخلع الملوك غير الصالحين ، وأن يؤيد أو يرفض اختيار البشر للحكام ، أو تنصيبهم حسب مقتضيات الأحوال)[2]. فاستطاعت الكنيسة أن تخضعهم لسلطانها وتسيرهم فى خدمة مصالحها وأغراضها وأصبحوا يتلمسون العفو والغفران منها وهذه الحادثة التى سنذكرها تدل على مدى ماوصل إليه الحال يقول وليز : (ثم يجىء هلدبراند العظيم الذى ختم حياته تحت اسم جيرجورى السابع (١٠٧٣-١٠٨٥م) والذى فعل الشىء الكثير بتقريره العزوبة على رجال الدين وتشبثه بسيادة الكنيسة على الملوك والأمراء لكى يركز قوة الكنيسة فى روما البابوى على الأمراء و(خير مايلخص آراء البابا جريجورى الخاصة بعظمة الوظيفة البابوية وسموها وسلطانها الروحى العالمى ، فهى المجموعة التى تنسب إلى ذلك البابا والتى جمعت بعد وفاته بقليل (حوالى سنة ١٠٨٧م) وتعرف هذه المجموعة باسم الارادة الابابوية أو الأوامر البابوية .

وأهم موادها :

* البابا وحده هو الذى يتمتع بسلطة عالمية .
* البابا وحده يمتلك سلطة تعيين الأساقفة أو عزلهم .

---

(١) محاضرات فى النصرانية (١٧٢-١٧٣) .
(٢) كواشف زيوف (٥٠-٥١) .

* جميع الأمراء العلمانيين يجب أن يقبلوا قدم البابا وحده .
* للبابا الحق فى عزل الأباطرة .
* لايجوز عقد أى مجمع دينى عام الا بأمر البابا .
* ليس لأى فرد أن يلغى قرارا بابويا ، فى حين أنه من حق البابا أن يلغى قرارات بقية الناس .
* لايسأل البابا عما يفعل ولايحاكم على تصرفاته .
* للبابا أن يجيز لرعايا أى حاكم علمانى التحلل من العهود وأيمان الولاء التى أقسموها لحكامهم)[١]. وحدث نزاع عظيم بين هلد براند والإمبراطور المنتخب هنرى الرابع على مسألة التعيينات فحاول أن يخلع البابا فرد البابا بخلعه وأحل البابا أتباعه والأمراء من ولائهم له ، فاضطر الإمبراطور إلى أن يذهب تائبا إلى البابا وأن ينتظر الغفران ثلاثة أيام متدثرا بالخيش حافى القدمين فى الثلج فى فناء القلعة[٢].

ولعل فى هذا كفاية لمعرفة مدى تسلط رجال الكنيسة السياسى . الا أن هذا السلطان كان أثره السىء أكبر من نفعه حيث لم يستغل فى تصحيح الانحراف العقدى وتنقية المسيحية من الوثنية بل كان الهدف الأسمى منه تحقيق المصلحة الشخصية .

---

(١) Thompson. op. cit Vol 1 pp. 439-440 .
نقلا من كتاب تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى (٣٠٤-٣٠٥) ، الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها .

(٢) انظر مذاهب فكرية معاصرة (٤٦) .

ثالثا : الطغيان المالى :

كانت الوثنية السابقة على مجىء عيسى عليه السلام غارقة فى الملذات والشهوات وعبادة المال وضرب اليهود المثل الأعلى فى حب المال واكتنازه فتمسكوا بالحياة الدنيا وكانوا من احرص الناس على الحياة حتى ولو كانت فى الرذيلة ، وبلغ السيل الزبى من قبل اليهود فبعث الله تعالى عيسى عليه السلام يدعو إلى التوحيد ويرغب فى الآخرة ويزهد فى الدنيا .

يقول عبد الله التل : (وفى العصر الذى سبق مجىء المسيح عليه السلام عم الفساد بينهم[1] وتفشت الرذيلة وعبادة الذهب وانحرفوا عن جادة الصواب فقضت ارادة الله العلى القدير أن يرسل نبيه الكريم عيسى بن مريم ليعيد للإنسانية كرامتها التى أهدرها اليهود بردهم الى الحق ويهذب من أخلاقهم ويعلمهم كيف يحبون الناس ويبتعدون عن التعصب والغدر والوحشية وعبادة الذهب والفسق والظلم)[2].

واذا نظرنا فى الأناجيل الموجودة الآن رأيناها تحذر من الانغماس فى الدنيا وملذاتها ، وحب المال والافتتان به ، ويرد ذلك فيها كثيرا . هذا من حيث ماهو مكتوب فيها ، ولكن حقيقة الامر وواقع الناس يخالف ذلك ، ولعل واقع الكنيسة التى كانت عليه كان من أسباب ذلك الإعراض عن توصيات الأناجيل حيث كان رجالها يبتعدون عن ذلك المفهوم النظرى بل ويبالغون فى مخالفته . وتضن رجال الكنيسة فى تنويع مصادر دخولهم ومواردهم وانخدع الناس بتلك الطرق والأساليب خاصة أنها تزامنت مع الوعود والامتيازات التى أعطتها الكنيسة لنفسها منكشف الأسرار وأحقية فهم الكتاب المقدس وامتلاك حق الغفران والحرمان وقبول التوبة ، مما جعل الناس يتنازلون عن كثير من حقوقهم رغبة منهم فى الحصول على رضاء

---

(١) يعنى اليهود .

(٢) جذور البلاء (٨٤) ، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

الـرب ، ويظهـر ذلـك جليا فى أسلـوب (صكـوك الغفـران) وكـانت تدعـى الكنيسـة أن الأموال تنفق لخدمـة دينهم فـ(أخذوا يجمعـون الأموال الطائلة باسم خدمة المسيحية والتبشير بها ، وباسم المشروعات التى يريدون انشاءها ، من كنائس وأديرة وغير ذلك)[١].

فكـان الأتباع يغدقون عليهـا بغير حساب حتى أصبحـت أكثر ثراء من كبـار ملاك الإقطاع وأثرياء اليهـود واتخذت الكنيسة عـدة أساليب فى تنويع مصادرها المالية مما حقق له اطغيانا ماليا كبيرا ومن هذه الأساليب :

أولا : الأملاك الاقطاعية .

ثانيا : الأوقاف .

ثالثا : العشور .

رابعا : الهبات والعطايا .

خامسا : العمل المجانى (السخرة) .

سادسا : صكوك الغفران .

ونلمح عن كل أسلوب باختصار .

أولا : كان رجال الكنيسة أبعد الناس عن تطبيق تعاليم الإنجيل الداعية إلى احتقـار الـدنيا وملذاتهـا حيث أصبحوا ينافسون أكـابر ملاك الإقطـاع . فأصبحت الكنيسة أكثر المالكين وبلغـت ممتلكـاتها فى انجلترا الثلـث مـن الأراضى[٢].

---

(١) كواشف زيوف (٥١) .

(٢) انظـر كـواشف زيوف (٥٢) ، وللمـزيد انظـر : حرب الفلاحين فى المانيـا (٣٦) فردريك انجلز ، تعريب محمـد أبو خضور ، دار دمشق للطبـاعة والنشر دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها ، تاريخ الحضـارة الإسلامية (٥٧) ، تأليـف ف.بارتولـد ، ترجمة حمزة طاهر ، الطبعة الخامسة ١٩٨٥م ، دار المعارف ، القاهرة .

ثانيا : الأوقاف :

كانت الكنيسة تدعى أن المساحات الشاسعة التى تمتلكها من الأراضى الزراعية انما هى أوقافا من أجل استغلالها لسكان الأديرة وبناء الكنائس فجعلت عائداتها فى الانفاق على مصالح رجالها لاكما كانوا يصورونه للناس حتى أصبحت تملك ثلث أراضى انجلترا ، يقول ويكلف : (إن الكنيسة تملك ثلث أراضى انجلترا وتأخذ الضرائب الباهظة من الباقى)[(١)].

ثالثا : العشور :

ومن أساليب الكنيسة فى تحصيل الموارد فرضت ضريبة مقدارها العشر على أتباعها فى كل سنة . يقول محمد قطب : (كما فرضت الكنيسة على أتباعها أن يدفعوا لها عشر أموالهم ضريبة سنوية لايملكون التملص منها تحت وطأة التهديد بالحرمان وغضب الرب)[(٢)].

رابعا : الهبات والعطايا :

ومن طرق الكنيسة فى تنمية مواردها المالية ، وزيادة دخولها المادية ماكانت تحصل عليه عن طريق الهبة والعطية من أتباعها إلا أن ذلك لم يكن عن طواعية واختيار بل كان ذلك عن طريق الترهيب والترغيب أحيانا (وفى الواقع فى حالة وهب الكنيسة ملكية خاصة ، لم تكن الكنيسة تترك للواهب حق استغلال ملكيته ، فى مقابل ضريبة (إقطاعية) فحسب ، بل كانت علاوة على ذلك ، توكله مديرا على جزء من الأملاك الكنسية وهذه الهبات كانت تتم فى شكلين : إما أن يحتفظ الواهب لنفسه باستغلال الأطيان (الوقفية)

---

(١) تاريخ أوروبا (٣٦٢/٢) ، نقلا من كتاب مذاهب فكرية معاصرة (٤٢) .

(٢) مذاهب فكرية معاصرة (٤٢) ، وانظر : الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، د. جمعة الخولى (٣٩-٤٠) ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م ، حرب الفلاحين فى المانيا (١٠٨) الحاشية .

مدى عمره بحيث لاتغدو هذه الأطيان ملك الكنيسة الا بعد وفاته (Donatio post obitum) وفى هـذه الحالة كانت العـادة كما تشهد القـرارات الملكيـة العـالية ، أن يتلقى الواهـب من الكنيسة ، كمدير صفـة الوقف الموهوب ، وإما أن تصبح الهبة منقولة على الفور (Cessi adie prgesente) وعندئذ يتلقى الواهب علاوة على عقاره الخاص (الموقوف) ثلاثة أضعاف من أراضى الكنيسة ، بواسطة ماكان يسمى حيازة مؤقتة ، أى بمستنـد من الكنيسة يثبت أن هـذه الأراضى قد نقلت اليـه اما لأجل طويل ، الى هـذا الحد أو ذاك ، وامـا فى أكثر الأحيـان مـدى العمـر وهكذا يتوضح نشـوء طبقـة مـن الناس الأحرار بلاأطيان ...)[1].

خامسا : العمل المجانى (السخرة) :

بعـد أن أضحت أملاك الكنيسـة الإقطاعية متراميـة الأطراف استوجب ذلـك وجود الأرقاء والعمال الـذين يقومون باصلاح تلـك الأراضـى وافادة الكنيسةمنها . ولكن لم يظل الأمر عند هذا الحد بل أرغمـت الكنيسة أتباعها على القيام بالعمل لصالحها يوما فى الأسبوع دون مقابل . يقول الأستاذ محمد قطـب : (أما السخرة فقد كانت الكنيسـة تفرضها على رعـاياها بالعمـل يوما واحدا فى الأسبوع بالمجان فى أراضى الكنيسة الواسعة ، فيعمل التعساء ستة أيام فى الأسبـوع ليجـدوا خبز الكفـاف لهم ولأسرهـم ، ثم يعملـون اليوم السـابع - يوم الـراحة سخرة فى أراضـى الكنيسة لكـى توفـر الأخيرة أجور العمـال التى كان المفروض أن تدفعهـا لقاء زراعة إقطـاعياتها الواسعة وجنى حاصلاتهـا وتزداد بذلـك اكتنـازا وضـراوة فى طلـب المزيد مـن المال)[2].

---

(١) وضعيـة الـدين عند ماركس وانجلـز (١٠٦،١٠٨) ، ميشال برتران ، ترجمـة صلاح كامل ، الطبعة الأولى ١٩٩٠م ، دار الفارابى ، بيروت ، لبنان .

(٢) مذاهب فكرية معاصرة (٤٣) ، وانظر : كواشف زيوف (٥٢) ، الاتجاهات الفكرية المعاصرة (٣٩) .

سادسا : صكوك الغفران :

قلنا إن الكنيسة اتخذت عدة أساليب لتنويع مواردها ودخولها المالية ، فمنها المباشر كالضرائب ومنها غير المباشر (أى لايظهر منه بادىء الأمر أنه استغلال ونهب) بل يظهر متسترا بستار الدين يرجى من ورائه تحقيق مصلحة (هكذا يعتقد) ولكن حقيقة أمره أنه طريق من طرق الكسب وتجميع الثروة ، وذلك الأسلوب هو ماعرف (بصكوك الغفران) .

(وهى ضريبة غير مباشرة انطوت على جمهور المؤمنين ، من العامة لتكون موردا ماليا سهل المنال)(١).

فهذه المهزلة أسلوب كنسى لزيادة دخل الكنيسة المالى فتستر بستار دينى

وفى نظرى أن هذه المهزلة وطغيان الكنيسة العلمى هما من أكثر العوامل التى ساعدت على انتشار الفكر اللادينى فى أوروبا . فهذه المهزلة أطلقت العنان للانسان بأن يفعل مايشاء اذا امتلك صك الغفران .

والآخر جعل الناس يثقون بالعلم ويقدسونه حيث وجدوا فيه متنفسا لهم من سلطان الكنيسة الذى يحجر على العقول أن تفكر أو تأتى بشىء لم تأت به الكنيسة . وسيأتى بيان ذلك باذن الله .

فأما صكوك الغفران فكانت تعد المذنب بغفران ذنوبه وآثامه التى ارتكبها ، فراجت بين الناس ، فكل ذنب مغفور . ومن هنا لايستغرب اقبال الناس على شرائها اذ أنها وافقت كثيراً منهم على مايريدون فعله فى حياتهم ، فانغمس الناس فى الشهوات وفعل المحرمات ، ولم يقف الأمر بالكنيسة أن تملك حق الغفران للأحياء بل وأعلنت أن الأموات ستصلهم الرحمة ، وماعلى الأحياء الذين يرغبون فى تقديم المعروف للأموات إلا أن يدفعوا مالا ليحصلوا على الصك باسم الميت الذى يرغب فى تحقيق الغفران له ويكون بذلك قد اشترى له مكانا فى الجنة وأصبح مغفورا له ماتقدم من ذنبه وماتأخر .

---

(١) مدخل لدراسة التاريخ الأوروبى ، د. محمد مخزوم (١٢٨) ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠م دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع ، طرابلس ، لبنان .

أصل هذه البدعة :

تقوم على إعطاء الكنيسة نفسها حق الوراثة عن عيسى عليه الصلاة والسلام فى منح حق الغفران[1](كما زعموا) .

وقامت هذه البدعة على عدة أسس منها :

(أ) الفكرة الوثنية فى كون رجال الكنيسة وسطاء وشفعاء فى قبول التوبة.

(ب) جشع رجال الكنيسة .

(ج) استغلال هذه المهزلة فى ترغيب الناس فى قتال المسلمين بعد أن فشلت الوعود الكلامية[2].

وحققت الكنيسة من وراء هذه الصكوك أموالا طائلة كعادتها فى استغلال الناس ونهب أموالهم وللجهل الذى كان متفشيا ، ولتفرد الكنيسة بمعرفة حقائق الأمور ، دفعت إليها الأموال رغبة فى الجنة رغم كل مايفعله الإنسان ويقترفه من شرور وآثام[3].

---

(١) انظر : محاضرات فى النصرانية (١٧٥) ، مدخل لدراسة التاريخ الأوربى (١٢٨) .

(٢) انظر مذاهب فكرية معاصرة (٦٥) .

(٣) وصيغة صك الغفران كالتالى : (ربنا يسوع المسيح يرحمك بافلان ، ويحلك باستحقاقات آلامه الكلية القداسة ، وأنا بالسلطان الرسولى المعطى لى أحلك من جميع القصاصات ، والأحكام والطائلات الكنسية التى استوجبتها ، وأيضا من جميع الافراط والخطايا والذنوب التى ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة ، ومن كل علة ، وان كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا ، والكرسى الرسولى ، وأمحو من جميع أقذار المذنب وكل علامات الملامة التى ربما جلبتها على نفسك فى هذه الفرصة ، وأرفع القصاصات التى كنت تلتزم بمكابدتها فى الطهر وأردك حديثا الى الشركة فى أسرار الكنيسة وأقرنك فى شركة القديسين ، وأردك ثانية الى الطهارة والبر اللذين كانا عند معموديتك ، حتى انه فى ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذى يدخل منه الخطاه الى محل العذاب والعقاب ، ويفتح الباب الذى يؤدى الى فردوس الفرح ، وان لم تمت سنين مستطيلة فهذه النعمة تبقى غير متغيرة ، حتى تأتى ساعتك الأخيرة باسم الأب والابن والروح القدس) . محاضرات فى النصرانية (١٧٦) .

وقد كان لهذه المهزلة سلبيات كثيرة كما كانت ايجابيـاتها محصورة على رجال الكنيسة ، ومن هذه الايجابيات :

(١) ارتفاع مكانة رجال الدين فى نظر السذج والجهلة .

(٢) ازدياد ثروات الكنيسة .

(٣) تدعيم سلطة الكنيسة السياسية[١].

أما الآثار السلبية :

(١) الفتور فى الطلب بعد كثرة العرض وقلة السعر .

(٢) تنـافس القساوسة فى بيع صكـوك الغفران ، فقلـت قـداستهم فى نفوس النـاس ، بالإضـافة إلى شكهـم فى مصداقية هذه الصكـوك حيـث تبوأ الأشرار والطغاة مقاعد عالية فى الملكوت ببركتها .

(٣) سـوء العلاقة بين رجال الـدين والملوك بسبب ماوصلـت إليه الكنيسة من زيادة فى الاستحكام نظرا لزيادة أرباحها[٢].

(٤) فتـح باب العصيان على مصـراعيه لاطمئنان الإنسـان على غفـران ذنوبه السابقة واللاحقة .

يقـول عبد الله التل : (وواضـح أن هذا الغفران يشمـل مـاتقدم من ذنب المشترى وماهو مقدم على اقترافه من ذنوب ، لأن الـذى يطمئن إلى أن جميـع ذنوبه السابقة واللاحقة قد مسحت عنه فإنه لايتـورع عن الإقدام على فعل المعاصى والمنكر)[٣].

(٥) ساهمت فى هدم تعاليم الدين المسيحى[٤].

---

(١) انظر العلمانية (١١٦-١١٧) .

(٢) انظر المرجع السابق (١١٧-١١٩) بتصرف واختصار .

(٣) الأفعى اليهـودية فى معاقل الاسلام (٥٦) ، الطبعـة الثانية ، المكتـب الاسلامـى ، بيروت دون ذكـر لتـاريخ الطبعـة ، وانظـر : محاضـرات فى النصـرانية (١٧٦) ، كواشف زيوف (٤٥) .

(٤) انظر العلمانية (١١٩-١٢٠) .

الطغيان العلمى :

إن الحقيقة التى لاجدال فيها أنه لاتعارض بين العلم ودين الله تعالى ، أما إذا حرف ذلك الدين ، ودخلت فيه أفكار البشر فيكون عرضة للتعارض مع أبسط الحقائق العلمية وأقلها . وعندما فرضت الكنيسة سلطانها على كل شىء فإنها لم تدع الفكر وشأنه بل قيدته وحجمته وهى فى كل ذلك تدعى أن الدين يطلب ذلك . ونتيجة لهذه السلطة (فقد رأت أن أى مصدر من مصادر العلوم والمعرفة ، لابد أن يكون صادرا عنها ، وأن أى رأى يخالف رأيها فهو باطل يجب مقاومته بكل مايستطاع)[١].

وهكذا كان لزاما من العداء بين الكنيسة والنظريات العلمية التى وجدت وكانت تخالف العقيدة المسيحية المحرفة .

وحقيقة الأمر أنه لايمكن أن يقع الصراع أو التصادم بين العلم والدين لأنهما كلاهما من عند الله تعالى (فالدين بدأ مع آدم أبى البشرية ، والعلم بدأ معه أيضا ، كما تجمع على ذلك كل الكتب المقدسة التى هى المصدر الوحيد للتاريخ ، لهذه الفترة المبكرة جدا من حياة البشرية)[٢].

ولاشك أن العلم يحتاج إلى حراسة الدين كيلا يزهق روحه فى مستنقع الحس والتجسيد[٣].

---

(١) موقف الاسلام والكنيسة من العلم (١٠٠) عبد الله المشوخى ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، مكتبة المنار .

(٢) لانزاع بين الدين والعلم (٧) د. عبد الحليم عويس ، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م دار النفائس ، بيروت .

(٣) انظر المرجع السابق (٤٢) .

الصراع بين العلم والكنيسة (بروزه فى رد النظريات العلمية) :

إن سياسة الكنيسة تجاه العلم والعلماء كانت حمقاء ، حيث فصلت الدين عن العلم ، واعتبرت أن العلم لايوصل إلى الحقيقة ، ورأت أن القضايا التى يطرحها العلم ليس من حق أحد أن يتحدث فيها إلا الكنيسة ، فحاربت العلم باسم الدين ، فكان العداء ، وبدأ الهروب من إله الكنيسة وكان نتيجة طبيعية لأفعالها وتصوراتها ، ووجدت النظريات العلمية القائمة على التجربة وحدث مالم تكن تحسب له الكنيسة حسابا ، فقد هرب الناس منها ومن الإله ـ الذى تسلطت باسمه ـ إلى الإيمان بذلك العلم .

يقول محمد قطب : (ولم يكن ثمة شك ، حين يقوم الصراع على هذه الصورة ، بين الكنيسة وبين العلم التجريبى أن يؤمن الناس بما يثبته العلم ، ويكفروا بما تقوله الكنيسة ، وأن ينتهزوا هذه الفرصة السانحة فيقفوا فى وجه طغيان الكنيسة ودكتاتوريتها الفظيعة ، وقد أمسكوا بأيديهم السلاح الذى يحطمون به أوهامها ، ويزلزلون به كيانها ، وينزعون قداستها من نفوس المؤمنين بها ، وكان ذلك السلاح الجبار هو العلم)[١].

النظريات العلمية وردها :

كبحت الكنيسة جماح العقول وقيدتها وفرضت الحصار على الأفكار ولجمتها ، وردت النظريات العلمية ورفضتها لاخوفا على الدين بل حفاظا على مصالحها الذاتية من قدسية وخصوصية ، وخوفا من هتك أستارها على يد هذه النظريات فينهار بنيانها ، ويزول طغيانها فرفضت كل ماجاء عن غير طريقها وخالف معارفها ، واعتبرت أن قمة (الضلال هو البحث عن الحقيقة

---

(١) الإنسان بين المادية والإسلام (١٥-١٦) الطبعة الحادية عشرة ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ، دار الشروق ، القاهرة ، بيروت .

فى غير الكتاب المقدس)[١].

ومـن هنا لقى العلماء والفلاسفة أصحاب النظريات العلميـة الاضطهاد من الكنيسة ، واحراق كتبهـم ، بل واحراق بعضهـم ، وأنشئـت محاكـم التفتيش لتكون لهم بالمرصاد .

محاكم التفتيش :

بعـد أن قررت الكنيسة استخـدام القوة والعنف ضـد المخالفين أنشأت لذلك محاكم التفتيش لتقوم بمراقبتهم ومن ثم سجنهم وتعذيبهم .

وظهـرت عام ١٣٩٥م ، وقد تقـرر فى عدة مجامع عقـدت استخدام هذه المحـاكم لكـل من يتهم فى عقيـدته ويقصـدون بذلـك مـن عدا المسيحيين[٢]

وتعرض كثير من العلماء أصحاب النظريات لاضطهاد الكنيسة وتعذيبها واحراقها لهم[٣]، فبذلت الكنيسة جهودا جبارة فى معاقبة المفكـرين والعلماء والمصلحين ، وحرمت الكتب وفرضت القيود عليها .

---

(١) شمـس العرب تسطع على الغرب (٣٦١) ، زيغريد هونكه ، ترجمـة فاروق بيضون كمـال دسوقى ، راجعه مارون عيسى الخورى ، الطبعة الخامسـة ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت .

(٢) انظر : مذابح وجرائم محاكم التفتيش فى الأندلس (٧٠) ، محمد على قطب ، مكتبة القـرآن للطبع والنشر والتوزيع ، القـاهرة ، دون ذكر لرقـم الطبعـة أو تاريخها ، مدخل لدراسة التاريخ الأوربى (١٧٠) ، تاريخ أوروبا فى العصـور الـوسطى (٤٥) عصـر الإلحاد (٣٨) محمد تقى الأمينى الندوى ، ترجمة د. مقتـدى حسن ياسين ، مراجعة د. عبد الحليم عويس ، دار الصحـوة للنشـر والتـوزيع ، دون ذكـر لـرقم الطبعة أو تاريخها .

(٣) انظـر مثلا : كتـاب عصـر الإلحاد (٣٨) ، مـوقف الاسلام والكنيسـة مـن العلم (١٣٩-١٤٠) ، محاكم التفتيش (٨٧-٩٢) ، وعن جرائم الإحراق (٩٤) ومابعدها .

يقـول بول هازار : (فى كل مكان كانت فيه المسيحيـة مرتبطة بالدولة كانت تهب لمناصرتها ففى أسبانيا كان نشر الكتب المتزندقـة بل إذاعتها عسير بصـورة خاصة ، لأن محاكم التفتيـش إلى جانب السلطة الملكيـة ، بل فـوقها كانت ساهرة)[١].

إن الكنيسة لايمكن لها أن تحافظ على ماوصلت إليـه من طغيان إلا إذا استمرت تبعية الناس لها .

وقد رأت أن هذه النظريات هدم لكيانها ، ونبذ لفكرها الذى بثته بين النـاس فخشيت عليه منها فقـامت بمحاربتها . وهذا دليـل على عـدم ثقتها فى عقيـدتها ، وإذا كان هذا حال محاكم التفتيش مع بعـض من أرادوا الخروج على الكنيسة فكيف هو حال هذه المحاكم مع المسلمين .

---

(١) الفكـر الأوروبى فى القرن الثامن عشر (٩٢/١) ، ترجمة د. محمـد غلاب ، راجعه د. ابراهيم مدكور ، الطبعة الثانية ١٩٨٥م ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، وانظـر جهـود المفكرين المسلمين المحـدثين فى مقـاومة التيـار الإلحادى (١١٩) ، د. محمـود عبـد الحليم عثمـان ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، مكتبـة المعـارف ، الـرياض ، المملكـة العربية السعودية .

المسلمون ومحاكم التفتيش :

أمـا المسلمـون فهـم أصحـاب الجرم الأكبر وقـد ذاقـوا ويلات هـذه المحـاكم وأصلوا نيرانها ، وإن كـانت أحداث المحاكم مـع المسلمين لم تذكر كمـا هو الحال ضد النصارى وغيرهم ، وأكثر ماعانى المسلمـون منها فى بلاد الأندلـس وأنشئت فيها المحاكم عام ١٢٩٠م وكما ذكرت فقـد تجاهل كثير من الكتاب هذه المحاكم فى اسبانيا لأن المعذبين من المسلمين .

يقـول الشيخ محمد قطب : (وينبغـى أن نلاحظ هنـا أن الكاتب الذى يتفطـر قلبـه أسـى على ضحايا محاكـم التفتيـش من المسيحيين لايذكـر كلمـة واحدة عـن الفظائع البشعة التى ارتكبتهـا محاكم التفتيـش فى الأندلـس وهى تطارد المسلمين لتطرد الإسلام نهائيا من اسبانيا وقد كـانت تلك الفظائع أفظع ماعرفه التاريخ كله من ألـوان الـوحشية البربرية التى تعـد أعمـال محاكـم التفتيـش فى أوروبا المسيحيـة على شنـاعتها هينة لينة بالنسبـة اليهـا وبالنسبة لأدوات التعـذيب الخاصة التى استخدمت فيها فى الوقـت الذى كانت أوروبا تعلم أنها مدينة للأندلس الإسلامية بكل ماكان فى حوزتها يومئذ من علم يعتد به بل مـدينة بنهضتهـا كلها إلى القيم والمبـادىء الحضـارية التى تعلمتهـا مـن هناك)[1].

صور من العذاب وآلات التعذيب :

كـانت الكنيسـة فى الأندلـس تقـوم بدور بارز فى اضطهـاد المسلمين وتعذيبهم ، وذلك لعلمها بتأثر النصارى بالمسلمين لما يرون لديهم من عقيدة ثابتـة البنيان لايتطرق إليهـا الشك والاحتمال واضحة فى معـانيها ميسـرة فى تشريعاتها فاطلع هؤلاء على مالدى المسلمين (من عقيـدة وشريعة وحرية فكر واطلعـوا على حث الإسلام على العلم وظهـرت لهـم القـرابة بينهمـا وأنه

---

(١) مذاهب فكرية معاصرة (٦٨) .

لاخصومة بين دين الاسلام والعلم بكل صنوفه . ورأوا الفوارق الكبيرة بينهم وبين علماء المسلمين فهؤلاء يفكرون تفكيرا حرا ومتقدمون حضاريا وعلميا وهم ـ أى المسيحيون ـ متخلفون متأخرون وكان أعظم مالفت أنظار العلماء المسيحيين الأوربيين الفوارق الكبيرة بين الدينين والعقيدتين الاسلامية والمسيحية وموقف كل منهما من الدنيا والجسد والمرأة والثروة وموقف كل منهما من العلم واحتكاره أو التسامح فيه ومابين أصحاب الديانتين من فرق شاسع فى الحضارة والتقدم والحرية والتسامح)[١].

فكان لابد والحال هكذا من أن تقوم الكنيسة باضطهاد المسلمين وتعذيبهم .

وهذا الحال المذكور آنفا ليس فقط فى بلاد الأندلس بل التأثر كان فى كل مكان وصل إليه المسلمون سواء كان الوصول حربيا أم تجاريا . ونعود إلى محاكم التفتيش .

البناء :

عبارة عن أبنية قديمة غريبة فى هندستها وشكلها إذا ولج بها من الخلف بها عدة غرف صغيرة يوصل بينها ممر ضيق والنور يصل إليها من كوة صغيرة فى سقف كل غرفة . ويرى الزائر فى أرض الممر فتحات صغيرة وخصصت هذه الفتحات للمسجونين فى الغرف السفلى تحت الممر ـ أى الغرف التى بالدور الأسفل ـ ومن تحته طبقات أخرى عديدة تحت الأرض وهى سجون سرية لايهتدى إليها إلا رجال المحكمة والسجانون وكانت تطلى الغرف بالشحم لمنع السجين من تسلق الجدران وترى آلات التعذيب فى كل مكان[٢].

---

(١) الشيوعية خلاصة كل ضروب الكفر والموبقات والشرور والعاهات (٤٣) ، أحمد عبد الغفور عطار ، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع .

(٢) انظر محاكم التفتيش (٧٢-٧٣) .
وعن أنظمة السجن وقوانينه والمأكل والمشرب فيه انظر (٧٧-٨٠) .

شاهد عيان على محاكم التفتيش ومابداخلها :

كتب الكولونيل (ليمونسكى) وهو أحد ضباط الحملة الفرنسية فى أسبانيا وبعد أن ذكر شيئا من الأحداث التى واجهها من اضطهاد واغتيال من قبل النصارى وصل إلى مهاجمة دير ديوان التفتيش ثم ذكر ماحصل مع حارس الدير ثم تبادل اطلاق النار إلى أن وصل الجيش إلى الدير ويقول عن نفسه بأنه كان من أول الداخلين مع مجموعةمن الضباط[1].

ثم بعد ذلك يذكر دخوله ونظرا لأهمية النص سأنقل أكثره .

يقول بعد دخول الدير : (أسرع رهبان اليسوعيين للقائنا مرحبين بوجوه باشة ، مستفهمين عن سبب قدومنا على هذه الحال ..!! كأن لم يكن من شىء بيننا!! ولم تكن موقعة!! ولم يكن قتال بين جنودنا وجنودهم!! ثم انهالوا على جنودهم تعنيفا وتأنيبا لمقاومتهم لنا ، وقالوا لهم : إن الفرنسيين أصدقاء لنا ، فمرحبا بهم!!

ولكن لم تنطل حيلتهم على ، بل أمرت الجنود بالقبض على أولئك القساوسة المنافقين ، وعلى جنودهم ، لتقديمهم لمجلس عسكرى . وأخذنا نبحث عن قاعات التعذيب المشهورة التى كان بها من صنوف التعذيب ماتقشعر من ذكره الأبدان وتتقزز منه النفوس . وطفنا بغرف الدير فرأينا مابها من أثاث فاخر ثمين ، ورياش وكراسى هزازة ، وسجاجيد فارسية ، ولوحات ثمينة نادرة ، ومكاتب كبيرة ... وقد صنعت أرض تلك الغرف من خشب (الموجنة) المصقول المدهون بالشمع ، وبطريقة عجيبة ، وكان شذا العطور يعبق فى أرجاء تلك الغرف ، فهى أشبه بأبهاء القصور الفخمة الكبيرة التى لاتكون إلا للملوك وأعيانهم على الترف واللهو ، وعلمنا أن تلك الروائح العطرية كانت تنبعث من شمع موقد دائما أمام صور رجال تلك (العصابة) اليسوعية ، ويظهر أن الشمع قد عجن بماء الورد .

---

(١) انظر محاكم التفتيش (١٠٣-١٠٥) .

وكـان مجهودنا يذهب سدى فى محاولـة العثور على قـاعات التعـذيب ، بعـد أن فحصنا كل غرف الدير وممـراته وأقبيته ، ولم نجد شيئـا يدل عليها ... فعزمنا على الخروج من الدير ، وكدنا نقنع بتقديم أولئك اليسوعيين أمام المجلس العسكرى فقط بتهمة المقاومة ، وكانوا يقسمون ويؤكدون أن وجود مايشاع عنهم من أمور فى ديرهـم ليس إلا تهمة كاذبة باطلـة ، وأنها حديث خرافة ، ولكنهم يتحملون ذلك فى سبيل الله!!

وصـار زعيمهم يؤكد لنا مـايقول بصوت خافت وهـو خاشع الرأس ، وعينـاه مغـرورقتان بالـدمع الهتـون ، وهـى ـ ولاشك ـ دمـوع التمـاسيح ، وكـادوا يخدعـوننا ، فـأعطيت الجنـود الأوامـر بالاستعــداد لمغـادرة الـدير ، فاستمهلنى (الليفتنانت ـ دى ليل) وقال أتسمح لى ياحضـرة (الكولونيل) أن أقول لك أن مهمتنا لم تنته حتى الآن .

فقلت له : ألم نفتش كل الدير ولم نعثر على شيء؟ ففيم ترغـب؟ قال : أجل قـد فتشنـا ... ولكنى أرغـب فى فحـص أرض هذه الغـرف ، وأدقـق فى فحصهـا وامتحـانها ، فـإن قلبى يحدثنى بأن السـر هـو فى الأرض!! وأن هـذه الغـرف الفخمـة تستر تحتها مـاجئنا نبحـث عنه . وعنـدها نظـر الـرهبان إلى بعضهم نظرات ذات معنى وأذنت للضابط بالبحث .

فأمر الجنود ـ عندئذ ـ برفع الأبسطة والسجاجيـد عن الأرض فرفعت ، ثم أمرهم بأن يصبوا ماء بكثرة فى أرض كل غرفة على حدة ، ففعلوا ، وكنا نرقب الماء فإذا بالأرض تبتلعه فى إحدى الغرف ، وإذا به يتسـرب إلى أسفل فصفق الضابط (دى ليل) من شدة الفرح . وقال هاهو ذا البـاب ، انظروا ، فنظـرنا ، وإذا البـاب قد ظهـر ، وهـو قطعة من أرض الغـرفة يفتـح بطريقة شيطـانية بواسطـة حلقة صغيرة وصنعـت إلى جوارها رجل مكتـب الـرئيس .

وأخذ الجند فى تكسير ذلك الباب العجيب بأعقاب بنادقهم ، وأحاطت فرقة من الجند بعصابة اليسـوعيين الـذين اصفـرت وجوههـم وعلتهـا غبرة ، وخارت قواهم من الفزع والهلع .

وفتـح البـاب ، فظهـر لنـا سلم يؤدى إلى باطـن الأرض ، فـأسرعت وأخذت شمعـة كبيرة ، أطـول مـن متر ارتفـاعا ، أنيرت أمـام صـورة أحد أولئك الرؤساء لمحاكم (التفتيش) ورؤساء (الديوان المقـدس) ، ولما هممت بالنزول وضع أحد اليسوعيين يده على كتفى متلطفا ، وقال لى :

أرجوك يابنى أن لاتحمـل هذه الشمعة بيدك الملوثة بدم القتـال ، لأنها شمعة مقدسة!!

فـأجبته : هذا حق ـ ياهذا ـ .. فـإنه لايليق بيـدى أن تتنجـس بلمس شمعتكم الملوثة بدماء الأبرياء ، وسنرى الآن من هو النجـس منا ، ومن منا القـاتل السفـاك؟! وهبطـت على السلم يتبعنى بقيـة الضبـاط والجنـود شـاهرى سيـوفهم حتى وصلنا إلى آخر الـدرج ، فإذا بنا فى غـرفة كبيرة مربعة كانت تسمـى عنـدهم بقـاعة المحكمـة ، فى وسطهـا عمود مـن الـرخام ، به حلقـة حديدية ضخمـة ربطت بها سلاسـل كانوا يقيدون فيها فـرائسهم التى تكـون رهن المحاكمة . وأمام ذلك العمود (عرش الدينونة) كمـا كانوا يسمونه هم وكان عبارة عن مصطبة (منصة) عالية يجلس عليها رئيـس (ديوان التفتيش) وإلى جانبى ذلك المقعد المرتفع أماكن لجلوس جماعة القضاة ، وكانت أوطأ قليلا من المقعد .

ثم توجهنا لغرفة آلات التعذيب وتمزيق الأجساد البشـرية وقد امتدت كل تلك الغرف إلى مسافات كبيرة، وكـانت كلها تحت الأرض ، وقـد رأينـا بها مايستثير النفس ويدعوها أن تتقزز ماعاشت ، وامتد بها العمر .

رأينـا غرفا صغيرة بحجم الإنسـان ، بعضها عمودى ، وبعضهـا أفقـى ، فيبقـى سجين العمودية فيها واقفـا على رجليه مدة سجنـه حتى يقضى عليه ، ويبقـى سجين الأفقية مجمدا حتى يموت ، وتبقى الجثة فى السجـن الضيق حتى تبلى ويسقـط اللحـم عن العظـم ، ولتصـريف الروائح الكـريهة المنبعثـة من الأجسـاد البالية فتحت كوة صغيرة إلى الخارج . وقد عثرنا على عـدة هياكل بشرية لاتزال فى أغلالها سجينة مقيدة ، أما السجناء فرجال ونساء ، تتفاوت

أعمـارهم بين الرابعة عشرة والسبعين . وقـد يفسر لنـا فكـاك بعض السجناء الأحياء من أغلالهم وهم على آخر رمق من الحياة ، وقـد جن بعضهم خوفا وهلعـا .. لكثرة مـالاقوا من عـذاب ، وكان السجناء عرايا زيادة فى النكـاية بهـم ، وقد اضطر الجنود أن يخلعـوا أرديتهم ويستروا بهـا النساء السجينات وأخذ السجنـاء إلى النـور تدريجيـا لئلا تؤثر مفاجأة النـور على أبصـارهم .

وقد أخذ السجناء يبكون فرحا وأخذوا يقبلون أيدى الجنود وأرجلهم لأنهـم أنقـذوهم وأعادوهم إلى الحيـاة بعد الموت المحقـق والعـذاب الأليم .

ولما انتهينـا من ذلك توجهنـا إلى غرف آلات التعـذيب ، فرأينا هناك ماتقشعر لهوله الأبدان .

فقد عثرنا على آلات لتكسير العظام وسحق الجسـم ، وكان يبدأ بسحق عظـام الأرجل ثم عظـام الصـدر والـرأس واليدين ، كـل ذلـك على سبيـل التـدريج حتى تأتى الآلة على كـل الجسد فيخرج من الجانب الآخر لهـا كتلة واحدة . وعثرنا على صندوق فى حجم رأس الإنسان تماما ، توضع فيه الرأس بعـد أن تربط أيدى وأرجل صـاحبها بالسلاسـل ، فلايقـوى على الحراك ، وتقطـر على رأسـه من ثقب فى أعلى الصنـدوق نقط الماء البـارد ، فتقـع على رأسه بانتظام ، فى كل دقيقة نقطة ، وقد جن الكثيرون بسبب ذلك اللون من العذاب ، قبل الاعتراف ، ويبقى المعذب على حاله هذه حتى يموت .

وعثرنا على آلـة ثالثة للتعـذيب تسمى (السيدةالجميلـة)!! وهـى عبارة عن تابوت تنام فيه صورة امرأة جميلة ، مرسومة على هيئـة الاستعداد لعناق من ينام معها ، وقد برزت من جوانبها عدة سكاكين حادة ، وكانوا يطرحون المعـذب الشـاب فـوق هذه الصـورة ويطبقـون عليه باب التـابوت بسكـاكينه - بعنف - فتمزق السكاكين جسم الشاب وتقطعه اربا اربا ...

كما عثرنا على عدة آلات لسل اللسان ، ولتمزيق أثداء النساء وسحبها من الصدور بواسطة كلاليب حديدية حادة ، ومجالد من الحديد الشائك لجلد المعذبين وهم عرايا حتى يتناثر اللحم من العظم .

وصل خبر هذا الهجوم على دير (ديوان التفتيش) إلى (مدريد) فهب ألوف من الناس ليروا ماحدث ، وخيل إلينا أنه يوم الحشر . ولما شاهد الناس صنوف التعذيب وآلاته الجهنمية ورأوها رأى العين ،، جن جنونهم ، واشتعلوا بنيران الغيظ ، وكانوا كالذى مسه الجن ، فأمسكوا برئيس أولئك اليسوعيين ووضعوه فى آلة تكسير العظام ، فلم نشفق عليه ، ودقت عظامه دقا وسحقتها سحقا ، وأمسكوا كاتم سره وزفوه إلى السيدة الجميلة وأطبقوا عليه الأبواب فمزقته السكاكين تمزيقا .

ثم أخرجوا الجثتين وفعلوا بباقى طغمة اليسوعيين وبقية الرهبان مافعلوه أولا .

ولم يمض نصف ساعة حتى قضى الشعب على ثلاثة عشر راهبا من تلك العصابة الآثمة، ثم أخذ الشعب ينهب باقى الدير ، وقد عثرنا على أسماء ألوف من الأغنياء فى سجلات (الديوان) السرية ، وهم السراة الذين قضوا عليهم لابتزاز أموالهم ، وكانوا يضطرونهم إلى كتابة اقرارات تحول بموجبها أموالهم إلى اليسوعيين ، فاذا ماتم لهم ذلك عذبوهم وقتلوهم بآلاتهم ...) .

(والحق أقول إن القلم واللسان يعجزان عن وصف مارأينا فى ذلك الدير من الفظاعة والبربرية التى لاتخطر على عقل بشر سوى الشياطين الذين قد يعجزون هم أيضا عن الاتيان بمثل هذه الأعمال)[1].

وهكذا كانت الكنيسة فى طغيانها وجبروتها ضد من لاينصاع لرغباتها ويسير وفق مصالحها .

هذا بعض مما فعلته الكنيسة بالآخرين ولكن ماهو حال رجالها فى صلاحهم وتقواهم طالما أنهم يخشون على عقيدتهم إلى هذا الحد؟

لقد ابتدعوا لأنفسهم رهبانية ماكتبها عليهم الخالق جل وعلا والرهبانية بعيدة عن (طبيعة الإنسان الإجتماعية فليس من الدين فى شىء أن

---

(١) محاكم التفتيش (١٠٣-١١٢) .

يبتعد الفرد عن اخوانه من بنى الإنسان ليعيش وحيدا وسط الهوام يقضى أيامه فى جوع وحرمان أو يأكل ماتيسر له من طعام فاسد دون أن يرتدى شيئا سوى أسمال بالية ويحرم نفسه حتى من نظافة الجسد)[١].

ويرى بعض الكتاب أن هذه الرهبانية كان (لها اليد الطولى باذلال الأحرار واضطهادهم ومقاومة الروح الجديدة والفلسفة المبنية على البرهان وبمعاكسة كل نهضة علمية وقتل كل من خرج عن طاعة الكنيسة الكاثوليكية وزيادة على ذلك كنت ترى ظل هذه الرهبنة يلوح فى كل مكان وكانت تتداخل فى كل الأمور سياسية كانت أم دينية تجارية أم أدبية)[٢].

اما الأديرة وفضائحها فأكثر من أن تحصى ولكن لنا أن نتخيل بأن كل أنواع الشذوذ والإنهماك فى المآكل والمشارب كانت تمارس فيها .

---

(١) Thompson, : op. cit. Vol. 1 . pp. 219-220 .
نقلا من كتاب تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى (١٢٨-١٢٩) .

(٢) الأعمال العربية الكاملة (٢٨٣) ، أمين الريحانى ، المجلد السادس ، المؤسسةالعربية للدراسات والنشر .

آثار الكنيسة على الحياة الأوربية :

إن الكنيسة بأفعالها تلك قد أثرت فى الحياة الأوربية سلبيا الى أبعد درجة يمكن أن يتخيلها الإنسان .

ومن الآثار التى خلفتها الكنيسة من جراء حماقاتها التى ارتكبتها كما أوضحناه سابقا الآتى :

أولا : رفض الناس للدين بسبب أفعال الكنيسة الاستعبادية التى استأثرت بمعرفة كل شىء وتسلطت على كل شىء باسم الإله الذى خولها ذلك التسلط .

ثانيا : الشك فى صحة النصرانية لما فيها من تناقض ومعتقدات محرفة ولهذا السبب وسابقه (اتجهت أوروبا اتجاها ماديا علمانيا ، ورفضت الكنيسة والدين كله ، وأصبح معظم النصارى يعتبرون المسيحية تحفة أثرية ، وعقيدة عتيقة دخلت متحف التاريخ ولاتستحق اضاعة الوقت فى تعلمها ومناقشتها ، ولم يبق منها فى حياتهم إلا الأسماء والكنائس والأديرة وإلا الإنتماء التاريخى الذى يذكرهم بالماضى ويؤجج فى قلوبهم نار الصليبية والتعصب المقيت ضد المسلمين .

فالأوربيون متعصبون لنصرانيتهم لالعقيدتهم وتعاليمها وأخلاقها ، لأن وجودهم تاريخيا وأصول حضارتهم مرتبطة بالدولة الرومانية المسيحية والفكر اليونانى الوثنى وليس لهم رصيد روحى يلجأون إليه إلا النصرانية التى توحد كلمتهم فى وجه العالم الإسلامى الذى كانوا يرون فيه خطرا على وجودهم كما يرون فى التحكم فيه وإذلاله متنفسا لأحقادهم وتحقيقا لمطامعهم المادية وعلوهم فى الأرض)[١].

ثالثا : الخروج على الدين بسبب أفعال الكنيسة تجاه العلم والعلماء . حيث (نجم عن موقف الكنيسة العدائى من العلم عداء العلم للكنيسة دون أن

---

(١) قضايا هامة فى حاضر العالم الإسلامى (١٧-١٨) ، محي الدين حسن القضمانى ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م المكتب الإسلامى .

يظهره مخافة بطشها فأضمر الحقد والعداء للكنيسة يتحين الفرصة ليضربها فى صميمها وينزع عنها أردية القداسة والالوهية فلما خرجت أوروبا على الكنيسة بسبب تقدمها العلمى تنفس العلماء الصعداء وخرجوا على الكنيسة ومرقوا من دينها واستكبروا عليها حتى اضطرت الكنيسة إلى رفع راية الفصل بين الدين والعلم ، وأن يعطى مالله لله ومالقيصر لقيصر ويستقل كل منهما عن الآخر فى دولته)[١].

رابعا : نتج عن ذلك أن العلم انفصل عن الدين عند الأوربيين بسبب أفعال الكنيسة ومواقفها فكان العلم ضد الدين ، وأصبحا عدوين لايلتقيان ، فسار العلم (منذ البدء فى طريق غير طريق الدين ، لأن الدين - كما تمثله الكنيسة يومئذ - لم يكن فى طوقه أن يمد العلم بشىء إلا بمذهب - كالمذهب التجريبى الذى أمد به الإسلام التفكير العلمى - ولابمعلومات صحيحة تفيده ولابتشجيع من أى نوع . بل كان العكس هو الحاصل . فالكنيسة تشجع الجهل وتحارب العلم وتنكل بالعلماء . ومنتجات العلم - بعضها على الأقل - تتجه نحو الكسب قبل أن تتجه نحو الفائدة ، مدفوعة بشهوة رأس المال وذلك مخالف لروح الدين . ولكن الدين هناك ليس له قوة التوجيه ولاالخبرة بالتوجيه فى ذلك المجال .. ورويدا رويدا أحس الفرد العادى أن حياته تصوغها الأشياء (المتطورة) ولايصوغها الدين)[٢].

---

(١) الشيوعية (٤٥) ، وانظر (٤٤،٤٦) .
حيث ذكر المؤلف تأثر النصارى بما رأوه عند علماء المسلمين ورأوا أن الحكومات الاسلامية تعرف للعلماء قدرهم وحقهم العظيم وتساعدهم ولاتحجر عليهم رأيا ولاتقف فى طريق العلم أو أبحاثهم وكذلك رأوا مااستخدمه علماء الاسلام من مناهج البحث العلمى فتأثروا بذلك غاية التأثير فى الهروب من دين الكنيسة وسلطتها القائمة على القهر والاستعباد .

(٢) التطور والثبات فى حياة البشرية (٣١-٣٢) ، محمد قطب ، الطبعة الخامسة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، دار الشروق ، وانظر (١٦) عن حفاظ الكنيسة على الجهل ليستمر لها الحفاظ على سلطتها .

خامسا : إن طغيان الكنيسة المالى أدى إلى مناهضة الدين من قبل الناس فى اوروبا لأنها (أى الكنيسة) إنما تسلطت باسم الدين على تلك الأموال فكان لابد من مناهضته . يقول انجلز : (الكنيسة الكاثوليكية الرومانية كانت المركز الأممى الأكبر للإقطاعية . كانت تجمع أوروبا الإقطاعية الغربية كلها ، رغم حروبها الداخلية فى منظومة سياسية كبيرة مناوئة للروم المنشقين مثلما هى مناوئة للبلدان الإسلامية فكانت تتوج المؤسسات الإقطاعية بهالة تكريس إلهى . وكانت قد قوبلت مراتبها الخاصة على مراتب الإقطاعية وانتهت بأن أصبحت السيد الإقطاعى الأكثر قدرة تملك ثلثا ثابتا على الأقل فى أراضى العالم الكاثوليكى . وقبل الاقتدار على الاغارة على الإقطاعية فى كل بلد على حده كان لابد من تعويض هيئتها المركزية المقدسة)(١).

سادسا : وقفت الكنيسة بأفعالها هذه أمام كل تقدم فى حين كان العلم يكشف عن حقائق جديدة مما أدى الى اقبال الناس عليه ورفض الدين . ولعل الكنيسة كانت تخشى على كتابها المقدس أن يخضع للدراسة والبحث فيحصل مالاتريده الكنيسة(٢).

سابعا : أدت تلك الأمور مجتمعة الى الكفر بالكنيسة وبتعاليمها وكل ماجاء فى انجيلها فخلت الكنائس من العباد نظرا لما حققه العلم من تقدم(٣).

اضافة لعدم وجود السند التاريخى الذى يربط الأناجيل الحاضرة والانجيل الذى نزل على عيسى عليه الصلاة والسلام ، وهذه الأناجيل إنما وجدت بعد رفع عيسى عليه السلام بعشرات السنين(٤).

---

(١) وضعية الدين عند ماركس وانجلر (١٠٨) .
(٢) انظر عصر الالحاد (٣٣) .
(٣) انظر الجفوة المفتعلة بين العلم والدين (١١) .
(٤) انظر المرجع السابق (١٣) .

يقول اللورد هدلى : (ليس الإنجيل إلا مجموعة كتب كتبت فى أوقات متباعدة عن بعضها)[١].

ثامنا : إن الطقوس الدينية الموجودة الآن والمعمول بها لاتمت لسيدنا عيسى عليه السلام بصلة .

يقول ولز : (إن بعض الكتاب يرى أن السيد المسيح لاتربطه بالمسيحية الحاضرة أية صلة)[٢].

---

(١) The Affinity Between the original church of Christ and Islam (15) .

نقلا من كتاب الجفوة المفتعلة بين العلم والدين (١٣) .

(٢) انظر .: The Outline of History (524)

نقلا من كتاب الجفوة المفتعلة بين العلم والدين (١٤) .

وانظر مزيدا من الأقوال (١٥-١٦) .

حركات الإصلاح

إن من سنن الله تعالى أن لايدوم الظلم والطغيان وإن طال أمده . ويقيض المولى جل وعلا مايضاد الظلم ويعاديه .

وعندما كانت الكنيسة بالطغيان السابق ، وظهر ذلك جليا فى أفعالها ومااقترفته من آثام باسم الدين فثار الناس فى وجهها وتعالت صيحات عديدة من أقطار متباعدة تدعو إلى اصلاح الوضع المتردى الذى وصل إليه حال الكنيسة ورجالها .

وماظهرت هذه الدعوات والحركات المنادية بالإصلاح إلا رد فعل على مالرتكبته الكنيسة من رزايا وفضائح باسم الدين .

ودون أدنى شك أن هناك أمور ساعدت على ظهور هذه الحركات الإصلاحية ، وهى :

أولا : الاحتكاك مع المسلمين وكان ذلك عن طريقين فى الغالب هما :

(أ) الطريق العلمى .

(ب) الطريق الجهادى .

ثانيا : وضع رجال الكنيسة والفساد المتفشى بينهم وفضائح الأديرة والمفاسد الأخلاقية التى ظهرت فيهم .

ثالثا : استغلال الشعب ونهب أمواله من قبل الكنيسة ورجالها عن طريق الضرائب المفروضة والعشور المأخوذة من أموال الناس .

رابعا : صكوك الغفران وإن كانت داخلة فى الأمر الثالث من حيث انها أسلوب من أساليب النهب والاستغلال غير أنها من أكثر العوامل التى اثارت الناس ودعاة الاصلاح على الكنيسة . يقول الدكتور محمد مخزوم : (تعتبر بدعة صكوك الغفران التى روجها البابوات عن طريق رجال الدين من العوامل التى أثارت استياء جميع المصلحين الدينيين)[1].

---

(١) مدخل لدراسة التاريخ الأوربى (١٢٨) .

خامسا : دور الأباطرة ورغبتهم فى الفكاك من سلطة الكنيسة حيث كانت السلطة السياسية فى يد رجال الكنيسة حقيقة[١]. فعندما ظهرت هذه الحركات الإصلاحية أيدها الأباطرة ودعموا أصحابها ببعض القوة الموجودة لديهم .

المسلمون وحركات الاصلاح :

قلنا بأن المسلمين كان لهم أثر فى حركات الإصلاح عن طريقين :

(أ) الجانب العلمى .

(ب) الجانب الجهادى .

ولأهمية هذا الأثر نوجز بكلمة عنه :

بدأت حركة الإصلاح الدينى فى أوروبا خلال القرن الرابع عشر الميلادى وامتدت إلى القرن السادس عشر ، ويرى الباحثون أن الفضل فى نشأة هذه الحركة يرجع إلى المسلمين وتعاليم الإسلام إلى حد كبير . فقد استفادت أوروبا كثيرا من الحروب الصليبية ومن مراكز الأندلس العلمية ، وبعد ذلك تميز كيان حركة الاصلاح الدينى .

يقول جان ديون يورث :

(إن علوم الطبيعة والنجوم والفلسفة والرياضيات التى انتشرت فى أوروبا منذ القرن الرابع عشر كانت قد اقتبست من المدارس العربية ، ومن هنا تكون الاندلس الإسلامية هى المؤسسة للفلسفة الأوربية)[٢].

وتأثير المسلمين فى الحضارة الأوربية واضح لكل ذى بصيرة وتأثيرهم كان فى جوانبها الإيجابية ، واعتبر بعض المفكرين زوال حضارة المسلمين خسارة أصيبت بها أوروبا نفسها .

---

(١) مر معنا حادثة استعطاف الإمبراطور للبابا ومدى سيطرة الأخير عليه (٣١) .

(٢) عروج وزوال كالهى نظام (١٧٢) لمحمد تقى الأمينى الندوى بالأردية ، نقلا من كتابه عصر الالحاد (٣٥) .

يقــول المؤرخ الشهير (ا.ج.جرانت) : (ليس هنــاك حادث فى تاريخ أوروبا كلـه أكثر إيلامـا مـن زوال حضـارة المسلمين فى الأندلـس ، فـإنهم أضـافوا كثيرا إلى حضـارة أوروبا ، ولـو لم ينته ملكهـم فى اسبـانيا لأضافوا اضافات كثيرة أخرى)[١].

هـذا بالنسبة لأوروبا كلها أما بالنسبة لحركات الاصلاح فـإنه يمكن لمن (يطـالع تاريخ أوروبا الـدينى وتاريخ الكنيسـة النصـرانية أن يتلمـس تأثير الاسلام العقلى فى نزعات المصلحين والثائرين على النظام الأسقفى السائد أما دعـوة لـوثر الإصلاحية التى ظهـرت فى القـرن السادس عشـر المسيحـى فقـد ظهـرت فيهـا انعكاسات خفيفـة لتعـاليم الإسلام ودورهـا فى الإصلاح ...)[٢].

أمـا الجانب الآخر وهو الجانب الجهادى فقد عكسـت الحروب الصليبية مدى مايتمتع به المسلمون من حريات واتصال مباشر بالاله جل وعلا اضافة إلى القـواعد الجهـادية التى تفـرض على المحارب المسلم أن يعـرف مـن يقاتل ومن الذى يجب قتله ، ومن يترك ، وكيف يعامل الأسرى إلى غير ذلك مما جاء به الإسلام من أحكام الجهاد ومقاتلة الأعداء ، فعندما رأى الأعداء تلك الأخلاق اخذوا فى المنـاداة باصلاح الـوضع والعـودة إلى التعـاليم الإنجيليـة وترك مـايدعيه رجال الكنيسـة لأنفسهـم إلى غير ذلك ممـا أثارته الحركـات الإصلاحية .

ونعـرض الآن لبعض حركـات الإصلاح دون استقصـاء لهـا بل ضرب أمثلة عليها .

---

(١) تاريخ أوروبا (٤٣٦) ، نقلا من كتاب عصر الالحاد (٣٦) .

(٢) الإسلام أثره فى الحضارة وفضله على الإنسانية (٢٩) ، أبو الحسن الندوى ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، دار المنارة للنشر والتوزيع ، جدة ، السعودية ، .

حركة مارتن لوثر[١]: (Martin Luther)

أشهر الحركات وأقواها وكانت الانطلاقة من المانيا حيث حمل لوثر لواء العصيان على البابا ونادى باصلاح الكنيسة .

وكان أساس الخلاف بينه وبين الكنيسة حول قضية النجاة هل تتوقف على الايمان أم صكوك الغفران ، ولم تشعر الكنيسة بخطورة أفكار لوثر إلا عندما تصدى لراهب أرسلته البابوية إلى المانيا لبيع صكوك الغفران وكان ذلك سنة ١٥١٧م وكان يدعى يوحنا تتزل (John Tetzel) وكانت بحاجة لمال تصرفه فى اصلاح كنيسة القديس بطرس ، فاستنكر عملية بيع صكوك الغفران وكان هذا الاستنكار بصورة علنية .

واستغل وجود الناس فى كنيسة فتبنرغ سنة ١٥١٧م وعلق على بابها اعلانا يتألف من ٩٥ بندا ذكر فيه موقفه من هذه القضية وغيرها ، وكانت هده نقطة البداية فى المواجهة بين لوثر والكنيسة الكاثوليكية ونادى لوثر بأن البابا ليس من حقه احتكار تفسير الكتاب المقدس[٢]، وكانت حركته (ترفض أن يكون فهم الانجيل على رجال الكنيسة بل ترى أن لكل قادر الحق فى فهمه)[٣].

ويقول د. محمد البهى : (فحارب صكوك الغفران ونظر إليها كوسائل للرق والعبودية وألقى الأضواء على عقيدة التثليث كما حارب سلطة البابا وجعل السلطة الوحيدة فى المسيحية هى الكتاب المقدس وكلمة الله النص وطالب بالحرية فى بحث الكتاب ولكن ليست أى حرية على العموم .. ومع

---

(١) مارتن لوثر : ولد سنة ١٤٨٣م بالمانيا ، من أبوين فقيرين ونشأ فى بيئة دينية ، انتشرت فيها الخرافات والمعتقدات الزائفة ، وقد رغب فى مقابلة رجال الدين فذهب إلى روما وبمجرد وصوله غير فكرته عنهم وقام بالدعوة ضدهم ، ومما زاد نقمته عليهم مهزلة صكوك الغفران .
انظر موقف الإسلام والكنيسة من العلم (١٥١-١٥٢) .

(٢) انظر عصر الالحاد (٣٧) ، وانظر حرب الفلاحين فى المانيا (٩٣) ، حاشية رقم (١) .

(٣) قضايا هامة فى حاضر العالم الإسلامى (١٦) .

ذلك جعل الكتاب المقدس نفسه هو مصدر الحقيقة فيما يتصل بالايمان ثم جعل الايمان فى الاعتبار والقيمة مقدما على أى شىء آخر عداه من العقل أو الطبيعة)[١].

وأمام دعوة لوثر الاصلاحية وماحملته من أفكار جديدة تخالف ماعليه الكنيسة ورجالها .

بادر البابا ليو العاشر بإصدار إعلان يندد فيه بأفكار لوثر ويهدده بالحرمان فماكان من لوثر الا أن رد باحراق المنشور علنا يوم عيد الميلاد من عام ١٥٢٠م مما أدى إلى صدور قرار بابوى بالحرمان . ورغم هذا أخذت حركة لوثر فى الإتساع فطالب البابا باعتقاله ومحاكمته فعقد الامبراطور شارل الخامس مجمع سنة ١٢٥١م فى مدينة ورمز (Warms) يحضره لوثر ليبرر تصرفاته وأفكاره وعندما كان لوثر قد حظى بعطف وحماية بعض الامراء الألمان[٢]فقد نجا من القرار المتخذ بشأنه وهو إهدار دمه . وساعده على النجاة فردريك سيد سكسونيا الذى أعطاه الحماية فى قلعة وارتبرنج (Wartburg) لمدة سنة تفرغ خلالها لترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة الألمانية .

وانتشرت آراء لوثر وأفكاره انتشارا واسعا فى ألمانيا واصبح لها دعاة بين أفراد الشعب بصورة كبيرة . وكانت الضغوط على شارل الخامس مثمرة من قبل الكاثوليك المتدينين والبابوية إلا أنه كان يرى عدم التعجل فى القضاء على لوثر وأتباعه وذلك للاستفادة منهم فى صد ومقارعة الخطر العثمانى الذى كان يهدد أوروبا . وعقد مجمع امبراطورى فى سبير (Speir) حيث جاء فيه أنه من حق كل أمير أن يختار المذهب الذى يريده مما وضع أتباع لوثر فى وضع قانونى . فاضطر الكاثوليك لعقد مجمع امبراطورى آخر

---

(١) الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى (٢٥٠) ، الطبعة الحادية عشرة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، الناشر مكتبة وهبة .

(٢) قلنا إن من الأمور المساعدة على انتشارها (حركات الإصلاح) حماية الامراء لأصحابها .

سنة ١٥٤٩م ألغى فيه مامنحه للأمراء من حرية اختيار المذهب الذى يريدونه وأعلن تمسكه بمقررات ورمز . غير أن اللوثريين لم يقبلوا بهذه القرارات واحتجوا عليها فمن ذلك الوقت أطلق عليهم البروتستانت[١].

وفتحت المواجهة بين الكاثوليك والبروتستانت الا أن هذا التصادم لم يقض على اللوثريين ولعل ذلك يرجع إلى :

(١) الحماية التى تتلقاها الحركة اللوثرية من قبل بعض الأمراء .

(٢) أن الحركة قد أخذت فى الانتشار حتى وصلت إلى الدول الاسكندنافية

وعندما وصلت إلى هناك اعتنق الزعيم السويدى أفكار هذه الحركة سنة ١٥٢٣م .

وملك الدانمرك أخذ بالمبادىء اللوثرية ، وفرضها على النرويج وايسلندا التابعة لسيادته[٢].

ولكن ماهى الدوافع وراء الأخذ بالمبادىء اللوثرية من قبل هؤلاء الأمراء؟

يمكن إرجاع ذلك إلى :

(١) الرغبة فى الابتعاد عن سلطان الكنيسة فى روما .

(٢) الاعتبارات الإقتصادية[٣].

(٣) الوضع المتردى لرجال الكنيسة فى كل مكان (الطغيان الذى كانت تمارسه حتى على الأمراء) .

(٤) المد الإسلامى وأثره فى كثير من البلدان .

(٥) وجود الاتباع والدعاة لهذه الحركة فى تلك البلاد .

---

(١) انظر أوروبا فى بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة (٥٦-٦١) ، د. عبد المجيد نعنعى ١٩٨٣م ، دون ذكر لرقم الطبعة ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، وانظر عصر الالحاد (٣٧) .

(٢) المرجع السابق (٦٤) .

(٣) المرجع السابق (٦٤) .

وهـذا يدل على أن الحركـة قـد وصلـت الى بلـدان كثيرة واستهـوت مجموعة من الناس فقامت فى تلك الأوطان دعوات مماثلـة متأثرة بها مؤيدة لهـا فى أشياء مخالفة لها فى أخرى ومـن ذلك الحركة الإصلاحيـة فى فـرنسا .

حركة جون كالفن[١]: (John Calvin)

تأثرت الحركات الإصلاحية بعضها ببعض فقد التقى كالفن مع لوثر فى مجموعة من آرائه ولم يؤيده فيها جميعا .

فمثلا :

(١) كـان يرى أن الغفران هبة من الله يقدرها فى الأزل بغـض النظر عن أعمالهم .

(٢) اختلـف معه فى مسألة خضـوع الدولة للكنيسة فكـان يرى أن تخضـع الـدولة والسلطـات لتلك الفئـة العاملة فى سبيل المسيحيـة واستهـوت النظـرية (الكـالفينية) أنصـار الاصلاح الـذين كـانوا شـديدى التدين فاجتمعوا حوله فى جنيف حيث لجأ إليها بعد أن اضطهـده ملك فرنسا وأسـس حكـومة دينية وفرضـت رقابة شديدة على النـاس ... وأصبـح للحـركة نشـاطات متعددة حتى تمكـن اصحـابها مـن إقـامة أول مجمـع لكنيستهم الكالفينية الفرنسية فى باريس سنة ١٥٥٩م تحددت فيه بصورة علنية معتقداتهم وفق تصورات كالفن وآرائه[٢].

ويرى بعض الكتاب أن حركة كالفن امتازت بالعناصر الآتية :

---

(١) لاهـوتى ، كـان والـده وكيلا لمجلـس الـرهبان ، أراد أن يوجهـه ليصير كـاهنا ، ودرس الفلسفـة والمنطق وتعلم العبرية ، تأثر بحركة لوثر كثيرا ، لـه عدة مؤلفات منهـا إحياء النصرانية ، الرد على شيعـة الزنادقة الخياليـة ، ولد عام ١٥٠٩م ومات سنة ١٥٦٤م . انظر موسوعة أعلام الفلسفة (٢/٢٣٥) ومابعـدها رقم ٩٣٢ ، إعداد الأستـاذ رونى ايلى ألفا ، مراجعة د. جورج نخل ، الطبعـة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

(٢) انظر : أوروبا فى بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة (٦٥ ومابعدها) ، موقف الاسلام والكنيسة من العلم (١٥٧-١٥٨) .

(١) انها ركزت بدرجة معقولة على الضبط الخلقى وأنشأت محكمة للرقابة الخلقية .

(٢) قامت حكومة الكنيسة فى ظل الحركةالكالفينية على أيدى جماعة من القساوسة والشعب معا ، فالجماعة الحاكمة كانت تتضمن ستة قساوسة واثنى عشر شخصا من كبار رجال الأمة فالحكومة كانت دينية مدنية معا .

(٣) وقد كان توجيه كالفن نفسه يقوم على التفريق بين الحكومة والكنيسة دون أن تكون الحكومة مخولة لأن تتدخل فى شئون الكنيسة)[١].

وكان كالفن مدرسا لمادة الدين فى جامعة اكسفورد فى القرن الرابع عشر الميلادى ، وانتقد النصرانية المعاصرة نقدا لاذعا فعزل عن التدريس عن طريق البابا[٢].

وقد أثرت هذه الحركة والتى قبلها تأثيراكبيرا فى المسيحية وأصابها بما قدمته من آراء للجدل بين الناس على أن هناك مجموعة أخرى من الحركات الإصلاحية .

إلا أن هاتين الحركتين قد أثرتا تأثيرا كبيرا فى ماحدث بعد ذلك من جدل فكرى حول المسيحية . يقول الدكتور محمد البهى : (وبحركة لوثر وكالفن الإصلاحية تعرضت المسيحية للجدل الفكرى وأصبحت موضوعا للنقاش العقلى والمذاهب الفلسفية والمسيحية التى تعرضت لذلك هى المسيحية التى تناولها لوثر باصلاحه أى الكاثوليكية البابوية)[٣].

وقد وجدت الشعوب متنفسا فى هذه الحركات فدعمتها وتبعت اصحابها ، ولاقت رواجا بين شعوب أوروبا فهذه افكار كالفن وإصلاحاته انتشرت فى فرنسا . (وأصبحت ـ العقيدة الكلفنية ـ الدين الرسمى فى

---

(١) تاريخ الأخلاق فى أوربا (١٣) ، نقلا من كتاب عصر الالحاد (٤٤-٤٥) ..
(٢) انظر عصر الالحاد (٣٨) .
(٣) الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى (٢٥٠) .

اسكتلندا كما امتدت إلى القطاعات بسويسرة بالإضافة إلى اعتناق معظم سكان المجر لها . وهذا يدل دلالة واضحة على سرعة استجابة الناس للخروج على الكنيسة ومعارضتها وماكان ذلك ليحدث بهذه السرعة ـ لولا تلك الأعمال القاسية التى كانت تقوم بها الكنيسة ، واحساس الناس بالظلم والمساوىء التى ارتبطت بالكنيسة الكاثوليكية وعلى رأسها قداسة البابا)[١].

وغيرهما من الحركات الاصلاحية كحركة وكليف[٢]وهس[٣].

حقائق عن حركة الإصلاح اللوثرية :

إن أهم الحركات الإصلاحية هى حركة لوثر ولكن لابد من التنبيه على بعض الأمور :

أولا : إن من أهم الأمور التى تم استيرادها فى حركة الإصلاح الدينى من الحضارة الرومانية واليونانية حرية الفكر ، والإتجاه المادى وتربية الذوق الجمالى ، وهذه وإن كانت مهمة إلا أنها خطيرة .

ثانيا : كان ينبغى لحركة الإصلاح أن تتجه إلى دين حى سام يلائم حقائق الحياة ولاسيما فى مجال الفكر والتطبيق[٤].

---

(١) موقف الاسلام والكنيسة من العلم (١٥٨) .

(٢) ويكليف عالم انجليزى من دعاة الإصلاح الأوائل ، دعا إلى إصلاح الكنيسة من داخلها ، انتقد النصرانية انتقادا لاذعا وهاجم رجال الدين وانغماسهم فى الملذات وقف الشعب والملك وبعض الأمراء ضد الكنيسة من أجل منع محاكمته لاتهامها إياه بالهرطقة وهو (يهودى) كما ذكر ذلك عبد الله التل ، وقد قام بترجمة التوراة إلى اللغة الانجليزية .
انظر عن حركته : كتاب أوروبا فى بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة (٥٢-٥٣) ، عصر الإلحاد (٣٧) ، الأفعى اليهودية (٥٦) ، مدخل لدراسة التاريخ الأوروبى (١٤٣-١٤٩) .

(٣) هس : وهو (يهودى) كان واعظا (حارب الفساد وناوأ تعاليم الكنيسة التى تساعد على ذلك الفساد) . الأفعى اليهودية (٥٦) .
اتهم بالهرطقة وأحرق ، وقد نادى هس بالعودة إلى (الكتاب المقدس باعتباره المصدر الأساسى للنصرانية) . أوروبا فى بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة (٥٣) .

(٤) انظر عصر الإلحاد (٥٠-٥١) .

ثالثا : افتقار حركة الإصلاح لليقين ، والقيادة القادرة على توجيهها الوجهة الصحيحة[١].

عدم نجاح حركات الإصلاح :

مما لاشك فيه أن هذه الحركات كان لها أثر على الحد من طغيان الكنيسة ولكنها لم تنجح النجاح الكامل .

ويمكننا أن نرجع ذلك إلى عدة أسباب :

أولا : تأثرها بالاتجاه المادى المأخوذ من الحضارات المادية السابقة .

يقول محمد تقى الندوى :

(إن حركة الإصلاح الدينى (النشأة الثانية للدين) مدينة للمسلمين إلى حد كبير وذلك مع وجود عناصر من الحضارة الإغريقية والرومانية فى تكوينها .

وبما أن الاتجاه المادى كان ساريا فى أساس حضارتى الإغريق والرومان فقد دخل هذا الاتجاه المادى فى حركة الإصلاح مع تأثير خفيف للعناصر الروحية)[٢].

ثانيا : فساد الدين الذى حاولت حركات الإصلاح تعديله حيث كان الانحراف فى أسسه العقدية موجودا وهذا جعل أثرها ضعيفا وشكليا فى جوانب منه .

يقول الندوى : (إن الحركة الإصلاحية الثورية الجذرية فى ديانات أصيبت بتحريف أو انحراف جذرى ـ مهما بلغ القائمون بها والدعاة إلى هذه الحركة من الإخلاص والجهد ـ إذا لم تقم بانفصال واضح عن هذه الديانات المنحرفة أو المحرفة والتبرؤ منها وبقيت هذه الفرقة مندمجة فى مجتمعها الدينى الكبير الذى أنكروه على عقائده الدينية الأساسية وأخذت بمبدأ التسامح الذى

---

(١) انظر عصر الإلحاد (٥٢-٥٣) .
(٢) المرجع السابق (٤٨) .

لامساغ له كان مصير هذه الفرق والدعوات الذوبان فى هذه الديانة أخيرا وذهبت كل المساعى والجهود التى قام بها زعماء هذه الحركات الإصلاحية الثورية ادراج الرياح وهذا شأن الحركات الثورية فى الديانة المسيحية)[١].

ثالثا : أن حركات الإصلاح كانت ذات أمد واسع بينما كانت الديانة النصرانية ممثلة فى الكنيسة ورجالها ضيقة جدا .

وأدى ذلك إلى (تعذر ضمها إلى دين ضيق مظلم هو النصرانية الكنسية)[٢].

رابعا : لم تكن الدعوات الإصلاحية فى مستوى الإصلاح الحقيقى فلم تستعد (قوتها الضائعة وتقوم بالتوجيه والارشاد ففشل الدينان معا القديم والجديد)[٣].

خامسا : (أن هذا الإصلاح كان قاصرا على بعض العادات والسلوكيات ولم يصلح دستورا واضحا للحياة ، كما أنه لم ينجح فى تحديد مستوى للأعمال والأخلاق يقوم على التغير الداخلى)[٤].

سادسا : الشبه التى كانت حول رجال حركات الإصلاح أى فقدان القدوة الحقيقية فى التطبيق الصحيح للدين فـ(لم يتميز الدعاة الدينيون بالصدق الخلقى ...)[٥].

سابعا : الخلافات والحروب التى حدثت بين مؤيدى حركات الإصلاح وأتباع الكنيسة ، فكان لذلك الأثر السىء على كلا الفريقين .

---

(١) الاسلام أثره فى الحضارة وفضله على الإنسانية (٣٠-٣١) .
(٢) عصر الإلحاد (٤٨) .
(٣) المرجع السابق (٤٨) .
(٤) المرجع السابق (٤٣) .
(٥) المرجع السابق (٤٨) .

بعض ايجابيات حركات الإصلاح وأسباب نجاحها :

ورغم ماذكرنا من أسباب للفشل فى حركات الإصلاح الا أن هناك مقومات ايجابية تستحق أن تذكر ، وأسباب ساعدت على وجود بعض الجوانب الايجابية . فمن ذلك :

أولا : من أسباب نجاح حركات الإصلاح إلى حد ما (ضعف الدين وفشله)[1] فى تلبية حاجات ورغبات الناس .

ثانيا : (أن حركة الإصلاح الدينى وسعت نطاق الفكر وأذكت فى القلوب عاطفة الشغف العلمى ، ولكنها استهدفت الحياة الدنيوية ، ووضعتها فى الوضع الرئيسى وهذا جعل الكثير من الطموحين وعباد العقل والشئون الدنيوية يلتفون حولها) .

ثالثا : (لم يكن رجال العصور الوسطى يعرفون كثيرا عن حرية اليونان وحبهم للجمال وترفهم ودعتهم ولكن حينما اتسعت المعلومات عن علوم اليونان القديمة وتاريخهم بسبب هذه الحركة تنبه الناس إلى ذلك وحاولوا إعادة عصر الترف اليونانى السابق) .

رابعا : (ولقد حدث تحول كبير فى اتجاه الفنون الجميلة ، وبدأ الميل إلى تماثيل اليونان والرومان القدامى ، فصار الرسامون يتتبعون كل ماهو جميل ولطيف وفق الطراز الكلاسيكى القديم ، وبرزت صور ذوى الجمال من الرجال والجميلات من النساء بحيث استغرقتهم عاطفة الجنس ومظاهر الترف فى هذه الدنيا) .

خامسا : (خلق زوال قطاع الإقطاع حياة مدنية خاصة ولون النظام الإجتماعى بلون معين فظهرت صور مختلفة للاختلاط المشين ، مثل حفلات الشاى ومجالس الرقص والغناء والعروض السافرة للفنون الجميلة) .

---

(١) عصر الإلحاد (٤٥) .

سادسا : (كما كانت قد نمت دراسة عالم الطبيعة فى عصر لم يوجد فيه دستور واضح لبناء الشخصية وفق مثال أو نموذج عال يهدف إلى هدف سام وكذلك لم يوجد اتجاه لوضع حدود صحيحة للفكر والعمل من شأنها أن تجنب الناس الغلو فى عبادة الهوى الجامح والعقل الهائم) .

سابعا : (تم إبراز التراث العلمى للعصر القديم بجهد بالغ كما تم تطويره فى صورة مدهشة فانجذب الناس إليه وأصبح مقوما من مقومات حركة الإصلاح الدينى) .

ثامنا : (شملت الدراسة والبحث كل ماتصل بالنفس الإنسانية بينما انحصرت الدراسة سابقا فى العلوم الدينية) .

تاسعا : (تشكلت أساليب جديدة للصناعات والمهن والتجارة واكتشفت أسواق جديدة للتجارة بجهود الملاحين المغامرين مما لم يكن يتصوره أحد) .

عاشرا : (بدأت اختراعات جديدة تظهر على الناس كما تم بحث نواح جديدة فى العلوم والفنون . هذا فيما كانت دراسة علم الطبيعات فى العصور الوسطى تعلم السحر ، وكان الدارسون ينسبون إلى الجن ، لكن فى عصر الاصلاح ظهرت العناية بجميع هذه العلوم على أسس علمية) .

الحادى عشر : (حدث انقلاب عظيم فى الحياة الإجتماعية بسبب استخدام المطابع والبارود ، فانتشر بذلك العلم كثيرا ، ووصلت إلى الشعب المعلومات التى كان قد استأثر بها قبل ذلك العلماء والأغنياء ، وكان استخدام البارود قد أفسح المجال للوظائف العسكرية ولم تبق الحاجة ملحة إلى حيث الأمراء المستبدين مثلما كان فى السابق) .

الثانى عشر : (وفى ظل حركة الإصلاح بدأت سلطة الملوك والأغنياء تضعف يوما بعد يوم وذلك بعد أن كانت قائمة بسبب الجيش والأرض (وهى وسيلة الحصول على الثروة) ولم تبق للأرض أهميتها السابقة بتوفر وسائل الدخل الأخرى . وقد فقدت جيوش المرتزقة مكانتها بسب ظهور الوظائف العسكرية الدائمة) .

الثالث عشر : (أيضا فى ظل حركة الإصلاح بدأت الرحلات البحرية وحركة الكشوف الجغرافية كما تأسست المستعمرات الأوربية إلى غير هذا من مقومات نجاح حركات الإصلاح التى لايسهل حصرها)[1].

وقفة أخيرة مع حركات الإصلاح الدينى :

وبعد هذا العرض السريع نصل إلى الآتى :

أولا : لم يكن الدافع لحركات الإصلاح دينياً بحت .

ثانيا : كانت محاولة الخروج عن طغيان الكنيسة ووجود النزعات القومية من أهم دوافع تلك الحركات .

ثالثا : لم يتم التغيير فى العقيدة الفاسدة التى كانت تنادى بها الكنيسة .

رابعا : اهتم المصلحون بفساد رجال الكنيسة وسيطرتها المادية وأهملوا الجانب الأهم وهو قضية العقيدة التى كان فسادها ظاهرا .

خامسا : فى رأيى أن حركات الإصلاح أثرت فى نفوس الناس من حيث محاولة تخلصهم من طغيان الكنيسة ، والخروج عليها ، وفك الحصار الذى ضربته عليهم ، أكثر من أى أثر آخر .

سادسا : رأت الكنيسة أن تعيد النظر فى معتقداتها أو بتعبير أدق فى المآخذ التى لاحظها المصلحون . غير أنها رفضتها جملة وتفصيلا ، وأقرت ماهى عليه .

سابعا : تفتحت آفاق علمية وتطورات إجتماعية من حركات الإصلاح الدينى ، مما يجعلنا نقول مطمئنين أن الأثر كان أبعد من أن يمس المعتقد فلم تثمر ثمرتها المرجوة .

---

(١) تاريخ أوروبا الميوزثيجر ، نقلا من كتاب عصر الإلحاد (٤٥-٤٧) .

هـذا وبعد عجز الإصلاح الـديني عن التغيير الجذرى بقيـت الحالـة فى أوروبا متـأثرة بالمادية قابلة بالإصلاح الدينى الشكلى فـأثر هذا الإصلاح سلبا وجعـل الناس ينفرون من الـدين سواء شعر المصلحون بذلـك أم لم يشعروا فلـو أن المصلحين صفوا العقيدة من الشرك والوثنية لما نبـذت أوروبا الدين بعـد ذلك بهذه الصورة . والتى كـان لحركات الإصلاح دور بارز فى الخروج على دينهـا ولكنهـم خرجوا على ذلـك الـدين البـاطل دون أن يجدوا دينـا صحيحـا يتلقفهم فكان لفشل حركـات الإصلاح الدينى أثر فى تردى الـوضع الأوربى بعـامة . ولكـن الـوضع ظـل مضطـربا حتى قـامت ثورات أخرى فى أوروبا كان لها أثر فكرى ومادى فى سير الحياة وتغيرهـا ، ومن ذلك الثورة الفرنسية .

وهكذا من جحيم إلى آخر ومن إنحراف إلى آخر أشـد منه ، ومافتئت أوروبا تنتقـل بين هذه الأفكار والمذاهب تتلمس فيها الفكـاك مما هى فيه ، الا أنهـا لم تخرج عن الأفكـار الأرضية ولذلك عاشت فى ذلـك الخواء وعاش العمال تحت ذلك الظلم والاضطهاد ولاتزال أوروبا حتى الآن تفتقر الى الدين الذى عماده الوحى الالهى ليحقق الناس هناك سعادتهم الدنيوية والأخروية وكلنا نتطلع لذلك اليوم وماذلك على الله بعزيز .

وخرجت الجماهير تنشد الفكاك من ظلم الرأسماليـة فوقعت فى أحضان الشيـوعية ذلك الفكر الذى بدأ يأخذ حيزا لابأس به مـن جهود المفكرين فى أوروبا فقامت الشيوعية .

ولايعنى ذلـك أن الفكـر الشيـوعى لم يكن موجودا مـن قبـل بل كان موجودا فى فترات مختلفة من التـاريخ الإنسانى ، ومنهـا تلك الفترة ، إلى أن اتخذ طابعا منظما يطغى عليه التوجه السياسى وذلك بتفجير الثورة فى روسيا.

الشيوعية وبعض العوامل التي أدت إلى قيامها

إن الحال الذى كانت عليه أوروبا فكريا وسياسيا واقتصاديا ـ كما ألمحنا الى ذلك سابقا ـ شكل تربة خصبة لنشوء المذاهب المختلفة والأفكار المنحرفة لما فيه من تناقضات وصراعات ، وكان لفساد رجال الكنيسة وطغيانها ، وعداءها للنظريات العلمية أثر فى كثرة المذاهب وتنوعها خاصة التى ناصبت الدين العداء . وكان الظلم مستشريا ونتيجة لذلك ثارت الطبقات المضطهدة فى وجه الأنظمة الجائرة الاقطاعية الموجودة حينذاك ، ولعل الثورة الفرنسية من أبرز الأحداث فى مواجهة الإقطاع والقضاء عليه . وظهر من خلالها مصطلح الرأسمالية المناهضة لذلك النظام ووعد رواد الرأسمالية الطبقة المضطهدة بتحقيق المساواة والحرية والعدل لهم ، ورفع الظلم عنهم ، غير أن هدا كان مجرد خداع للوصول إلى تحقيق الأهداف فالظلم لم يزل ، والطبقات يئن المجتمع بها ، بل لقد استبدت الطبقة الجديدة بكل شىء . يقول ماركس وانجلز : (أما المجتمع البرجوازى الحديث الذى نشأ على أنقاض المجتمع الإقطاعى فإنه لم يقض على هذا التناحر بين الطبقات بل أقام طبقات جديدة بدلا من القديمة وأوجد ظروفا جديدة للاضطهاد وأشكالا جديدة للنضال)[1].

فقد كان واقع الحياة الأوربية واقع الصراعات والظلم ، والتميز الطبقى ، فبينما تكون فى المجتمع طبقة محتكرة مسيطرة ، إلا وتأتى أخرى تعارضها مستغلة اندفاع الشعب وسخطه من النظام السابق ، فتبث أفكارها الجديدة وتروج لها فتعطى الوعود والعهود على نصرة المظلومين شريطة أن ينفذوا

---

(١) البيان الشيوعى (٣٧) ، الشركة اللبنانية للكتاب ، بيروت ، لبنان .
وهذا الكلام قد يكون تحاملا من ماركس وانجلز بحكم العداء للبرجوازية وإثارة الآخرين ضدها ولكنه فى إعتقادى لم يخالف الحقيقة .

لها مخططاتها ويسيرون حسب ماترغب تلك الفئة . وسرعانماينكشف الزيف ويأتى من ينادى بالانتقام من النظام الجديد حيث إن الظلم كما هو .

وتكاد تكون طبقة العمال هى الطبقة المضطهدة كما هو الحال فى نظام الإقطاع والنظام الرأسمالى ، فالثورة الفرنسية اتخذت من سخط العمال والمضطهدين ستارا لتحقيق أهداف فئة معينة ، وعندما ظهر فساد ماوعدت به الفئة القائمة وراء الثورة الفرنسية استغل هؤلاء تذمر الناس فوعدوهم بنظام آخر ليحقق أهدافا أخرى .

وهذا النظام ادعى تحقيق مطالب الجماهير وأن يعيشوا فى بحبوحة من العيش والأمن والعدل والحرية والمساواة ...الخ ذلك النظام هو الإشتراكية . فما هى العوامل التى أدت إلى قيامها .

عوامل قيام الشيوعية :

يمكن ارجاع قيام الشيوعية فى نظرنا إلى الأسباب الآتية . ولايعنى ذلك عدم وجود أسباب أخرى إلا أن هذه العوامل أكثرها وضوحا وتأثيرا .

أولا : افتقار أوروبا بشقيها إلى الدين .

ثانيا : قيام الرأسمالية فى أوروبا الغربية وظهور النزعة الفردية .

ثالثا : فساد أوروبا الشرقية سياسيا واقتصاديا (وساعدت الكنيسة فى ذلك) .

رابعا : سبات الشرق الإسلامى وتخليه عن الرسالة المنوطة به .

خامسا : الثورة الصناعية .

سادسا : تخطيط اليهود (دورهم فى الثورة البلشفية) .

سابعا : النظريات العلمية والآراء الفلسفية (خاصة عندما عارضتها الكنيسة) .

ونحن نعتقد أن اليهود كانوا وراء الثورة البلشفية ، حيث عملوا على نشر الإلحاد وإخراج الناس من الدين إلى الكفر ليصلوا الى مآربهم ، وقد

(تآمر اليهود على العالم كله تمهيدا للسيطرة عليه فاليهود - كما هو معروف - سبب شقاء العالم ، وماشقى العالم بشعب فى التاريخ الإنسانى مثل شقائه باليهود فهم وراء كل فتنة خطيرة أو حرب كبيرة أو أزمة إقتصادية أو أخلاقية أو إجتماعية أو مالية ...)[١].

فهم يعمدون إلى افتعال الثورات ، أو استغلالها وتوجيهها - إذا حدثت - لمصالحهم . وقد اتخذوا من الطبقة العاملة ستارا قويا لتحقيق مخططاتهم وأهدافهم . ولايغيب عنا أن اليهود شعب حقود يرون أن غيرهم إنما خلقوا لخدمتهم وأنهم بمثابة الحيوانات التى تركب من أجل تحقيق الغايات .

(ومعتقدهم هذا فى بنى البشر دفعم الى أن يديموا التفكير فى ابتكار كل مافيه الاضرار بالناس جميعا دون استثناء أحد منهم ...) . ومن ذلك - وكما قال أحد الكتاب - (أن اليهود ابتكروا مختلف مذاهب الهدم - هدم المعتقدات والأديان والأخلاق والقيم والآداب والعلوم والفنون)[٢].

فكانوا وراء الفكر الرأسمالى ، وعندما انكشف أمرهم ، وافتضح مكرهم ، وظهرت غضبة العمال عليهم ، اتجهوا إلى مكان آخر ، وإلى أسلوب ثان ليكسبوا به الجماهير الكادحة من جديد ، فوقت اليهود (لميلاد الماركسية فظهرت فى عصر غربت فيه شمس الحق والخير والروح ...)[٣].

فاستغل اليهود سخط العمال والكادحين فى روسيا ، فقاموا للإعداد من أجل تفجير ثورتهم الجديدة فيها ، ولعبوا فى الأحداث دورا بارزا وهذا يدعونا للحديث عن الثورة البلشفية بشىء من التفصيل لنتبين من خلال ذلك دور اليهود فيها والتخطيط لها .

---

(١) الشيوعية (٣١) .
(٢) المرجع السابق (٣٥) .
(٣) المرجع السابق (٣٨) .

الثورة البلشفية[١]

إن المخططات اليهودية اتخذت عدة أساليب فى سبيل تحقيقها فتارة بالنظام الرأسمالى وأخرى بالاشتراكى وهكذا .

وكل الثورات التى كانت تطالب بنظام جديد للخروج من النظام الظالم السابق كان وراءها اليهود خاصة فى العصر الحديث لأنهم كانوا يرون التذمر من وجههم السابق ويعرضون وجها آخر يتضمن بعض مطالب الجماهير .

يقول سيبريدوفيتش (إن كل الثورات والفوضى العالمية نظمها وستنظمها الحكومة اليهودية السرية العالمية ذاتها)[٢].

ولأهمية هذه الثورة فى قيام الفكر الإشتراكى فى روسيا فى الوقت الحاضر نعرض لهذه الثورة من خلال النقاط التالية :

(١) الحركات الممهدة لقيام الشيوعية داخل أوروبا الشرقية والثورات السابقة على الثورة البلشفية .

(٢) اليهود وراء النظام الرأسمالى والإشتراكى معا .

(٣) اتفاق المذهبين فى حرب الإسلام .

(٤) حال اليهود فى روسيا إبان حكم القياصرة .

(٥) إيجاد العملاء داخل روسيا .

(٦) إنهاك روسيا حربيا وإضعافها سياسيا .

(٧) إعلان الثورة .

(٨) التمويل اليهودى للثورة .

(٩) الثورات الإشتراكية خارج روسيا .

---

(١) (بولشفيك مشتقة من كلمة "بولشنستفو" أى الأكثرية والمنشفيك مشتقة من كلمة "منشنستغو" أى الأقلية" . لينين (١١٩) مصطفى طلاس ، الطبعة الأولى ١٩٨٧م ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر .

(٢) حكومة العالم الخفية (٨٠) .

وقبل الحديث عن هذه العناصر أشير إلى قضية مهمة وهى لماذا تم اختيار روسيا لإقامة الثورة البلشفية فيها؟

يمكن أن نلخص أسباب ذلك فى الآتى :

أولا : تحطيم القيصرية الروسية التى تمثل المحافظة على الكنيسة الأرثوذكسية بعد أن حطموا الكنيسة الكاثوليكية فى غرب أوروبا .

يقول لينين : (كان ماركس وانجلز يريان بوضوح أن الثورة السياسية فى روسيا ستكون لها أهمية عظيمة بالنسبة للحركة العمالية فى أوروبا الغربية أيضا فان روسيا الأوتوقراطية كانت دائما حصن الرجعية الأوربية كلها)(١).

ثانيا : وجود أعداد كبيرة من اليهود فى روسيا ، وقد حاولوا اغتيال القيصر مرارا عديدة.

ثالثا : القتل والتشريد الذى كان يلاقيه اليهود فى روسيا بسبب تصرفاتهم ومؤامراتهم المتعددة لقتل القيصر الروسى .

رابعا : إقامة الثورة الشيوعية فى روسيا يمثل نوعا من الصراع الظاهرى بين شرق أوروبا وغربها ، ويساعد اليهود على تقسيم العالم إلى مناطق نفوذ بين الشرق والغرب .

خامسا : خلق نوع من العداء بين المعسكر الشرقى والغربى أى بين الشيوعية والرأسمالية ، ليصبح العالم بين يدى اليهود فمن لايريد الغرب الرأسمالى فليلجأ إلى الشرق الشيوعى ، والكل تحت سلطان اليهود(٢).

وبهذا يزول الاختلاف الظاهر بين الشيوعية والرأسمالية الذى قد ينطلى على السذج من الناس ويظنون أن الشرق فى عداء مع الغرب حيث التباين فى نظام كل منهما ، ولكن حقيقة الأمر أنه إختلاف ظاهرى ويظهر ذلك عندما يكون الإسلام هو الخصم .

---

(١) مصادر الماركسية الثلاثة (٦٩) .

(٢) انظر إنهيار الشيوعية أمام الإسلام (٥٨-٥٩) ، د. سعد الدين صالح ، ١٩٨٩م ، دار الأرقم ، وانظر (١٧٠-١٧١) ، وانظر الحقيقة الكاملة عن سقوط الثورات الإشتراكية (١١٤) ، إعداد محمد عبد الرؤوف ، محمد نصيرات ، سعيد كامل ، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها .

ونتحدث الآن بشيء من التفصيل عما أجملناه سابقا .

أولا : الحركات الممهدة لقيام الشيوعية :

كـان اليهـود خلف الحركات التى مهـدت لقيام الشيـوعية فهـم الذين أوجدوا الحركة (الهلستية)[١].

وعندما قامت الحكومة القيصرية للوقوف فى وجه الحركة التخريبية رد النهلست اليهود بأعمال إرهابية واغتيالات عديدة ضد حكام المقاطعات وضد ضبـاط الشـرطة ولم ينته القـرن التاسع عشر إلا وحركـة الهليسـت قد غدت نواة الثورة الشيوعية التى قامت فى أكتوبر سنة ١٩١٧م[٢].

---

(١) وهـى (الحركـات الثـورية الفـوضـوية التى قـامت لتحـارب الـدين والأخلاق ، والتقاليد ونظام الأسرة ، والملكية الشخصية ، والإدارة المركزية) .
تاريخ الحركات السرية (٦) نقلا من كتاب جذور البلاء (٢٨) ، وانظـر الشيوعية فى مـوازين الإسلام (١٤) ، د. لبيـب السعيد ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، دون ذكـر لـرقم الطبعة .

(٢) انظر الأفعى اليهودية (٢٨) .

ثانيا : اليهود وراء النظام الإشتراكى :

إذا كان اليهود وراء الرأسمالية من أجل السيطرة على العالم والقضاء على الأديان والأخلاق فانهم لايفتأون فى استخدام كل الأساليب والوسائل التى تمكنهم من الحصول على غاياتهم فهم يوجهون المطالب ثم يستغلونها لتحقيق أهدافهم ، وقد اعترف اليهود بأنهم وراء الرأسمالية وكذلك الاشتراكية .

يقول أوسكار ليفى : (العناصر اليهودية أساس الرأسمالية والشيوعية نحن الذين اخترعنا حكاية الشعب المختار والذين نصبنا أنفسنا مخلصين للعالم ونتباهى بخروج المسيح منا لسنا اليوم سوى مفسدين فى العالم ومخربين له ومدمرين نحن الذين وعدنا أن نقودكم إلى الجنة والسعادة نقودكم فعلا إلى الجحيم الجديد ...)[1].

وهذا أمر أصبح ملموسا مشاهدا حيث النشابة والأساليب التى يستخدمها اليهود بالإضافة إلى أن الماركسية كلما ارتفعت وعلت عند أصحابها وبمفهومهم هم استفاد اليهود أكثر وأكثر . يقول ادريان أركان فى خطاب ألقاه يوم ٣٠ تشرين الاول سنة ١٩٣٧م فى نيويورك بعنوان (اليهودية الفعالة) :

(ليست الشيوعية عقيدة ، ولامجموعة مبادىء إنها مخطط إجرامى وحشى قذر . إن الشيوعية جريمة كبرى ضد الله والإنسانية وكما نفعل بالنسبة لأية جريمة أخرى ، يتحتم علينا أن نتساءل هنا : من يستفيد من جريمة الشيوعية؟ إنه اليهودى) .

فليس من قبيل المصادفة أن اليهود فقط هم مخترعو الشيوعية وأبناؤها العظام : كارل ماركس ، انجلز ... وليس كذلك من قبيل المصادفة أنه كلما

---

(١) الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام (٣٠) .

قفزت الماركسية الى السلطة والحكم قفز معها اليهود فورا إلى السلطة والحكم ففى روسيا السوفيتية من أصل ٥٥٠ مسؤولا رسميا هناك ٨٨ بالمئة منهم يهود ...)[١].

بل إن صاحب الفكرة الشيوعية ، كان من صنع المؤسسات اليهودية السرية (جاء فى بيان المشرف الأعظم الفرنسى الماسونى لعام ١٩٠٤م فى الصفحة (٢٣٧) مايلى :

(إن الماركسية واللاقومية هما وليدتا الماسونية ، لأن مؤسسيها (كارل ماركس) ، و(انجلز) هما من ماسونى الدرجة الحادية والثلاثين ، ومن منتسبى المحفل الانجليزى ، وأنهما كانا من الذين أداروا الماسونية السرية ، وبفضلها أصدرا (البيان الشيوعى) المشهور ...)[٢].

كما (نشرت مجلة افريكان هبيرو كبرى المجلات اليهودية فى أمريكا فى ١٠ سبتمبر ١٩٢٠م تقول : إن الشيوعية فى روسيا كانت من تصميم اليهود وأنها قامت نتيجة لتدبير اليهود الذين يهدفون إلى خلق نظام جديد للعالم وأن ماتحقق فى روسيا كان بفضل العقلية اليهودية التى خلقت الشيوعية فى العالم ولسوف تعم الشيوعية العالم بسواعدهم)[٣].

واعترفت الصحف الماسونية بأهمية الأفكار الإشتراكية والاستفادة منها فقد جاء فى المجلة الماسونية الألمانية (لاتونيا) : (إن الماسونية قد وجدت فى المبادىء الإشتراكية ، خير معوان لها فلابد لنا من معاضدتها)[٤].

---

(١) اليهود (٦٥-٦٦) زهدى الفاتح ، نقلا من كتاب حقيقة المواقف الشيوعية من القضية الفلسطينية (٥٨-٥٩) ، عابد سليمان المشوخى ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ، مكتبة المنار ، الأردن ، الزرقاء .

(٢) نقلا من من كتاب الكيد الأحمر (٦٢) ، عبد الرحمن الميدانى ، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، دار القلم ، دمشق ، بيروت .

(٣) هزيمة الشيوعية فى عالم الإسلام (٢٩) .

(٤) الكيد الأحمر (٦٤) .

وبالفعل استغل اليهود العمال ووظفوهم لخدمة مصالحهم ، وقد يتبادر إلى الذهن سؤال كيف يكون اليهود وراء الرأسمالية ثم خلف الإشتراكية وهما نظامان متناقضان؟

نقول إن هذا التناقض ظاهرى ولكن من عرف حقيقة اليهود ومكرهم وخداعهم وحسدهم كما وصفهم البارىء جل وعلا زال عنه هذا التعارض فالغاية هى المقصودة دون النظر إلى الوسيلة الموصلة إليها فطالما أن الغاية السيطرة ، والقضاء على الدين ، وإفساد الأخلاق . فليكن الأسلوب رأسماليا أو شيوعيا فالاختلاف فى الأسماء وحقيقة الأمر أنها أسماء لعملة واحدة كتب عليها تحقيق أطماع وآمال اليهود . ومما يدل على ذلك بروتوكولات حكماء صهيون والاعتراف من قبلهم بأنهم وراء الرأسمالية والإشتراكية .

ثالثا : اتفاق المذهبين فى حرب الاسلام :

ومما يؤكد الأمر السابق وهو أنه لاتناقض حقيقى بين الرأسمالية والشيوعية اتفاق المذهبين واتحادهما على حرب الإسلام ، وقد يصل الأمر أن يدعو أحد النظامين للآخر فى الأرض التى يرى سرعة ويسر انتشار ذلك النظام فيه دون غيره[١]. فإذا كان النظام الشيوعى أجدى وأنفع فى مكان ما فليكن وليبارك ذلك الرأسمالى ، والعكس صحيح فإذا قام أحد الأنظمة فى بلد ما أصبح الأمر سهلا لقلب ذلك النظام إلى النظام الذى يرغبه اليهود وذلك بالطعن فى الآخر ليترك ويستبدل بغيره كما يريده اليهود .

أما العدو الذى يجب القضاء عليه فهو الإسلام .

يقول الميدانى : (فالإشتراكيون الذين يسيرون فى طريق معاكس تماما للرأسماليين يتخوفون من نظام الإسلام أكثر من تخوفهم من الرأسمالية بل قد يشجعون الرأسمالية المفرطة فى البلاد الإسلامية لتكون مناخا ملائما لانتشار الإشتراكية العلمية والرأسماليون كذلك يتخوفون من نظام الإسلام أكثر من تخوفهم من الإشتراكية العلمية بل قد يشجعون إقامة النظم الإشتراكية فى بلاد المسلمين لكشف عيوبها بشكل واقعى ولينفر الناس منها نفرة نهائية ثم يرتعوا فى أحضان الإستغلال الرأسمالى)[٢].

وكلا النظامين يهوديان ويخدمان أهداف اليهود مهما كان تلونهما .

يقول سيبريدو فيتش :

---

(١) ولعل هذا ظاهر فى الأحداث الأخيرة عندما سقطت الشيوعية ، حيث أصبحت فكرتها مرفوضة لدى كثير من الناس وخاصة فى بلدان العالم الاسلامى فعلموا على ابقاء نظام واحد يستند إلى القوة العسكرية خاصة ولوجود بعض ضعاف النفوس الذين يتطلعون إليه . وهذه القوة وراءها اليهود .

(٢) أجنحة المكر الثلاثة (٤٤٠) ، عبد الرحمن حبنكة ، الطبعة الخامسة ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

(ويجب أن لايغرب عن بالنا أيضا أن اليهودى يكون شيوعيا أو رأسماليا أمريكيا أو يوغسلافيا أو .. ولكنه يبقى فوق كل ذلك وقبل كل ذلك يهوديا)[١].

---

(١) حكومة العالم الخفية (٣٣) .

رابعا : حال اليهود فى روسيا إبان حكم القياصرة :

كانت روسيا تحت حكم الاسكندر الأول وقد أخذ على عاتقه إعادة تنظيم البلاد وأصدر عددا من الأوامر التى ترفع بعض القيود التى وضعت على اليهود لتتم مراقبتهم والسيطرة عليهم ، وعدم تمكينهم من القضاء على المسيحية فى روسيا . يقول وليام غاى كار : (هزت حملة نابليون عام ١٨١٢م روسيا هزة عنيفة تاركة إياها مثخنة بالجراح فأخذ الاسكندر الأول على عاتقه إعادة تنظيم بلاده وأصدر لهذه الغاية عددا من القوانين الهادفة نحو إصلاح وتوحيد صفوف الشعب وكان بينها قوانين ألغت الأحكام الزجرية التى كانت مطبقة على اليهود منذ عام ١٧٧٢م والتى كانت تحدد إقامتهم فى أمكنة معينة وبذل القيصر جهده لحمل اليهود على العمل فى الزراعة وغيرها وتشجيعهم على الامتزاج الكامل بالمجتمع الروسى)(١).

ولكن ماهو سبب هذا الحجر على اليهود؟ إن هذا راجع إلى ماقترفوه من جرائم وآثام ومؤامرات على القياصرة من أجل تحقيق أهدافهم المنشودة.

يقول سنقرط : (حددت روسيا بعد أن كثرت جرائم اليهود بحق الشعب الروسى أماكن سكنهم وإقامتهم حتى يسهل على الدولة مراقبتهم مع إعطائهم إدارة شئونهم المحلية بما فيها فرض الضرائب وإقامة محاكمهم الخاصة بهم ولم يكن ليسمح لهم بمغادرة هذه الأماكن إلى غيرها إلا بإذن خاص من السلطة المحلية وبقيود مشددة)(٢).

فالجزاء من جنس العمل وهذا مااستحقه القوم الذين غضب الله عليهم ولعنهم . وقد بذل الاسكندر الأول جهودا من أجل التيسير على

---

(١) أحجار على رقعة الشطرنج (١٤٩) .

(٢) اليهود فى المعسكر الشرقى (٩) ، داؤد سنقرط ، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م ، دار الفرقان للنشر والتوزيع .

اليهـود وسمح لهم ببعض ماكـان ممنوعا عليهم وماذلـك إلا لإتقـاء شرهم ، ومحاولـة إذابتهم فى المجتمـع الروسى كى تسلم البلاد مـن مكرهم وخداعهم ولكن دون جدوى . (فهذا التطور نحو الديموقراطية المتـدرجة الصحيحة كان يعرقل أعمال الثوريين ، وإذا دام فإن (الطليعة) لن تصل إلى الحكم ، ولن يتـاح لها بناء (الإشتراكية العلميـة) فى المجتمع الـروسى ، وجعلـه وطنا أما للدعوة الإشتراكية الثورية فى العالم)[1].

(ب) **عهد نيقولا الأول** (١٧٩٦-١٨٥٥م) :

خلـف الاسكنـدر الأول نيقـولا الأول وقـد سـاءه تغلغــل اليهـود فى الاقتصـاد الـروسى ، وحفـاظهـم على بعـض مايميزهم عــن العنـاصر الأخرى كالزى واللغة والتراث وقـد حاول محو فكـرة الاضطهـاد لليهـود وكـذلك إذابتهـم فى المجتمع الروسى وإزالـة مابقلوبهم تجاه القيـاصرة وأدى ماقام به من جهود إلى إفادة اليهود ، مما زادهم عنادا واستغلالا وإن كـان نيقولا قد ارتكب خطأ فى اهتمامه بأطفال اليهود دون أطفال الروس . يقول وليام كار (وفى محاولـة منـه لإذابة العنصـر اليهودى فى المجتمـع الـروسى ككل أصدر نيقولا الأول عام ١٨٣٤ قوانين تجبر اليهود على إرسال أولادهـم إلى المدارس الحكـومية ظنـا منـه أن الأطفـال اليهـود اذا مـاأقنعوا بأن أبواب المجتمـع الروسى متفوحة لهم فستزول الكثير من العقبات ويمحـى سوء التفاهم وكان هدفه من وراء ذلك محو فكرة معـاناة الاضطهـاد الـدينى التى كـانوا يشـربون إياهـا فى الطفـولة غير أن النتيجـة جاءت عكـس المتوقـع لأن التعليم أصبـح الـزاميا لأطفال اليهود ولم يكـن كذلك لأطفال الروس مـن غير اليهـود مما أدى إلى جعل اليهود الفئة الأكثر ثقافة فى روسيا)[2].

---

(١) دور الماركسيـة فى الإشتراكية العـربية (١٧-١٨) ، د. عمر حليـق ، الطبعـة الأولى ١٩٦٥م ، دار الكتاب الجديد .

(٢) أحجار على رقعة الشطرنج (١٤٩-١٥٠) .

(ج) **عهد الاسكندر الثانى** :

تعاقب القياصر على عرش روسيا فجاء بعد نيقولا الأول الاسكندر الثانى عام ١٨٥٥م فعمل على تحسين أوضاع الفلاحين والطبقة الكادحة وكذلك أوضاع اليهود وعندما كان أبناء اليهود قد حصلوا على التعليم الإلزامى السابق وتخرجوا منه كان له أثر عليهم مقارنة بالفئات الأخرى فأصبح أبناء اليهود أكثر ثقافة من غيرهم . ووجدوا بادىء الأمر مصاعب فى قبولهم فى المراحل التعليمية فأصدر القيصر أوامره بقبول هؤلاء اليهود فى المناصب الحكومية وأعطاهم حرية الإقامة فى أى مكان من روسيا . وعندما أحس قادة اليهود أن هذا التقارب سيفسد عليهم مخططهم بداوا بتأليب الجماهير العاملة والثورة ضد القيصر فحاولوا اغتيال القيصر عدة مرات ولم ينجحوا إلا فى المرة الثالثة حيث كانت المحاولة الأولى عام ١٨٦٦م ، والثانية عام ١٨٧٩م ، وكانت المحاولة الناجحة عام ١٨٨١م[١].

(د) **عهد الاسكندر الثالث** :

وجاء من بعد الاسكندر الثانى الكسندر الثالث . وأصدر حكما بذم اليهود والقاء المسئولية على عاتقهم فى حالة الفوضى والاضطراب الاقتصادى فى الإمبراطورية فأصدر قانونا يحث على استخدام القوة والعنف ضد اليهود بتخليص الشعب الروسى من اضطهادهم . و(فى الثالث والعشرين من أيار عام ١٨٨٢م طلب وفد يهودى برئاسة البارون جيتزبيرغ[٢]مقابلة القيصر الكسندر الثالث للاحتجاج على القوانين ...) وبالفعل وعد بالتحقيق فى

---

(١) انظر أحجار على رقعة الشطرنج (١٥٠-١٥١) .
وانظر : حكومة العالم الخفية (١٥٠) ، حقيقة الشيوعية (١٨) ، إعداد أمين شاكر ، سعيد العريان ، على أدهم ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، مصر ، دون ذكر لتاريخ الطبعة .

(٢) جيتزبيرغ الممثل الرسمى لمؤسسة روتشيلد فى روسيا .

الأزمة بين سكان روسيا واليهود (وفى الثالث من أيلول أصدر البيان الآتى : (منذ مدة والحكومة تولى بالغ العناية لليهود ومشاكلهم ولعلاقاتهم مع سائر سكان الإمبراطورية مع الانتباه للأوضاع المحزنة للسكان المسيحيين الناشئة عن الطرق التى يستعملها اليهود فى قضايا العمل والمال . خلال العشرين سنة الماضية لم يكتف اليهود بالسيطرة على كل التجارب والأعمال بفروعها بل سيطروا أيضا على أجزاء كبيرة من الأراضى إما بشرائها أو بزراعتها . وباستثناء القليل ، كرس اليهود جهودهم كمجموع ، ليس لإثراء الدولة ولفائدتها بل لخداع الشعب الروسى بحيلهم الملتوية ، وقد قاسى الفقراء بنوع خاص من هذا . وقد تسبب ذلك فى تصاعد الاحتجاجات من الرعايا وتجلى ذلك فى أعمال العنف التى قام بها الشعب ضد اليهود . وقد سعت الحكمة لتخليص اليهود من الاضطهاد والمذابح لكن لايسعها تحت ضغط ملح إلا أن تتبنى القوانين القاسية لتخليص الشعب الروسى من اضطهاد اليهود وأعمالهم الشريرة التى يمارسونها على بقية السكان والتى كانت السبب الأصلى لأعمال العنف ضدهم)[١].

وبعد أن أصدر الاسكندر الثالث هذا البيان وألقى المسئولية على عاتقهم فى حالة الفوضى والاضطراب الإقتصادى فى البلاد قامت قيادات الحركة الثورية بإنشاء الحزب الإشتراكى الثورى وبدأت شخصيات الحزب بمحاولة اغتيال القيصر ففشلت[٢]فكان لابد من إيجاد العملاء لتسهيل المهمة .

---

(١) أحجار على رقعة الشطرنج (١٥٢) .
(٢) انظر المرجع السابق (١٥٤) .

خامسا : إيجاد العملاء داخل روسيا لتسهيل مهمة الثورة :

بعد مقتل الكسندر اولياف[١]قام فلاديمير بنذر نفسه لمسألة الثورة ولمع نجمه وأصبح الحاكم المطلق للاتجاه الإشتراكى السوفييتى وفلاديمير هذا هو (لينين) العميل الأول لليهود فى روسيا . يقول وليام كار : (واقضت المحاولة الثورية المجهضة عام ١٩٠٥م لينين بأن الطريق الوحيد للقيام بثورة ناجحة هو تنظيم لجنة دولية لتولى أولا التخطيط ثم الإعداد لتنفيذ الخطة التى يتفق عليها وهكذا أوجد لينين الكوفنترن وهى اللجنة المركزية الدولية للتخطيط الثورى واختاره الصيارفة العالميون عميلهم رقم واحد فى روسيا[٢].

وكان لينين ممن ضبط فى تنفيذ الاغتيالات للقياصرة وتم نفيه ثم سافر إلى سويرسا . وكان يقوم بالتخطيط والتنظيم ومراقبة الوضع فى الأراضى الروسية ويقوم بالقاء الخطابات ويعقد المؤتمرات من أجل الثورة وإنجاحها[٣].

وكانت القوى الخفية تعمل على إثارة الجماهير خصوصا أن بعض الاصلاحات قد وجدتفى المجتمع ونالت رضاء الفلاحين ، وكان اليهود يرون أن هذه الاصلاحات تعوق عملية الثورة الكبرى التى يعملون لها ، بل كانت الجموع العمالية تخرج فى تنظيمات تقام ضد الشكوك التى تبثها القوة الخفية فى نفوس العمال والفلاحين ، وكانت هذه التنظيمات تحمل الشعارات المؤيدة للقيصر وسياسته ومن أشهر قواد هذه التنظيمات أحد الرهبان الأرثوذكس الذى قام بتنظيم مسيرة سلمية ووصلت المسيرة إلى ساحة القصر وكانت القوى الثورية بالمرصاد فأطلقوا النار على الجموع التى تردد الولاء

---

(١) أخو للينين وكان مقتل أخيه دافعا قويا لنذر نفسه لقضية الثورة .

(٢) أحجار على رقعة الشطرنج (١٥٨) .

(٣) لمزيد من التفصيل انظر لينين (٢٥٨-٢٧١) .

للقيصر فظن هؤلاء أن تلك الطلقات من القيصر وتلا ذلك توهج الثورة الشاملة وانضم عشرات الآلاف إلى الحزب الإشتراكى الثورى ومنح القيصر بعد ذلك عفوا لكل السجناء بالإضافة إلى التحقق فى الحادثة وتم تشكيل مجلس تشريعى ديمقراطى عرف بعد التأسيس بالدوما ، وعاد لينين ومن معه إلى روسيا ، وزاد الاضطراب والفوضى رغم ماقدمه القيصر من عفو .

وممن اشتهر فى هده الاضطرابات تروتسكى[١] فقبضت عليه القوة العسكرية سنة ١٩٠٥م وثلاثمائة من أعضاء الحزب الا أنه لم يكن من الموقوفين رجل واحد من المشهورين وهذا كما يقول وليار كار (يثبت أن لينين كان محميا من قبل القوى الخفية التى كانت تعمل من وراء الحكومة).

وفى عام ١٩٠٧م عقد مؤتمر الحزب العمل الاشتراكى الديمقراطى ناقش فيه أسباب فشل ثورة ١٩٠٥م وظهر فى هذه الفترة ستالين تلميذ لينين فأراد اختياره ليرى مدى الثقة فيه فطلب منه سرقة مصرف (تيفليس) ونفذ العملية وأثبت ستالين وجود قدرة قيادية كافية[٢].

وبهذا يتبين أن الثورات التى حدثت فى روسيا قبل إعلان الثورة الشاملة كانت من رجال معروفين لم يصل أحد منهم أى أذى ولم يوقف من المشهورين رجل واحد مما يدل على أن هؤلاء القواد الذين حملوا لواء الفكر الاشتراكى لرفعه فى روسيا القيصرية كانوا عملاء لليد الخفية اليهودية لتحقيق رغباتهم فى روسيا القيصرية . يقول سبيريدوفيتش : (ومجوعة الرعب اختارت لينين وأرسلته ليكون عميلا لها بعد أن زوده واربورغ بعشرة ملايين دولار)[٣].

---

(١) تروتسكى : أحد قواد الثورة البلشفية ، اختلف على زعمائها وكان له تصورات خرج بها عن الفكر الماركسى وأصبح له تيار سياسى مستقل عرف عند الشيوعية بالتروتسكية ويعرفونها بالتالى : (تيار سياسى ـ فكرى انتهازى برجوازى صغير معاد للماركسية ـ اللينينية يتستر على جوهره الانتهازى بالجمل الراديكالية اليسارية) . المعجم (١٣٢) .

(١) انظر أحجار على رقعة الشطرنج (١٥٤-١٦٦) .

(٢) حكومة العالم الخفية (١٥١) .

كمـا أنشئـت فرقة فى عام ١٨٨٣م أطلـق عليهـا فـرقة (تحرير العمـل) ومهمتهـا نشـر أفكار ماركس وانجلـز وآرائهمـا وحققت انجازا مهمـا حتى أن لينين وستـالين اعتبرا أن مـاحققته هذه الفرقة كان النـواة الأولى وأنها أدت مهمة خطيرة جدا[١].

---

(١) انظر المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها (١١٠) ، عبد الـرحمن عميرة ، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، دار اللواء للنشر والتوزيع ، الرياض .

سادسا : إنهاك روسيا حربياً واضعافها سياسياً :

عمل اليهود على إنهاك روسيا حربيا وذلك بجرها إلى الحروب ضد بعض الدول فأثاروا مابينها وبين اليابان فقامت الحرب بينهما إنهزم فيها الروس بعد تعهد مؤسسة روشتيلد بتمويل الجانب الروسى ، ومؤسسة كوهن لوب بتمويل اليابان ، وكانت الخطة تقوم على أن تسحب مؤسسة روتشيلد مساعداتها فجأة حينما يكون الروس بأمس الحاجة إليها ، ومن ذلك أيضا خلق الفوضى والاضطراب فى صفوف الجيش الروسى فى الشرق الأقصى عن طريق تدمير المواصلات فى سيبريا[١].

وأيضا إثارتهم الحرب بين بريطانيا وروسيا حرب القرم[٢].

وهم وراء الحرب العالمية الأولى .

وهم الذين أدخلوا فى أذهان العمال والفلاحين أنها حرب رأسمالية .

وألقوا اللوم على الحكومات فى كل القضايا الشائكة فكانت الأجواء مملوءة بالقلق والشك من قبل العمال الروس بل وحتى بين الجنود .

وكان يهدف اليهود من إثارة هذه الحروب جر روسيا القيصرية إليها من إنهاكها والقضاء على قياصرتها لأن روسيا تشكل خطرا على اليهودية ومصالحها .

وكانوا يرددون أن روسيا الكبرى خطر (وهى كذبة رددتها اليد الخفية حتى تدمر روسيا ، وقد حققت هدفها فى سنة ١٩١٧م وقد نظم اليهود مذابح حتى يستثيروا الأمم الأخرى ضد روسيا)[٣].

أما داخليا : فقد قام اليهود بإثارة الفوضى والاضطراب وإقامة الثورات وزعزعة الثقة بين الشعب وقياصرته وقد عمل بعض القياصرة

---

(١) انظر أحجار على رقعة الشطرنج (١٥٥) .

(٢) انظر حكومة العالم الخفية (١٣٧-١٤٠) .

(٣) المرجع السابق (١٣٩-١٤٠) .

جاهـدا فى محاولة كسب ود اليهود داخل روسيا فجاءت بعـض القرارات التى تعفـو عنهم وتحاول مزجهم بشعـب روسيا إلا أنهم مازادوا بهـذا إلا طغيـانا وتخطيطـا لإزالة الحكم القيصـرى والدين المسيحى من روسيـا . يقـول كار : (وفى العام ١٩١٣م فتحت حكومة القيصر عفوا شاملا لكل السجناء السياسيين وفـور إطلاقهـم من السجن شـرع هؤلاء فى التآمر والتخطيـط لقلـب الحكومة الروسية ودعا الإرهابيون إلى تصفية أفراد العائلة المالكة)[١].

وهـذا حال اليهـود فى كـل زمـان ومكان حيث الغـدر وتحين الفـرص ومقابلة الإحسان بالإساءة .

(١) أحجار على رقعة الشطرنج (١٦٧) .

سابعا : إعلان الثورة :

مضت ست سنوات من عام ١٩١١-١٩١٦م فى الدعوة والتنظيم والتحضير للثورة وكانت الأجواء مملوءة بالشك والقلق فى روسيا لدى العمال والفلاحين والجنود وكان ذلك فى الفترة من ١٩١٤-١٩١٦م بعد أن حملت القوة الخفية النظام الملكى الروسى ونظام الرأسمالية مسئولية الحروب وكذلك الوضع الذى يعيشه العمال والفلاحون وكانت المؤامرة تتم فى تخطيط رهيب .

فلينين : فى سويسرا البلد الذى توضع فيه المخططات والمؤتمرات العالمية .

وتروتسكى : مشغول بتنظيم المئات من الثوريين الروس السابقين الذين لجأوا إلى الولايات المتحدة وبعض القواد يمارسون نشاطهم التخريبى فى روسيا حتى جاءت الفرصة فى أكتوبر عام ١٩١٧م وقررت الحكومة اليهودية تدمير المسيحية فى روسيا والقضاء على القيصرية فيها(١).

وعاد لينين وصحبه من سويسرا ومعه ٢٢٤ ثائرا من ثوار البولشفيك منهم ١٧٠ يهوديا .

وكان تروتسكى ينتظره داخل حدود روسيا مع آلاف اليهود الفارين من الجيش الروسى ، ورجع ستالين وصحبه من سيبريا فتجمع بذلك زعماء الثورة وكان تحت إمرتهم تسعين ألفا من الأعضاء المدربين المستعدين للموت من أول إشارة تصدر إليهم من زعمائهم . واعتمدوا على التنظيمات الطلابية التى نظموها من قبل فأقاموا ثورتهم فى ٧ تشرين الأول اكتوبر سنة ١٩١٧م وسقطت روسيا فريسة للبلشفية وتم القضاء على حكومة كيرنسكى واستلم لينين الحكم فى روسيا(٢).

---

(١) انظر أحجار على رقعة الشطرنج (١٧٥) ومابعدها للتفصيل التاريخى للثورة .

(٢) انظر اليهود فى المعسكر الشرقى (٢٥) .

وبعـد هـذا فلاغـرابة من تقـريرنا هـذا الأمر وهـو أن اليهـود خلـف الإشتراكيــة فقـد (مـارسوا دورا كبيرا فى تنظيم الحزب الشيــوعى الــروسى وتفجير الثـورة ولهذا لم يكن غريبا أن تتشكل القيادة مـن اليهود ، إذ كان لينين وزينـوفيف وكـابيينـف وتروتسكى وباكوف وسفـردلوف جميعهـم من اليهـود باستثنـاء لينين الـذى لم يكـن يهـوديا ولكـن زوجتـه كـانت يهودية إرهابية ـ وقد أشار إلى ذلك تروتسكى فى كتابه عن ستـالين ليبرهن على أن خصمه غير اليهودى ـ ستالين ـ لم يكن شيئا مذكورا فى فجر الثورة وبدايتها والواقع أن مؤسسى الحركة الشيوعية وقادتها فى روسيا ، لم يكونوا من طبقة البروليتاريا والعمال فحسب وإنما كانوا من اليهود المثقفين بالثقافة الاشتراكية (الماركسيـة) وقـد ظهر ذلك واضحـا منذ البداية ، ففـى مـؤتمر لندن ١٩٠٧م الـذى عقـده حزب العمال الـروسى الاشتراكـى الديمقـراطى حضـره (٣١٢) منـدوبا كـانوا جميعـا يهـودا ـ مـاعدا ثلاثة منهـم ، هـم لينين وبيلخـانوف وستالين[(١)]. ولهـذا فعنـدما تفجـرت الثـورة وصدر تصـريح (حقـوق شعوب روسيا) عاد من سيبريا (٩٠) ألفا من اليهود الإرهابيين الـذين كانت الحكومة القيصـرية قد أبعدتهم إلى روسيـا ، وشكل هؤلاء عصـب الثورة الشيوعية ، فنجـم عند ذلك وضع لايطاق إذ تحكم هؤلاء اليهود بالشعـوب الروسية التى

---

(١) ولاغرابة ولاتناقض بين ماقررناه من أن اليهود وراء الاشتراكية اذ أن المهم عندهم هو البحث عن الرجل المناسـب الذى يسد الفراغ ويحقق أهـدافهم حتى ولو كان صاحب ديانة أخرى . ومـاالمنظمـات السرية اليهودية عنا ببعيـد فى تنـوع رجالاتها واختلاف مذاهبهم .

كان عدد مواطنيها يومئذ (١٥٠ مليونا) وعينوا يهوديا مفوضا - قوميسيرا - على كل مصنع وكل مدرسة وكل وحدة عسكرية وكل دائرة حكومية، لاتعمل إلا بإشارة من هذا المفوض اليهودى الإرهابى)[١].

يقول المسيو دويه قنصل بلجيكا العام فى روسيا : (إن الذين يحكمون روسيا ليسوا من أبناء روسيا ، بل إنهم قبضة من اليهود الدوليين الإرهابيين)[٢].

وكان كل أعضاء الحزب الشيوعى الذى حكم روسيا من اليهود وإذا لم يكن كذلك فعميل وخادم لهم[٣].

ومما يدل على أن اليهود وراء الثورة البلشفية هى تلك الإمتيازات التى منحت لليهود مما يدل على أن زعماءها كانوا يهودا أو همهم مصالح اليهود وأهدافهم .

فقد (منح اليهود فى روسيا حماية تامة ، وإمتيازات لم تعط لغيرهم ، وإطلاقا كاملا لأيديهم ، منها مايلى :

(أ) قرار أصدره لينين بتحريم العداء لليهود والمعاقبة عليه قانونا .

(ب) إطلاق أيدى اليهود فى اقامة مؤسساتهم والمؤسسات التى تخدم مصالحهم فمن ذلك :

* مدارس تعلم لغة اليهود فى روسيا .

* مسارح يهودية بلغت ١٦ مسرحا .

* ثلاث صحف يومية تصدر باللغة اليهودية فى روسيا ، وقد بلغ عدد نسخ المطبوعات منها (١,١٣٥,٠٠٠) نسخة .

---

(١) ستالين (٦٢-٦٣) ، بسام العسلى ، الطبعة الثانية ١٩٨٦م ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر .

(٢) المرجع السابق (١٦٣-١٦٤) .

(٣) انظر النار والجليد (٢٢٣) ، مجموعة من المؤلفين ، الطبعة الأولى ١٩٩٢م ، دار الحسام للطباعة والنشر والتوزيع .

* مجالس وطنية يهودية بلغت (٢٧) مجلسا عام ١٩٣٢م فى روسيا البيضاء ، و(١٦٠) مجلسا فى اوكرانيا ، وتألفت فروع يهودية انبثقت عن منظمات الحزب ، سيطر الفكر اليهودى ، والفن اليهودى ، على مختلف جوانب الأفكار والثقافة والفن فى أنحاء روسيا ، ثم الاتحاد السوفياتى)[١].

وقد (اندلعت الثورة فى بطرسبرج عاصمة القياصرة (١٢ آذار ١٩١٧م) وانفجرت الفئات الشعبية مطالبة بالمواد الغذائية والفحم والحطب ، وتألفت لجنة تنفيذية وحكومة مؤقتة يراقبها مجلس ثورى قوامه الجنود والعمال وانتهى الأمر بازاحة آل رومانوف عن الحكم .

وبعد فترة سيطر الاشتراكى كيرنسكى على الحكومة المؤقتة ، فاستبد وأعلن الجمهورية ١٥٠ أيلول) ، ولم يستقم الأمر له لسببين :

أولهما الصبغة البرجوازية الملازمة للحكومة .

وثانيهما مواصلة الحرب فانقلب عليه البولشفيك بقيادة لينين وتروتسكى العائدين بمساعدة المانيا من منفاهما بسويسرا)[٢].

و(استولى لينين على السلطة وأقال الحكومة المؤقتة ، وأعلن قيام "حكم بولشفى سوفياتى")[٣].

---

(١) الكيد الأحمر (٨٩-٩٠) .
(٢) النار والجليد (٢٥) .
(٣) المرجع السابق (٢٥) .

ثامنا : التمويل اليهودى للحركة الإشتراكية :

كان المد المالى يأتى لهؤلاء الثوار من قبل اليهود وقد أنفقوا عليها كثيرا فى سبيل اتمامها وانجاحها فهم وراءها تخطيطا وتنظيما ودعما . وهذه المبادرة المالية من اليهود ليس لرفع الظلم عن المضطهدين بل من أجل تحقيق غاياتهم .

يقول ابراهيم الحلو : (لقد أنفقت الرأسمالية على الثورة الشيوعية بدون حساب ، وقد اعترف اليهود بتمويلهم للحركة الاشتراكية حيث (أعلن المليونير اليهودى الصهيونى يعقوب شيف سنة ١٩١٧م على رؤوس الأشهاد أن الثورة الشيوعية فى روسيا قد نجحت بفضل مساعداته المالية) وفى سنة ١٩٤٩م نشر اعتراف أدلى به جون شيف وهو حفيد اليهودى الصهيونى يعقوب شيف جاء فيه أن ماقدره الخبراء من أن مادفعه جده لتغذية الثورة الشيوعية بلغ عشرين مليون دولار غير صحيح والصحيح أن جده قد دفع أضعاف أضعاف هذا المبلغ)[١].

وأضحى تمويل اليهود للثورة البلشفية أمرا مكشوفا تناقلته وسائل الإعلام المقروءة وجلسات الهيئات السياسية المعتبرة فى العالم المادى فـ(فى جلسات الاستماع التى عقدها الكونغرس بعد انتصار الثورة البلشفية فى الاتحاد السوفييتى تبين أن الملياردير الأمريكى المصرفى جاكون شيف ومصرف كوهين لوى وغيرهما من المصارف الأمريكية اليهودية دعمت الثورة البلشفية منذ لحظتها الأولى بمبالغ ضخمة جدا . وجاء فى إحدى الجلسات : أن المصرفيين اليهود فى الولايات المتحدة يعرفون زعماء الثورة البلشفية كما يعرفون نبؤة ميشيل ماير . ومشيل ماير هو مؤسس أسرة روتشيلد اليهودية العريقة وكان يرفع فوق مصرفه علما أحمر اللون فوق درع . ومن هنا جاء

---

(١) الشيوعية والصهيونية توأمان (٢٩) ، نقلا من كتاب الشيوعية منشأ ومسلكا (٢٦) دندل جبر ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، مكتبة المنار ، الزرقاء ، الأردن .

اسم روتشيلد أى الدرع الأحمر . ويذكر الكاتب الفرنسى جان دراك أن مشيل ماير كان يقول للذين يترددون عليه فى مصرفه ، يوما ما سيحكم هذا العلم العالم[١].

وقد أعدت المخابرات الأمريكية تقريرا تضمن أسماء الأشخاص الذين مولوا الثورة البلشفية فكانوا كلهم من اليهود[٢].

وتقول احدى الصحف الفرنسية : (المعروف أن الحركة البلشفية ليست سوى حركة يهودية سرية يربطها ويوجهها التمويل اليهودى فضلا عن القيادات اليهودية فكرا وتنظيما)[٣].

كما جاء فى سجل مؤتمر المشرق الأعظم الماسونى لسنة ١٩٢٣م مايلى : (إن النضال بين الرأسمالية والطبقة العاملة آخذ بالازدياد فى مختلف مناحى الحياة ، وعلى الماسونية أن تختار بعزم وتصميم أحد طرفى النضال ، يجب العمل على تأميم كافة الصناعات بشتى الوسائل والطرق . إن المحفل الماسونى فى امريكا الذى يدير الماسونية الكونية (وكل أعضائه من كبار زعماء اليهود وحدهم) ، قد عقد فى أوائل القرن العشرين مؤتمرا صدر عنه قرار تعهد بتنفيذه خمسة من اليهود أصحاب الملايين ، وهو يتضمن خراب روسيا القيصرية ، بإنفاق مليار دولار وتضحية مليون يهودى لإثارة الثورة فى روسيا ...)[٤].

وبهذا يتبين لنا أن اليهود كانوا وراء الثورة البلشفية الاشتراكية تخطيطا وتنظيما وتنفيذا وتمويلا .

---

(١) لعلها كلمة أصابت فى وقتنا الحاضر .

(٢) انظر : الإنهيار (١٦٥-١٦٦) ، سامى محمد الدلال ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٤م ، دار المؤتمن للنشر والتوزيع ، ، موسكو واسرائيل (٢٩) ، د. عمر حليق ، الطبعة الأولى ١٩٦٧م ، الدار السعودية للنشر ، جدة ، ستالين (٦٤-٦٦) ، وعن التمويل اليهودى للثورة انظر أيضا أحجار على رقعة الشطرنج (١٨٠-١٨١) .

(٣) المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها (١١٢) .

(٤) الكيد الأحمر (٦٣) .

واليهود الخمسة هم اسحاق مولتيمر ، وشيستر ، وليفى ، وورون ، وشيف .

تاسعا : الثورات الإشتراكية خارج روسيا وراءها اليهود :

ومما يدل على أن اليهود وراء الثورة البلشفية ، أن الدعوات الإشتراكية خارج روسيا كان وراءها اليهود وذلك تحقيقا لأطماعهم وسعيا فى القضاء على الدين والسيطرة التامة على العالم .

فـ(قامت ثورة شيوعية فى رومانيا بقيادة اليهودية أنابوكر . وكذلك حدث فى كل من بولونيا وتشيكوسلوفاكيا وبعد الحرب العالمية الثانية اتسعت رقعة الشيوعية العالمية فشملت بلغاريا ويوغسلافيا والمجر والبانيا وبولندا وتشيكوسلوفكيا ودول البلطيق لتوانيا واستونيا ولاتفيا ونصف المانيا والصين وكوريا الشمالية وفيتنام الشمالية)[١].

كما أن (أول حزب شيوعى أنشىء فى البلاد العربية هو الحزب الشيوعى الفلسطينى ، فقد تأسس عام ١٩١٩م ، وجميع عناصره من اليهود الروس القادمين إلى فلسطين ، تمهيدا لإقامة الدولة اليهودية والقيام بالأعمال التى تحقق أهداف اليهودية العالمية ...)[٢].

وهذا يؤكد أن من أهداف الشيوعية إقامة وطن قومى لليهود فى أرض فلسطين المسلمة ، وبالتالى يدعم ماقررناه بأن اليهود وراء الثورة البلشفية تخطيطا وتنظيما وتمويلا ، وقد حقق من ورائها بنى يهوذا الشىء الكثير ، وإلى وقتنا الحاضر . وبهذا تبين لنا أن الفكر الإشتراكى الذى أقيم فى روسيا كان من تخطيط اليهود لتحقيق أطماعهم وأهدافهم العدوانية .

---

(١) الأفعى اليهودية (٥٠) ، ولمزيد من التفصيل عن الحركات الشيوعية خارج روسيا انظر الشيوعية منشأ ومسلكا (٢٩-٤٠) .

(٢) الكيد الأحمر (١١١) .

سابعا : النظريات العلمية والمذاهب الفلسفية الإلحادية التى سبقت ماركس :

ان أوروبا كانت تشكل أرضا خصبة لنشوء الفلسفات والنظريات المختلفة وليست هذه الدراسة لاستعراض كل المذاهب والنظريات التى وجدت هناك لأن هذا يحتاج إلى دراسة مستقلة متخصصة .

والذى دفعنى إلى اعتبارها عاملا من عوامل قيام الشيوعية هو الآتى :

(١) أثر هذه النظريات والمذاهب فى إيجاد الفكر الالحادى فى أوروبا .

(٢) أن بعض هذه النظريات استغلت فى حرب الدين وذلك بإدعاء التناقض بينها وبين ماجاء به .

(٣) اعتماد المذهب الذى نحن بصدده على بعض هذه النظريات والفلسفات بل اتخاذها مصادر له .

(٤) أن بعض هذه النظريات والفلسفات قد جعلت من العلم قوة قادرة على تفسير كل الظواهر وأنه لاحاجة لغيره فى معرفتها .

(٥) أدت هذه النظريات والفلسفات إلى الثقة بالمحسوس وعدم التسليم إلا بما هو مشاهد وخاضع للتجربة العملية ولعل هذا كان رد فعل لسياسة الكنيسة وطغيانها .

(٦) استمرار أثر هذه النظريات والفلسفات فى الحياة الأوربية إلى وقتنا الحاضر وتأثر السياسة والاقتصاد فيها بها ، وقد أخذت النظريات بعضها من بعض .

ونبين الآن بعض النظريات العلمية وموقف الكنيسة منها ، وكون ذلك الموقف أدى إلى نبذ الفكر الدينى وانتشار الفكر المادى .

وسبق أن أوضحنا موقف الكنيسة من النظريات العلمية ، وكيف أدى ذلك الموقف إلى نبذ الدين ومعاداته بسبب أفعالها . فقامت النظريات المعادية للدين بسبب الكنيسة ، ونادى بعض الفلاسفة بالسخرية من كل العقائد المضادة لخبرة الإنسان وملاحظته التجريبية كما سخروا من النبوءات ،

والمعجزات وكل الشعائر الدينية واعتبروها خرافة[١].

إن سياسة الكنيسة تجاه العلم والنظريات العلمية أدى إلى انتشار الأفكار الإلحادية ، والوثوق فى النظريات العلمية ، ومما زاد الحال سوءا وجود المخترعات الحديثة ، والاكتشافات العلمية الجديدة . فظن الناس أنهم لم يعودوا بحاجة إلى الدين حيث أصبح الإله عندهم فكرة لاتقوم على أساس.

وقد كانت نظرية كوبرنيكوس[٢]من أوائل النظريات التى واجهتها الكنيسة ومفادها أن الأرض تدور حول الشمس . وقد ردت الكنيسة ذلك لأنها تعتبر أن الأرض مركز الكون الثابت لأن المسيح تجسد فيها[٣]، كما أن التوراة ورد فيها (جيل يمضى وجيل يأتى . الأرض قائمة أبد الدهور والشمس تشرق والشمس تغرب ثم تسرع إلى مكانها موضعه تطلع)[٤].

وزعمت الكنيسة أن هذا الزعم لوضح ـ وهو القول بدوران الأرض (لوجب أن يمضى المسيح إلى سكان الوجه الآخر من الأرض ويموت مصلوبا هناك من أجل خلاصهم)[٥].

إنها ظلمات بعضها فوق بعض ، إذ أن محاربة الكنيسة لهذه النظرية ليست لأسباب علمية وإنما لئلا تنتقض العقيدة المسيحية (المحرفة) . ثم جاء من بعد كوبرنيكوس عدة مفكرين وأيدوه فى نظريته منهم برونو[٦]، وقد

---

(١) انظر نقد الثقافة الإلحادية (١٩) . د. أحمد عبد الرحمن إبراهيم ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان .

(٢) عالم فلكى بولندى درس فى جامعة كراكوف ثم أصبح كاهنا ، درس القانون الكنسى ، واستحوذ الفلك على اهتمامه ، ولد عام ١٤٧٣م ومات سنة ١٥٤٣م . انظر بنية الثورات العلمية (٢٩٢) ، توماس كون ، ترجمة شوق جلال ، سلسلة عالم المعرفة ١٦٨ ، الكويت .

(٣) انظر : قصة النزاع بين الدين والفلسفة (٢٠٥) ، نقلا من كتاب العلمانية (١٥١) .

(٤) العهد القديم ، ص ج(٥-٦) سفر الجامعة (١٣٦٣) .

(٥) العلمانية (١٥٢) .

(٦) فيلسوف إيطالى ، تحدى اللاهوتيين ، اعتقد أن لكل إنسان وجهة نظر خاصة فيه وأن الحق المطلق فوق إدراك الإنسان ، اتهم بالزندقة وأحرقته الكنيسة ، ولد عام ١٥٤٨م ، ومات سنة ١٦٠٠م . انظر عصر الإلحاد (٣٢) .

أحرقته الكنيسة[١]،ومنهم جاليليو[٢]عذب ثم تاب عندما خاف الموت[٣]. حينها (ثار العلماء ودعاة التجديد مطالبين بتقديس العقل واستقلاله بالمعرفة بعيدا عن الوحى ، ولم يجرؤ دعاة المذهب العقلى أول الأمر على إنكار الوحى بالكلية بل جعلوا لكل من الطرفين دائرة خاصة يعمل فيها مستقلا عن الآخر)[٤].

ومن النظريات التى قابلتها الكنيسة ورفضتها نظرية اسحاق نيوتن[٥] (قانون الجاذبية العام . وواجهت الكنيسة هذه النظرية كعادتها وكانت تشكل طرفا مناقضا لأصحاب النظرية وكلا منهما على خطأ فالكنيسة ترى أن هذا يعنى أن الأشياء تعمل بذاتها دون عناية الله تعالى ، وأصحاب النظرية يرون أن ماأمكن معرفته فلاحاجة لافتراض تدخل العناية الإلهية فيه . ونسيت الكنيسة أن الله تعالى هو خالق الأسباب ومسبباتها . وقد أثرت هذه النظرية على الحياة الأوربية تأثيرا كبيرا . يقول د. سفر : (ولاشك أن نظرية نيوتن من أعظم النظريات العلمية أثرا فى الحياة الأوربية فهى التى وضعت أساس الفكر المادى الغربى وإليها يعزى الفضل الأكبر فى نجاح كل من المذهب العقلى والمذهب الطبعى ...)[٦].

---

(١) انظر : عصر الإلحاد (٣٢) ، العلمانية (١٥٠) ، الفكر المادى الحديث وموقف الإسلام منه (٤٥) ، د. محمود عتمان ، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م ، الدار الإسلامية للطباعة والنشر .

(٢) عالم فلك ورياضيات ، ايطالى اخترع الميزان المائى ، واخترع أول تلسكوب عام ١٩٠٦م للأرصاد الفلكية ، ويرى أن التجربة والمشاهدة هما نقطة الانطلاق المأمونة للمعرفة . انظر بنية الثورات العلمية (٢٩١-٢٩٢) .

(٣) انظر : بنية الثورات العلمية (٢٩٢) ، عصر الإلحاد (٣٢-٣٣) .

(٤) العلمانية (١٥٢-١٥٣) .

(٥) عالم انجليزى فى الفيزياء والرياضيات ، والفلسفة ، والطبيعة . من أهم كتبه الفلسفة والطبيعة ، وأساس الرياضيات ، وضع قانون الجاذبية ، ولد عام ١٦٤٢م ، ومات سنة ١٧٢٧م . انظر بنية الثورات العلمية (٢٩٣) .

(٦) العلمانية (١٥٦) .

وعلى هـذا الأساس يمكن إعتبـار الحياة الأوربيـة مرت بمراحل ثلاث : مـرحلة ساد فيها الدين . ومـرحلة ساد فيها العقل . ومـرحلة ساد فيها الحس .

ونتحدث بشيء من التفصيل عن هذه المراحل

أولا : سيادة الدين :

ونقصد به الدين النصرانى ، وقد ساد فى القرون الوسطى وكانت العودة إليه فى كثير من الأمور ، رغم العقائد الباطلة التى يحملها من جراء التحريف ، وقد كانت حركات الإصلاح تدعو إلى العودة والرجوع إلى الكتاب المقدس ، ونبذ العقائد الحادثة ، وإزالة السيطرة الكنسية وإدعاءها العلم بأسرار الكتاب المقدس لوحدها . وفى هذا العصر كان ينظر إلى الكتاب المقدس على أنه فوق العقل . وكان من حق العقل البحث ولكن تظل الكلمة الأخيرة للدين فيما يرى العقل ويحكم .

كما أن الفلاسفة الذين ناصروا الدين اعتبروا أن الألوهية المرجع الأخير للوجود والمعرفة[١].

---

(١) انظر الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى (٢٥٠-٢٥١) .

ثانيا : سيادة العقل :

عندما كان اعتماد الكنيسة فى دينها على الوحى وأمور الغيب إدعاء ـ وكانت هذه الأمور تخالف بعض ماعليه العقل ـ كان العقل هو البديل الذى لجأ اليه الناس واعتبروا العلم الذى يصلون إليه عن طريق عقولهم هو مايوثق فيه ويعتمد عليه وفى النصف الثانى من القرن الثامن عشر كان العصر الذى يسمى بعصر التنوير لم يعد الدين المرجع الأخير للمعرفة فى الحياة الأوربية فوجدت بعض الحلول التى تجعل الدين فى اتجاه والعلم فى اتجاه آخر.

فيعمل كل واحد منهما فى مجاله الخاص به ليتم التوفيق وعدم التناقض بينهما فالعلم يعمل فى الطبيعة وأمورها والدين يكون له استقلاله فلاإلتقاء بينهما ولاتعارض ودون أدنى شك كانت هذه خطوة إلى إبعاد الدين ورفضه وتقديم العقل والوثوق به حيث وصل الأمر فى نهايةالمطاف الى تأليهه ووجدت فكرة الدين الطبيعى والتأليه العقلى .

وكان فلاسفة عصر التنوير يرون أن العقل له الحق فى الإشراف على كل اتجاهات الحياة .

بما فى ذلك الدين ويكون العقل مصدرا للمعرفة دون غيره من المصادر التى كانت تنازعه حين ذاك وهو الدين .

وباختصار أن خاصية المذهب العقلى التاليهى هى تجريد الدين من كل عناصره الفطرية المميزة له وتصيره قاصرا على عدة قواعد نظرية جافة هى أقدر على اشباع رغبة التعقل منها على إرضاء النفس الإنسانية[(١)].

ويتميز ذلك العصر الفكرى بالآتى :

أولا : نمو شعور العقل واحساسه بنفسه وأن فى مقدرته الأخذ بمستقبل الإنسانية وإزالة العبودية السابقة التى ورثها من قبل (يعنى عن طريق الكنيسة) .

---

(١) الفكر المادى الحديث وموقف الإسلام منه (٦١) .

ثانيا : إخضاع الأحداث التاريخية بكل جرأة لامتحان العقل .

ثالثا : الإيمان بتعاون جميع المصالح والمنافع وبالأخوة فى الإنسانية على أساس من الثقافة العقلية وحدها[١]، وهذا إدعاء باطل .

فقام هذا العصر على (وجوب سيادة العقل - كمصدر للمعرفة - على غيره وغيره الذى ينازعه السيادة فى ذلك الوقت هو الدين .. أى المسيحية (الكاثوليكية) أولا . وقد تكون معها (البروتستانتية) كمذهب عرف للاصلاح الدينى هناك[٢].

وقد كان لهذا المذهب فلاسفته ودعاته ومنهم :

كانت[٣]١٧٢٤-١٨٠٤م

يقول عنه بوشنسكى (أخذ على نفسه انقاذ العقل والعلم والأخلاق والدين بدون أن يتنكر فى نفس الوقت لأى من المبادىء الأساسية للفكر الأوربى الحديث)[٤].

---

(١) انظر الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى (٢٥٢) .

(٢) المرجع السابق (٢٥٢) .

(٣) كانت : ولد فى كونسبرج ، أخذ عن والدته البروتستانتية ، أنهى دراسته الثانوية سنة ١٧٤٠م ، ثم التحق بالجامعة فعين معيدا بها ونال شهادة الدكتوراه وعين أستاذا فى الجامعة نفسها ، ثم عين عميدا لكلية الفلسفة ، ثم رئيسا لها . له عدة مؤلفات من أهمها : نقد العقل الخالص ، نقد الحكم ، الدين فى حدود العقل البسيط ، المقدمات . ولد عام ١٧٢٤م ، ومات سنة ١٨٠٤م . انظر موسوعة أعلام الفلسفة (٢/٢٤٤) ومابعدها رقم (٩٣٨) .

(٤) الفلسفة المعاصرة فى أوروبا (٢٦) ، ترجمة د. عزت قرنى ، سلسلة عالم المعرفة ١٦٥ الكويت .

ويرى كانت أن العقل لايخضع للقوانين الرياضية والطبيعة لأن العقل الربانى من العالم الحسى بل هو بالأحرى مشرع له وهو منبع القوانين التى تحكمه[١].

وهذه دعوة واضحة فى أن العقل هو المشرع وأن غيره يأخذ منه القوانين التى تحكم حياته ويصبح خاضعا لها .

ومن هؤلاء فيشتة وهيغل .

وكان فيشته يعظم العقل الإنسانى ويرجع الأمر إليه .

وهيغل استخدم ماجاء عن فيشتة ولكنه جعل العقل مسيطرا على كل شيء باعتبار أن الله عقل كلى[٢].

ومن أبرز من نادى بالمذهب العقلى الفيلسوف الفرنسى ديكارت[٣]

دعى إلى تطبيق المنهج العقلى فى الفكر والحياة وهو ممن قال إن ميدان العلم الطبيعية واستغلال القوى الطبيعية ، وتكون علاقة الدين بالمصير والعالم الآخر فيعمل هذا فى اتجاه ، والآخر فى اتجاه وهذا الحل الذى وضع لإزالة الإشكال والتناقض بين العلم والدين الكنسى هو ماعرف بالمذهب الازدواجى ولم يكن سوى مرحلة نحو الغاء الدين . يقول د. سفر : (والواقع أن المذهب الازدواجى ليس إلا مرحلة طبيعية فى سلم التدرج من الإيمان المطلق بالوحى إلى الإنكار المطلق له)[٤].

---

(١) الفلسفة المعاصرة فى أوروبا (٢٦) .

(٢) وسيأتى الحديث عنهما فى فصل مصادر الماركسية لأن ماركس تأثر بفكرهما وأخذ بجدلية هيغل خاصة وترك مثاليته التى يعترف فيها بوجود الاله (على طريقته) .

(٣) فيلسوف فرنسى وعالم رياضيات وفيزياء عرض آراءه الفلسفية فى ثلاثة كتب (مقال فى المنهج) ، (تأملات ميتافيزيقية) ، (أسس الفلسفة) ، وقام رجال الدين باضطهاده ، ويعتبر مؤسس النزعة العقلانية . ولد عام ١٥٩٦م ، ومات سنة ١٦٥٠م انظر بنية الثورات العلمية (٣١٩-٣٢٠) .

(٤) العلمانية (١٥٣) .

وأخذ ديكارت بنظرية كوبرنيكوس واضطهده رجال الدين فرحل إلى السويد وأراد ان يؤلف كتابا يعبر فيه عن رأيه ولكنه أحجم بعد أن عرف ماأصاب جاليليو .

ويعتبر ديكارت مؤسس النزعة العقلانية إذ يرى أن المرء لايؤمن بشىء إلا بعد أن يثبت له بالبرهان ويطمئن إليه على أساس من اليقين[١].

وكثر أتباعه الذين يأخذون بآرائه حتى ساد هذا المذهب وهو مذهب تأليه العقل أو الدين الطبيعى . وتعتبر التجربة أساسية فى تكوين هذا المذهب وكان بلوك يرى أن وجود الإله يستدل عليه عن طريق التجربة وإذا أردنا تحديد مذهب التأليه العقلى فهو المذهب الذى يقول إن الإنسان يستطيع أن يعرف كل عناصره الدينية والأخلاقية من تجاربه وتعقلاته[٢].

وخاصية هذا المذهب العقلى التألهى هى :

تجريد الدين من كل عناصره الفطرية المميزة له وتصييره قاصرا على عدة قواعد نظرية جافة هى أقدر على إشباع رغبة التعقل منها على إرضاء النفس الإنسانية[٣].

والخلاصة :

أنه (كانت فى عصر التنوير اذن خصومة فكرية بين الدين والعقل واتجه التفكير فيه إلى اخضاع الدين للعقل ولذلك عد زمن هذا العصر فترة سيادة العقل)[٤].

وكانت هذه المرحلة مرحلة تدرج فى إبعاد الدين بالكلية ورفضه ، حيث مالم يثبت عن طريق البرهان والتجربة الحسية لايمكن أن يؤمن به العقل وهذا يجعلنا نذكر بموقف الكنيسة التى رفضت المعارف العقلية واعتبرتها هرطقات وزندقة ولو كان دين الكنيسة صحيحا لما تعارض مع

---

(١) انظر بنية الثورات العلمية (٣٢٠) .
(٢) انظر الفكر المادى الحديث وموقف الإسلام منه (٦٠) .
(٣) انظر المرجع السابق (٦١) .
(٤) المرجع السابق (٦٣) .

العقـل فإنه لاتعارض بين دين سمـاوى نزل من عند اللـه تعـالى وبين العقل الذى هو من مخلوقاته جل وعلا ، فالمصدر واحد فلايمكن أن يقع التعارض . أمـا عندما كانت العقيدة أرضيـة لاتخرج عن عقول أصحـابها القاصرة حصل التصـادم بين الـدين والعقـل . فقدم الناس مايأتى عـن طـريقه ورفضوا ذلك الـدين الـذى لم يكن دينا صحيحـا بل أفكـارا كنسيـــة تهـدف لخدمة مصالح رجالها وإشباع نهمهم وشهواتهم .

ثالثا : سيادة الحس :

ساد فى القرن التاسع عشر فلسفة تقوم على تقديم الطبيعة وتقديسها على الدين والعقل معا ، وذلك العصر هو الذى أعقب عصر التنوير الذى انتهى بانتهاء القرن الثامن عشر ، وهذا العصر هو عصر الوضعية .

وهى (نظرية فلسفية نشأت فى دائرة (المعرفة) ، وقامت فى جو معين وعلى أساس خاص . أما جوها المعين : فهو أولا وبالذات سيطرة الرغبة على بعض العلماء والفلاسفة فى معارضة الكنيسة ،والكنيسة تملك نوعا خاصا من المعرفة ، وكانت تستغله فى خصومة المعارضين فترة من الزمن ...) .

(واذن الغاية الأولى للمذهب الفلسفى الوضعى هى معارضة الكنيسة وبالتالى معارضة معرفتها ...) .

(وأما الأساس الخاص الذى قامت عليه الفلسفة الوضعية : فهو تقدير الطبيعة وتقييمها وحدها كمصدر للمعرفة . والطبيعة ، أو الحقيقة أو الواقع ، أو الحس كلها تدل على معنى واحد فى نظر الوضعيين . وتعد هذه الفلسفة الطبيعية ، لاكمصدر مستقل فحسب للمعرفة ، بل كمصدر فريد للمعرفة اليقينية أو المعرفة الحقة ...)[١].

وكان من أبرز شخصيات هذا المذهب ودعاته :

كومت[٢]

الذى يعتبر المؤسس الأول للمذهب الوضعى[٣]

---

(١) الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى (٢٦٥-٢٦٧) .

(٢) فيلسوف فرنسى تربى على الدين الكاثوليكى ، تتلمذ على يد سان سيمون وعمل أمينا لسره ست سنوات ثم انفصل عنه ليستقل بفكره ، عين معيدا فى كلية العلوم التقنية وطالب بإنشاء كرسى للعلوم الوضعية ولكن لم ينجح فى مسعاه ، له عدة مؤلفات منها التقويم الوضعى ، محاضرات فى الفلسفة الوضعية ، التعليم المسيحى الوضعى ، المذهب الذاتى . ولد عام ١٧٩٨م ، ومات سنة ١٨٥٧م .
انظر موسوعة أعلام الفلسفة (٣٠١/٢) ومابعدها رقم (٩٩٢) .

(٣) انظر الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى (٢٣٥،٢٦٨) ، وانظر الفلسفة المعاصرة فى أوروبا (٣١) .

يقول البهى : وهذا الاتجاه (فى تفكير الغرب فى القرن التاسع عشر ، الذى تسرب نفوذه إلى الشرق فى صوره (التجديد) فى الفكر الاسلامى الحديث أيضا - فهو التفكير (الوضعى) أو (المادى) الذى انتهت قمته أو انتهى غلوه إلى تفكير (الشيوعية) ... وهو تفكير انبثق فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، أصبح بعد الحرب العالمية الثانية يتصارع فى عنف مع الديمقراطية الغربية من جانب ، والأديان جميعا من جانب آخر)(١).

وقد اعتمد كومت على المدرسة التجريبية وهى المصدر المباشر للوضعية النقدية الألمانية(٢).

وبعد أن استخلص كومت (المذهب الوضعى) من (المذهب التجريبى)(٣)رأى أن الفلسفة يجب أن تجتاز ثلاث مراحل وتنتقل من واحدة الى أخرى لتصل إلى المرحلة الأخيرة .

فـ(يجب أن تمر فى المرحلة الأولى : وهى المرحلة التى يشرح فيها الانسان الشىء الطبيعى ، ويعلل وجوده ومظاهره من القوى الخارجة عن الطبيعة ، وهى القوى الإلهية ، أى من دائرة الدين ... وتنتقل الفلسفة إلى المرحلة الثانية ، وهى المرحلة التى يشرح فيها الإنسان الحياة الإنسانية وقوانينها وأعرافها ، من عبارات نظرية تصورية إنسانية ، أى من دائرة الميتافيزيقا أى من العقل النظرى الخالص ... ثم تنتقل الفلسفة إلى المرحلة الثالثة : وهى المرحلة الوضعية أو الواقعية وهى التى يقف فيها الإنسان على علاقات الظواهر الطبيعية بعضها ببعض ، من طريق الملاحظة والتجربة وحدها . وفى هذه المرحلة الأخيرة يجب أن تستهلك الفلسفة ، وينتهى

---

(١) الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى (٢٢٨) .

(٢) الفلسفة المعاصرة فى أوروبا (٩٣) .

(٣) المذهب التجريبى هو الذى يدعى أن المعرفة مقصورة على التجربة الظاهرية والباطنية ، وعلى الفلسفة أن تقتنع بما يدرك عن طريق الملاحظة والاستقراء فحسب . انظر الفكر المادى الحديث وموقف الإسلام منه (٥١) .

وضعهـا فى التوجيه ، ويفنى أمرها فى العلوم المختلفة التى تنشـأ على أثرها ، وتكون نتيجة التجارب وحدها)[١].

فكومت يرى أن الفلسفة فى بدايتها تتخذ الطريق الـدينى ، ثم ماتلبث أن تنتقـل إلى تحكيم العقل فيمـا يعن لها وتصل فى نهـاية المطـاف إلى إنكار كل شىء إذا لم يخضع للتجربة ويكـون مشـاهدا محسـوسا ، وهـذه لاشـك خطـوات نحو التحلـل من الدين إلى الإلحاد وإنكـار أن يكـون لهـذا الكون خالـق . وقـد تأثر بهذه الأفكـار عـدة فلاسفة منهم فيـورباخ الـذى استمـد ماركس منه كثيرا من أفكاره المادية كمـا سيـأتى معنـا إن شـاء اللـه تعـالى .

وممن نادى بهذه الأفكار :

بيكون[٢]

قال بيكون إن مهمة العلم دعم سيادة الإنسان على الطبيعة إلى ذلك هو التعليم الـذى يكشف عن الأسبـاب الواقعية وصولا إلى نتـائج صحيحة وقال إن المعرفة اليقينية ممكنة شريطة إصلاح منهجنا فى المعرفة وحدد ذلك بثلاثة سبل :

(١) تقدم التعليم وذلك بالثورة لتغيره .

(٢) منهج البحث .

(٣) التخلص من الأوثان التى تحكم فكرنا وكأنها نسيج العنكبوت نعيش فى أسـارها ونصنع منها عالما زائفا حولنا هو من نسج خيـالاتنا أو أفكارنا الذاتية وموروثاتنا ولاعلاقة له بعالم الواقع[٣].

---

(١) الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى (٢٣٥-٢٣٦) .

(٢) رجل سيـاسة وفيلسـوف طبيعـى انجليزى اشتهـر بمنهـج بحث اقترن باسمـه (منهـج بيكون) منهج البحث الاستقرائى ، عمل سفيرا لانجلترا فى فـرنسا ، له عدة مؤلفات منهـا محاولات فى الأخلاق والسيـاسة ، بحث فى قيمـة وتطـور العلـوم ، ولـد عام ١٥٦١ ، ومات سنة ١٦٢٦م .

انظر موسوعة أعلام الفلسفة (٣٠٥/١) رقم (٣٧٤) .

(٣) انظر بنية الثورات العلمية (٣٠٦-٣٠٧) .

ولأجل هذا قال عنه اندرسون : (ان أعظم مآثر بيكون الفصل بين العلم البشرى والوحى الالهى)[١].

فبيكون يعتبر العقائد وأمور الدين أوهام وخيالات زائفة لاأساس لها ولاحقيقة فى عالم الواقع .

ومن هؤلاء جون لوك[٢]

وقد طالب جون لوك عندما تعارض العقل مع الوحى بإخضاع الأخير له وقال : (من استبعد العقل ليفسح للوحى مجالا فقد أطفأ نور كليهما وكان مثله كمثل من يقنع إنسانا بأن يفقأ عينيه ويستعين عنهما بنور خافت يتلقاه بواسطة المرقب من نجم سحيق)[٣].

واتخذت الفلسفة طابعا آخر وتنوعت بين المانية وفرنسية وانجليزية وكانت كلها تصب فى معين واحد وهو التدرج نحو الالحاد والغاء الدين فسيطر المذهب الوضعى على الدين والعقل على حد سواء فأصبح الإيمان بالمحسوس دون غيره .

ومن العرض السابق يتضح لنا أن أوروبا مرت بمراحل عدة من التفكير كان آخرها الخروج من الدين والإستعداد التام لتقبل الأفكار المادية والإلحادية ، فى حين كانت الكنيسة مهتمة بالحفاظ على قدسيتها ومصالحها ولم تهتم بما وصل إليه تفكير الناس إلا فى معارضتها الشديدة لبعض النظريات العلمية دون أن تستبدلها بأمر آخر فيه الإجابة عن تساؤلات الناس وإستفساراتهم .

---

(١) العلم والدين فى الفلسفة المعاصرة (١٩) ، اميل بوترو ، نقلا من العلمانية (١٥٣)

(٢) جون لوك : فيلسوف ومنظر سياسى انجليزى ، درس الطب ، والكيمياء ، والسياسة ، كانت فلسفته تقوم على تقديس الحس . له عدة مؤلفات من أهمها : المسيحية العاقلة ، أفكار فى التربية ، رسائل حول التسامح . ولد عام ١٦٣٢م ، ومات سنة ١٧٠٤م .
انظر موسوعة أعلام الفلسفة (٣٧٩/٢) ومابعدها رقم (١٠٥٨) .

(٣) قضية النزاع (١٤) نقلا من كتاب العلمانية (١٥٤) .

فزاد عناد المفكرين وفزعوا من الكنيسة وأفعالها فنبذوا فكرها بل ودينها .

وخرجت الآراء التى تنادى باستبدال إله آخر بالدين عنادا فى الكنيسة ونفورا منها ومن أفعال رجالها .

وهذا العرض السابق (المختصر) لبعض الآراء والفلسفات التى نشأت فى أوروبا واكتوت بنيرانها وعاشت تحت وطأتها كانت ممهدة لقيام الفكر المادى الإلحادى الذى لايؤمن إلا بالمحسوس .

ولهذا وجدنا ماركس يأخذ من هؤلاء الفلاسفة والمفكرين نظرياتهم وآرائهم ليخرج بمذهبه المادى الذى يمثل منتهى المادية الإلحادية .

ومن هنا كانت هذه النظريات والآراء الفلسفية المختلفة دافعا وعاملا قويا فى وجود وانتشار الأفكار الشيوعية .

فهذه هى أهم العوامل التى أدت إلى قيام الإشتراكية . وبقى لنا أن نشير إلى أن هناك عوامل أدت إلى انتشارها وتطورها ومن ذلك :

(١) قيام الشيوعية فى أعقاب الحرب العالمية بعد أن أصبح لكل دولة كيانها وبرزت بعض الدول على الساحة .

(٢) الحرب العالمية الثانية حيث حصل الاتحاد السوفيتى على شىء كبير من النصر العسكرى والسياسى والاجتماعى الذى دعم قوة النشاط الشيوعى ، ويظهر ذلك فى قوة الاتحاد السوفييتى والتقدم فى الفضاء ومنافسة أمريكا ووقوفها بعد الحرب فى صف الدول المظلومة (ولو كان ظاهرا)[١].

---

(١) انظر نقد اصول الشيوعية (٤٢) ، صالح اللحيدان ، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م مكتبة الحرمين ، الرياض .
وانظر الماركسية بين النظرية والتطبيق (٣٥-٣٦) .

(٣) ماحصل فى الغرب من أخطاء كثيرة لحل المشاكل المتعددة الناجمة عن فقدان الدين فقوى هذا نشاط المذهب الشيوعى .

(٤) ماتقوم به اليهودية العالمية من استغلال لنشر هذا المذهب عبر وسائل إعلامية حديثة .

(٥) الاستعمار وكبت الشعوب المستعمرة وإذلالها الأمر الذى فسح المجال لانتشار الشيوعية .

(٦) قوة وسائل الإعلام المنتشرة هنا وهناك التى تخدم هذا الفكر .

(٧) البحث الجاد فى محاولة الوصول إلى أن الدين خرافة من قبل الشيوعيين مما جعل الناس يتطلعون إلى معرفته .

(٨) تفرق كلمة المسلمين وانقسامهم على أنفسهم فضعفت العقيدة وتذبذب المسلمون[١].

(٩) سوء توزيع الثروة فيستغل الشيوعيين سوء توزيع الثروة واختلال التوازن فى الدخول وارتفاع مستوى المعيشةمما يثير النفوس ويدفع الساخطين إلى تقبل أى شىء يخرجهم مما هم فيه .

واختلال موازين العدل فى المجتمع فأصحاب السيطرة والقوة والنفوذ الحكومى أو المالى يفعلون مايشاؤون دون خوف من القانون بل إنهم يطوعون القانون لصالحهم ويفلتون من العقوبات على الجرائم التى يرتكبونها ويحاكم الموظف الصغير على قروش طفيفة تفقد منه ويحرم الوظيفة بينما ملايين الجنيهات والريالات تذهب فى غير طريقها[٢].

فهذه الأوضاع تساعد على انتشار الفكر الشيوعى ، ذلك أن دعوتهم تقوم على العدل والمساواة ، وتحقيق الكفاية من العيش مما يجعل المضطهدين يحاولون الفرار من تلك الأنظمة وجحيمها لتصل إلى تلك السعادة التى تنسجها الشيوعية[٣].

---

(١) انظر نقد أصول الشيوعية (٤٢-٤٤) .

(٢) انظر الماركسية بين النظرية والتطبيق (٣٧-٣٨) .

(٣) انظر المرجع السابق (٣٨) .

(١٠) التقليد : إن حب محاكاة الأقوياء موجود فى النفس البشرية (ويزداد إذا كان الوازع الدينى مفقودا) فتسر تلك الأفكار لحب التقليد[١].

(١١) أن الشيوعية تبشر بالقضاء على الفساد وتدعى تجريد أهل الأموال من ثرواتهم ، فى حين أن المجتمعات مليئة نفوسها على الأغنياء بالإضافة إلى أن النظام القائم فى المجمعات العربية صورة لما فى الغرب والشيوعية نظام جديد .

(١٢) الأمة العربية لقيت الويلات من الغرب ، والشيوعية تدعى وقوفها مع المظلومين والمضطهدين ولم يسبق لها أن استعمرت تلك الدول[٢].
وبعد هذا فقد يظن ظان أن الفكر الاشتراكى إنما هو وليد هذه الفترة ولكن حقيقة الأمر غير ذلك .
حيث وجدت الأفكار الشيوعية فى فترات متفاوتة من تاريخ البشرية

وإن كانت قد تميزت فى الفترة الأخيرة على يد ماركس بظهورها وتبنى الدول لها ، ودفاعها عن هذا الفكر ، وهذا يجعلنا نتحدث عن بعض الحركات الإشتراكية عبر التاريخ لنستبين من خلال ذلك وجود تلك الأفكار منذ زمن بعيد فى تاريخ الإنسانية .

---

(١) ولمزيد من التفصيل انظر الماركسية بين النظرية والتطبيق (٣٩-٤٣) .
(٢) انظر المرجع السابق (٤٥-٤٦) .

الفصل الأول
الحركات الإشتراكية عبر التاريخ

ويشتمل على تمهيدة وعدة مباحث .

التمهيد .

المبحث الأول : أفلاطون .

المبحث الثانى : المزدكية .

المبحث الثالث : القرامطة .

المبحث الرابع : الإشتراكيون الطوباويون .

المبحث الخامس : ماركس .

المبحث السادس : الشيوعيون بعد ماركس .

الفصل الأول
الحركات الإشتراكية عبر التاريخ

ويشتمل على تمهيدة وعدة مباحث .

التمهيد .

المبحث الأول : أفلاطون .

المبحث الثانى : المزدكية .

المبحث الثالث : القرامطة .

المبحث الرابع : الإشتراكيون الطوباويون .

المبحث الخامس : ماركس .

المبحث السادس : الشيوعيون بعد ماركس .

الفصل الأول
الحركات الإشتراكية عبر التاريخ

تمهيد :

اقتضت مشيئة الله تعالى وإرادته أن يخلق الخير والشر لحكم أرادها المولى جل وعلا ، وأن يقع الصراع بينهما منذ خلقهما ، وإن كانت الغلبة للحق ، ولكن ليميز الله تعالى الخبيث من الطيب فيجعل الخبيث فى نار جهنم قال تعالى : {**ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله فى جهنم أولئك هم الخاسرون**}[١].

وقد اتخذ الباطل أساليب متنوعة ، وسلك أهله سبلا شتى فى تحقيق أهدافهم ونشر باطلهم .

فما من طريق إلا وضرب أصحاب الباطل بسهامهم فيه .

وعندماكان الكفر أعظم الذنوب ، فان أصحابه أكثروا من الأباطيل وجعلوا لها صورا شتى وسبلا عدة ، ومن ذلك الأفكار الإباحية والدعاوى المنحرفة لشيوعية الأموال والنساء بين الناس .

ووجدت هذه الدعوات فى أوقات متفرقة وفى مجتمعات مختلفة قديمة وحديثة .

غير أنها فى العصر الحديث اتخذت طابعا منظما وفكرا مخططا . وأفكار هذه الدعوات متقاربة وأحيانا تكاد تكون واحدة . إلا أن الأخيرة منها فاقت السابقة بأشياء من تخطيط وتنظيم مدروس يتناسب مع جاهلية القرن الذى وجدت فيه . بالإضافة إلى تناسبها مع نفسيات الأيدى الحقيقية المحركة لها ، التى ترغب فى تحقيق أهدافها من ورائها . والأفكار الشيوعية التى وجدت فى العصر الحديث كانت موجودة فى الأزمان السابقة وإن تميزت عند بعض مجتمعات دون غيرها ولدى بعض شخصيات دون سواها . وإذا أردنا

---

(١) سورة الأنفال : (٣٧) .

أن نضـع تاريخا لبدء هذه الأفكـار فيمكن أن نصنفها فى أدوار تاريخيـة مرت بها وإن لم يكن بالضرورة أن هذه الأدوار محددة بصورة دقيقة لجميع الأزمنة والشخصيات المنادية بتلك الأفكار .

وإنما المقصود يكمن فى إعطاء لمحة تاريخية عن أزمان متفرقة من تاريخ البشـرية ، ـ ولعلهـا أشهـر الفترات الـزمنية ـ التى راجت فيهـا المبـادىء الإشتراكيـة إضـافة إلى بيان أن الجاهليـة الحديثـة عامـة والجاهليـة الماركسية خاصة قد أخذت مما سبقها من جاهليات وإنحرافات .

ويمكن جعل المراحل التى مرت بها الدعوة الإشتراكية حيث المناداة بها والدعوة إليها كما يلى :

المرحلة الأولى : عصر أفلاطون .

المرحلة الثانية : المزدكية .

المرحلة الثالثة : بعض الفرق الباطنية فى التاريخ الإسلامى .

المرحلة الرابعة : الإشتراكيون الطوباويون .

المرحلة الخامسة : ماركس الشيوعية العلمية .

المرحلة السادسة : الشيوعيون بعد ماركس :

(أ) المنقحون .

(ب) الفابيون .

ونتحدث عن تلك المراحل بشىء من التفصيل .

المبحث الأول
المرحلة الأولى : أفلاطون[١]

يعتبر أفلاطون من أول من قال بالفكر الإشتراكى بل اعتبر بعض الاقتصاديين والكتاب أن إشتراكية ماركس ترجع إلى الأفكار الأفلاطونية[٢].

يقول هنرى ده مان : (إن كل تاريخ للإشتراكية يبدأ على الأقل بأفلاطون)[٣].

ويقول معروف الدواليبى :

(من المعروف أن أفلاطون كان أول من أدخل المفهوم الاشتراكى فى نطاق البحث الفلسفى ولكنه فى كتابه (النواميس) الذى أصدره فى شيخوخته وبعدما تمرس بعمق البحث والدرس والتجربة ، عاد عن كثير من أفكاره الإشتراكية ، ومنها إشتراكية الأملاك والنساء)[٤].

فهذه دعوة قديمة ولكن أفلاطون (قصرها على الحكام والجند ثم أجرى عليها تعديلا فى آخر كتبه (القانون) بقصد إقامة مدينة فاضلة ، وعلى الرغم من هذا فقد ثبت لأفلاطون نفسه كما ثبت لغيره أن مدينته الفاضلة التى

---

(١) ولد فى أثينا حوالى عام ٤٢٧ق.م واتصل بسقراط فى سن العشرين وصار من تلامذته المخلصين له .
انظر فى تاريخ الفلسفة اليونانية (٨١) ، عوض الله حجازى ، محمد السيد ، الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ ، المطبعة المنيرية بالأزهر ، له مؤلفات عديدة منها الجمهورية الكتاب الذى أودع فيه أفكاره الإشتراكية ودعوته إشاعة النساء والأولاد والقضاء على الملكية الفردية .

(٢) من هؤلاء الإقتصاديين البرفسور (هارى ليدر) والكاتب الإشتراكى المعروف هـ.ج.كول صاحب المؤلفات العديدة فى تاريخ الفكر الإشتراكى . انظر النظم الإقتصادية المعاصرة (١٤٣) .

(٣) الإشتراكية البناءة (١٩) ، هنرى ده مان ، ترجمة غياث حجار ، ١٩٦٢م ، دار الاتحاد ، بيروت .

(٤) إشتراكيتهم وإسلامنا (٩٦-٩٧) .

تخيلها بناء على نظامه الذى وصفه ثبت تماما أنها ممتنعة التحقيق)[١].

ويصور كانط جمهورية أفلاطون وصاحبها بما يلى : يقول :

(لقد أصبحت جمهورية أفلاطون مثلا بارزا يضرب على الكمال المتوهم الذى لايمكن أن يجد مستقره إلا فى رأس مفكر خالى الأشغال ...)[٢].

إشتراكية أفلاطون :

إن دعوة أفلاطون للإشتراكية فى جمهوريته لم تكن على مستوى المجتمع كله ، بل تأتى على فئات دون أخرى حسب المصلحة التى تصورها أفلاطون .

فقال عن الحكام يجب عليهم أن يعيشوا عيشة شظف وتقتير ساكنين الخيام لاالبيوت معتمدين على تبرعات الأهالى وأخيرا يجب أن لايمتلكوا ملكا خاصا وإلا انقلبوا ذئابا بدل كونهم كلابا حارسة[٣].

فينفى هنا الملكية الفردية عن طبقة الحكام فقط ، لأنهم سيوظفونها لمصالحهم الشخصية .

وقال عن شيوعية النساء والأطفال ، بعد أن تحدث عن مشاركة المرأة للرجل وقدرتها على القيام بما يقوم به قال : (وينحصر الفرق بين الجنسين فى الدرجة دون النوع ، وسببه ضعفها إذا قيست بالرجل فالنساء اللاتى يبدين ميلا إلى الفلسفة أو الحرب يجب أن يصحبن الحكام أو المساعدين ويشاركنهم فى واجباتهم ويصبرن أزواجا لهم ...) . و(تكون أولئك النساء بلااستثناء مشاعا لأولئك الحكام ، فلايخص أحدهم لنفسه بإحداهن . وكذلك

---

(١) كفاحنا فى مقاومة الشيوعية (٥) ، محمود عبد الوهاب ، دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع ، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها ، وانظر الشيوعية فى موازين الإسلام (١١) .

(٢) نقد العقل المحض (١٩٥) ، عمانويل كانط ، ترجمة موسى وهبة ، مركز الإنماء القومى ، بيروت ، وانظر النظم الاقتصادية المعاصرة (١٤٤) .

(٣) انظر جمهورية أفلاطون (٧٦) ، نقلها إلى العربية حنا خباز ، دار أسامة ، دمشق بيروت ، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها .

أولادهن يكونون مشاعا ، فلايعرف والد ولده ولاولد والده)[١].

وجاء عنه أيضا : (ومتى بلغ الجنسان السن القانونى ، أبحنا للرجال من شاؤوهن ، إلا بناتهم وأمهاتهم وجداتهم وحفيداتهم . كذلك يباح للمرأة كل رجل إلا آباؤها وأولادها وسلفها وخلفها . وذلك بعد أن نوصيها بفعل الأفضل وهو : إذا حبلت إحداهن عرضا (فى غير الحالة المقررة) فلايرى جنينها النور وإذا لم تتمكن من ذلك فيلزم التخلص من الطفل على أساس أن ثمرة إجتماع كهذا لاتجوز تربيتها ...)[٢].

ويقول عن شيوعية الأولاد : (يجب فصل كل الذين تجاوزوا العاشرة وإرسالهم إلى الأرياف ، ويجب تربية أولادهم بعيدين عن تأثيرات السجية الشائعة التى يتصف بها آباؤهم أتراب آبائهم ...)[٣].

ويقول : (ويفصل الأولاد عن والديهم ويربون فى معاهد خاصة تنشئها الحكومة فبهذه الوسيلة وحدها يمكن الحكام ومساعديهم أن يتحرروا من كل ميل للملكية ، ويرغبون فى الاشتراك بالمصلحة التى تضم الفئتين معا وتقرن أفرادهما بعضهم ببعض ...)[٤].

وهذه الفكرة عينها التى نادى بها ماركس فى شيوعيته هو وانجلز كما ذكرا ذلك فى بيانهم الشيوعى .

إن أفلاطون قد خصص كتابه الجمهورية عن بيان بنيان دولته تلك كيف ينبغى أن تكون . فأعلن مشاعية النساء ، واشتراكهن مع الرجال فى مهام الحياة ، وكان يرى أن يخص الشباب المبرزين فى الحرب بالاختلاط بالنساء كمكافآت لهم ، وكذلك إنجاب الذرية منهن ، فإذا ماأنجبوا منهن حمل أولاد هؤلاء إلى المراضع العامة ، تحت عناية مرضعات بمعزل عن

---

(١) جمهورية أفلاطون (١٦٢) .

(٢) المرجع السابق (١٥٧) .

(٣) المرجع السابق (٢٣٢) .

(٤) المرجع السابق (١٤٦) وانظر مابعدها .

الناس ، حتى لاتعرف والدة طفلها[١].

كما اعتبر أفلاطون (أن شيوعية نساء الحكام وأولادهم هى سبب خير الدولة الأعظم ...)[٢].

ونادى بأن يكون كل شىء مشاعا قدر الاستطاعة[٣].

الأسرة فى جمهورية أفلاطون :

جاءت أنظمة الجمهورية داعية إلى القضاء على الأسرة وعدم قيامها داخل المجتمع ، وذلك بإعلان الاختلاط ومشاعية النساء وانتزاع الأطفال من أمهاتهم وتربيتهم ورضاعتهم فى محاضن خاصة تشرف عليها الدولة . فكل الروابط الأسرية أضحت مقطعة فلايمكن أن تقوم الأسرة وحال مؤلفيها كذلك . فأراد أفلاطون أن (تنتزع من نفوسهم عواطف الأسرة وشواغلها فيحظر عليهم أن يكونوا أسرة وإنما يكونون جميعا للجميع ويختلط الرجال بالنساء إختلاطا جنسيا ويتصل بعضهم ببعض ولكن لاإتفاقا بل يقيم الحكام فى كل سنة فى أحسن الأوقات وأسعد الطوالع حفلات دينية يعقدون فيها لكل كفء على كفئه من الجنسين زواجا مؤقتا الغرض منه الانسال على حسب حاجة الدولة ويوضع الأطفال فى مكان مشترك يعنى بهم فيه أناس خصيصون وتأتى الأمهات فيرضعنهم دون أن يعرفنهم فلاتوجد بين الحراس قرابة معروفة ولكنهم جميعا أسرة واحدة يعتبر بعضهم بعضا قريبا له ولما كان الزواج بين أفراد ممتازين فالغالب أن يكون النسل ممتازا هذه هى

---

(١) انظر جمهورية أفلاطون (١٦٠-١٦١) وقارن ماجاء عن ماركس وانجلز .

(٢) المرجع السابق (١٦٣) .

(٣) المرجع السابق (١٦٦) ويمكن الرجوع إلى الصفحات التالية للاستزادة (١٤٨-١٤٩، ١٥٧-١٥٩، ٢٣٥-٢٣٨) .

إشتراكيـة أفلاطـون أو شيـوعيته وهـى قائمة على الإشتراك فى المال والأولاد والنساء ...)[١].

(كذلك أراد أفلاطون أن لاتنصرف الدولة إلا إلى شئـونها وأن تتفرغ لها بكل قلبها ولكى لاتنشأ بين أعضائها الغيرة والمنافسة إشترط أفلاطون أن تسود الشيوعية حياتهم)[٢].

فأراد أفلاطون أن يحقق فى جمهوريته :

(١) شيوعية النساء واباحتهن .

(٢) القضاء على الملكية الفردية .

(٣) القضاء على الأسرة.

ورأى أفلاطـون أن الجمهورية إنما تقوم عليها ووجد مـن ينادى بهذه الأفكـار فى المجتمـع اليـونانى حيـث جاء الـرواقيون حوالى ٣٠٠ق.م - ٢٠٠م فنـددوا بالملكية الفردية واعتبروا الناس أحرارا متسـاوين فى كل شىء وهذا شاعرهم فرجيل يمجد هذا المبدأ فيقول :

(لاأسوار تفصل بين الحقول

لاعلامات هناك ولاحدود

نقسم الأرض المتنازع عليها الى وحدات

فكل شىء دائما مشاع)[٣].

ووجدت بعض الآراء التى تنبذ الملكية الفردية وترى أنهـا سبب الفقر ولكـن (لما لم يكـن الناس فى زمـن أفلاطـون على درجة واحدة مـن المعـرفة والتمييز لم يحاول أحد منهـم أن يثير هـذه المسألة . الأمـر الـذى دعـا ذلك

---

(١) فى تاريخ الفلسفة اليونانية (٨١) .

(٢) قصة الفلسفة اليونانية (١٤٠) ، أحمد أمين ، زكى نجيب محمود ، الطبعة السابعة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، دون ذكر لتاريخ الطبعة .

(٣) خلاصـة الفكر الإشتراكى (١٦١) ، عز الدين فودة ، نقله مـن الحركات الإشتراكية هارى ليدر نقلا من كتاب الفكر الماركسى (٨-٩) ، دراسـة تحليلية دكتور صفوت حامـد مبـارك ، الطبعـة الأولى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، النـاشر عـالم الكتـب ، القـاهرة .

المذهب أن يخمد ويتوارى عن العيون ولكن لما كانت كلمات فلاسفة اليونان مدونة فى كتب فقد حفظ هذا تلك الأمثلة عن الإشتراكية وجعلها تعيش القرون لتجد بالتالى مرتعها الخصيب فيما تلى من قرون)[١].

وينبغى أن نلاحظ أن أفلاطون قد قصر إشتراكيته على فئة من الناس دون غيرها .

---

(١) نقد أصول الشيوعية (١٩) .

المبحث الثانى
المرحلة الثانية : المزدكية[١]

والمزدكيـة من الفرق المجـوسية التى تقول بأصلين النـور والظلمة (إلا أن مزدك كان يقول إن النور يفعل بالقصد والاختيار ، والظلمـة تفعل على الخبـط والاتفاق ، والنور عـالم حساس والظلام جاهـل أعمـى ، وأن المزاج كان على الاتفاق والخبط لابالقصـد والاختيـار ، وكـذلك الخلاص انما يقـع بالاتفاق دون الاختيار)[٢].

وليـس المقصـود هنـا دراسـة العقيـدة المزدكيـة ومـذهب صـاحبها فى الأصـول وإنما نقتصر على الـذى يخص دراستنا وهو وجود الأفكـار الإباحيـة والـدعوة إلى الإشتراكيـة فى الأمـوال والنسـاء ، ولاشـك أن فسـاد الأصول أفسـد مانبثق عنها ولأجل ذلك دعا مزدك إلى الإشتراكيـة بين الناس واعتبر الخلاف والبغضـاء بينهم إنما هى بسبب النسـاء والأموال[٣]فطالب بإشتراكهم فيها ليزول العداء بينهم .

يقـول الشهرستانى : (وكان مزدك ينهى الناس عن المخـالفة والمباغضة والقتـال ولما كـان أكثر ذلـك إنما يقـع بسبب النساء والأمـوال أحل النسـاء وأباح الأمـوال وجعـل النـاس شـركة فيهـا كـاشتراكهـم فى الماء والنـار والكلأ...)[٤].

---

(١) أصحاب مزدك الموبذ بن مداد ظهر أيام قباذ بن نيروز والد انوشروان وقد ولى فى أواخر القرن الخامس عام ٤٨٧م.
الموبذ عندهم العالم القدوة . انظر إغاثة اللهفان (٢/٢٤٧) ، ابن القيم ، دار الفكر دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها .

(٢) الملـل والنحل (٢٥٠) ، الشهرستانى ، دار الفكر للطباعة والنشـر والتوزيع ، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها .

(٣) وهكذا كان ماركس فى دعوته .

(٤) الملل والنحل (٢٥٠) .

وركـز جهده على قضية الملكيـة[١] والمال وبذل مـازاد عن الكفـاية منه ومن النساء للغير .

وذكر ابن جرير الطبرى رحمه الله عنه وعن أتباعه أنهم قالوا : (إن الله إنما جعل الأرزاق فى الأرض ليقسمها العباد بينهـم بالتآسى ولكن الناس تظالموا فيها وزعموا أنهم يأخذون للفقراء من الأغنيـاء ويردون من المكثرين على المقلين وأنه من كان عنده فضل من الأموال والنساء والأمتعة فليس هو بأولى به مـن غيره فافترص السفلة ذلك واغتنمـوه وكانفوا[٢] مزدك وأصحابه وشايعوهم فابتلى الناس بهم وقوى أمرهم حتى كانوا يدخلون على الرجل فى داره فيغلبونه على منزله ونسائه وأمواله لايستطيع الامتناع منهم)[٣].

ويقول ابن النديم : (وهؤلاء أهل مجوس فى الأصل ثم حدث مدهبهم وهـم ممـن يعرف باللقطة وصـاحبهم مـزدك القديم أمـرهم بتنـاول اللذات والانعطاف على بلوغ الشهوات والأكل والشرب والمسـاواة والاختلاط وترك الاستبـداد بعضهـم على بعض لهـم مشاركة فى الجرم والأهـل لايمتنـع الواحد منهم من حرمة الآخر ولايمنعه)[٤].

ويقـول ابن الجوزى فى معـرض حديثـه عـن المجـوس : (ويستحلـون فروج الأمهات قالوا الابن أحرى بتسكين شهوة أمه[٥] وإذا مات الزوج فابنه أولى بالمرأة فـإن لم يكـن لـه ابن اكترى رجل مـن مـال الميـت ، ويجيزون للرجل أن يتزوج بمائة وألف .

---

(١) انظر تاريخ الحضارة الاسلامية (٤٩) .

(٢) عاونوا .

(٣) تاريخ الأمـم والملـوك (٢/١٨٥-١٨٦) ، ابن جرير الطبرى ، الطبعـة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

(٤) الفهرست (٤٧٩) ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

(٥) قارن ماجاء عند الباطنية وفى أشعارهم مما يدل على أن الأصل واحد .

وإذا أرادت حائض أن تغتسل دفعت دينارا إلى الموبذ ويحملها إلى بيت النار ويقيمها على أربع وينظفها بسبابته ، وأظهر هذا الأمر مزدك فى أيام قباذ وأباح النساء لكل من شاء ونكح نساء قباذ لتقتدى به العامة فيفعلون فى النساء مثله ...)[١].

ويقول الامام ابن القيم رحمه الله : (وهؤلاء[٢] يرون الإشتراك فى النساء والمكاسب كما يشترك فى الهواء والطرق وغيرها)[٣].

ويقول مزدك : (إن الناس ولدوا سواء ، فليعيشوا على قدم المساوة) وكان يقول : (أهم ماتجب فيه المساواة : المال والنساء)[٤].

والذى ساعد على انتشار مذهب مزدك وقبوله :

(١) جعل دعوته دينية والنفوس تقبل ماالصطبغ بصبغة دينية إذا كانت تلك النفوس منحرفة .

يقول د. النمر : (ولما كان مزدك صاحب دعوة دينية عرفت باسمه فقد أخذت تعاليمه الإشتراكية هذه الصبغة الدينية التى تمكنها فى النفس وتجعلها عقيدة من العقائد التى يدافع أصحابها عنها ، ويستمسكون بها بالإضافة لشهوات النفس ، ولذلك استمرت هذه الفكرة عند بعض الناس حتى فى عهد الدولة الإسلامية ، رغم تنكيل (قباذ) بمزدك وأصحابه حين تمكن منهم)[٥].

ويقول نولدكه : (إن الذى يميز مزدك عن الإشتراكية الحديثة مالتعاليمه من الصبغة الدينية)[٦].

---

(١) تلبيس ابليس (٨٨) ، ابن الجوزى ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

(٢) أى المزدكية .

(٣) اغاثة اللهفان (٢/٢٤٧) .

(٤) اشتراكيتهم واسلامنا (١٣-١٤) .

(٥) الماركسية بين النظرية والتطبيق (١١) .

(٦) نقلا من كتاب فجر الإسلام (١١٠) ، أحمد أمين ، الطبعة الحادية عشرة ١٩٧٥م ، شركة الطباعة الفنية .

(٢) ساعد أيضا على انتشار فكره ماكان بدعوته من دعوة إلى الزهد ومساواة الفقراء بالأغنياء فسار خلفه كل من رأى أن هذه الدعوة تحقق له مايصبو إليه دون عناء .
يقول أحمد أمين : (وكانت له تعاليم روحية أخرى ، فقد كان يعلم القناعة والزهد وحرمة الحيوان فلايذبح وقد اعتنق مذهبه آلاف من الناس ...)[١].

(٣) ومما ساعد على كثرة أتباعه ماكان فى دعوته من إباحية فهى تسهل طريق البغاء وتشيعه بالحرام حيث كانت أفكار الإباحية التى نادى بها ميسرة (السبيل للظلمة الى الظلم وللعهار إلى قضاء نهمتهم وشمل الناس بلاء عظيم لم يكن لهم عهد بمثله وصاروا لايعرف الرجل منهم ولده ولاالمولود أباه ولايملك الرجل شيئا مما يتسع به)[٢].
فعم الظلم وانتشر الفساد من أثر دعوة مزدك فـ(قد وجد لدعوته أنصارا أشداء أثاروا الفتن والقلاقل ، ونشروا الرعب والفساد وسرعان ماأخمدت ، ولكن بعدان تركت آثارا وبيلة)[٣].
الا أن سنة الله تعالى لاتمهل الظالم ولاتبقى على الظلم وان طال أمده

كما لايدوم حاله فى نشر شروره وآثامه . بل يقيض الله تعالى لهذا الظالم من يقمعه ويرد الله سبحانه وتعالى بسببه الحقوق لأهلها وقد يكون هلاك الظالم على يد ظالم آخر لحكمة منه جل وعلا وهذا ماحدث لمزدك . فبعد أن عم شره وشر قومه كل مكان . جاء كسرى أنوشروان فرفع ماكان بالناس من شر وكتب أربعة كتب بعث بها إلى أمرائه ، وذكرهم بما وقع للناس فى

---

(١) فجر الإسلام (١١٠) .
(٢) وجاء دور المجوس (٢٧) ، عبد الله محمد الغريب ، الطبعة السادسة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .
(٣) كفاحنا فى مقاومة الشيوعية (٦) .
وانظر الشيوعية فى موازين الاسلام (١٢) .

أموالهم ونسائهم . وأبطل تلك الدعاوى وقتل من تمسك بها وامتنع عن الرجوع عنها[١].

يقول الشهرستانى : (اطلع أنو شروان على خزيه وافترائه فطلبه فوجده فقتله)[٢]وكان قتله سنة ٣٢٥م[٣]. ونكل قباذ به وبقومه ودبر لهم مذبحة سنة ٣٢٥م وكاد أن يستأصلهم بها[٤].

الا أن قتل مزدك لم يقض على الفرقة المزدكية حاملة الأفكار الشيوعية فبدأ أصحابها واتباع مزدك يعملون فى نشر مبادئها وآرائها فى السر ، فأصبحت فرقة سرية تعمل فى الخفاء إلى أن ظهرت مرة أخرى فى العصر الإسلامى . يقول أحمد أمين :

(وبعد كسرى عاشت المزدكية فرقة سرية عاشت على هذا الجو أيام الدورة الساسانية ثم عادت إلى الظهور من جديد فى بداية العصور الإسلامية)[٥].

وليس المقصود من هذه اللمحة ، الدراسة التفصيلية لما كانت عليه المزدكية من أفكار شيوعية إباحية وإنما الغرض إثبات وجود تلك الأفكار ثم تأثير تلك الطوائف المجوسية فى تاريخ المسلمين فى كيد عظيم قام به أعداء الدين منذ اللحظة الأولى لانطلاق الدعوة إلى التوحيد ، فبذل الأعداء جهودهم فى سبيل الوصول إلى المسلمين ونشر الفساد والرذيلة بينهم وإبعادهم عن دين ربهم ، فوجدت الفرق فى تاريخ المسلمين وكان وراءها ومؤثرا فيها اليهود والنصارى والمجوس . ويظهر ذلك فى تقارب عقائدها

---

(١) انظر تاريخ الأمم والملوك (٢/١٩١-١٩٢) .
(٢) الملل والنحل (٢٥٠) .
(٣) انظر نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام (١/١٩٧) ، د. على النشار ، الطبعة السابعة ١٩٧٧م ، دار المعارف ، القاهرة .
(٤) فجر الإسلام (١١٠) .
(٥) فجر الإسلام (١/١٣٧) .

وأفكـارها ، وخير دليل على ذلك وجود الفرق التى تسترت بالإسلام وإدعـاء حب آل النبى صلى الله عليه وآله وسلم . حيث تعود أصـولها إلى المجوسية فالاتصال مستمر بين أهل الباطل والضلال وعندما تحدثنـا عن وجود الأفكار الشيـوعية فى الطـائفة المزدكيـة نعرض لبعض الفرق التى وجدت فى التـاريخ الإسلامـى حاملة تلك الأفكـار متصلة بتلك الطائفة متممـة لما بدأه أصحـاب ذلك الفكر الإباحى وهذا يجعلنا نذكر الدور الثالث وكان فى عصر الإسلام .

بتـأثير مـن الأعـداء والمنـافقين المنـدسين بين صفـوف المسلمين وهـم متسترين بالـدين من أجل تحقيق أهدافهم وشهواتهم العـدائية فى القضاء على دين اللـه تعالى ولكن هيهات فإن الله عز وجل بالغ أمـره وناصر دينه ولو كره الكافرون .

المبحث الثالث
المرحلة الثالثة : القرامطة

إن أعداء الله تعالى سيظلون فى عداء مستمر لهذا الدين وأهله ، وقد وجد فى عصر الإسلام الأول من اندس بين صفوف المسلمين وتظاهر بحبهم ، وحب نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم ، فأبطن هؤلاء الكفر ، وأظهروا الحب للإسلام وأهله . وشكل هؤلاء فرقا شتى جمعهم الانتساب إلى الأديان المحرفة ، والعقائد الوثنية ، والأفكار المجوسية . وهؤلاء هم الباطنية .

يقول ابن الجوزى : (الباطنية قوم تستروا بالإسلام ومالوا إلى الرفض وعقائدهم وأعمالهم تباين الإسلام بالمرة ، فمحصول قولهم تعطيل الصانع وإبطال النبوة والعبادات ، وإنكار البعث ، ولكنهم لايظهرون هذا فى أول أمرهم بل يزعمون أن الله (تعالى) حق وأن محمدا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والدين صحيح ، لكنهم يقولون لذلك سر غير ظاهر وقد تلاعب بهم إبليس فبالغ وحسن لهم مذاهب مختلفة ولهم ثمانية أسماء)[١].

وقد عددها رحمه الله وهى :

(١) الباطنية :

سموا بذلك لأنهم يدعون أن لظواهر القرآن والأحاديث بواطن . ومن قنع بهذه الظواهر كان تحت أغلال التكاليف الشرعية . ومن ارتقى إلى علم الباطن انحط عنه التكليف واستراح من أعبائه ، ويرون انهم هم المقصودون بقوله تعالى : {**ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم**}[٢].

(٢) الإسماعيلية :

نسبة إلى زعيمهم كما يدعون محمد بن اسماعيل بن جعفر ويزعمون أن دور الإمامة انتهى إليه لأنه سابع واحتجوا بأن السموات سبع وأيام الأسبوع سبعة فدل أن دور الأئمة يتم بسبعة .

---

(١) تلبيس ابليس (١١٩) .

(٢) سورة الأعراف : (١٥٧) .

(٣) السبعية :

ولقبوا بهذا لأمرين :

احدهما : اعتقادهم أن دور الأئمة سبعة سبعة وأن الانتهاء إلى السابع هو آخر الأدوار وهو المراد بالقيامة وأن تعاقب هذه الأدوار لاآخر له .

الثانى : لقولهم إن تدبير العالم السفلى منوط بالكواكب السبعة زحل ثم المشترى ثم المريخ ثم الزهرة ثم الشمس ثم عطارد ثم القمر .

(٤) البابكية :

وهم الذين تبعوا بابك الخرمى[1] وكان من الباطنية ظهر فى بعض الجبال بناحية أذربيجان .

(٥) المحمرة :

سموا بذلك لأنهم صبغوا ثيابهم بالحمرة فى أيام بابك ولبسوها .

(٦) القرامطة :

لقبوا بهذا نسبة لرجل يقال له حمدان قرمط .

(٧) الخرمية :

وخرم لفظ أعجمى ينبىء عن الشىء المستلذ المستطاب الذى يرتاح الإنسان له ومقصود هذا الاسم تسليط الناس على اتباع اللذات وطلب الشهوات وطى بساط التكليف وحط أعباء الشرع عن العباد .

---

(١) بابك الخرمى : كان يسمى الحسن أبو الحسين ، أصاب المسلمين بأفظع الضربات فى تاريخهم ، وكاد أن يقضى على الدولة العباسية فى الوقت الذى كان الروم يخططون للقضاء على الدولة الإسلامية . يقول عنه ابن النديم : (كان يقول لمن استغواه إنه إله وأحدث فى مذاهب الخرمية القتل والغصب والحروب والمثلة) . الفهرست (٤٨٠) .

وقد حارب المأمون عشرين عاما ، ثم حارب المعتصم حتى قضى الافشين قائد المعتصم على جيوش بابل عام ٢٢٠هـ .

انظر نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام (٢٠٨/١-٢٠٩) .

(٨) التعليمية :

سموا بذلك لأن مذهبهم يقوم على إبطال الرأى وإفساد تصرف العقول ودعاء الخلق إلى التعلم من الإمام المعصوم ولاتدرك العلوم إلا بالتعليم[١].

هذه أسماء الباطنية . وقد حملت أفكارا إباحية ودعاوى باطلة تدعوا إلى التحلل من الدين وأوامره ، وتشجع على الرذائل وتنبذ الفضائل .

ولاغرابة إذا فسد المعتقد أن يكون حالهم كذلك .

ومما نادت به هذه الطوائف الأفكار الإشتراكية وقد ارتبطت بالأفكار المجوسية وأخذت منها فى أصولها وفروعها وكان من أشهر هذه الطوائف القرامطة والبابكية ، وقد استغلت هذه الطوائف الأوضاع الإقتصادية المتردية.

إذ أننا (لو تتبعنا الوسط الذى نمت وترعرعت فيه حركة القرامطة لأمكننا التعرف على بعض العوامل التى استغلها القرامطة واستفادت منها فى اصطياد الناس والتغرير بهم ، فكما نعلم أن المناطق التى ظهرت فيها القرامطة كانت من سواد الكوفة وبادية الشام ومنطقة الأحساء ، والبحرين فى الجزيرة العربية ، فسواد الكوفة كان يغص بالفلاحين والمزارعين الفقراء ، وأما البادية والأحساء فكانت مناطق معروفة لقبائل البدو ، لذافقد استغلت القرامطة وضع الفلاحين والبدو الإقتصادى ، واستفادت منه فى اصطيادهم والتغرير بهم ، أما الفلاحون فقد كان أكثر سواد الكوفة منهم ، وهم من الفقراء الذين تركوا أهاليهم وزوجاتهم ، وجاءوا للعمل عند ملاكى أراضى سواد الكوفة)[٢]. ونلمح الآن بشىء من التفصيل عن هاتين الطائفتين .

---

(١) انظر تلبيس ابليس (١١٩-١٢٣) .

(٢) الحركات الباطنية فى العالم الإسلامى (١٦٧) ، د. محمد أحمد الخطيب ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، مكتبة الأقصى للنشر والتوزيع .

القرامطة :

واحدة من فرق الباطنية والسبب فى تسميتهم على قولين :

(١) القول الأول :

أن رجلا من ناحية خوزستان قدم الكوفة وأظهر الزهد ودعا إلى إمام من آل البيت ونزل على رجل يقال له كرميته لقب بهذا لحمرة عينيه وهو بالنبطية حاد العين فأخذه أمير تلك الناحية وحبسه وأخذ مفتاح البيت تحت رأسه ونام فرقت جارية له فأخذت المفتاح وأخرجته ثم ردت المفتاح إلى مكانه فلما طلب ولم يوجد زاد افتتان الناس به فخرج إلى الشام فسمى كرميته باسم الذى نزل عليه ثم خفف فقيل قرمط ثم توارث مكانه أهله وأولاده .

(٢) القول الثانى :

أن القوم لقبوا بهذا نسبة إلى رجل اسمه حمدان قرمط كان أحد دعاتهم بداية فاستجاب له جماعة فسمواقرامطة وقرمطية[١].

وقيل فى سبب تلقيب حمدان بهذا اللقب لقرمطة فى خطه أو فى خطوه[٢].

فظهرت القرامطة فى الكوفة سنة ٢٧٨هـ ، وفى البحرين سنة ٢٨٦هـ .

ومن عرف تاريخ هذه الطائفة تبين له مدى تلبسها وتسترها بالدين وحب آل النبى صلى الله عليه وسلم ولكن الله تعالى أظهر حقيقتهم وكشف عوارهم وماأرادوه من استحلال للمحارم وانتهاك للأعراض ، حيث كان لهم فى تاريخ الإسلام ويلات اكتوى بها المسلمون من قتل ، ونهب[٣]، ونشر للفساد والرذائل ، ومهاجمة للحجاج وانتهاك حرماتهم وأخذ أموالهم

---

(١) انظر تلبيس ابليس (١٢١) ومابعدها .

(٢) الفرق بين الفرق (٢٨٢) ، عبد القاهر البغدادى ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .

(٣) انظر سير أعلام النبلاء (١٣/٤٧٥-٤٧٦) ، الإمام الذهبى ، الطبعة السابعة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، وانظر تاريخ الأمم والملوك (١٠/٦٢٥) الحاشية الجزء (١٣/١٣١-١٣٢) .

ونسائهم[١]، وانتهاك حرمة مقدساتهم حيث ردموا زمزم ، وأخذوا الحجر الأسود ، وذهبوا به إلى الأحساء وبقى عندهم نيفا وعشرين سنة[٢].

وبعد أن طغوا وأفسدوا فى الأرض قيض الله تعالى من يسومهم سوء العذاب كما هى سنته تعالى فى أخذ الظالمين وقضى على دولتهم سنة ٤٧٠هـ[٣].

فمن وصل حالهم إلى هذا الحد فلاغرابة إن وجدت عندهم الإباحية والانحلال ، ومن هنا كانت الأفكار الإشتراكية جزءا مما نادوا به فى مذهبهم.

وأوجز الآن مانحن بصدده من وجود الأفكار الإشتراكية والدعاوى الشيوعية فى الأموال والنساء ولاشك أن القرمطية قد أفادت من الطوائف السابقة على الإسلام هذا الفكر الإباحى وارتبطت أفكارها بأفكارها ، وكانت الصلة وثيقة بين القرامطة والمزدكية ، فأخذ القرامطة الفكر المجوسى أصلا لهم ، يقول ابن القيم رحمه الله : (ومنهم الخرمية أتباع بابك الخرمى وهم شر طوائفهم لايقرون بصانع ولامعاد ولانبوة ولاحلال ولاحرام وعلى مذهبهم طوائف القرامطة والاسماعيلية والنصيرية)[٤].

وأفاد القرامطة من المزدكية ومر معنا أن المزدكية عملت سرا فى ايجاد الخلايا لها ومن هنا اعتبر بعض المفكرين أن وجود أصحاب الفكر الباطنى إنما كان امتدادا للمزدكية والمجوسية . يقول د. النشار : (وقد بقيت آراء مزدك الإشتراكية فى العصر الأموى كامنة ، ... وفى العصر العباسى الثانى نفذت إلى أعماق المذهب الاسماعيلى عامة والقرمطى خاصة)[٥].

---

(١) انظر الكامل فى التاريخ (٨٠/٥) ابن الأثير ، تحقيق على شيرى ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٩م ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان .

(٢) انظر سير أعلام النبلاء (٣٢٠/١٥-٣٢١) .

(٣) ولمزيد عن بعض ماجاء عن هؤلاء من أباطيل وإعتقادات خارجة عن الملة انظر سير أعلام النبلاء (٣٢٣/١٥-٣٢٤) .

(٤) إغاثة اللهفان (٢٤٧/٢-٢٤٨) .

(٥) نشأة الفكر الفلسفى (٣٢٤/٢) .

وبهـذا يتبين لنـا أن الاسمـاعيلية والقـرمطية كـانت لـديها الأفكـار الإشتراكيـة الإباحيـة المأخوذة مـن المزدكيـة (ذلك لأن القـرامطة غصـن مـن غصـون شجرتهم الخبيثة التى غـرسها (مزدك) وجاء أبو حامـد القـرمطى من بعده ليتعهدها ويرعاها)[١].

فقامت دعوة حمدان قرمط ونادى بشيوعية النساء والأموال[٢].

وكانت من المبادىء الهامة التى انطلق منها دعاة القرامطة (بين أتباعهم لعلهـم بذلك يستميلون إلى مـذهبهم دعاة الشهوة واللـذة البهيمية من عوام النـاس ، ويؤثرون بهـا أيضـا على المراهقين من الشبـاب والشـابات ، وكان اول من فعل ذلك حمدان القرمطى عندما فرض على أتباعه (الألفة) ، وهى أن يجمعـوا أموالهم فى موضـع واحد وأن يكونوا فيـه كلهم أسوة واحدة ، لايفضـل أحد من أصحابه على صـاحبه ولااخيه فى ملك يملكـه بشىء البتة ، ولما استقـام الأمـر لحمدان ، أمـر أتبـاعه بأن يجمعوا النسـاء فى ليلـة عينهـا ويخلطهن بالرجال حتى يتراكبن ، وزعم ان هذا مـن صحة الود والالف)[٣].

وقـد كانت الاباحية منتشرة بين أتباع القرامطة بل كـانت من أهدافهم النهـائية من أجل (هدم كل القيم والأخلاق الفـاضلة ، وبالتـالى التخلى عن كل الروابط الأسرية . ويؤيد هـذا مامأمر به الجنابى أتبـاعه فى دولة البحرين باقـامة ليلـة سماها ليلة الإفـاضة ، يجتمـع خلالها الـرجال والنسـاء ، وتطفأ الأنوار ، ويمارسون الجنس دون تمييز بين المحللات والمحرمات)[٤].

---

(١) وجاء دور المجوس (٢٢٢-٢٢٣) .

(٢) انظـر : الشيـوعية فى مـوازين الاسلام (١٢-١٣) ، الموجز فى الأديان والمذاهـب المعـاصرة (٩١) ، ناصـر القفارى ، ناصـر العقـل ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٢م ، دار الصميعى للنشر والتوزيع ، الرياض .

(٣) تاريخ أخبـار القرامطة ، ابن سنـان وابن العديم (٩٩-٩١٠٠ ، نقلا مـن الحركـات الباطنية فى العالم الاسلامى (١٦٥-١٦٦) .
وانظر وجاء دور المجوس (٧٠-٧١) .

(٤) الاسمـاعيليون فى المرحلـة القـرمطية ، سامى العياش (٢٣٩) ، نقلا مـن الحركـات الباطنية فى العالم الاسلامى (١٦٥-١٦٦) .

والمؤمن (عند القرامطة لايكمل إيمانه إلا إذا رضى التشريق وهو أن يدخل الرجل إلى حليلة جاره فيطأها وزوجها حاضر ينظر إليه ، ثم يخرج فيبصق فى وجهه ، ويصفع قفاه ، ويقول له : تصبر ، فإذا صبر عد كامل الإيمان وسمى من الصابرة)[١].

ومما يدل على فساد معتقدهم وكذلك إباحيتهم تلك الرسالة التى أرسلها عبيد الله بن الحسين القيروانى[٢]إلى سليمان بن سعيد الجنابى (أوصاه فيها بأن قال له : ادع الناس بأن تتقرب إليهم بما يميلون إليه ، وأوهم كل واحد منهم بأنك منهم ، فمن آنست منه رشدا فاكشف له الغطاء ، وإذا ظفرت بالفلسفى فاحتفظ به ، فعلى الفلاسفة معولنا ، وأنا وإياهم مجمعون على رد نواميس الأنبياء ، وعلى القول بقدم العالم ، لولا مايخالفنا فيه بعضهم من أن للعالم مدبرا لانعرفه ...) .

وقال : (أكرم الدهرية فإنهم منا ونحن منهم ...) .

وقال : (أوصيك بتشكيك الناس فى القرآن والتوراة والزبور والانجيل وبدعوتهم إلى إبطال الشرائع وإلى إبطال المعاد والنشور من القبور ، وإبطال الملائكة فى السماء ، وإبطال الجن فى الأرض ، وأوصيك بأن تدعوهم إلى القول بأنه قد كان قبل آدم بشر كثير فإن ذلك عون لك على القول بقدم العالم ...)[٣].

ثم قال فى آخر رسالته : (وماالعجب من شىء كالعجب من رجل يدعى العقل ثم يكون له أخت أو بنت حسناء وليست له زوجة فى حسنها فيحرمها على نفسه وينكحها من أجنبى ، وماوجه ذلك إلا أن صاحبهم حرم عليهم الطيبات ، وخوفهم بغائب لايعقل وهو الإله الذى يزعمونه ،

---

(١) القرامطة (١٣٠) ، ميكال دى خوية نقلا من كتاب الحركات الباطنية فى العالم الإسلامى (١٦٥-١٦٦) .

(٢) الملقب بالمهدى والد الخلفاء العبيدين وكان يظهر الرفض ويبطن الزندقة .

(٣) قارن بين هذا وبين ماجاء عند ماركس والشيوعيين من بعده ، عن الدين ، والقرآن ، والرسول صلى الله عليه وسلم .

وأخبرهم بكون مالايرونه أبدا من البعث من القبور والحساب والجنة والنار حتى استعبدهم بذلك عاجلا وجعلهم له فى حياته ولذريته بعد وفاته خولا واستباح بذلك أموالهم بقوله {**لاأسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى**}(١) فكان أمره معهم نقدا وأمرهم معه نسيئة وقد استعجل منهم بذل أرواحهم وأموالهم على انتظار موعود لايكون ، وهل الجنة إلا هذه الدنيا ونعيمها؟ وهل النار وعذابها إلا مافيه أصحاب الشرائع من التعب والنصب فى الصلاة والصيام والجهاد والحج؟)(٢).

وبهذا يظهر كفرهم وكذلك إباحتيهم وشيوعيتهم التى ينادون بها ، ومما كانت تردده القيان فى اليمن وهن يلعبن بالدف :

خذى الدف ياهذه والعبى	وبثى فضائل هذا النبى
تولى نبى بنى هاشم	وقام نبى بنى يعرب
فما نبتغى السعى عند الصفا	زورة القبر فى يثرب
إذا القوم صلوا فلاتنهضى	وإن صاموا فكلى واشربى
ولاتحرمى نفسك الراغبين	من أقربين ومن أجنبى
فكيف حللت لذاك الغريب	وصرت محرمة للأب
أليس الغراس لمن غرسه	ورواه فى عامه المجدب
وماالخمر إلا كماء السحاب	طلق فقدست من مذهب)(٣)

فأصبحت الأخت حلالا لأخيها ، حلالا لابنها عندهم .

---

(١) سورة الشورى : آية ٢٣

(٢) الفرق بين الفرق (٢٩٤-٢٩٨) .

(٣) بيان مذهب الباطنية وبطلانه (٨٢-٨٣) ، وانظر كفاحنا فى مقاومة الشيوعية (٧) .

وأما النظام المالى الذى سنه حمدان قرمط فهو :

(فرض على كل من الرجال والنساء درهما سماه (الفطرة) ، ثم فرض (الهجرة) وهى دينار على كل شخص بالغ ، ثم فرض عليهم (البلغة) وهى سبعة دنانير ... وقال : هذا بلاغ من يريد الإيمان والدخول فى السابقين ، فكان من أدى سبعة دنانير عن البلغة أطعمه شيئا حلوا لذيذا فى قدر البندقة وقال له : هذا طعام أهل الجنة نزل إلى الإمام ، وصار يبعث إلى كل داع منها مائة بلغة ويطالبه بسبعمائة دينار عن كل واحدة سبعة دنانير . ثم فرض عليهم الخمس من كل مايملكونه ومايكتسبونه ... فبادروا إلى ذلك وقوموا سائر مايملكونه من ثوب وغيره ، وأدوا منه الخمس ... ثم فرض عليهم الألفة ، وهى أنهم يجمعون أموالهم فى موضع واحد ، وأن يكونوا فيه كلهم أسوة واحدة ، لايفضل أحد من أصحابه على صاحبه ولاأخيه من ملك يملكه بشىء البتة ... وقال لهم : لاحاجة بكم إلى الأموال ، فإن الأرض بأسرها ستكون لكم دون غيركم . وقال لهم هذه محنتكم التى امتحنتم بها ليعلم كيف تعملون ، وألزمهم بشراء السلاح فى سنة ست وسبعين ومائتين . وأقام فى كل قرية رجلا مختارا من الثقات ، فجمع عنده أموال قريته من غنم وبقر وحلى ومتاع وغير ذلك ... ثم لما استقام له ذلك كله أمر أن تجمع النساء فى ليلة عينها ويخلطهن بالرجال حتى يتراكبن ، وقال : هذا من صحة الود والإلف ، ففعلوا ذلك ثم أفشى فيهم إباحة الأموال والفروج والاستغناء عن الصوم والصلاة وجميع الفرائض ، وقال : هذا كله موضوع عنكم ، ودماء المخالفين وأموالهم حلال لكم ، ومعرفة صاحب الحق تغنيكم عن كل شىء ولاتخافون معه إثما ولاعذابا ...)[١].

إن شيوعية القرامطة ليست شيوعية إقتصادية أو إجتماعية فحسب (بل جعلوها أيضا شيوعية إلحادية ، على نفس المنهج الذى سار عليه كارل

---

(١) تاريخ أخبار القرامطة ، ابن سنان وابن العديم (٩٨-١٠٠) .
نقلا من كتاب الحركات الباطنية فى العالم الإسلامى (١٤١) .

ماركس وتلاميذه بعد تسعة قرون من ظهور القرامطة فقد ثبت أنه لم يكن للقرامطة دين أو شعائر دينية)[١].

لقد كان دعاة القرامطة فى كل مكان يقومون بنشر الإباحية والرذيلة فهذا منصور اليمن القرمطى قد انهمك فى تحليل المحرمات وإباحة المحظورات ، وكان يأمر بإلقاء النساء فى الماء فمن أعجبته اجتذبها وافتضها وبنى دارا واسعة ويجمع الرجال والنساء فيها ثم تطفأ الشموع ويضع كل واحد يده على أى امرأة فيقع عليها حتى ولو من محارمه[٢].

إن القرمطية فرع من فروع الإسماعيلية امتازت بنزعتها الإشتراكية التى زعموا أنها تحقق العدل والمساواة بين الناس . ويعتقد المؤرخون أن حركتهم (حركة ثورية إشتراكية) قادها حمدان قرمط فى ضواحى واسط بين الكوفة والبصرة وهى منطقة خصبة للدعاوى الثورية لأن سكانها خليط من العرب والأنباط والزنج المستعبدين ، فتبع حمدان خلق كثير وصل بهم الأمر إلى أن جعلوا كل مايملكون (مشاعا بين الجميع) ولم يعد أحد يملك إلا سيفه وسلاحه[٣].

ثم إن هنا تساؤل :

(هل من المصادفات أن يرجع البويهيون والقرامطة والعبيديون إلى أصول فارسية؟

هل من المصادفات أن تتشابه عقائدهم وأن تكون هى نفسها عقائد

---

(١) إشتراكيتهم وإسلامنا (١٨) .
(٢) لمزيد انظر الحركات الباطنية فى العالم الإسلامى (٦٤-٦٦) .
(٣) إشتراكيتهم وإسلامنا (١٥-١٦) .

مزدك ومانى[١] وزرادشت؟[٢]... وهل من الصدف أيضا أن يتقاسموا العالم الاسلامى؟ وهل من المصادفات أن يلج هؤلاء جميعا من باب التشيع؟ وهل من المصادفات أن يكون المسلمون السنة العدو اللدود لهؤلاء الضالين ، وأن يتعاونوا مع كل عدو للإسلام والمسلمين؟)[٣]

إن دعاوى الباطل تتحد فى حرب دين الله تعالى الحق وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإن خادعت وحاولت التلبس بأساليب ماكرة وهذا حالهم فى كل زمان ومكان . بما فى ذلك القرامطة والإسماعيلية فقد دعوا إلى المحبة والإخاء والألفة والمساواة فى القسمة[٤].

وليست هذه الدعاوى لذاتها حقيقة ، وإنما للوصول من ورائها إلى الهدف والغاية المرجوه وهى إبعاد الدين وإحلال الإباحية مكانه وكان هذا فعل حمدان قرمط عندما فرض على أتباعه الألفة وهى أن يجمعوا أموالهم فى موضع واحد وأن يكونوا فيه كلهم أسرة واحدة لايفضل أحد من أصحابه على صاحبه ولاأخيه فى ملك يملكه وتلا قوله تعالى {**واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا**}[٥].

---

(١) مانى : فارسى الأصل ، مؤسس الديانة المانوية تقوم ديانته على القول بأصلين هما النور والظلمة ، من مؤلفاته الرسائل ، الفصول ، كتاب المزامير والصلوات . ولد ٢١٦م ومات عام ٢٧٣م . انظر موسوعة أعلام الفلسفة (٢/٤٤٨-٤٤٩) رقم (١١٠٤) .

(٢) زرادشت : مصلح دينى إيرانى ، كان له مذهب مستقل حاول نشره فى أذربيجان واصطدم مع الكهنة وقيل أنه مات مقتولا ، من مؤلفاته الآفستا . اختلف فى ولادته فقيل ٧٠٠ أو ٦٣٠ أو ٦٠٠ ق.م - ٥٨٣ ق.م . انظر موسوعة أعلام الفلسفة (١/٥٢٣) رقم (٦١٥) .

(٣) وجاء دور المجوس (٧٧) .

(٤) دعوة متكررة يرددها ويقف من ورائها غالبا اليهود وأعداء الله ظهرت منذ القدم فى بعض الدعوات الإشتراكية ، وكذلك فى الثورة الفرنسية والبلشفية .

(٥) سورة آل عمران : (١٠٣) .

وتلا عليهم قوله تعالى : {**لو أنفقت مافى الأرض جميعا ماألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم**}[١].

وعرفهم أنه لاحاجة بهم إلى أموال تكون معهم لأن الأرض بأسرها ستكون لهم دون غيرهم فلما استقام لحمدان الأمر ومال الناس إليه أمر الدعاة أن يجمعوا النساء ليلة معروفة ويختلطن بالرجال وقال إن ذلك من صحة الود والألفة بينهم[٢].

إن هذه الاباحية وإبطال شرع الله تعالى هى الغاية التى يرجوها أصحاب تلك الدعوات الإباحية .

---

(١) سورة الأنفال : (٦٣) .

(٢) انظر نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام (٣٢٣/٢) .
وانظر الحركات الباطنية فى العالم الإسلامى (١٦٥) .

ثانيا : البابكية (الخرمية) :

حملت هذه الطائفة فكرا إشتراكيا ولاغرابة فى ذلك إذا عرف تاريخ زعيمها وعرفت أفكاره والأصول المستمدة منها .

يقول ابن الجوزى بعد أن ذكر أن من أسماء الباطنية البابكية : (هو اسم لطائفة منهم تبعوا رجلا يقال له بابك الخرمى وكان من الباطنية وأصله أنه ولد زنى فظهر فى بعض الجبال بناحية أذربيجان سنة إحدى ومائتين وتبعه خلق كثير واستفحل أمره واستباح المحظورات وكان إذا علم أن عند أحد بنتا جميلة أو أختا جميلة طلبها فإن بعثها إليه وإلا قتله وأخذها وملك على هذا عشرين سنة فقتل ثمانين ألفا وقيل خمسة وخمسين ألفا وخمسمائة إنسان ...)[١].

وقد حارب المسلمين كثيرا حتى تمكنت جيوش المسلمين من القضاء عليه عام ٢٢٣هـ[٢].

ورابطتهم بعقائد المزدكية رابطة واضحة مما يدل على تأثرهم بهم وامتداد أصولهم إليهم . فقد أرجع البغدادى أصول الخرمية إلى المزدكية فاعتبر أن الخرمية صنفان وهم المزدكية والصنف الثانى الخرمدينية وهم فريقان البابكية ومازيارية[٣].

وقد عملت الخرمية سرا واتصلت بالحركات الشيعية واتخذت من التشيع ستارا لها لبث أفكارها كما اتخذت القرامطة من المزدكية شيوعيتها كذلك الخرمية ، وهذه الدعوة الإباحية وجد لها دعاة زمن الدولة العباسية ومن أوائل الدعاة لها الداعى العباسى عمار بن بديل المقتول عام ١١٨هـ وغرس غرسا متينا للخرمية على الإباحية والتملك من الدين ومحاربة الاسلام مع التستر فى ذلك كله بالتشيع[٤].

---

(١) تلبيس ابليس (١٢٠-١٢١) .
(٢) انظر المرجع السابق (١٢١) .
(٣) انظر الفرق بين الفرق (٢٦٦) .
(٤) انظر نشأة الفكر الفلسفى (٢٠٥/١) .

إن هذه الحركات وغيرها قد اتخذت من حب آل البيت ستارا تنفث من خلفه سموم الإباحية والإلحاد ، وقد اتخذت من الفكر المزدكى أساسا لها تسير عليه فجاءت بالأفكار الإشتراكية ، وبهذا اعتبرناها الدور الثالث من مراحلها التاريخية ، على أن ذلك لاينفى وجود بعض الأشخاص فى فترة تلت ذلك التاريخ تدعو لنفس الأفكار وتصارع من أجلها ولكنها تميزت فى هذه الفترة عن غيرها من الفترات إلى أن راجت فى زمن آخر وتبناها دعاة آخرون .

المبحث الرابع
المرحلة الرابعة : الإشتراكيون الطوباويون

ويمكن تقسيم هذه المرحلة إلى قسمين :
القسم الأول : الطوباويون الأوائل .
القسم الثانى : أساتذة ماركس (الطوباويون الأواخر) .
ولعل لهذا التقسيم مايبرره :
أولا : أن هؤلاء الأساتذة مثلوا تحولا فى الفكر الإشتراكى وأثروه أكثر من غيرهم .
ثانيا : أن زعيما الشيوعية العلمية ماركس وانجلز قد اتخذا من هؤلاء أصولا لأفكارهم وتأثروا بهم فى وضع أصول شيوعيتهم .
ثالثا : قرب الزمن بين هؤلاء الأساتذة وماركس ولاشك أن لذلك أثره فى فكره واصطباغه بطابع تفكيرهم .
رابعا : أن هؤلاء عاصروا الثورات التى قامت فى وجه الأنظمة الإستغلالية مما زاد فى نشر أفكارهم ودعواتهم الإشتراكية والتأثر بها أكثر من غيرهم .

فأولا : الإشتراكية الطوباوية يجدر بنا ان نعرف ماذا يقصد الإشتراكيون أنفسهم بالإشتراكية الطوباوية فهى كما يعرفونها (مجموع النظريات الإجتماعية التى تجلى منها بشكل غير ناضج بعد السعى لإقامة مجتمع من طراز جديد لاوجود فيه لاستغلال الإنسان للإنسان ولجميع الأشكال الأخرى لعدم المساواة الإجتماعية)[1].

ويظهر من التعريف أن الإشتراكية الطوباوية مجرد نظريات وضعت لتحقيق الحياة الإشتراكية فى المجمعات الانسانية وتعتبر الإشتراكية الطوباوية الشكل الأول لنفى الظلم سواء كان قبل الإقطاع او الرأسمال لتحقيق النظام الإجتماعى .

---

(١) المعجم (٣٩) .

ويرى بعض الباحثين أن هذه الإشتراكية وجدت منذ زمن سحيق غير أنها بلغت أوجها فى أوروبا الغربية على يد توماس مور[١] الذى حلم باقامة ملكوت الرب على الأرض الذى كان يقصد به المجتمع الخالى من الفوارق الطبقية والخاصة وبدون سلطة الدولة المنعزلة الغريبة[٢].

وقامت دعوة توماس مور فى وسط الاضطراب الاجتماعى والفلسفى ويعتبر (من أئمة الشيوعيين الخياليين فى العالم والذى أسهم بقدر كبير من الآراء التى أثرت فى الفكر الشيوعى بعد ذلك فأكسبته مزيدا من الذيوع والانتشار . ولقد تأثر (مور) بالظروف الإقتصادية الجارفة التى كانت تمر بانجلترا فى أوائل القرن السادس عشر حينما كان يلقى بأغلال العهد الاقطاعى لتتحول إلى دولة من التجار . وقد رآها بالفعل وهى تتحول من طابع الاقتصاد الريفى إلى الإقتصاد النقدى ومن تنظيم الدولة لأموال العمل والنشاط الصناعى إلى الإقتصاد الرأسمالى الفردى الحر . فبدأ يشعر بأنه لابد من القيام بعمل يكون من شأنه إدخال تعاليم أخلاقيةمثالية على هذا النظام الإقتصادى والإجتماعى المتغيرين ، ووضع كتابه (تيوبيا) فى ظل هذا الاعتقاد)[٣].

(وكان ذلك عام ١٥١٦م وهاجم النظام الإجتماعى الذى كان قائما عندئذ وموقف النبلاء الذين كانوا يعيشون على غيرهم . وقال بأن المجتمع العادل يقوم على أساس يختلف أساسا عن الملكية الفردية وقياس قيم الأشياء بالنقود)[٤].

---

(١) لاهوتى ألزاسى ، جال أنحاء فرنسا وأوروبا الوسطى ، كان معاديا لفكر لوثر ، من مؤلفاته مؤامرة المجانين ، المجنون اللوثرى الكبير ، ولد عام ١٤٧٥ ومات عام ١٥٣٧ . انظر موسوعة أعلام الفلسفة (٤٧٩/٢-٤٨٠) رقم (١١٤٥) .

(٢) انظر المعجم (٤٠) ، وانظر الشيوعية فى موازين الاسلام (١٩) .

(٣) النظم الإقتصادية المعاصرة (١٤٦) .

(٤) دراسات فى الإقتصاد السياسى (١٣٨/١) ، عيسى عبده ، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م ، وانظر الاتجاهات الفكرية المعاصرة (١٦١) .

ويقول توماس مور عن الملكية الخاصة التى يرى أنها سبب الظلم والاضطهاد (حيث تكون الملكية خاصة يصعب بل يستحيل أن تحكم الدولة حكما عادلا أو أن ينشر فيها الرخاء) .

وقال : (لقد أصبحت مقتنعا بأن لاسبيل إلى التوزيع العادل لكل شىء أو الاستفادة الكاملة من الثروة إلا بإلغاء الملكية الخاصة ، أما وهى لاتزال قائمة فسترزح الغالبية الكبرى للسكان تحت عبء الفقر الثقيل)[١].

ومع ذلك بقيت أفكار توماس مور أفكارا خيالية إلا أنها حملت فكرا شيوعيا ولعل الوضع الذى كانت تعيشه أوروبا دعى مور وغيره إلى إبراز هذه الأفكار علها تحسن من الوضع شيئا . جاء فى كتاب النظم الإقتصادية : (ان أبلغ وصف عنها[٢]أنها ليست أكثر من خيال جذاب صدرت عن رجل إنسانى خير آلمه مارآه من شرور نتجت عن حدوث بعض التقدم فى النواحى الإقتصادية البريطانية ، ذلك التقدم الذى أسفر عن الكثير من التناقضات الإجتماعية التى أثرت فى نفسية الرجل وخياله الخصب فكتب ماكتب دون أن يكون وراء ذلك حصيلة علمية عميقة)[٣].

ومن هنا فكان لهذه الإشتراكية أسباب للظهور فى أوروبا الغربية منها الرأسمالية وتفشى الظلم والاستغلال فى المجتمع فكانت هذه الآراء ردود أفعال للأوضاع القائمة هناك رغبة فى إصلاح الوضع[٤].

يقول د. النمر : (فى عهد النهضة الأوربية وفى ظلام الإقطاع الأوروبى للطبقات العاملة وأمام العجز عن مجابهته مع هذا الظلم وفى هذا الظلام اتجهت أفكار بعض الكتاب والفلاسفة إلى كتابة قصص يصورون فيها المجتمع المتكافىء الذى ينشدونه وكأن ذلك كان تعويضا لهم عما يفتقدونه ويعجزون عن تحقيقه فى عالم الواقع ... ولكن كانت تلك الكتابات على كل

---

(١) يوتوبيتا ومحاوره الراحة (٤٣-٤٤) ، نقلا من كتاب النظم الإقتصادية المعاصرة (١٤٦-١٤٧) .

(٢) أى آراء توماس مور .

(٣) (١٤٧) .

(٤) انظر تاريخ النظريات الإقتصادية (١٣٩) .

حال تمهيدا لما ظهر بعد ذلك)[١].

ومن هؤلاء الإشتراكيين :

مورلى[٢]ونجد أنه قدم (فى كتابه "قانون الطبيعة" مشروعا كاملا للشيوعية مبرزا بصورة متقنة الأسس التى يقوم عليها المذهب الشيوعى ، ولكن أهمية الكتاب تتركز فى تأكيد تفوق الشيوعية على الفردية من الناحية الأخلاقية)[٣]. وقد اعتبر مورلى أن الملكية الفردية أفسدت الإنسان وسببت له الشقاء[٤].

واعتبر أن هذه الملكية السبب الحقيقى وراء الاجحاف والظلم وضمن كتابه النظام الإجتماعى القائم على الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج باسهاب وكانت هذه إحدى الدعوات التى انطلقت فى سبيل تحقيق الإشتراكية والمناداة بها .

ومن هؤلاء :

كامبانيلا[٥]من ايطاليا نادى بالأفكار الإشتراكية فى كتابه (مدينة الشمس) أوضح فيه النظام الاشتراكى لمدينته هذه وأصدر هذا الكتاب عام ١٦٢٣م وإن كانت مدينته مزيجا من جمهورية أفلاطون ، والمدينة الخيالية ، وكاثوليكية العهد الإقطاعى وجعل مدينته هذه قائمة على شيوعية الأموال

---

(١) الماركسية بين النظرية والتطبيق (١٨) .

(٢) فيلسوف فرنسى ، تأثر بالأفكار الإشتراكية الفابية ، من مؤلفاته قانون الطبيعة ، محاولة فى الذهن البشرى ، ولد عام ١٧٥٠م . موسوعة أعلام الفلسفة (٤٧٩/٢) رقم (١١٤٤) .

(٣) النظم الإقتصادية المعاصرة (١٤٨) .

(٤) انظر دراسات فى الاقتصاد السياسى (١٣٨/١) ، وانظر الفكر الماركسى (١٧٨) .

(٥) فيلسوف ايطالى ، اتهم بالهرطقة وهرب إلى روما ، أمرت محكمة التفتيش بمصادرة كتاباته . من مؤلفاته ملكية المسيح ، الميتافيزيقا ، ولد عام ١٥٦٨م ومات عام ١٦٣٠م . انظر موسوعة أعلام الفلسفة (٢٤١/٢-٢٤٢) رقم (٩٣٦) .

والنساء وإغفال الملكية الفردية والزواج[١].

ومن هؤلاء :

مابلى[٢]: و(جعل فكرة المساواة شغله الشاغل ، فصمم على ضرورة إيجاد نظام من المساواة الاقتصادية يعلو كافة النظم الاقتصادية السائدة وعلى الدولة ، بوصفها المالكة لعوامل الانتاج ، أن ترى مسألة التوزيع المتساوى بين المواطنين ، ولكن (مابلى) لايعرف شيئا عن الطريقة التى يحدث بهاالتغير فالثورة - فى رأيه - قد تكون ضرورية ، إلا أن عملية التغير الحتمى البطيئة (أو بمعنى أصح التطور الهادف) هو الوضع الأسلم)[٣].

ومن أصحاب الأفكار الإشتراكية :

جان جاك روسو (١٧١٢-١٨٧٨م) .

شنع روسو على الملكية الفردية كغيره من دعاة الإشتراكية ، ونادى بالمساواة والحرية ليزول القلق والازعاج الذى يعيشه الناس واعتبر الملكية الفردية من صنع الإنسان وفعله[٤]حيث (أعلن روسو أن الملكية الخاصة سرقة ولم يكن لها وجود فى حالة الطبيعة)[٥].

---

(١) انظر : الاتجاهات الفكرية المعاصرة (١٦١) ، دراسات فى الاقتصاد السياسى (١٣٨) الشيوعية فى موازين الإسلام (١٤) ، الفكر الماركسى (١١) ، الماركسية بين النظرية والتطبيق (١٩) .

(٢) مابلى : فيلسوف ومؤرخ فرنسى ، كان معاديا للملكية الفردية ، وكان يؤمن بالتسامح بين الأديان ، من مؤلفاته ملاحظات حول الرومان ، ملاحظات حول تاريخ فرنسا ، ولد عام ١٧٠٩م ومات عام ١٧٨٥م . انظر موسوعة أعلام الفلسفة (٤١٢/٢-٤١٣) رقم (١٠٨١) .

(٣) النظم الاقتصادية المعاصرة (١٤٨) .

(٤) كذلك فكر ماركس مؤداه لذلك الأمر .

(٥) المذاهب الإقتصادية الكبرى (٨٢) ، جورج سول ، ترجمة راشد البراوى ، وانظر الفكر الماركسى (١٧٨) .

ومن الحركات التى طالبت بتطبيق الإشتراكية والملكية الجماعية :
حركة بابيف[١].

وهو مفكر إشتراكى ، ظهر فى أعقاب الثورة الفرنسية (آمن بالمساواة وتحمس لها أشد التحمس . ولما تبين له أن الثورة توقفت بعيدا عن تحقيق مثله العليا ، بل تراجعت ونكصت أمام الرجعية ، قرر مع جماعة صغيرة من أعوانه ، القيام بعمل حاسم وهذا هو سبب تأليفه كتابه المشهور (مؤامرة المتساوين) ، الذى دعا فيه ، بجرأة ، إلى الشيوعية الكاملة هدفا ، وإلى الثورة وسيلة)[٢].

وقد ركز كثيرا على قضية المساواة وقال : (لقد وهبت الطبيعة الناس جميعا حقوقا متساوية فى التمتع بكل الطيبات)[٣].

وقال : (نحن نطالب بحقنا فى أن نعيش ونموت كما ولدنا متساوين نحن نريد المساواة الحقيقية أو الموت . إن الثورة الفرنسية ليست إلا بشيرا بثورة أخرى أقوى تكون هى الثورة الأخيرة . إن الأرض ليست ملكا لأحد ، وإنما هى ملك للجميع)[٤].

وقام بابيف بمحاولة فرض دعوته هذه بالفعل فثار على النظام الذى يقتصر على فئة معينة من الناس فى حق الانتخاب وغيره ودبر المؤامرة

---

(١) فيلسوف فرنسى ، كانت له آراء إشتراكية ، أصدر هو وجماعة مجلة "منبر الشعب" فسجن لآرائه المتطرفة ، وعقب الافراج عنه أنشأ جمعية أسماها "جميعة الأكفاء" وحاول وأتباعه الإنقلاب على الحكم وإسقاطه ، فقبض على بابيف ، وحكم عليه بالإعدام . ولد عام ١٧٦٠م ، ومات عام ١٧٩٧م . انظر الدراسة عن بابيف فى كتاب الإشتراكية العربية (٨٢) ومابعدها .

(٢) النظم الإقتصادية المعاصرة (٢٥٨) .

(٣) المذاهب الإقتصادية الكبرى (٨٣) .

(٤) النظم الإقتصادية المعاصرة (٢٥٨) .

للقضاء على الأنظمة التى كان يرى أنها تقف فى طريق تحقيق ماينادى به من إشتراكية . يقول جورج سول : (ويعتبر فرنسوا اميل بابيف ابن الثورة ونصير عهد الإرهاب وقد دبر مؤامرة لقلب حكومة الإدارة وإقامة مجتمع شيوعى "[١].

وقد سميت هذه المؤامرة بمؤامرة الاكتفاء ، او مؤامرة المتساوين لأنها كانت تهدف إلى المساواة بين الناس . وأصدر مجلة بعنوان منبر الشعب يعبر فيها عن آرائه ، غير أنه سجن وبعد خروجه من سجنه أعاد الكفاح وأسس جمعية اسماها (جمعية الأكفاء) وأعدت هذه الجمعية بيانا جاء فيه (إن الطبيعة منحت كل إنسان حقا متساويا فى التمتع بكل المنتجات ياأبناء فرنسا اعترفوا بجمهورية الأكفاء وأعلنوا معنا قيامها)[٢].

ونادت حركة بابيف بعدة أمور :

أولا : تأميم جميع المؤسسات والثروة .

ثانيا : إلغاء الميراث .

ثالثا : من لم يقم بعمل نافع يحرم من الحقوق السياسية .

رابعا : يكون الغذاء والكساء واحدا للجميع .

خامسا : يجب أخذ الأطفال من أهاليهم وتنشئتهم على أساليب المجتمع الجديد[٣].

وهذه الأمور التى نادت بها حركة بابيف نجد أن دعوة ماركس قد أخذتها ، وأضافت عليها ، مما يدل على أن ماركس قد تأثر بهولاء غاية التأثر وقد اعترف هو وانجلز والشيوعيون من بعد بأن الإشتراكية الطوباوية عموما قد أسهمت إسهاما كبيرا فى نضج الأفكار الماركسية .

---

(١) المذاهب الإقتصادية الكبرى (٨٣) .

(٢) انظر الإشتراكية العربية (٨٣-٨٤) .

(٣) انظر المذاهب الإقتصادية الكبرى (٨٣) .

ثانيا : أساتذة ماركس (الطوباويون) :

كـان لهـولاء الإشتراكيين أثر كبير فى فكـر مـاركس ، وقـد اعترف الشيوعيون بذلك ، وامتدحوا هؤلاء الطوباويين السابقين لماركس وهم شارل فورييهوسان سيمون ، روبرت أوين[١].

وكان اهتمام الشيوعيين بهم ـ كما يزعمون هم ـ لأنهـم انتقدوا وبلا رحمـة (مفـاسد وعيوب المجتمـع الـرأسمالى ، ورسموا خططـا جريئـة لنظام إنسـانى منسجم للمستقبل خال من الإستغلال والاضطهـاد ، ولكن مهما كان عطفهـم على العمـال الفقراء والتعسـاء حتى ذلك الحين عظيمـا ، ومهمـا كان وصفهـم لتوقان الشغيلة إلى مجتمـع خال من الإستغلال صـادقا فإن نظرياتهم كان يعوزها أساس علمى موضـوعى . لقـد كانوا يناشـدون الحكـام والملاك الشفقـة والتفهم ، ولم يدركوا القـوة لدى البروليتاريا نفسهـا . وبالتـالى فإن تعـاليمهم كانت مشربة بإنسانيـة عميقة ولكنها بقيت أفكـاراً خيـالية ، أحلاما مبنية على الرغبة بمجتمع إنسانى مثالى)[٢].

وقد استفاد مؤسسا الماركسية من هؤلاء فى بناء إشتراكيتهـم باعترافهم .

يقـول انجلـز : (إن الاشتراكيـة النظرية لن تنسـى قـط أنها قامت على أكتاف سان سيمون وفورييه وأوين ثلاثة رجال رغم كـل مفاهيمهم الخيالية وكـل طوباويتهم يقفون بين أعظـم المفكرين فى كل العصـور والذين تنبأت عبقريتهم بالكثير مما نثبت نحن الآن صحته علميا)[٣].

ويقول : (كانت إشتراكية أوروبا الغربية أحد مصادر الماركسية الثلاثة انتقد الإشتراكيون الطوباويون كلود هنرى ، سان سيمـون ، شارل فورييه فى فرنسا وروبرت أوين فى انجلترا فـوضى الإنتـاج التى كـانت سـائدة فى عهـد الـرأسمالية وكـذلك تنـاقض الملكيـة الخاصـة مـع المصالح العـامة وخضـوع

---

(١) انظـر سيرة حياة كارل ماركس (٣٨) ، مجموعة من المؤلفين السـوفييت ١٩٧٨م ، دار الفارابى ، بيروت .

(٢) المرجع السابق (٣٨) .

(٣) حرب الفلاحين (٢٢) .

الجموع المشتغلة لسلطة رأس المال والنقود)[١].

ومع ذلك يرى مؤسسا الماركسية أن هؤلاء لم يتمكنوا (من إيجاد الطرق الصحيحة للإنتقال إلى المستقبل الجديد للمجتمع ، لانهم لم يفهموا الرسالة التاريخية للبروليتاريا ، لقد ارادوا الوصول إلى الإشتراكية بدون صراع طبقى وعن طريق العقل والمنطق وربطوا الانتقال إلى النظام الإجتماعى العادل فقط بتطور الوعى واعتبار الرأسمالية نظاما غير أخلاقى ولذا فقد وزعوا مؤلفاتهم على عظماء العالم . القياصرة وأصحاب البنوك وغيرهم ، محاولين إقناعهم باستخدام سلطاتهم ووسائلهم لإقامة مجتمع عادل كذلك الذى رسموه فى مؤلفاتهم وسعوا لتدعيم أفكارهم بالعمل عن طريق إقامة الكومونات[٢]التى أرادوا أن يروا فيها صورة مصغرة للمجتمع الآتى ، غير أن هذه البدايات لم تعط فى ظل الرأسمالية النتائج المرجوة منها)[٣].

وهذه لمحة عن أهم أفكارهم الإشتراكية .

أولا : سان سيمون[٤]:

كثيرا ماوجه سان سيمون إنتقاده للنظام الرأسمالى واحتل هذا الأمر مكانة خاصة فى مؤلفاته . واهتم بالعوامل الإقتصادية إهتماما كبيرا وكان يرى أن العصر الذهبى للمجتمع لم يأت بعد وإنما يتحقق فى المستقبل حيث إن الرأسمالية لاتحقق شيئا للجماهير ولاللعمال و(اعتبر عيبها الأساسى فوضى الإنتاج والتوزيع وكذلك التنافس وإفقار الجماهير الواسعة والوضع المزرى للعمال)[٥].

---

(١) نقلا من كتاب تاريخ النظريات الإقتصادية (١٤٠) ، وانظر المعجم (٤١-٤٢) .

(١) الكومونة من الكلمة اللاتينة (Communis) مشترك عام . انظر المعجم (٣٤٨) .

(٣) تاريخ النظريات الإقتصادية (١٤٠-١٤١) .

(٤) اشتراكى طوباوى فرنسى ترك ثروة أدبية غنية منها رسائل إلى المعاصرين ، الصناعة أو المناقشات السياسية والأخلاقية والفلسفة ـ حول النظام القيادى ـ تعاليم رجال الصناعة ـ المسيحية الجديدة ، ولد عام ١٧٦٠م ومات عام ١٨٢٥م . ولمزيد من المعلومات عنه وعن حركته انظر الإشتراكية العربية (٨٦) ومابعدها .

(٥) تاريخ النظريات الإقتصادية (١٤١) .

وطرح سان سيمون أنظمة جديدة تتفق مع أهداف المجتمع الجديد التى تختلف جذريا عن أهداف المجتمع القديم ، واعتبر أن أهم أهداف المجتمع الجديد إنتاج الأشياء الضرورية والمفيدة وعلق الآمال على أن تطور الإنتاج سيؤدى إلى الرفاه لجميع الناس مما سيسمح لهم بالإرتقاء فى تطورهم العقلى ولكن اعتبر سان سيمون أنه لاكتمال سعادة البشر وتأمين حاجاتهم الفيزيائية والروحية لابد من سيادة علاقات المودة المتبادلة بين البشر[١].

ودعا سان سيمون إلى القضاء على التنافر والصراع والحروب واعتقد أنه بهذا النظام الجديد يؤدى إلى قيام الملكية العامة للصناعة مع بقاء الملكية الخاصة لإدراك الاستهلاك ودعا إلى حصول كل فرد على الدخل الذى يتناسب مع مايؤدى من خدمات كما أنه فى ظل هذا النظام لامكان للخاملين أغنياء كانوا أم فقراء[٢].

وهذا هو مبدأ الشيوعية القائل من كل بحسب طاقته ولكل حسب عمله .

إن أثر سان سيمون فى الحركة الإشتراكية العالمية واضح بلاشك فقد كان رائدا حينما أكد أهمية العمل فى نمو الإنسان وتطوره وحينما جذب الاهتمام لمعالجة مايترتب على الملكية ، من فساد لاحد لها)[٣].

وبعد هذا العرض يمكن تلخيص الأسس التى قامت عليها فلسفة أتباع سان سيمون كما أوضحوها فى البيان فى ثلاث نقاط هى :

(أولا : يجب أن تتجه كل المذاهب والنظم الإجتماعية إلى تحقيق الرفاهية للطبقة الأكثر عددا والأشد فقرا .

ثانيا : يجب أن تزول جميع المزايا التى تؤول إلى الشخص عن طريق الوراثة دون أى إستثناء فى ذلك .

---

(١) انظر تاريخ النظريات الإقتصادية (١٤٢) .

(٢) انظر المذاهب الإقتصادية الكبرى (٨٤-٨٥) .

(٣) النظم الاقتصادية المعاصرة (٢٦١) .

ثالثا : يجب أن يجازى كل شخص وفقا لقدرته وأن تكافأ كل مقدرة تبعا لإنتاجها)[١].

وبالعموم فـ(إن سان سيمون وأتباعه كانوا أصحاب مذهب فكرى إشتراكى وليس هناك من ينكر أن المدرسة السان سيمونية قد أثرت فى أفكار الكثيرين ومنهم كارل ماركس نفسه الذى اتصل بهم وتعلم منهم الكثير أثناء اقامته فى باريس)[٢].

وقد أثنى ماركس على سان سيمون فى فكره ، لأنه اعتبر الإقتصاد طاغيا على السياسة ، وأن التحكم السياسى بالناس سيتحول إلى تحكم بالأشياء[٣]. وهذا يخدم فكرة ماركس التى تقوم على أن العامل الإقتصادى يتحكم بكل شئون الحياة .

ثانيا : شارل فورييه (١٧٧٢-١٨٣٧م)[٤]

قام فكر فورييه على نقد الرأسمالية وصب جام غضبه عليها . وألمح إلى مسألة استغلال الرأسمالى فى القيمة التى تؤخذ دون مقابل .

و(كان محور اهتمام فورييه منصبا على وضع الشعب الكادح الذى كان على حد قوله عبدا للأغنياء مادام سائدا نظام الحضارة وأشار بامتعاض أنه فى ظروف الرأسمالية ينظرون إلى الفقراء وكأنهم حيوانات مسخرة لتحمل كافة الاهانات ...) .

---

(١) نقلا من كتاب الإشتراكية العربية (٨٩) .

(٢) الإشتراكية العربية (٩٠) .

(٣) انظر الفلسفة الماركسية فى القرن التاسع عشر (٣٠/١) .

(٤) فيلسوف فرنسى درس الفيزياء والفلك ، وفلسفة قدماء الاغريق ، انتقد الرأسمالية بعنف . من مؤلفاته الرابطة الزراعية والمنزلية ، الحركات الأربع والمصير المشترك . ولد عام ١٧٧٢م ومات عام ١٨٣٧م .

انظر : تاريخ النظريات الإقتصادية (١٤٣) ، إصلاح إجتماعى أم ثورة (٩٧-٩٨) روزا لوكسمبورغ ، دار دمشق للطباعة والنشر ، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها

و(تصور فوربيه المجتمع عادلا منسجما مكونا من روابط قائمة دون إكراه على أساس التحقيق الواسع لمتطلبات كافة الناس ويعتقد أن الانسجام الاجتماعي يؤدى إلى إقامة (وحدة شاملة) على الأرض وإلغاء الحروب والظلم والفقر وافترض فوربيه أنه سيتم فى المستقبل اندماج كافة الطبقات وسيقوم مجتمع لاطبقى على أساس احترام الانسان ...)[١].

وقد لقيت أفكار فوربيه تقديرا بالغا من ماركس وانجلز وأثرت على الفكر الإقتصادى والإجتماعى فى فرنسا وانجلترا والمانيا وايطاليا[٢].

واستفاد منها ماركس حتى غدت الإشتراكية الفرنسية من الخطوات الأولى فى تحول ماركس إلى الشيوعية[٣].

ثالثا : روبرت أوين[٤]:

كانت حياة أوين الخاصة ممهدة لظهور الفكر الاشتراكى من قبله . (فقد كان يملك مصنعا كبيرا للنسيج فى اسكتلنده ، يعمل فيه أكثر من خمسمائة عامل وجمع فى شبابه ثروة مكنته من أن يكون ضمن أثرياء مجتمعه . إلا أن روحه الاجتماعية الإنسانية ونظرته الواقعية إلى الأمور دفعته إلى نقد النظام الرأسمالى ، وماترتب عليه من مساوىء ، وإلى المطالبة بتغييره تغييرا عميقا ، وفى سبيل تحقيق هذا الهدف كرس جانبا كبيرا من جهده وماله للدعاية لأفكاره ففى ثلاثة عشر عاما ألقى ألف محاضرة ، ووجه خمسمائة نداء ، وكتب ألفى مقالة وأسس إحدى عشرة جريدة وكان يجوب المدن الصناعية يتحدث ويخطب ويناقش مدافعا بحماس مستمر ، عن

---

(١) تاريخ النظريات الإقتصادية (١٤٤-١٤٥) .

(٢) المرجع السابق (١٤٦) .

(٣) انظر الفلسفة الماركسية فى القرن التاسع عشر (٣٠/١) .

(٤) إشتراكى طوباوى ، ولد فى ويلز ، لقب بأب الإشتراكية البريطانية ، وانتقد المذهب الرأسمالى بشدة ، له عدة مؤلفات منها : حول تغيير الطابع البشرى ، ملاحظات حول تأثير النظام الصناعى . ولد عام ١٧٧١م ، ومات عام ١٨٥٨م .
انظر : تاريخ النظريات الإقتصادية (١٤٧) ، الإشتراكية العربية (٩٤) ومابعدها .

مفهوم مجتمعه)[١].

وقد عامل العمال فى مصنعه معاملة حسنة واعتبر أن الاهتمام بهم مقدم على الألات .

حيث لاحظ أن العمال من أسوأ الناس حالا رغم عملهم إلى درجة الإعياء فساءه ذلك فقام بخفض الساعات للعمل وزاد الأجور وبنى بيوتا نموذجية وأدخل التعليم المجانى والحق جميع الأطفال بالمدارس دون سن العاشرة والذين لاحاجة إليهم فى الخدمة ، ووفر الغذاء والملبس بأثمان مخفضة كما ألغى نظام فرض الغرامات على من أفسد العمل[٢].

ويرى أنه لابد من تحقيق السعادة وأن الفرد لابد أن يتيح الفرصة أمام الآخرين ليكونوا سعداء فلابد من المشاركة ، فيقول : (إن الغرض الأساسى من الوجود هو أن تكون سعيدا ولكن السعادة لاتتحقق بشكل فردى ولافائدة من توقع سعادة منعزلة عن المجتمع فالكل يجب أن يشارك فيها وعلى ذلك فإن الإنسان لايستطيع أن يكون له سوى اهتمام واحد حقيقى وجوهرى وهو إتاحة الفرصة أمام كل فرد من الجنس البشرى على أن يكون سعيدا ، بقدر مايسمح به التكوين الأصلى لطبيعته)[٣].

ويقول : (إن الطبيعة خيرة فى حد ذاتها ، بيد أن المجتمع سىء وأنانى ... والشر يكمن فى المؤسسات الاجتماعية التى أنشأها الإنسان لافى الانسان نفسه . ومن هنا فاذا أردنا تطوير الوجود الإنسانى والارتقاء به فعلينا بتعديل هذه المنشآت الإنسانية وتلك البيئة التى يعيش فيها الإنسان وصحيح أن المجتمع الرأسمالى سىء التكوين ويرتكز على أسس مجافية للعقل ومنافية لقوانين الطبيعة ، إلا أن أمره يصبح سهلا هينا لمهندس ماهر ، يستطيع بناءه وفقا لخطة يجلها العقل وتستمد منهجها من الطبيعة المليئة بالخير) .

---

(١) النظم الإقتصادية المعاصرة (٢٦١-٢٦٢) .

(٢) انظر المذاهب الإقتصادية الكبرى (٨٩-٩٢) ، وذكر أن عدد عمال المصنع يبلغ قرابة الألفين .

(٣) النظم الإقتصادية المعاصرة (٢٦٢) .

ويقـول : (لقد منحتنا الطبيعة التربة الصالحة القـادرة على أن توفر لنا كل مانحتاجه ، ولكننا بجهلنا زرعنا الشوك بدلا من الكـروم) وهنا نجد أوين كأغلب الإشتراكيين الخياليين ، فى فـرنسا وانجلترا يبنى نظـريته على أخلاقيات ميتافيزيقية)[١].

ويرى أوين أن العمل من أهم مايدفع روح الشيـوعية ويعتبره مصدر الثروات المادية والـروحيـة حيـث (سيصبح واجبا حتميـا على كـل فرد سليم الجسـم ويجب أن يعمل فى هـذا المجتمع مبدأ : من كـل حسب قدرته ولكل حسـب عملـه واعتبر أوين أنه مـن الضـرورى تنظيم العمـل بحيـث تتعـاقب أعمـال الـزراعة والصنـاعة وأمـا تربيـة الجيل الجديد فكـانت تفترض نشـاطا متعـدد الجوانب للشبيبـة واعتقـد أنه مـن الضرورى تربيـة أعضـاء المجتمـع الجديد فى روح الشيوعية)[٢].

ويمقـت أوين النظم الإقتصادية القـائمة على الحرية والمنـافسة ويعتبرهـا سبـب الشقاء بيد أصحاب رؤوس الأموال وزيادة فى بؤس العمـال ، جاء فى كتـاب الإشتراكية العربية للجمـل : (والفكرة الأساسيـة الأولى لـدى روبرت أوين هـى مقته الشديد للنظم الإقتصادية القائمة على مبـدأ الحرية والمنافسة . وفى هـذا يقف أوين على النقيـض من الإقتصاديين الكلاسيكيين الـذين كانوا يؤمنـون بتلقائية القوانين الإقتصادية ويدعون إلى عـدم تدخل الدولة اطلاقا وإلى ترك الحياة الإقتصادية حرة من كل قيد وكانوا يؤمنون فى نفس الوقت بأن المنافسة بين المشروعات هى سبيل تحقيق الصالح العام .

وقـد رفـض روبرت أوين ذلـك كله رفضا شديدا فهــو لم يكـن يؤمن بالحرية الإقتصــادية المدعــاة وكــان يدعـو إلى ضـرورة تنظيم هــذه الحيــاة الإقتصادية على أسس تغاير الفكر التقليدى تمام المغايرة وكـان يحمل المنافسة بين أصحاب رؤوس الأموال وزاد شقاء العمال وبؤسهـم . يقول أوين معلقا

---

(١) النظم الإقتصادية المعاصرة (٢٦٢-٢٦٣) .

(٢) تاريخ النظريات الإقتصادية (١٤٨-١٤٩) .

على مبدأ الحرية الإقتصادية (إن المبدأ الذى يدعو إليه هؤلاء الإقتصاديون بدلا من أن يؤدى إلى زيادة الثروة كان هو نفسه السبب الوحيد للفقر)[١].

وروبرت أوين كغيره من الإشتراكيين يرى أن المصائب إنما تقع بسبب الرأسمالية ووجود الملكية الخاصة وقال عنها : (إنها نظام غير عقلانى وفوضوى ومتناقض ... واعتبر أسوأ ظواهر الرأسمالية مثلث المصائب الملكية الخاصة ، الدين ، والزواج على أساس الملكية .

وكانت الملكية الخاصة ولاتزال سببا فى الجرائم العديدة والفقر الذى يعانيه الإنسان ... إنها تحمل أضرارا لاتحصى للطبقات الدنيا والوسطى والعليا)[٢].

ويقول انجلز عنه (لقد كان يتراء له أن ثمة ثلاث عقبات كبرى تسد - بالخاصة - الطريق إلى الإصلاح الإجتماعى ، ألا وهى الملكيةالخاصة ، والدين ، وشكل الزواج الحاضر)[٣].

وقد تميزت الإشتراكية الطوباوية فى انجلترا بعدة خصائص عنها فى فرنسا ومن ذلك نفيها الملكية الخاصة فى كافة أشكالها .

ولم يكن لها إنحناء سان سيمون أمام مجمتع رجال الصناعة أو مبالغة فوربيه فى تقدير دور التجارة الرأسمالية ، وقد ميز ماركس أوين عن بقية الاشتراكيين الطوباويين بأنه كان يتميز بالنظرة التاريخية إلى الإنتاج الرأسمالى وأنه اعتبر تطور رأس المال شرطا لازما لتحويل المجتمع إلى روح شيوعية[٤].

ولم تكن الإشتراكية الطوباوية لترضى الشيوعيين لأنها تختلف فى بعض مبادئها عن فكرهم ولأجل هذا وجهوا لها النقد ، يقول لينين : (الإشتراكية الطوبوية لم تكن بقادرة على الإشارة إلى مخرج حقيقى .

---

(١) نقلا من كتاب الإشتراكية العربية (٩٥-٩٦) .
(٢) تاريخ النظريات الإقتصادية (١٤٧) .
(٣) انتى دوهرنغ (٣١٦) ، ترجمة فؤاد أيوب ، الطبعة الخامسة ١٩٨١م ، دار دمشق للطباعة والنشر .
(٤) انظر تاريخ النظريات الإقتصادية (١٤٧) .

ولم تكن لتعرف كيف تفسر طبيعة العبودية المأجورة فى ظل النظام الرأسمالى ، ولاكيف تكتشف قوانين تطور الرأسمالية ولاكيف تجد القوة الإجتماعية القادرة على أن تصير خالقه المجتمع الجديد)[١].

---

(١) مصادر الماركسية الثلاثة (٨-٩) ، وانظر نفس كلامه بشىء من التغيير فى الألفاظ فى كتاب تاريخ النظريات الإقتصادية (١٥١) .

المبحث الخامس
المرحلة الخامسة : ماركس

إن اعتبار ماركس مرحلة مستقلة من مراحل الشيوعية لاغرابة فيه بل إنى أعتبره أهم المراحل وأخطرها حيث أخذ من الأفكار السابقة عليه ، كما أخذ من جاء بعده من فكره وإن كانوا فى بعض الأحيان اختلفوا معه . ولعل من أهم مايميز هذه المرحلة هى أن ذلك الفكر اتخذ تنظيما وتنظيرا لم يكن موجودا من قبل إضافة إلى استغلاله من قبل اليهود لتحقيق أهدافهم ومخططاتهم ، وزعموا أنها شيوعية علمية لقيامها على قواعد ونظريات فلسفية وبالغ الإشتراكيون فى تقديس ماركس وأفكاره واعتبروه هو وصاحبه من تقدم بالفكر الإشتراكى خطوات كبيرة إلى الأمام .

وسيأتى الحديث عن ماركس وأفكاره تفصيلا ان شاء الله تعالى[١].

---

(١) الفصل الثالث من الباب الأول .

المبحث السادس
المرحلة السادسة : الشيوعيون بعد ماركس

إن المبادىء التى قامت عليها الشيوعية ونادت بها لقيت لدى أتباع ماركس قبولا غير أن بعض دعاة الإشتراكية ، اعتبروا العنف والثورة وتحكم البروليتاريا وغيرها من المبادىء التى نادى بها ماركس وصاحبه لاتؤدى إلى نتيجة إيجابية فى تحقيق الإشتراكية ، ومن هنا فسوف نتناول الحديث فى هذه الفترة عن إتجاهين مخالفين لماركس وإن كانا يرميان فى النهاية إلى تحقيق الشيوعية ، ولكن بغير طريق ماركس :

الأول : (التيار الاصلاحى)[١](المنقحون)[٢](التصحيحيون)[٣].

الثانى : الإشتراكيون الفابيون .

أولا : التيار الاصلاحى :

تعريفه : يعرفه الشيوعيون بالآتى : (تيار سياسى داخل الحركة العمالية ينكر ضرورة الصراع الطبقى والثورة السياسية . والسلطة السياسية للطبقة العاملة وينادى بتعاون الطبقات ويسعى إلى تحويل الرأسمالية إلى مجتمع الرخاء العام عن طريق سلسلة من الإصلاحات المطبقة فى إطار الشرعية البرجوازية)[٤].

ويبدأ تاريخ النزعة الإصلاحية فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر ومن أشهر الشخصيات الإشتراكية التى قامت بهذه الإصلاحات إدوارد برنشتين[٥]ودعت الحركة الإصلاحية إلى إعادة النظر فى المبادىء والأسس التى

---

(١) كما فى المعجم (٤٧) .
(٢) كما ورد فى بعض الكتب مثل الإشتراكية العربية (١٤٥) .
(٣) كما فى كتاب الماركسيات بعد ماركس (٢٠) بيار فافر ، ترجمة انطوان نجيم ، المنشورات العربية ١٩٨١م دون ذكر لرقم الطبعة .
(٤) المعجم (الشيوعية العالمية) (٤٧) .
(٥) اشتراكى ألمانى ، تأثر بفكر الأستاذ دوهرنج ، إلى أن ظهر كتاب انجلز ضد دوهرنغ ، وانحاز إلى الفلسفة الماركسية ، وظل مؤمنا بها إلى أن نفى إلى لندن =

قامت عليها الماركسية .

وألف برنشتين كتابا أودع فيه أفكاره التى دعا بها لتنقيح الماركسية وكان عنوان الكتاب (الاشتراكية التطورية)[١].

وشكلت هذه الأفكار حربا ضد الشيوعية حربا على مبادئها بل إن الاصلاحية تعتبر مذهبا قائما على معارضة الشيوعية العلمية والماركسية اللينينية[٢].

وكان برنشتاين مؤمنا بالماركسية (إلى أن نفى من المانيا واستقر به المقام فى لندن من سنة ١٨٨٨م إلى سنة ١٩٠١م وهناك احتك بالحركة العمالية التى كانت مازالت فى أوائل أطوارها واتصل بالمفكرين الفابيين وشاهد النظام الرأسمالى والتطورات التى تحدث بداخله فى أقدم البلاد الصناعية الرأسمالية ونتيجة لذلك كله بدأ برنشتين طورا فكريا جديدا . وهذا الطور الفكرى الجديد هو الذى دعا فيه برنشتين إلى ضرورة إعادة النظر فى المبادىء والأسس التقليدية للماركسية ، تمهيدا لتنقيحها ومن هنا سمى برنشتين ومن نحا نحوه باسم (المنقحين"[٣].

وكانت الدعوة الإصلاحية ترمى إلى الوصول إلى تحقيق العدل والمساواة دون الثورة ومع الإبقاء على الملكية الخاصة وقد حظيت هذه الدعوة بالقبول لدى العمال فى كثير من البلدان (باعتراف أصحاب الشيوعية العلمية المعادية لدعاة الإصلاح حيث قالوا (لايجوز الإنكار بأن الأحزاب السياسية الإصلاحية والنقابات الإصلاحية قد لعبت دورا فى النضال من أجل تحسين حياة الطبقة العاملة وانها تحظى بتأييد الشغيلة فى العديد من البلدان)[٤].

= من سنة ١٨٨٨-١٩٠١م واحتك بالحركة العمالية هناك ودعا إلى إعادة النظر فى أفكار ماركس ، وعمل محررا لجريدة "الإشتراكى الديمقراطى" .
انظر : الإشتراكية العربية (١٤٦-١٤٧) ، إصلاح إجتماعى أم ثورة (٩٧) .

(١) انظر الإشتراكية العربية (١٤٧) .

(٢) المعجم (٤٨) .

(٣) الإشتراكية العربية (١٤٦) .

(٤) المعجم (٤٨) .

وكان هؤلاء المنقحون قد خالفوا الماركسية فى جوهرها فلايمكن اعتبارهم ماركسيون بكل ماتعنيه هذه الكلمة ومن الخطا (أن يقال أنه كان منقحا للفكر الماركسى مع الإبقاء عليه فى جوهره فقد انتهى برنشتين إلى مخالفة الفكر الماركسى فى نقطة البدء المادية الجدلية وانتهى الى مخالفته فى كثير من أهم التحليلات التى قامت عليها النظرية الماركسية)(١). هذه الفئة الأولى من الإشتراكيين بعد ماركس .

أما الفئة الثانية : فهم أصحاب الإشتراكية الفابية(٢).

ويرجع تأسيس الجمعية الفابية إلى أواخر سنة ١٨٨٣م وأوائل سنة ١٨٨٤م وقد أسسها عدد غير قليل من المثقفين البريطانيين الذين ينتمون فى غالبيتهم إلى الطبقة المتوسطة وبعد إجتماعات غير كثيرة قررت هذه الجمعية فى ٤ يناير ١٨٨٤م أن يكون اسم جمعيتهم الجمعية الفابية .

ويمكننا أن نضع الخطوط العريضة للحركة الفابية ونتبين من خلالها مفارقتها عن الماركسية فى مبادئها .

---

(١) الإشتراكية العربية (١٥١) .

(٢) والفابية (نسبة إلى القائد الرومانى "فابيوس" الذى كان يؤمن بنوع من التكتيك الحربى الذى يعتمد على المعارك الصغيرة المتتالية وينفر من دخول معركة واحدة حاسمة بدعوى أنه بتلك المعارك الصغيرة المتتالية يمكن إرهاق الخصم ثم دحره فى النهاية)
الإشتراكية العربية (١٥٢) ، وانظر : التضليل الإشتراكى (١٩) ، د. صلاح المنجد ، الطبعة الأولى ١٩٦٥م ، دار الكتاب الجديد ، إفلاس الأممية الثانية (٨٤) ، لينين دار التقدم ، موسكو ١٩٧٠م ، دون ذكر لرقم الطبعة .

الخطوط العريضة فى مبادىء الإشتراكية الفابية :

أولا : يتقدم المجتمع بخطى ثابتة عن طريق التغيرات البطيئة فى وظائفه وتكوينه أكثر من تقدمه بالوثبات الثورية . وكل إصلاح يوسع نطاق الملكية العامة أو الإشراف العام يعتبر تطبيقا للإشتراكية ، وبذلك يمكن الوصول إلى الدولة الإشتراكية بالتدرج فالتغير التدريجى هو ضرورة وأساس.

ثانيا : الفابية خصم للإنقلاب والتمرد والعصيان .

ثالثا : تنكر الفابية تأميم الأرض وتعتبره سرقة .

رابعا : تسعى الفابية إلى توحيد المجتمع فى طبقة واحدة . وإخفاء تنوع الطبقات بالتحول التدريجى إلى الديمقراطية الإشتراكية ويتم ذلك على دفعات .

خامسا : تختلف الفابية عن الماركسية فى فائض القيمة . فالماركسية ترى أن العمال هم الذين يقدمونه . أما الفابيون فيرون أن كل دخل يحصل عليه مالك الأرض أو صاحب العمل إنما هو من الإيجار الذى يحصلان عليه من ملكيتهما لوسائل الإنتاج .

سادسا : لايوجد فاصل واضح بين المجتمع الرأسمالى والمجتمع الإشتراكى عند الفابيين وبالإمكان أن يتحول أحدهما إلى الآخر خطوة خطوة عن طريق الإجراءات التشريعية بينما الماركسية ترى وجوب إحلال الإشتراكية بسرعة محل الرأسمالية ولو انحدر المجتمع إلى الهاوية .

سابعا : تحويل الملكيات إلى ملكية الدولة بالطرق السلمية لدى الفابيين بعكس الماركسيين .

ثامنا : الـدولة عند الفابيين قـوة محايدة ليست أداة فى يد طبقـة معينة للتسلط والتحكم .

تاسعا : الفابية ترى الاهتمام بالإصلاح الداخلى قبـل النظر إلى الخارج قبـل اتجاه الثورات إلى الخارج . أمـا الماركسية فلا والأمثلـة على ذلك كثيرة (عدن ، مصر)[١].

وبهذا نرى أن الفابيين يقتربون من أفكار المصلحين أو المنقحين بقيـادة برنشتين ، ولعـل هـذا التفكير الفـابى (جاء فى وقتـه كـرد فعـل على محاولـة الماركسيـة إقامة نظرية شمولية ثورية من ناحية ، كمـا جاء من ناحية أخرى متسقـا مـع تقاليد الديمقراطيـة البرلمانيـة التى كانت أسسهـا قـد بدات تضرب بجذورها فى دول أوروبا الغربية فى تلك المرحلة من الزمان)[٢].

إضـافة إلى ذلك فالفابية تعتبر (نتـاج طبيعى للمجتمـع البريطانى الذى ينفـر من التجريد والتنظير الشامل ويتجه أساسا إلى الـواقع يستوحيه حلول المشاكل فى غير تعلق بالهياكل النظرية)[٣].

ولأجل ذلـك إعتبرهـا لينين (ينبـوع مـن ينـابيع عقليـة العمـاليين البريطانيين)[٤].

---

(١) انظـر الحقيقـة الكـاملة (٢٥-٢٧) ورجع فى ذلـك لكتـاب برنارد شـو (مقـالات فى الاشتراكيـة الفـابية) ، وانظـر أيضـا : الإشتراكيـة العـربيـة الجمـل (١٥٤-١٥٦) ، التضليل الاشتراكى (١٩-٢٣) .

(٢) الإشتراكية العربية (١٥٨) .

(٣) المرجع السابق (١٥٣) .

(٤) إفلاس الأممية الثانية (٨٤) .

الفصل الثانى
الأهداف والمبادئ الأساسية للشيوعية

ويشتمل على تمهيد وعدة مباحث .

التمهيد .

المبحث الأول : القضاء على الملكية الفردية .

المبحث الثانى : إلغاء الطبقات وإقامة طبقة البروليتاريا .

المبحث الثالث : كفالة الدولة لجميع المواطنين .

المبحث الرابع : المساواة فى الأجور .

المبحث الخامس : مبدأ من كل حسب كفاءته ولكل حسب عمله .

المبحث السادس : مبدأ من كل حسب كفاءته ولكل حسب حاجته

المبحث السابع : إلغاء الدين .

المبحث الثامن : تأميم وسائل الإنتاج .

المبحث التاسع : الأممية .

المبحث العاشر : إلغاء الدولة .

الفصل الثانى
الأهداف والمبادىء الأساسية للشيوعية[١]

إن لكل أمة من أمم الأرض عقيدة تؤمن بها ، وتجعلها قاعدة لأفكارها ومبادئها ، وعلى ضوء العقيدة تحل مشكلات الأمة وقضاياها ، ومنها تستمد أنظمتها وقوانينها . فكل نظام له عقيدته التى تميزه عن غيره وهذه العقيدة هى التى تتحكم فى حياة الأمة فإذا صلحت العقيدة صلح النظام وإذا فسدت فالنظام من باب أولى لأنه صادر ومنبثق عنها ، ولاشك أن أصحاب كل فكر ومذهب يجعلون لهم مبادىء يرغبون تحقيقها ، ويجعلون لها قوانين وأنظمة ، ويعتبرونها دينا لهم أو عقيدة يدافعون عنها ، ويقيمون الحجج على صلاحها . ومامن نظام أرضى إلا وقد ابتدع أصحابه له أفكارا تشكل المنطلق الأساسى لذلك المذهب أو تلك الدعوة. ثم تكون بعد ذلك الأنظمة المندرجة تحت تلك الأصول والقواعد الأساسية التى يعتبرها أصحابها عقيدة ينضوون تحت لوائها غير أن العقيدة إذا كانت (فاسدة أو خاطئة فإن ماانبثق عنها من أنظمة ومابنى عليها من أفكار تكون فاسدة وخاطئة لأن ماقام على الفاسد فاسد)[٢].

ومن الأنظمة الأرضية المبتدعة النظام الشيوعى الذى قام على عقيدة إلحادية للقضاء على الدين الصحيح ومحاربته ، ففساد الفكر الشيوعى ظاهر

---

(١) الشيوعية : يعرفها انجلز بقوله (مجموعة التعاليم حول ظروف تحرير البروليتاريا) . تعاليم الماركسية (١١) .
وعلى هذا فإن الشيوعية تعنى تطبيق المبادىء الأساسية التى تقوم عليها الشيوعية من أجل الإبقاء على طبقة واحدة هى طبقة العمال .
والماركسية كما يعرفها لينين هى : (منهج أفكار ماركس ومذهبه) . مصادر الماركسية (١٩) . وعلى هذا فإن الماركسية والشيوعية مترادفتان ، والإشتراكية مرحلة سابقة على الشيوعية .

(٢) حكم الإسلام فى الإشتراكية (٣٤) ، عبد العزيز البدرى ، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م ، المكتبة العلمية ، المدينة المنورة .

بين ، فلاغـرو بعد ذلك أن ظهرت مبادئها وأنظمتها فـاسدة لأن فساد الأصل لاينتـج إلا فـرعا فاسدا ، ففسـدت الأنظمـة لفساد مابنيـت عليـه . والنظـرية الشيـوعية كغيرها من النظـريات جعل له أصحابها عدة مبـادىء تقـوم عليها ويمكن تلخيصها فى الآتى :

علما بأن بعض النصوص الواردة معنا هنا قد أثبـت بعضها دون الآخر والعكـس صحيـح . فـانجلز يحددهـا فى رسـالة بعـث بهـا إلى لجنـة التراسـل الشيوعى ببروكسل فى ٢٣ تشرين الأول ١٨٤٦م :

(١ ـ إعلاء شـأن مصـالح البروليتـاريين فى مواجهة مصـالح البـورجواريين .

(٢ ـ الـوصول إلى ذلك عن طريق إلغـاء الملكية الخاصة واستبـدالها بمشـاع الأملاك .

(٣ ـ عـدم الاعتراف بأى وسيلة أخرى لتحقيـق هذه الأهـداف غير الثـورة الديمقراطية بواسطة العنف)[١].

ونجد الكاتب الشيوعى جيرفوف يقول :

(ولـو اخذنا باعتبـارنا الخصـال الـرئيسية للإشتراكيـة التى تم بنـاؤها لوجدنا أن كل بلد إشتراكى يتسم بما يلى :

(١) كـون السلطـة فى يد الشغيلـة مـع اضطلاع الطبقـة العـاملة بالـدور الطليعى .

(٢) عمليـة التطـور الإجتمـاعـى توجه مـن قبل حزب مـاركسى ، لينينى .

(٣) وسائل الإنتاج ملك للمجتمع .

(٤) وعلى أسـاس هـذه الملكية يتم تطـوير الإقتصـاد الوطنى تطـويرا مخططـا يعتمد على المستويات التقنية وفى صالح رفاه الشعب .

(٥) تحقيق مبدأ (من كل حسب طاقته ، ولكل حسب عمله) .

---

(١) مراسلات ماركس انجلز (١٦) ، ترجمة جورج طرابيشى ، الطبعة الأولى ١٩٧٣م ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت .

(٦) تربية الشعب بروح أيديولوجية الشيوعية العالمية وروح الصداقة مع شعوب البلدان الشقيقة وشغيلة العالم كله .
(٧) سياسة خارجية قائمة على مبادىء الأممية الإشتراكية البروليتارية)[١].

وعلى هذا يمكن القول بأن مبادىء الشيوعية الأساسية هى :

(١) القضاء على الملكية الفردية .
(٢) القضاء على الطبقات وإقامة دكتاتورية البروليتاريا .
(٣) كفالة الدولة لجميع المواطنين فى مقابل مايقدمون من عمل .
(٤) المساواة فى الأجور بين العمال .
(٥) القضاء على الدين ونشر الإلحاد .
(٦) تطبيق مبدأ من كل بحسب طاقته ولكل حسب عمله .
(٧) تطبيق مبدأ من كل بحسب طاقته ولكل حسب حاجته .
(٨) تأميم وسائل الإنتاج .
(٩) الدعوة إلى الأممية .
(١٠) إلغاء الدولة (الحكومة)[٢].

ونتناول هذه المبادىء بالتفصيل وسيكون طرحها عاريا عن المناقشة تاركين ذلك إلى وقته ، وإن كانت بعض المبادىء أحلاما حاول أصحابها تحقيقها ولكنهم فشلوا .

وسيكون التركيز على أقوال الماركسيين وكتبهم حتى نعلم بأن هذه المبادىء قد وردت عنهم وأجلبوا عليها بخيلهم ورجلهم ، من أجل تحقيقها ونشرها فى المجتمعات .

---

(١) خرافة الإشتراكية الجيدة والإشتراكية الرديئة (٦٧) .
(٢) انظر : مذاهب فكرية معاصرة (٤١٤) ، إنهيار الشيوعية أمام الإسلام (٢٠١-٢٠٢) حكم الإسلام فى الإشتراكية (٥٨-٥٩) ، إفلاس الماركسية (١٤) ، الماركسية بين النظرية والتطبيق (١٩) ، هزيمة الشيوعية فى عالم الإسلام (٢٠) ، نظرات فى الإشتراكية الثورية (٢٩-٣٠)

المبحث الأول
القضاء على الملكية الفردية

تنظر الشيوعية للملكية الفردية على أنها سبب الشرور والظلم الذى تتعرض له الشعوب ، كما أنها سبب الأحقاد ، وإيجاد الاضطرابات فى المجتمع البشرى ، فاذا أرادت البشرية أن تعيش فى مأمن من تلك الصراعات والاضطرابات فيتعين عليها التخلص من الملكية الخاصة وجعل وسائل الإنتاج فى ملكية إجتماعية لكى تنتزع الملكية من مغتصبيها ، وقد أكثر الشيوعيون من الحديث عن الملكية ، وماتسببه من صراع ، واعتبروا القضاء عليها من أصول نظريتهم فجاء فى البيان الشيوعى : (باستطاعة الشيوعيين أن يلخصوا نظريتهم بهذا الصدد فى هذه الصيغة الوحيدة وهى القضاء على الملكية الخاصة)(١).

ويقول لينين : (ينبغى إلغاء الملكية الخاصة بوجه عام ، أى أنه ينبغى ألا يعود حق الملكية على جميع الأراضى إلا للشعب بأسره والمؤسسات الديمقراطية المحلية هى التى ستتصرف بالأرض)(٢).

رأى ماركس فى تطور الملكية :

يرى أنها تتطور حسب العلاقات التى توجد فى كل مجتمع فهى متطورة حسب تطور المجتمع .

يقول ماركس : (فى كل مرحلة تاريخية تطورت الملكية تطورا مختلفا وفى مجموعة من العلاقات الإجتماعية المختلفة إختلافا كليا)(٣).

---

(١) البيان الشيوعى (٥٦) .

(٢) التحالف بين العمال والفلاحين (٢٥١) ، دار التقدم ، موسكو ، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها .

(٣) بؤس الفلسفة (١٤٦) ، نقله إلى العربية حنا عبود ، دار دمشق للطباعة والنشر ، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها .

إن الشيوعيين ينظرون للملكية الخاصة على أنها مجرد ورث من المجتمعات السابقة كالإقطاعية والرأسمالية حيث كانت الظروف تساعد على قيامها بالإضافة إلى الثقافة التى ساعدت على انتشارها فى ذلك الوقت . أما الأصل الذى كانت عليه حياة الإنسان السابق لهذه الأنظمة فهى الملكية الجماعية ويستدلون على هذا الزعم بالشيوعية الأولى (الشيوعية البدائية) التى تعتبر المرحلة الأولى من تاريخ الإنسانية وعلى هذا فالملكية الخاصة ليست فطرية فى الإنسان وإنما مكتسبة بتغير الأحوال والظروف التى كانت عليها المجتمعات الأولى . إذا لابد من إعادة الحالة الأولى التى كانت عليها الإنسانية - حيث لاصراع ولاأحقاد - وذلك بجعل الملكية ملكية جماعية وتكون فى يد الدولة التى تكون طبقة البروليتاريا هى المسيطرة فيها . ووضع الشيوعيون عدة تدابير ونقاط أرادوا من البروليتاريا إستغلالها فى ضرب الملكية الفردية والقضاء عليها .

يقول فردريك انجلز : (لاجدوى من الديمقراطية بالنسبة للبروليتاريا إلا إذا استخدمتها فورا لاتخاذ إجراءات تسدد ضربات مباشرة للملكية الفردية وتكفل ضمان وجود واستمرار البروليتاريا وأهم هذه الإجراءات كما تظهر كنتيجة حتمية للوضع مايلى :

(١) تقليص الملكية الفردية بواسطة ضريبة الدخل التصاعدية وفرض الضرائب المرتفعة على الإرث وإلغاء حق الوراثة غير المستقيم الأخ وأبناء الأخ الأخت وأبناء الأخت ...الخ .

(٢) مصادرة أملاك الملاك العقاريين والصناعيين وأصحاب سكك الحديد وأصحاب مصانع الأسلحة والذخيرة إما بواسطة منافسة صناعة الدولة لهم ، وإما بالمصادرة المباشرة لقاء تعويضات .

(٣) مصادرة أملاك جميع المهاجرين وأعداء الشعب .

(٤) تنظيم العمل وتشغيل العمال على أراضى الدولة وفى المصانع والمشاغل الوطنية بعد إلغاء المنافسة بينهم وإجبار من تبقى من الرأسماليين على دفع الأجر المرتفع المساوى لما تدفعه الدولة .

(٥) إلـزامية العمل لجميع أفراد المجتمع الى حين القضاء نهـائيا على الملكية الفردية . إنشاء الجيوش الصناعية وبخاصة بالنسبة للزراعة.

(٦) احتكـار الدولة لنظام النقـد والتسليف عن طريق إنشـاء مصرف وطنى برأس مال تقدمه الدولة بعد إلغاء كل المصارف الخاصة .

(٧) زيادة عـدد المصانع الوطنيـة والمشاغل وسكك الحديد والنقـل البحرى واستصلاح الأراضـى وتحسين الأراضـى المزروعة بالقـدر الذى يسمح فيه تراكم رؤوس الأموال ونمو القوى العاملة فى الأمة .

(٨) تعليم جميع الأطفال فى المؤسسات الوطنية على حساب الأمة حالما يمكن انتزاعهم من أحضان أمهاتهم (التعليم والصناعة) .

(٩) بناء القصور الضخمة على الأملاك العامة لاسكان المواطنين العاملين فى الصنـاعة والزراعة ، بحيث يجمع نمط حياتهم أفضل مـافى حياة المدينة والريف ، ويتخلص من كل سيئات هذه وذاك .

(١٠) تهديم كل المساكن والأحياء التى لاتتوافر فيها شـروط المتانة والصحة.

(١١) حق الإرث المتساوى للأطفال الشرعيين وغير الشرعيين .

(١٢) احتكار الدولة لكل وسائط النقل)[١].

ولكن كيف يتم القضاء على الملكية الفردية وهل تطبق هذه الإجراءات دفعة واحدة؟

يجيبون على ذلك بأنه من غير الممكن تطبيقها دفعة واحدة ، بل خطوة خطـوة ، حتى يمكـن الـوصول إلى الهـدف المنشـود فى القضـــاء على الملكيـة الفـردية وإحلال الملكية الجماعية مكانها ، وبالتالى الـوصول إلى النتائج التى رتبوها على القضاء على الملكية الفردية ويمكن جعلها فى نقاط :

---

(١) تعاليم الماركسية (٣١-٣٢) .
وانظر البيان الشيوعى (٦٦-٦٧) حيث وردت فيه باختصار .

أولا : تطبيق الإجراءات السابقة خطوة خطوة للوصول إلى الهدف النهائى .

يقول انجلز : (لايمكن تطبيق كل هذه الإجراءات دفعة واحدة لكن كل واحدة منها تستجر التالية بالضرورة فما أن تسدد البروليتاريا أول ضربة قوية للملكية الفردية حتى تضطر للتقدم خطوات جديدة الى الأمام وتعزيز احتكار الدولة لكل رأس المال ولكل الزراعة والصناعة والنقل والمبادلات هذا هو الهدف الذى ترمى إليه كل هذه الاجراءات ..)(١).

ويقول فى موضع آخر : (كذلك يتعذر إلغاء الملكية الفردية دفعة واحدة والأرجح أن الثورة البروليتارية سوف تحول المجتمع الراهن تدريجيا وهى لن تتمكن من إلغاء الملكية الفردية كليا إلا بعد تأمين الملكية الضرورية من وسائل الإنتاج)(٢).

ثانيا : لن يقضى على الملكية الفردية نهائيا أو أن تنهار من تلقاء نفسه إلا إذا تمركز رأس المال والإنتاج فى يد الدولة .

يقول انجلز : (عندما يتمركز كل رأس المال والإنتاج والمبادلات بيد الدولة تنهار الملكية الفردية من تلقاء نفسها ويمسى المال عديم الجدوى ويتضاعف الإنتاج ويبلغ البشر درجة من التطور تسمح لهم بالقضاء على آخر العلاقات المتبقية من المجتمع القديم)(٣).

ثالثا : أوكل الشيوعيون مهمة القضاء على الملكية الفردية (ممثلة فى الرأسمالية) إلى البروليتاريا ، فهى القوة الإجتماعية القادرة على تحقيق ذلك (وأن الوسيلة التى يتوجب عليها استخدامها هى الاستيلاء على السلطة بالثورة)(٤).

---

(١) تعاليم الماركسية (٣٢-٣٣) .
(٢) المرجع السابق (٣٠) .
(٣) المرجع السابق (٣٣) .
(٤) فلسفة الأنوار (٤٧) .

ولكن لم هذا الجهد الذى يبذله الشيوعيون فى سبيل القضاء على الملكية الفردية؟

يرون أن هناك نتائج سوف تتحقق من القضاء عليها وقد أوضح انجلز هذه النتائج وجعلها فى نقاط حسب ماوردت فى نص انجلز .

أولا : (إن انتزاع كل القوى الإنتاجية ووسائط النقل وتبادل وتوزيع السلع من يد الرأسماليين الأفراد وتسييرها وفق خطة مرسومة بالاعتماد على الموارد والحاجات المشتركة يسمح للمجتمع أولا بأول القضاء على كافة الآثار السلبية الناجمة عن الصناعة الكبيرة) .

ثانيا : (يسير المجتمع قدما على طريق التقدم دون أن تعصف به الاضطرابات كما كان يحصل سابقا) .

ثالثا : (بعد أن تحرر الصناعة الكبيرة من يد الملكية تشهد توسعا من الضخامة ، بحيث إن توسعها الراهن سيبدو أمامه بتفاهة المانيفاتورة إذا ماقيست بالصناعة الكبيرة الحديثة) .

رابعا : (أن الزراعة التى تعذر عليها الإستفادة من التطويرات والاكتشافات العلمية فى ظل نظام الملكية الفردية والتعنت سوف تشهد حقبة تطور جديدة وتمد المجتمع بما يحتاجه من منتجات) .

خامسا : (وهكذا ينتج المجتمع مايكفى من المنتجات لتنظيم توزيعها على نحو يسد حاجات أفراده جميعا) .

سادسا : (يصبح انشطار المجتمع إلى عدة طبقات متناحرة أمرا بلامعنى).

سابعا : (أن الانتاج الجماعى يتطلب بشرا مختلفين عن البشر الحاليين المشدود كل منهم إلى فرع مخصوص من فروع الإنتاج والمقيد به

والعاجز بالتالى عن تنمية أكثر من مقدرة واحدة من مقدراته على حساب المقدرات الأخرى وعن معرفة أكثر من فرع واحد من فروع الإنتاج أو حتى أكثر من جزء من هذا الفرع ، إن الصناعة فى وضعها الراهن قد تدنت حاجتها لمثل هؤلاء البشر . فالصناعة الجماعية المبرمجة تفترض بشرا نميت مقدراتهم وكفاءاتهم فى شتى الاتجاهات فباتوا ملمين بمجمل نظام الإنتاج) .

ثامنا : (يوجه التعليم بحيث يؤهل الشباب لأن يحيطوا بمجمل نظام الإنتاج بسرعة وأن ينتقلوا من فرع إنتاجى لآخر وفق حاجات المجتمع أو وفق ميولهم الشخصية) .

تاسعا : (أن المجتمع المنظم على أساس شيوعى يتيح لأفراده المجال لكى يوظفوا مقدراتهم المصقولة على نحو فعال فى جميع الاتجاهات فتكون النتيجة زوال جميع الفوارق الطبقية) .

عاشرا : (مع الغاء الملكية الفردية سيزول أيضا التناقض بين المدينة والريف . ذلك أن ممارسة مجموعة من البشر للصناعة والزراعة فى آن معا بدلا من أن تقوم بذلك طبقات متعددة يشكل لأسباب محض مادية شرطا ضروريا من شروط التنظيم الشيوعى) .

ويلخص انجلز بعض ماذكره سابقا بقوله :

(إن تعاون جميع أفراد المجتمع على الاستعمال الجماعى والعقلانى للقوى الإنتاجية وزيادة الإنتاج بحيث يستطيع سد حاجات الجميع . وإلغاء التنظيم الإجتماعى حيث تشبع حاجات البعض على حساب البعض الآخر ، وإزالة الطبقات وتناقضها ، والتنمية الشاملة لمؤهلات وكفاءات جميع أفراد المجتمع .

عن طريق إلغاء قسمة العمل كما عرفناها حتى الآن على الأقل ، وعن طريق التعليم المرتكز الى العمل ، وتنويع النشاطات التى يساهم فيها البشر ، وإشراك الجميع فى الرفاه الذى يخلقه الجميع . تلك هى النتائج الرئيسية لإلغاء الملكية الفردية)[١].

---

(١) تعاليم الماركسية (٣٤-٣٧) .

فهذا أول مبادىء الشيوعية وقد أولوه إهتماما كبيرا ، لأن الملكيـة فى نظرهم ، مصدر الظلم ، أوجدته الأنظمة القائمة على الاستغلال وحب التملـك وهـذا المبدأ يستتبعه مبدأ آخر ألا وهـو القضاء على الطبقـات فالملكية سبب لوجودها ، والقضاء عليها يزيلها من المجتمع .

ولنأخذ المبدأ الثانى .

المبحث الثانى
إلغاء الطبقات وإقامة دكتاتورية طبقة البروليتاريا[١]

من المبادىء الأساسية للشيوعية إلغاء الطبقات الموجودة فى المجتمع وجعل طبقة البروليتاريا هى الطبقة المسيطرة . ويعلل الشيوعيون وجود الطبقات بوجود الملكية الفردية حيث ينقسم الناس إلى مالكين وغير مالكين فالطبقة غير المالكة هى الطبقة المنتجة (طبقة العمال) والأخرى هى المستفيدة

فلابد من الإبقاء على الأولى دون غيرها ويكون ذلك بثورتها وإقامة دكتاتوريتها .

إذ أن زعيما الماركسية يعتقدان أن تاريخ كل مجتمع يقوم على النضال الطبقى . جاء فى البيان الشيوعى :

(إن تاريخ كل مجتمع إلى يومنا هذا لم يكن سوى تاريخ نضال بين الطبقات)[٢].

فطبقة البروليتاريا تقوم بالنضال ضد الطبقات الأخرى ليكون الأمر لها دون سواها ويعبرون عنه (بدكتاتورية البروليتاريا) .

فما هى دكتاتورية البروليتاريا؟

هى (السيادة السياسية للطبقة العاملة وهذه السيادة تقيمها الطبقة العاملة فى سياق الثورة الإشتراكية ، بغية قمع مقاومة المستثمرين وبناء

---

(١) يعرفها انجلز بقوله : (البروليتاريا طبقة من طبقات المجتمع تعتاش كليا من بيع عملها ولاتجنى الأرباح من أى نوع من أنواع رأس المال ، وتتوقف حياتها أو موتها ، لابل وجودها بأسره ، على طلب عملها وترتهن بالتالى بتعاقب الأزمات مع فترات الإزدهار الصناعى وبتقلبات المنافسة المنفلتة من عقالها . البروليتاريا ، أو طبقة الشغيلة ، هى الطبقة العاملة المعاصرة) .
تعاليم الماركسية (١١-١٢) .
ودكتاتورية البروليتاريا هى : (السيادة السياسية للطبقة العاملة ، وهذه السيادة تقيمها الطبقة العاملة فى سياق الثورة الإشتراكية بغية مقاومة المستثمرين وبناء الإشتراكية وتوطيدها) . المعجم (٢٢٧) .

(٢) (٣٦) .

الإشتراكية وتوطيدها . وهى تتحقق بواسطة الدولة والحزب الشيوعى والنقابات والجبهة الشعبية وسائر منظمات الشغيلة التى تشكل بالإجمال نظام دكتاتورية البروليتاريا)[١].

بل ويعتبرون أن مبادىء الشيوعية تتلخص فى هذا المبدأ .

يقول لينين : (إن مبادىء الشيوعية تتلخص فى إقامة دكتاتورية البروليتاريا وفى إستعمال إكراه الدولة فى المرحلة الإنتقالية هذه هى مبادىء الشيوعية)[٢].

وسيادة البروليتاريا هذه هى سيادة سياسية فى المقام الأول . إذ أنها ستساعد على تحقيق مبادىء الشيوعية بل سيكون تحقيقها منوطا بها .

يقول انجلز : (إن البروليتاريا تستولى على السلطة السياسية وتحول وسائل الإنتاج كضرورة أولية الى ملكية الدولة)[٣].

وهذه السيادة تتم عن طريق القوة والثورة المسلحة . يقول لينين (إن تعاليم النضال الطبقى التى طبقها ماركس على مسألة الدولة وعلى مسألة الثورة الإشتراكية تفضى لامحالة إلى الاعتراف بسيادة البروليتاريا السياسية بدكتاتوريتها . أى بسلطتها التى لاتقتسمها مع أحد ، والتى تستند مباشرة إلى قوة الجماهير المسلحة ، إن إسقاط البرجوازية لايمكن أن يتحقق عن غير طريق تحول البروليتاريا إلى طبقة سائدة قادرة على قمع ماتقوم به البرجوازية حتما من مقاومة مسعورة وعلى تنظيم جميع الجماهير الكادحة والمستثمرة من أجل النظام الإقتصادى الجديد)[٤].

ويرى الشيوعيون أن الصراع الطبقى ديدن كل مجتمع منذ زمن بعيد ولأجل ذلك وجد من المفكرين من اكتشف ذلك الصراع واعترف ماركس

---

(١) المعجم (٢٢٧) .

(٢) رسائل حول التكتيك (٥٧-٥٨) ، ترجمة الياس شاهين ، دار التقدم ١٩٧٣م ، دون ذكر لرقم الطبعة .

(٣) انتى دوهرنغ (٣٣٨) .

(٤) الدولة والثورة (٢٧) ، ترجمة الياس شاهين ، دار التقدم ، موسكو ، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها .

بذلك فقال (وفيما يخصنى ليس لى لافضل اكتشاف وجود الطبقات فى المجتمع المعاصر ، ولافضل اكتشاف صراعها ، فقد سبقنى بوقت طويل مؤرخون برجوازيون بسطوا التطور التاريخى لصراع الطبقات هذا واقتصاديون برجوازيون بسطوا تركيب الطبقات الإقتصادى ، ومأأعطيته من جديد يتلخص فى إقامة البرهان على مايأتى:

(١) أن وجود الطبقات لايقترن إلا بمراحل تاريخية معينة من تطور الإنتاج.

(٢) أن النضال الطبقى يفضى بالضرورة إلى دكتاتورية البروليتاريا .

(٣) أن هذه الدكتاتورية نفسها ليست غير الانتقال إلى القضاء على كل الطبقات ، وإلى المجتمع الخالى من الطبقات ...)[١].

وهذا الصراع الطبقى شرط ضرورى من أجل تحقيق الإشتراكية .

يقول هنرى ده مان : (إن الصراع الطبقى كتعبير عن مجهود خاص تكيفه وضعية الطبقات لمحاربة الاستغلال والسيطرة التى تقاسى منها الطبقات الكادحة فى الوقت الحاضر ، هذا الصراع شرط ضرورى واجب لكل مطلب اشتراكى لاحق لأنه الاستغلال السياسى والإقتصادى والإجتماعى يفترض إلغاء تسلسل الطبقات ولكن ولكى يؤدى صراع الطبقات هذا إلى أهداف إشتراكية يجب أن تكون دوافع المصلحة والرغبة فى السلطة التى تنتج عن وضع الطبقة العاملة الخاص يجب أن تكون خاضعة من الناحية المبدئية والعملية إلى دوافع ومحركات إنسانية تستند إلى حكم أخلاق وإحساس بالحق)[٢].

---

(١) الدولة والثورة (٣٥) ، وانظر مراسلات ماركس انجلز (٤٠) .
وذكر ذلك فى رسالة بعث بها الى ج.وبدماير تيويدرك فى ١٥ آذار ١٨٥٢م .
وبدماير مناضلا فى الحرية العمالية الألمانية والأمريكية عضو (رابطة الشيوعيين) ، شارك فى ثورة ١٨٤٨-١٨٤٩م فى المانيا . كولونيل فى جيش الشماليين أثناء حرب الإنفصال ، كان أول داعيا للإشتراكية فى الولايات المتحدة ، صديق ورفيق سلاح لماركس وانجلز ، عاش مابين ١٨١٨-١٨٦٦م .
انظر مراسلات ماركس انجلز (٢٤٦) فهرس الأعلام .

(٢) الإشتراكية البناءة (١٤) .

ظهور البروليتاريا وصراعها الطبقى :

ولعل الثورة الصناعية أبرزت هذه الطبقة بصورة واضحة فى القرن الثامن عشر فأدى اكتشاف الآلات وإمتلاكها إلى وجود طبقتين الأولى الرأسماليين المحتكرين ولهم الآلات والمصانع والمواد الأولية .

والطبقة المعدمة لايملكون شيئا فيبيعون عملهم للبرجوازيين مقابل المعاش اللازم لابقائهم على قيد الحياة .

وبالتالى فإن هذه الطبقة لابد وأن تثور ضد الطبقة الأخرى ولكن يرى الشيوعيون أنه لابد من تنظيمها وإعدادها لتكون هذه الثورة مخطط لها لتعطى ثمارها على أكمل وجه . وهذا بدوره يوجب أن يكون العمال يدا واحدة فى كل مصنع أو جهة بل وفى كل دولة ، حتى يصبح نضالا طبقيا ضد البرجوازية .

يقول لينين : (إننا متفقون جميعا على أن مهامنا تتلخص فى تنظيم النضال الطبقى البروليتارى ولكن ماهو هذا النضال الطبقى؟ عندما يشتبك عمال مصنع واحد أو فرع صناعى واحد فى النضال ضد رب العمل أو أرباب العمل ، ايكون هذا صراعا طبقيا؟ كلا إن هذا ليس سوى حالة جنينية منه ، إن نضال العمال لايصبح صراعا طبقيا إلا عندما يعى كل الممثلين الطليعيين لكامل الطبقة العاملة فى البلد كله أنفسهم على أنهم طبقة عاملة واحدة ، ويشنون نضالا موجها لا ضد أرباب عمل منفردين ، بل ضد كل طبقة الرأسماليين وضد الحكومة التى تدعم هذه الطبقة ، وعندما يدرك العامل أنه أحد أعضاء الطبقة العاملة ككل ، وعندما يدرك أن نضاله اليومى الجزئى ضد أرباب العمل المنفردين ، وضد الموظفين الحكوميين الأفراد هو نضال ضد كل البرجوازية ، والحكومة برمتها . عندها فقط يصبح نضاله صراعا طبقيا ، (إن كل صراع طبقى إنما هو نضال سياسى) إن كلمات ماركس الشهيرة هذه ينبغى أن لاتفهم على أنها تعنى أن كل نضال عمالى ضد أرباب العمل ينبغى أن يكون دائما نضالا سياسيا . بل ينبغى أن تفهم معناها على أن نضال العمال ضد الرأسمالية يكون بالضرورة نضالا

سياسيا بقدر مايصبح نضالا طبقيا . إن على الإشتراكيين ـ الديمقراطيين ـ عبر تنظيم العمال ، عبر القيام بالدعاية والتحريف فى صفوفهم . أن يحولوا نضال العمال العفوى ضد مضطهديهم إلى نضال للطبقة بأكملها إلى نضال حزب سياسى بعينه من أجل مثل سياسية وإشتراكية بعينها وهذا أمر لايمكن تحقيقه بالنشاط المحلى وحده)[1].

فصراع الطبقات يفضى إلى أن تصل طبقة البروليتاريا إلى السلطة وبالتالى تقضى على كل الطبقات الموجودة فى المجتمع وتحقق دكتاتوريتها .

فما معنى الدكتاتورية لهذه الطبقة؟ وكيف تتحقق هذه الدكتاتورية؟

معنى الدكتاتورية :

كتب لينين سنة ١٩١٧م فى بداية كراسته (الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكى)[2]:

(إن الدكتاتورية الثورية للبروليتاريا هى سلطة ... لاتقيدها أية قوانين)[3].

وأما كيفية الوصول إلى هذه الديكتاتورية والسيطرة ووصولها إلى السلطة السياسية يكون ذلك بالصراع مع البرجوازية ويصل الأمر إلى الاصطدام الجسدى الدموى ليقضى على كل الطبقات وتبقى طبقة البروليتاريا.

---

(١) حول الصحافة (٥٥) ، جمع جولوفانوفا ، أو فسيبيان ، أعدها للعربية فخرى كريم ، دار الفارابى ، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها .

(٢) كاوتسكى : أحد زعماء الإشتراكية الديمقراطية الألمانية ، كان ماركسيا ثم ارتد عنها ، وقف علنا ضد الثورة الشيوعية وضد السلطة السوفيتية . ولد عام ١٨٥٤م ومات سنة ١٩٣٨م . رسائل حول التكتيك (١٣٠) .

(٣) دفاعا عن الماركسية ردا على مختلف منتقديها (٣٣٥) ، موريس كورنفورث ، الطبعة الأولى ١٩٨٥م ، دار الفارابى ، بيروت .

يقـول ماركس : (إن طبقـة مضطهدة هى الشرط الحيـوى لكـل مجتمع يقـوم على صراع الطبقات . ولهـذا يتضمن تحرر الطبقـة المضطهدة بالضرورة خلـق مجتمع جديد . ومن الضرورى للطبقة المضطهدة حتى تكـون قادرة على تحرير نفسهـا أن لاتتمكـن القـوى المنتجـة الحاصلـة سـابقا ، والعلاقـات الإجتماعية القائمة ، الاستمرار فى الوجود جنبا الى جنب ...) .

ويقـول : (ومـادام الصراع بين البروليتـاريا والبرجوازية هـو صـراع طبقة ضد طبقة فإن الصراع الذى يصل إلى أعلى تعبيره هو الثورة الشاملة . والحقيقـة هـل مـن المدهش أن مجتمعـا قـائما على تناحر الطبقـات لايصـل فى تناقضه المرير إلى اصطدام الجسد بالجسد ، كنهايته الأخيرة)[١].

ويقــول لينين : (الإشتراكيــة إنما هــى محو الطبقــات ، وقــد قـامت ديكتـاتورية البروليتاريا بكـل مافى وسعها من أجل محو الطبقـات بيد أنه من المستحيل محو الطبقات دفعة واحدة . فالطبقات ماتزال باقيـة وستبقى فى عهد دكتـاتورية البروليتـاريا وعنـدما تزول الطبقـات تصبـح الـديكتاتورية عديمة الجدوى ، ولكن الطبقات لن تزول بدون ديكتاتورية البروليتاريا .

إن الطبقـات مـاتزال باقيـة ، ولكـن مظهر كل منهـا قـد تغير فى عهد ديكتـاتورية البروليتـاريا كـذلك تغيرت العلاقـة بين الطبقـات ، إن النضـال الطبقــى لايزول فى عهــد ديكتــاتورية البروليتــاريا ، بل يرتدى أشكـــالا أخرى)[٢].

---

(١) بؤس الفلسفة (١٦٧) .

(٢) التحالف بين العمال والفلاحين (٤٠٨) .

فالعنف أساس الثورة . جاء فى المعجم الشيوعى (وفى مضمون دكتاتورية البروليتاريا الطبقى يجب تميز جانبين قمع الطبقات الإستغلالية ، والتحالف مع الجماهير الكادحة غير البروليتارية ولاسيما مع الفلاحين .

الجانب الأول إنما هو الدكتاتورية بحد ذاتها أى مكافحة جميع القوى المعادية والعاملة ضد الثورة الإشتراكية باتخاذ التدابير القسرية حيالها بشكل العنف المسلح المباشر ونشاط هيئات الدولة للقمع والتأديب وأخيرا بشكل إصدار الوثائق التشريعية ، والأوامر الإدارية التى تحد من حقوق الطبقات الإستغلالية فى الملكية وكذلك بشكل الإكراه الإقتصادى أن دولة ديكتاتورية البروليتاريا تلجأ إلى وسائل متنوعة للقمع)[١].

ووجود هذه الطبقة المضطهدة فى المجتمع هى أساس الصراع ، والذى يوجد الطبقات هو الملكية الفردية ، ولولاها لما حدث هذا الصراع ولما وجدت هذه الطبقات .

وقد اعتبر ماركس وانجلز انتقال وسائل الإنتاج فى يد البروليتاريا أمرا مهما و(لايتم ذلك طبعا فى بادىء الأمر إلا بخرق حق التملك وعلاقات الإنتاج البرجوازية بالشدة والعنف)[٢].

فإزالة الطبقة البرجوازية ضرورى من أجل إبقاء البروليتاريا وتكون السلطة السياسية بيدها لأنها الطبقة المنتجة فى المجتمع وكل نضال يصدر عن البروليتاريا فهو نضال سياسى .

يقول لينين : (إن نضال البروليتاريا ضد البرجوازية الذى يتخذ أشكالا مختلفة ومحتوى يغتنى باستمرار يصبح حتما نضالا سياسيا يرمى إلى إستيلاء البروليتاريا على الحكم السياسى (ديكتاتورية البروليتاريا) ولابد لعملية جعل الإنتاج إجتماعيا من أن تجعل وسائل الإنتاج ملكية إجتماعية وأن تؤدى إلى انتزاع الملكية من مغتصبيها)[٣].

---

(١) (٢٢٧) .
(٢) البيان الشيوعى (٦٦) .
(٣) مصادر الماركسية (٤٧) .

ويقول : (إن كل نضال طبقى هو نضال سياسى)[١].

وبين لينين أن الدكتاتورية لاتتحقق إلا عند الوصول إلى الحكم ووصولها بالعنف ولكن وهذه استثناءات لينين قد تتنازل البرجوازية وتسلم الأمر للبروليتاريا بطرق سلمية .

فقال : (ننشر الدعاية لديكتاتورية البروليتاريا ونحقق ديكتاتورية البروليتاريا عندما نصل إلى الحكم . بالرغم من أن التطور يسير بأكمله فى اتجاه القضاء على سيطرة قسم من المجتمع بالعنف على قسمة الآخر فالديكتاتورية هى سيطرة قسم من المجتمع على المجتمع كله وهى فوق ذلك سيطرة تستند مباشرة إلى العنف . إن ديكتاتورية البروليتاريا ، بوصفها ديكتاتورية الطبقة الوحيدة الثورية حتى النهاية ، هى أمر لابد منه لإسقاط جانب من الأهمية بحيث لايمكن لمن لايعترف بها بتاتا أو لايعترف بها إلا قولا أن يكون عضوا فى الحزب الاشتراكى الديمقراطى ، بيد أنه من غير الجائز أن ننكر أن من الممكن فى حالات معينة استثنائية مثلا فى دولة من الدول الصغيرة تحققت الثورة الإجتماعية فى جارتها من الدول الكبيرة أن تتنازل البرجوازية عن السلطة بصورة سلمية إذا اقتنعت بأن مقوماتها أمر لاجدوى منه ، وإذا كانت تفضل الإبقاء على رؤوسها سليمة)[٢].

وعندما كانت روسيا هى المنطلق لإعلان النظام الشيوعى وثورة الطبقة الكادحة تحدث لينين عن النظام السوفييتى كثيرا وأبان أن الهدف منه القضاء على الرأسمالية وإزالة الطبقات من المجتمع وجعل البروليتاريا هى الطبقة الوحيدة صاحبة السلطة السياسية (دكتاتورية البروليتاريا) كما أن نضال هذه الطبقة سيجعل الجمهورية السوفيتية منتصرة بانتصارها .

---

(١) مصادر الماركسية (٥٩) .

(٢) استيقاظ آسيا (٥٣-٥٤) .

فقال : (إن السلطة السوفياتية فى روسيا لم تبرهن فقط من خبرة مايقرب من العامين بأن ديكتاتورية البروليتاريا ممكنة حتى فى بلد فلاحى وأنها قادرة عن طريق خلق جيش قوى (أفضل برهان سيادة التنظيم والنظام) على الصمود فى أكثر الظروف الإستثنائية التى لاتصدق صعوبتها .

لقد فعلت السلطة السوفياتية ماهو أكثر ، لقد حققت معنويا فى العالم كله لجماهير العمال فى كل مكان ورغم أن هذه الجماهير لاتحصل إلا على نتف ضئيلة من الحقيقة عن السلطة السوفياتية . ورغم أنها تسمع الآلاف وملايين التقارير الكاذبة عن السلطة السوفياتية ، فإنها لن تقف إلى جانب هذه السلطة . إن بروليتاريا العالم كله تفهم الآن أن هذه السلطة هى سلطة الشغيلة وأنها وحدها التى تعود إلى سلم دائم وهذا هوسبب أن هزائم الجمهوريات السوفياتية كلا على انفراد على يد الامبرياليين ممكنة ولكن الانتصار على الحركة السوفياتية العالمية للبروليتاريا مستحيل . مع تحياتى الشيوعية)[١].

ويبين لينين أن انتصار هذه الطبقة سيحقق الديمقراطية لأصحابها فقال:

(إن النظام السوفييتى على وجه الدقة من التأكيدات أو الظاهرات الساطعة لهذا التحول تحول ثورة إلى أخرى فإن النظام السوفييتى هو الحد الأقصى من الديمقراطية للعمال والفلاحين وهو يعنى فى الوقت نفسه القطيعة مع الديمقراطية البرجوارية وظهور طراز جديد من الديمقراطية فى التاريخ العالمى عنيت الديمقراطية البروليتارية أو دكتاتورية البروليتاريا)[٢].

ويقول : (إن انتصار السلطة السوفيتية فى العالم كله قضية مؤمنة . والمسألة مسألة وقت ...)[٣].

---

(١) حول الصحافة (٣١٠) .

(٢) مقالات وخطابات لمناسبة أعياد ثورة اكتوبر (٦٨) ، ترجمة دار التقدم ، موسكو دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها وانظر تاريخ النظريات الإقتصادية (٣٧٦) .

(٣) مقالات وخطابات بمناسبة أعياد أكتوبر (٣٨) .

ويرى ماركس أن طبقة البروليتاريا هى بانية المجتمع الإشتراكى[١].

كما أفصح ماركس عن حقيقة هذه الطبقة ودكتاتوريتها بأنها ستقضى على جميع الفوارق فى المجتمع ، وكذلك الأفكار النابعة من العلاقات الاجتماعية القائمة .

فهو يهدف إلى توظيف هذه الطبقبة فى تحقيق أهداف ومبادىء أخرى خاصة أنه اعتبرها صاحبة الحق فى السلطة السياسية فقال : (هذه الإشتراكية - إنما هى إعلان الثورة المستمرة الدكتاتورية الطبقية للبروليتاريا بوصفها درجة ضرورية للانتقال إلى القضاء على جميع علاقات الإنتاج التى تقوم عليها هذه الفوارق إلى القضاء على جميع العلاقات الإجتماعية المطابقة لعلاقات الإنتاج هذه إلى اجراء انقلاب فى جميع الأفكار النابعة من هذه العلاقات الإجتماعية)[٢].

ويقول ماركس : (بين المجتمع الرأسمالى والمجتمع الشيوعى تقع مرحلة تحول المجتمع الرأسمالى تحولا ثوريا إلى المجتمع الشيوعى وتناسبها مرحلة انتقال سياسية أيضا لايمكن أن تكون الدولة فيها سوى الدكتاتورية الثورية للبروليتاريا ...)[٣].

الأهداف التى يرغب الشيوعيون فى تحقيقها من وراء هذا المبدأ مأخوذة من ثنايا كلام الشيوعيين أنفسهم التى مرت معنا وملخصها مايأتى :

(١) القضاء على كافة الطبقات الموجودة فى المجتمع وإبقاء هذه الطبقة (البروليتاريا) . يقول ماركس : (إن هذه الدكتاتورية لاتمثل هى نفسها سوى انتقال نحو إلغاء الطبقات كافة ونحو مجتمع بلاطبقات)[٤].

(٢) جعل السلطة السياسية فى يد طبقة البروليتاريا والصراع الطبقى يؤدى إلى ديكتاتوريتها . يقول ماركس : (إن صراع الطبقات يفضى

---

(١) الماركسية والنزعة التحريفية (٢٩) ، منشورات مكتبة عائد ، دمشق ، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها .

(٢) النضال الطبقى فى فرنسا (١٤٦) .

(٣) الدولة والثورة (٩٢) .

(٤) مراسلات ماركس انجلز (٤٠) .

بالضرورة إلى دكتاتورية البروليتاريا)[١].

(٣) إن دكتاتورية البروليتاريا ضرورية من أجل القضاء على جميع علاقات الإنتاج التى تقوم عليها هذه الفوارق بالإضافة إلى القضاء على جميع العلاقات الاجتماعية المطابقة لتلك العلاقات وكذلك الانقلاب على جميع الأفكار النابعة من هذه العلاقات الإجتماعية[٢].

(٤) تحقيق الرفاهية لطبقة العمال وإزالة الأغلال المفروضة عليهم وكذلك الوصول إلى الاتحاد التام بين العمال فى كل بلدان العالم وذلك لأن هذه الطبقة منهم وتشعر بما هم فيه ، فآلامهم وآمالهم واحدة . يقول ماركس وانجلز : (والخلاصة أن الشيوعيين يؤيدون فى كل قطر من الأقطار كل حركة ثورية ضد النظام الاجتماعى والسياسى القائم . ويترفع الشيوعيون عن إخفاء آرائهم ومقاصدهم ويعلنون صراحة أن أهدافهم لايمكن بلوغها وتحقيقها إلا بدل النظام الإجتماعى القائم بالعنف فلترتعش الطبقات الحاكمة أمام الثورة الشيوعية فليس للبروليتاريا ماتفقده فيها سوى قيودها وأغلالها وتربح من ورائها عالما بأسره ياعمال العالم اتحدوا)[٣].

يضاف إلى ذلك :

(٥) كسب ود العمال والطبقة الكادحة نظريا للوصول إلى الأهداف التى يرغب الشيوعيون فى تحقيقها .

فهذا هو المبدأ الثانى من مبادىء الشيوعية الأساسية وهو شديد الصلة بالمبدأ الأول ، فإن سبب وجود الطبقات هو وجود الملكية ، فلابد من القضاء عليها ليخلو المجتمع منها ثم بجعل الأمر بيد طبقة البروليتاريا فيصلون عن طريق هذا المبدأ إلى التالى :

---

(١) مراسلات ماركس وانجلز (٤٠) .
(٢) انظر النضال الطبقى فى فرنسا (١٤٦) .
(٣) البيان الشيوعى (٨٦) .

أولا : إقامة طبقة واحدة فى المجتمع بيدها السلطة السياسية .

ثانيا : تقوم هذه الطبقة بالقضاء على الملكية الفردية وعلاقات الإنتاج والنظم القائمة عليها .

ثالثا : القضاء على الأفكار النابعة من علاقات الإنتاج الموجودة فى ذلك الوقت .

رابعا : أن هذه الطبقة لن تصل إلى الأمر إلا بطريق العنف والثورة لابطريق السلم والإصلاح .

خامسا : أن هذه الطبقة أحق من غيرها بخيرات المجتمع لأنها هى التى تعانى فتوجب الإبقاء عليها .

سادسا : أن الديمقراطية لن تتحقق إلا بسيطرة هذه الطبقة على زمام الأمور قاطبة .

المبحث الثالث
كفالة الدولة لجميع المواطنين

بعد أن تصبح السلطة السياسة فى يد الطبقة الحاكمة ستقوم هذه الطبقة برعاية وكفالة حقوق المواطنين السياسية والإقتصادية والتعليمية والإجتماعية.

أولا : الجانب السياسى :

عندما كان النظام البرجوازى (الرأسمالى) القائم على الملكية الفردية هو سبب الظلم ومصادرة الحريات فإن أصحاب الفكر الشيوعى كثيرا مايعقدون المقارنات عن أحوال الشعب فى ظل الرأسمالية وكذلك فى ظل الشيوعية وماسيحصلون عليه من حقوق وحريات .

فهم يرون أن النظام الرأسمالى إنما هو لخدمة المستثمرين فقط أى لأصحاب ذلك النظام والقائمين عليه دون غيرهم وأن الشعارات التى رفعها ذلك النظام كانت خالية عن الحقيقة وأن ديمقراطيته ليست ديمقراطية حقيقية كما أن أعلى نموذج يمكن أن تصل إليه الديمقراطية إنما يكون بوصول البروليتاريا إلى السلطة السياسية وأن غير هذا النظام يعد رجعية . يقول لينين :

(فاليوم بعد الفوز بالسلطة السياسية من قبل البروليتاريا ووجود نموذج أعلى للديمقراطية يطبق فى الجمهورية السوفيتية كل خطوة إلى الوراء نحو النظام البرلمانى البرجوازى ونحو الديمقراطية البرجوازية تعنى بالضرورة خدمة رجعية لصالح المستثمرين)[١].

ثم يعقد لينين مقارنة بين النظامين الشيوعى والرأسمالى وبين ماتحققه السلطة السوفيتية لمواطنيها من الأمور السياسية ، معتبرا كلا النظامين ديمقراطيا ولكن أحدهما صادق فى مبادئه والآخر مدعيا . فيقول :

---

(١) ماهى سلطة السوفييت (١٢) ، دار التقدم ، موسكو ١٩٧٠م ، دون ذكر لرقم الطبعة .

(إن الجمهورية البرجوازية الديمقراطية كانت تقبل على أكثر حد تنظيم الجماهير المستمثرة بالمعنى الذى تصفه أنه حر ولكنها كانت فى الواقع تضع دوما عراقيل حقيقية لاتحصى أمام تنظيمها عراقيل مرتبطة إرتباطا لاينفصم بملكية وسائل الإنتاج الخاصة ، ولأول مرة فى التاريخ لاتسهل سلطة السوفييت من جميع النواحى تنظيم الجماهير المضطهدة من قبل الرأسمالية فحسب ، ولكنها تضعه أيضا اساسا دائما واجباريا لكل جهاز الدولة من القاعدة إلى القمة ، ومحليا ومركزيا ، وعن هذه الطريق فقط تتحقق الديمقراطية عمليا لأكثرية السكان أى إشتراك أغلبية الشعب الساحقة وعلى وجه الدقة الشغيلة ، إشتراكا نشيطا فى إدارة الدولة بدلا من أن تكون هذه الإدارة بالفعل وفى الغالب فى أيدى ممثلى الطبقات البرجوازية مثلما هى الحال فى الجمهوريات البرجوازية الأكثر ديمقراطية)[١].

وأما عن المساواة يقول : (إن الديمقراطية البرجوازية إذ تعلن بأبهة المساواة بين جميع المواطنين تخفى فى الحقيقة برياء سيطرة المستثمرين الرأسماليين فهى تخدع الجماهير بالفكرة القائلة إن المساواة ممكنة فى الحقيقة بين المستثمرين والمستثمرين ان التنظيم السوفييتى للدولة يدحض هذا الكذب وهذا الرياء فهو يحقق الديمقراطية الحقيقية أى المساواة الحقيقية) .

ويقول : (وبالجملة إن الفرق بين الديمقراطية البرجوازية ونظام البرلمانية من ناحية وبين الديمقراطية السوفيتية أى الديمقراطية البروليتارية من ناحية أخرى ينحصر فى أن الأولى تنقل مركز الثقل إلى إعلان كل الحريات والحقوق بصورة مفخمة بليغة دون أن تتيح فى الواقع على وجه الدقة لأكثرية السكان للعمال والفلاحين أن يستفيدوا منها بقدر كاف إلى حد ما . وعلى النقيض من ذلك تنقل الديمقراطية البروليتارية أى الديمقراطية السوفيتية مركز الثقل لاإلى إعلان حقوق الشعب بأسره وحرياته ولكن إلى

---

(١) ماهى سلطة السوفييت (١٣) .

الضمانة الفعلية التى تتيح للجماهير الكادحة على وجه الدقة التى كانت مضطهدة ومستثمرة من قبل الرأسمال أن تصل بالفعل إلى إدارة الدولة وأن تستخدم بالفعل أحسن الأبنية والقاعات من أجل الإجتماعات والمؤتمرات وأحسن المطابع وأكبر مستودعات إحتياطى الورق من أجل تثقيف هؤلاء الذين كانت الرأسمالية تخبلهم وتبلدهم وضمان الإمكانية الفعلية لهذه الجماهير على وجه الدقة من أجل أن تحرر شيئا فشيئا من نير الأوهام الدينية ...الخ) .

وعن حق الانتخاب يقول : (إن أصول الانتخابات وإمكانية ممارستها على نطاق واسع وكذلك شروط إعادة الانتخابات وسحب النواب هى أسهل للغاية وفى متناول عمال المدن والقرى أكثر مما هى عليه فى أحسن أشكال الديمقراطية البرجوازية)[١].

وأما عن حقوق المرأة السياسية فيقول لينين : (كان النشاط السياسى فى المجتمع البرجوازى السابق يتطلب إعدادا معقدا وهذا لم يكن فى منال المرأة ولكن الجمهورية السوفيتية تعتبر مهمتها الرئيسية فى حقل النشاط السياسى النضال ضد الاقطاعيين والرأسماليين من أجل القضاء على الاستثمار ولهذا ينفسح المجال فى الجمهورية السوفيتية أمام النساء العاملات للقيام بنشاط سياسى يكون قوامه أن تساعد النساء الرجال بمهارتهن التنظيمية)[٢].

فهذا الجانب الأول الذى ستقوم السلطة السوفيتية برعايته فهو يضمن:

أولا : ضمان الحقوق السياسية فعلا لاإدعاء كما هو حال البرجوازية .

ثانيا : ممارسة الطبقة العاملة الحقوق السياسية بكل حرية وبصورة لم يشهدها التاريخ من قبل .

ثالثا : ضمان الحقوق السياسية للمرأة .

---

(١) ماهى سلطة السوفييت (١٣-١٧) .
(٢) المرجع السابق (٣٠) .

ثانيا : حق التربية والتعليم :

جاء فى التدابير التى ينبغى للدولة أن تتخذها للقضاء على الملكية الفردية واستمرار الطبقة البروليتارية جعل التربية عامة ومجانية على حساب الأمة . جاء فى البيان الشيوعى : (جعل التربية عامة ومجانية لجميع الأولاد ومنع تشغيل الأحداث فى المصانع كمايجرى اليوم والتوفيق بين التربية وبين الإنتاج المادى ...)[١].

وكتب انجلز يقول : (يعلم جميع الأطفال فى المؤسسات الوطنية على حساب الأمة حالما يمكن إنتزاعهم من أحضان أمهاتهم)[٢].

والتربية عند الشيوعيين أربعة أقسام :

(أ) التربية الإلحادية .

(ب) التربية البدنية .

(ج) التربية الجمالية .

(د) التربية الشيوعية .

أما التربية الإلحادية : فهى قائمة على انتزاع الإيمان من النفوس ممثلة فى مبدأ إلغاء الدين وسيأتى الحديث عنها إن شاء الله تعالى .

وأما التربية البدنية : فيهدفون من ورائها ، جعل الإنسان على قدر كبير من القوة وتنمية القدرة العملية لديه وبالتالى يكون عضوا فعالا فى تحقيق وخدمة الأهداف الشيوعية .

وقالوا فى تعريفها : (تطوير هادف للقدرات الجسدية للإنسان يسهم فى اكتماله الجسدى بوصفه سمة لاتتجزأ للفرد المتطور من كل النواحى والاكتمال الجسدى هو بالدرجة الأولى الصحة القوية والعمر المديد الخلاق

---

(١) (٦٧) .

(٢) تعاليم الماركسية (٣٢) .

والتطور الشامل للسمات والملكات التى تتضمن القدرة العالية الجسدية والذهنية على العمل لدى الإنسان)[١].

وأصبح الاهتمام بهذا منصوصا عليه فى الدستور السوفييتى[٢] .

ويرون أن هذه التربية تزيد من أواصر الجماعية والتلاحم والمساعدة المتبادلة[٣].

أما التربية الجمالية : فهى (تكوين وتطوير مقدرة الإنسان على استيعاب نتاجات الفنون والخواص الجمالية لظواهر الواقع ، أى المهارة فى تقييمها كنتاجات رائعة أو قبيحة ، سامية أو متدنية ، مأسوية أو كوميدية)[٤].

وكعادة الشيوعيين فى ربطهم كل أمورهم بالعمل قالوا عن التربية الجمالية : (وإن أساس التربية الجمالية هو العمل ، ليس فقط لأنه يخلق كافة الخيرات المادية والروحية للمجتمع ، بل ولأنه تتكون فى عملية العمل أيضا القدرات الجمالية التى يستحيل بدونها تطور الثقافة الجمالية الروحية للإنسان)[٥].

أما التربية الشيوعية : فهى (تكوين أناس مخلصين للشيوعية متطورين من جميع النواحى وبصورة متناسقة ويتميزون بتبنى العقائد الشيوعية وممارسة النشاط الرامى إلى بناء المجتمع الشيوعى تكوينا هادفا منتظما منهاجيا)[٦].

(والجوانب الأساسية من التربية الشيوعية هى التالية : تكوين العقيدة الشيوعية العلمية ، تربية الموقف الشيوعى من العمل ، التربية الأممية

---

(١) المعجم (١٢٥) .

(٢) انظر المرجع السابق (١٢٦) .

(٣) انظر المرجع السابق (١٢٦) .

(٤) المرجع السابق (١٢٦) .

(٥) المرجع السابق (١٢٨) .

(٦) المرجع السابق (١٢٨) .

والـوطنية ، تربية الأخلاقية الشيـوعية ... التربية الجماليـة ، التربية البدنية ، ومـن أكبر مهـام التربية الشيـوعية ، تربية الموقف الشيـوعى مـن العمل أى تكوين موقف من العمل ، بوصفه الحاجة الأولى فى الحياة)[١].

ولكـن أى علم تريده الشيـوعية لأصحـابها وتضمنـه لهـم ، وتربيهـم عليه ؟

أجابوا عـن ذلك بقولهم : (إن عمليـة تكوين العقيـدة العلمية تشمل التربيـة الإلحادية ، وتذليـل رواسـب الماضـى فى وعـى النـاس وسلـوكهم ، وتربيـة الصلابة الفكـرية . والاخلاص الثـورى لأفكـار الحزب الشيـوعى والحســاسية الطبقيـة الحادة والتشـدد حيـال الأيديولـوجية البرجوازية والأيديولوجية البرجوازية الصغيرة والقدرة على معرفة جوهر الأفكار الغريبة عن الشيوعية ، أيا كانت الأردية التى تتستر بهـا ، وعلى شـن نضال هجومى لاهوادة فيه ضدها ...)[٢].

هـذا بعض ماجاء عن المبدأ الثالث فى كفالة الدولـة للأفراد وتعليمهم وتربيتهـم وضمـان حقوقهم السيـاسية ، عـرضته كما يحلـو لأصحـاب الفكر الشيوعى أن يتحدثوا عنه ويفاخروا به ، ونجدهم دوما يعقـدون المقارنة بين نظـام الـرأسمال ومـافيه مـن ظلم وبين نظـامهم ومـافيـه مـن تحقيـق للعـدل والمساواة والحرية ، أى من تطبيق للديمقراطية على أعلى درجاتها .

---

(١) المعجم (١٢٩) .
(٢) المرجع السابق (١٢٩) .

المبحث الرابع
المساواة

من المبادىء التي يدعى أصحاب الفكر الشيوعى تحقيقها مسألة المساواة ويقصدون بها (توفر ظروف وفرص متكافئة للتطوير الحر لمؤهلات كل أفراد المجتمع وتلبية حاجاتهم والمكانة المتماثلة للناس فى المجتمع)[١].

ويرى أصحاب الفكر الشيوعى أنهم يدعون إلى المساواة والحرية حقيقة لادعوى مجردة عن التطبيق الفعلى كما هو حال البرجوازية . وهذه المساواة يشعر بها كل فرد يعيش فى ظل هذا النظام ـ هكذا قالوا ـ .

ويرون أن هذه المساواة ليست قصرا على الحقوق السياسية أو إشراك المرأة مع الرجل ومساواتها به فى العمل ، بل يكونون سواسية فى كل شىء حتى يزول من نفوسهم استغلال بعضهم بعضا لا كما هو حال المجتمع الرأسمالى ، فالمساواة تدعو إلى الوحدة التامة بين العمال فى جميع المجتمعات .

يقول لينين : (إن العمال الواعين يريدون الوحدة التامة بين عمال جميع الأمم فى جميع منظمات العمال التثقيفية والنقابية والسياسية ...الخ . فالعمال من أبناء جميع الأمم يذودون معا يذودون متضافرين فى منظمات مشتركة عن الحرية التامة والمساواة التامة بوصفها ضمان الحضارة الحقيقية ...)[٢].

ولكن هذه المساواة لن تتحقق إلا إذا قضي على الملكية الفردية فأصحاب الفكر الشيوعى كثيرا مايربطون المعضلات والتحولات بقضية التملك التى أفرزت الطبقات . فالفرد فى ظل النظام الرأسمالى يعاني من الظلم والاستغلال الشىء الكثير وذلك راجع إلى سيادة الملكية الفردية فيه .

---

(١) المعجم (٣٧٦) .
(٢) استيقاظ آسيا (٢٧) .

فيتعين إزالة هذه الملكية الخاصة والتى أدت إلى قيام النظام الطبقى ، يقول لينين : (إن المساواة تبقى عبارة جوفاء إذا لم يقصد بالمساواة إزالة الطبقات . إننا نريد تصفية الطبقات ، ونحن من هذه الناحية ننادى بالمساواة)[١].

وقد ركز الشيوعيون على المساواة الإجتماعية بين الأفراد لأنها من أهم مصادر تطوره ، جاء فى برنامج الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى : (لقد نشأت الظروف لنمو الفرد نموا شاملا بفضل المكتسبات الإجتماعية التاريخية ، الخلاص من الاستثمار ومن البطالة والبؤس ومن التميز الناشىء عن الجنس والأصل والقومية والعرق وقد منحت كل عضو من أعضاء المجتمع فرص متساوية للعمل الخلاق والتعليم) .

إن الإشتراكية تهيىء كل الظروف لأجل تعاظم الدور الإجتماعى للفرد فى جميع ميادين حياة المجتمع وفى توسيع وظائف الفرد الإجتماعية لاتسهم عملية تطوير العلاقات الاجتماعية وحسب بل وكذلك تطبيق أحدث منجزات العلم والتكتيك فى الإنتاج والتنظيم العلمى للعمل وإشراك جميع الشغيلة فى إدارة الإنتاج)[٢].

والمساواة التى نادى بها أصحاب الفكر الشيوعى لم تكن حصرا على الرجال بل أدخلوا النساء فيها وجعلوها صاحبة حقوق مساوية للرجل سواء سياسيا أو إجتماعيا أو عمليا ، وفرقوا بين حال المرأة فى النظام الرأسمالى وبين حالها فى ظل النظام الشيوعى وبرروا تبعية المرأة للرجل فى النظام الرأسمالى بأنها تبعية لأسباب إجتماعية وإقتصادية ، أدت إلى حرمانها من حقوقها السياسية والإقتصادية وعزلها عن المجتمع وقصر نشاطها على المنزل فقط فكان لابد من النضال بداية من أجل تحريرها ضد استغلال الرأسماليين لها وسلبهم لحقوقها ، وبالتالى فإن المرأة تشارك فى نضال العمال

---

(١) المعجم (٣٧٧) .
(٢) المرجع السابق (٣٣٣-٣٣٤) .

والكادحين ضد الإستغلال من أجل بناء المجتمع الجديد ، ويفخر الشيوعيون بأن (دستور الاتحاد السوفييتى لعام ١٩٧٧م لايعلن حقوقا متساوية للرجال والنساء وحسب بل يضمن كذلك تحقيق هذه الحقوق بمنح النساء فرصا مساوية لفرص الرجال فى الحصول على التعليم ، والإعداد المهنى ، وفى العمل والمكافأة على العمل ، وفى الترقى فى العمل ، وكذلك بإجراءات خاصة لحماية عمل النساء وصحتهن وتوفير ظروف تتيح للنساء الجمع بين العمل والأمومة)[١].

وبعد ذلك المساواة فى الأجور وتوزيع المواد الاستهلاكية بالتساوى بين أفراد المجتمع - دون النظر إلى مايسهم به كل فرد فى العمل ويسمونه بالتوزيع السوائى ويعرفونه بأنه (شكل لتوزيع الخيرات الإستهلاكية بين أعضاء الجماعية بالتساوى بغض النظر عن القسط الذى يسهم به كل منهم فى العمل)[٢].

وكان للتوزيع السوائى هذا دعاته وخاصة الإشتراكيين الطوباويين .

ويرى الشيوعيون (أن الإشتراكية خطوة حاسمة على طريق إزالة اللامساواة الإجتماعية فهى تزيل اللامساواة إزاء وسائل الإنتاج وتصفى الملكية الخاصة فتخلص كل أفراد المجتمع من الاستغلال .. إن المساواة الإشتراكية تتضمن واجبا متساويا على الجميع كى يعملوا حسب قابلياتهم وكذلك حقا متساويا للجميع فى الكسب حسب العمل . إلا أن هذا الحق المتساوى لايزيل قدرا معينا من اللامساواة الفعلية وفى سياق تطور الإشتراكية وتحولها إلى شيوعية يتحقق تعادل تدريجى فى الرفاه المادى والمستوى الثقافى للشغيلة وتمحى الفوارق الإجتماعية الطبقية ويجرى التعادل اللاحق فى مستويات تطور الأمم والأقوام وتذليل مخلفات اللامساواة الفعلية بين المرأة والرجل وتعنى المساواة الشيوعية كما يؤكد برنامج الحزب

---

(١) المعجم (٣٧٤) .

(٢) المرجع السابق (١٦٠) .

الشيوعى السوفييتى ، أن جميع الناس سيتمتعون بمكانة متساوية فى المجتمع وموقف متماثل إزاء وسائل الإنتاج وظروف متساوية للعمل والتوزيع ، وسوف يشاركون فى تصريف شؤون المجتمع . وستترسخ علاقات متناسقة بين الفرد والمجتمع على أساس وحدة المصالح الإجتماعية والشخصية ، وسيتحقق المبدأ الأساسى للشيوعية : (من كل حسب كفاءاته ولكل حسب حاجته)(١).

ويظهر جليا أن المساواة تكاد تكون فى قضية الأجور وتوزيع المواد الإستهلاكية أبرز فيها من الجوانب الأخرى وهم يريدون بهذا أن يوجدوا الدخل المناسب لكل فرد حسب حاجته ولايطمع فى شىء آخر ، لأن الكل متساوين يحصلون على مايغطى كل احتياجاتهم . ومن هنا ننتقل الى المبدأ الخامس ألا وهو (من كل حسب كفاءته ولكل حسب عمله) حيث إن هذا المبدا يسبق المبدأ السابق ذكره .

وقبل الحديث عن المبدأ الخامس نوجز ماذكروه عن المساواة فى الآتى :

أولا : تحقيق المساواة بين أفراد الشعب حقيقة لاإدعاء .

ثانيا : المساواة بين المرأة والرجل فى كل شىء سواء فى الدخول أو التكليف .

ثالثا : المساواة فى الأجور حتى لايحس أحد أنه ظلم فى أجره .

رابعا : المساواة بين الناس فى توزيع السلع الإستهلاكية .

---

(١) المعجم (٣٧٧-٣٧٨) .

المبحث الخامس
مبدأ [من كل حسب كفاءته ولكل حسب عمله]

وهـذا المبدأ هو المبدأ الأسـاسى للإشتراكية اذ أن الإشتراكيـة[١] مرحلة سابقة على الشيوعية ، والشيـوعية ترمـى إلى تحقيـق المسـاواة فى كـل شـىء وهذا المبدأ يتناسب مع هذه المرحلة .

ويعكـس هذا المبدأ خصائص التـوزيع فى المجتمـع الإشتراكى وكذلك مايقدم كل فرد فى ظل هذا النظام وطبقا لهذا المبدأ فإن جميع أفراد المجتمع ملـزمون بالتكافؤ بالعمل ، ومضاعفة الثروة الإجتماعيـة ، وهم يتمتعون بحق متسـاو فى أن يحصلـوا من المجتمـع على وسائل العيـش طبقـا لكمية ونوعية العمل المبذول . وإذ ينادى المجتمع الإشتراكى بالزامية العمل لكل من يقدر عليه ، فإنه يكفل قانونيا توفير العمل لكل منهم[٢].

ويقـول لينين : (المبدأ الأول الأسـاسى ، الجذرى للإشتراكيـة : (مـن لايشتغل ، لايأكل) .

ويضيـف لينين ـ بعد أن يرى أن تسعـة أعشار سكـان روسيا يؤمنون بهـذه الحقيقـة ـ (كيف العمـل على تطبيـق هذا المبـدأ؟ إنه لـواضح وضوح النهار إنه ينبغى لهذا الغرض فى بادىء الأمر أن يكون هناك احتكار الدولة للحبـوب ، أى منـع كل تجارة خاصـة بالحبـوب منعا مطلقـا ، وإلـزام تسليم جميـع فـوائض الحبوب إلى الـدولة ، بالأسعـار الثابتـة ، وكـذلك منـع أى إمـرىء منعـا مطلقا من الاحتفـاظ بفـوائض الحبوب وإخفـائها وينبغـى ثانيا إجراء حسـاب صـارم لجميع فـوائض الحبـوب والقيام كمـا ينبغـى وبصورة لاعيـب فيهـا ، بنقـل الحبوب من المنـاطق التى تفيـض فيها إلى المنـاطق التى

---

(١) يعرف انجلز الإشتراكية بقوله : (إن الإشتراكية الحديثة هى ، فى جوهرها ، النتاج المبـاشر للإعتراف من جهة واحدة بالتناحرات الطبقية القائمة فى المجتمـع الحالى بين الملاكين وغير الملاكين ، بين الـرأسماليين والعمـال المأجورين ، ومـن جهـة ثانية بالفوضى القائمة فى الإنتاج) . انتى دوهرنغ (٢١) .

(٢) انظر المعجم (٣٦٢) .

تنقصها وخزن الحبوب الضرورية للاستهلاك ، والتكيف والبذر ، وينبغى ثالثا القيام بتوزيع الخبز بين جميع مواطنى الدولة تحت مراقبة دولة العمال ، دولة البروليتاريا على أن يكون هذا التوزيع سديدا ، عادلا ، لايمنح الغنى أى إمتياز أو أية أفضلية)[١].

وفى ظل الإشتراكية للفرد الحق فى اختيار العمل الذى يرغب فيه حسب ميوله ومؤهلاته ويكون الأمر حسب كمية العمل ونوعيته . جاء فى الدستور السوفييتى لعام ١٩٧٧م المادة (٤٠) :(لمواطنى الاتحاد السوفييتى الحق فى العمل أى فى الحصول على عمل مضمون ومدفوع الأجر حسب كمية العمل ونوعيته على أن لايقل الأجر عن الحد الأدنى الذى أقرته الدولة . بما فى ذلك الحق فى اختيار المهنة ونوع الاشتغال والعمل حسب الميول والمؤهلات والإعداد المهنى والتعليم ومع أخذ حاجات المجتمع بعين الاعتبار)[٢].

وتلبية الاحتياجات فى النظام الإشتراكى ـ كما يدل على ذلك منطوق المبدأ ـ تتحدد بكمية العمل ونوعيته ، ومدى النشاط المبذول من العامل وعلى هذا فالقاعدة عندهم (من يعمل أكثر يحصل أكثر فى ظل الإشتراكية) ، جاء فى المعجم : (ويتحدد معيار تلبية الاحتياجات فى ظل الإشتراكية بكمية العمل ونوعيته . وتتناسب تلبية احتياجات كل شغيل مع نشاطه فى العمل وإسهامه فى إغناء الثروات الإجتماعية . فمن يعمل أكثر يحصل أكثر فى ظل الإشتراكية)[٣].

وهذه القاعدة عندهم تحقق لهم أمورا :

(١) المصلحة المادية الذاتية للعامل .

(٢) تنمية كفاءاته وقابلياته .

---

(١) التحالف بين العمال والفلاحين (٢٨-٢٨٩) .

(٢) المعجم (٣٦٢) .

(٣) (٣٦٢) .

(٣) إسهامه النشط فى الإنتاج وزيادة كمية المنتوج وتحسين نوعيته[١].

وعندما كان العامل فى ظل النظام الإشتراكى لايعمل منفردا فإن اسهامه العملى وبالتالى معيار تلبية متطلباته يتوقفان إلى حد كبير على مساهمة جماعة الإنتاج ككل وبالتالى يحقق المبدأ الأساسى للإشتراكية الآتى :

أولا : يكفل المصلحة المادية الجماعية وليس الفردية فحسب .

ثانيا : إيجاد الحوافز المعنوية علاوة على الحوافز المادية للعمل .

ثالثا : الشعور بالواجب إزاء المجتمع والجماعة والاعتراف الإجتماعى بالعمل .

رابعا : تعزيز الانضباط والتنظيم الإشتراكيين ، وهو أداة هامة لمحاربة التقاعس[٢].

كما أن مبدأ الإشتراكية هذا يجسد منجزات المجتمع الإشتراكى الهائلة كما يقول الشيوعيون .

فأولا : هيمنة الملكية العامة .

ثانيا : غياب الاستغلال .

ثالثا : تساوى فرص وواجبات جميع أفراد المجتمع فى العمل .

رابعا : الحصول على أجر متكافىء لقاء العمل المتكافىء[٣].

هذا المبدأ نادى به الإشتراكيون فى طريقهم إلى الوصول إلى المبدأ الآخر الذى اعتبروه المبدأ الأساسى للشيوعية ، الذى يحقق المساواة ، ويلبى الرغبات والحاجات لكل فرد مهما كانت قدرته ، وكفاءته ، فله بقدر حاجته بصرف النظر عن مقدار عمله ونشاطه فيه . وهذا المبدأ هو (من كل حسب كفاءته ولكل حسب حاجته) .

---

(١) انظر المعجم (٣٦٢) .

(٢) انظر المرجع السابق (٣٦٢) .

(٣) انظر المرجع السابق (٣٦٣) .

المبحث السادس
مبدأ [من كل حسب كفاءاته ولكل حسب حاجته]

وهـذا المبـدأ من المبادىء الأسـاسية للشيـوعية يتحقـق فى فترة لاحقـة للإشتراكية .

ويعتبرونه مجسدا للمساواة الإجتماعية التامة واعتبروا هـذا المبدأ معبرا عما يتطلبه المجتمع من أفراده .

وعن طابع توزيع الخيرات المادية والروحية قال الشيوعيون : (يتطلب المبـدأ الأساسى للشيوعيةمـن كل فرد فى المجتمع أن يعمـل بكـل مالديه من كفـاءات ، وأن يسهم بنشاط فى تصريف شؤون المجتمـع ، ويعمل باستمرار على النهـوض بمستـواه الثقـافى والنظرى وأن يراعى بطـواعية قـواعد العيش الشيـوعى ، ويغدو تنفيذ هذه المتطلبات ممكنا لأن العمـل فى ظل الشيوعية لايعود إلزاما ومجرد وسيلة للاعتياش ، بل يصبح الحاجة الحيـاتية الأولى)[١].

وبالمقابل فإن المجتمع الشيوعى سيكفل للفرد حقـوقه ويوفر له الفرص جاء فى المعجم (وسيكفل المجتمع الشيوعى المساواة الإجتمـاعية لجميع أفراده لذا سيوفر فرصا متكافئة ليس لتكوين شخصية كل فرد فحسب بل ولتوظيف واستخدام قابليات وطاقات كل منهم على النحو الأمثل لما فيـه خير المجتمع والفـرد وقد أشار انجلز إلى أن الشيوعية "تتيح لجميع أفـراد المجتمع إمكانية تنمية قابلياتهم وتغذيتها وإظهارها على أشمل نحو ممكن")[٢].

والشيوعيون عندما جعلوا هذا المبدأ أساسا لشيوعيتهم فإنهم يرون أن تحقيقه يؤدى إلى الآتى :

أولا : إزالة التخصص الضيق للعامل ويصبح تغيير مجال النشاط بحرية أمرا ممكنا .

---

(١) المعجم (٣٦٤) .
(٢) (٣٦٤) .

ثانيا : اشتمال قابليات الفرد كمواطن ووجه إجتماعى .

ثالثا : وجود الإدارة الذاتية الإجتماعية الشيوعية ، التى ستحل محل الدولة .

رابعا : لن يعد الإنسان بحاجة إلى إرهاق ذهنه بالتفكير فى الأجور والمنفعة المادية الذاتية مما سيؤدى إلى ازدهار فى قابلياته .

خامسا : حصول الإنسان على وقت فراغ من المشاغل المادية اليومية المضنية والتى تتطلب جهدا كبيرا حيث سيحصل على وقت فراغ للمساهمة فى نشاطات الحياة اليومية من علم ، وتكنيك وأدب وفن وللتنمية الذهنية والبدنية ، والأخلاقية .

سادسا : ستتنامى بشكل منقطع النظير كرامته كإنسان ، كمبدع لقيم مادية وروحية لم يسبق لها مثيل ، وكمشيد لعلاقات إجتماعية جديدة .

سابعا : أن هذا المبدأ ينص على التأمين المقام لحاجات البشر المادية والروحية[1].

هذا بعض ماجاء فى كلام الشيوعيين عن مبدأ من كل حسب كفاءته ولكل حسب حاجته فالمرء فى الشيوعية يعمل حسب استطاعته وجهده وإن كان قليلا ، وسيجد الإنسان أن المجتمع يحقق له كل احتياجاته فليس المردود على الفرد بقدر المبذول من قبله فى عملية الإنتاج ، بل المشاركة حسب الكفاءة التى يجدها فى نفسه وفى أى مجال كفيلة بأن تحقق له مايسد حاجته .

---

(١) انظر المعجم (٣٦٤) .

المبحث السابع
إلغاء الدين

إن القضاء على الدين من أهم المبادىء الشيوعية ، وقد أجلبوا بخيلهم ورجلهم فى مسألة إلغائه والقضاء عليه ، وتفسيره حسب أهوائهم وآرائهم ، واعتبروه وهم وخرافة ورثتها الأجيال بعضها عن بعض . والدين عندهم مرتبط بظروف قائمة تدعو لوجوده فإذا زالت أسباب وجوده تحقق زواله .

ويرون أن الأفكار والآراء تتبدل وتتغير من مجتمع إلى آخر وتكون أفكار وآراء وأخلاق الطبقة السائدة فى كل مجتمع هى السائدة فى ذلك المجتمع فهم يرون أنه عندما (كان العالم القديم على أعقاب السقوط والزوال انتصر الدين المسيحى على الأديان الأخرى القديمة وحينما تركت الأفكار المسيحية محلها فى القرن الثامن عشر لأفكار الرقى الجديدة كان المجتمع الإقطاعى يقوم إذ ذاك بمعركته الأخيرة ضد البرجوازية التى كانت حينذاك ثورية ولم يكن ظهور الأفكار القائلة بحرية المعتقد والحرية الدينية إلا إيذاناً بسيطرة المزاحمة الحرة فى ميدان العقائد ...)[1].

ويرى الشيوعيون أن الدين أمرا عارضا ، وفكرا من الأفكار التى ظهرت فى فترة من الزمن كان الناس بحاجة اليها فى ذلك الوقت ، واعتبروه أفكارا تقليدية ، حيث قال انجلز فى اجابة على سؤال وضعه لنفسه مفاده (ماهو موقف النظام الشيوعى من الدين؟)

فأجاب (هل من حاجة لنفاذ بصيرة لكى يدرك المرء أن تغير معاش البشر وعلاقاتهم الإجتماعية ووجودهم الإجتماعى يستتبع تغيرا فى تمثلاتهم ومفاهيمهم وأفكارهم باختصار فى وعيهم .

(١) البيان الشيوعى (٦٤) .

عندما كان العالم القديم يحتضر تمكنت الديانة المسيحية من الانتصار على الديانات القديمة[٢] وعندما تقهقرت الأفكار المسيحية أمام هجمة الأفكار التقدمية فى القرن الثامن عشر كانت آخر قلاع الإقطاع تهوى تحت ضربات البرجوازية الرافضة التى كانت تشكل طبقة ثورية آنذاك ذلك أن شعارات حرية الفكر وحرية المعتقد الدينى لم تكن إلا إيذانا بحلول ملكوت المنافسة الحرة فى حقل المعرفة إن الثورة الشيوعية سوف تعلن القطيعة الكاملة مع علاقات الملكية القديمة .

فما العجب إذا إن هى أعلنت القطيعة الجذرية الكاملة فى سياق تطورها مع الأفكار التقليدية)[١].

فيظهر أن الدين كانت له ظروفه المساعدة لقيامه أما فى المجتمع الشيوعى وبعد التطور فلاحاجة للمجتمع فيه ، وذكر دعاة الشيوعية العلمية أن المشاعية الأولى التى تحققت فيها المساواة كانت خالية من الدين ، وأنه ماظهر إلا بعد أن اكتشفت الزراعة ووجدت الطبقات المالكة وغير المالكة فأرادت الطبقة المالكة السيطرة والاستغلال فابتكر الإنسان فكرة الدين وخصوصا الطبقة المالكة لتقوم بتبرير ماهى عليه من استغلال وظلم للطبقات الأخرى وقد صرح ماركس بأن الدين من صنع الإنسان فقال : (ليس الدين هو الذى يصنع الانسان إنما الإنسان هو الذى يصنع الدين)[٢].

فإذا كان الدين من صنع الإنسان فإذا ليس هناك خالق أو مدبر لهذا الكون تصدر الأوامر الدينية من عنده .

ولهذا أولى الشيوعيون التربية الإلحادية اهتماما كبيرا ومر معنا أنهم قسموا التربية التى تكفلها الدولة الى أقسام أربعة ومنها التربية الإلحادية . وذلك تسهيلا لإلغاء الدين والقضاء عليه .

---

(١) قارن ماجاء فى البيان ، ولأجل ذلك اعتبر البعض أن أصل البيان هو كتابات انجلز هذه (تعاليم الماركسية) .

(٢) تعاليم الماركسية (٣٩) ، وانظر البيان الشيوعى (٦٥) .

(٣) الماركسية قضايا أساسية (٦٠) ، بليخانوف ١٩٨٣م ، دار التقدم ، موسكو ، دون ذكر لرقم الطبعة .

إذن فما هى التربية الإلحادية؟

وللإجابة على ذلك نجد أن الشيوعيين عرفوها بأنها : (التأثير الهادف فى الناس لأجل تكوين العقيدة العلمية المادية عندهم ، وتذليل الأوهام والخرافات الدينية)[١].

ومن خلال التعريف السابق يتضح أن المقصود بها غرس العقيدة الإلحادية وإزالة الآثار الدينية التى وصموها بأنها أوهام وخرافات . وهذه التربية تضطلع بدور مهم فى تربية الإنسان حيث تسلحه بالأيديولوجية الماركسية الإلحادية وتزيل عنه رواسب الماضى . وتساعد فى بناية معتقداته الإلحادية بصورة وطيدة ، وذلك بجوار العمل التربوى والتحولات الإجتماعية والإقتصادية التى تشكل عاملا مهما فى تذليل الدين وزواله .

يقول ماركس : (إن الدين سيزول بقدر ماتتطور الإشتراكية . وينبغى أن يتم زواله بنتيجة التطور الإجتماعى الذى يعود فيه إلى التربية دور كبير)[٢].

الاتحاد السوفييتى والتربية الإلحادية :

عندما كان الاتحاد السوفييتى معقل الشيوعية العلمية الأول فقد عملت السلطات السوفيتية على تطوير هذا القسم من أقسام التربية بين السكان واهتمت به أكثر من غيره ، إذ أنه يسهل مهمتهم ويقربهم من تحقيق أهدافهم .

فاتخذت عدة إجراءات منها :

أولا : فصل الدين عن الدولة وفصل المدرسة عن الدين .

ثانيا : رفع المستوى الثقافى للشغيلة (لأن الأفكار الدينية تخلف وجهل) .

---

(١) المعجم (١٢٣) .

(٢) المرجع السابق (١٢٣) .

ثالثا : الاسترشـاد بالتوجيهات اللينينية بشأن سبل التغلـب على الأوهام الدينية .

رابعا : إصـدار برنامج مـن قبـل الحزب الشيـوعى السـوفيتى للنضـال الفكرى ضد الدين .

خامسا : الـدعاية العلميـة الإلحادية ، وتطـوير الحركـة الإلحادية الجمـاهيرية ، والدعاية الواسعـة للإلحاد التى تقوم بهـا دور النشـر والمجلات والجرائد وسائر وسائل الإعلام الجماهيرى .

كـل هـذا أسهـم فى ابتعاد الأغلبيـة مـن سكـان الاتحاد السـوفيتى عـن الدين[١].

وأكـد لينين على أهمية التنويع واستخدام مختلف الأسـاليب فى إيقاظ الناس من السبات الدينى! فقال :

(ينبغـى إعطـاء الجمـاهير مـادة متنـوعة للغـاية فى الـدعاية الإلحادية واطلاعهـا على وقائع من شتى ميادين الحياة ، والاقتراب منهـا بهذا النحو أو ذاك لإثارة اهتمامها ، وإيقاظها من السبات الدينى ، وهزها من شتى الجوانب وبشتى الأساليب ، وماإلى ذلك)[٢].

وهـذه التربية الإلحادية التى ينعـم بها الفرد فى ظـل النظام الشيوعى ، يرافقها الآراء القائلة بأن الدين من اختراع الإنسان ، وأن الـذى حمله على اختراعه التبرير لظلمه وجعل المظلومين يرضون بهذا الظلم لأنه قـدرهم الذى رضيـه لهم خالقهم . علاوة على إيهـامهم بأن الدار الآخرة لهـم إذا صبروا بقسمتهـم فى هـذه الحياة . ومـن هنـا ولج ماركس فى إعلانه أن الـدين هـو مصـدر الهلاك والتثبيط والتخـدير للمظلومين وإعلان تحسـرهم فقـال : (إن الشـدة الـدينية هى فى جزء منهـا التعبير عن الشدة الـواقعية وفى جزء آخر الاحتجـاج على الشدة الواقعيـة . الدين هو تحسر الإنسـان المضطهد ، حرارة

---

(١) انظر المعجم (١٢٤) .
(٢) المرجع السابق (١٢٤) .

عالم عديم الشفقة مثلما هو روح الأوضاع الإجتماعية التى لامكان للروح فيها إنه أفيون الشعب)[١].

فاذا كان الدين بهذه المثابة من صنع البشر ، وسبب الشقاء والوهم فلابد من نقده والقضاء عليه .

فقال ماركس : (ان نقد الدين يجرد الإنسان من أوهامه حتى يفكر ويعمل ويصوغ واقعه الذاتى كإنسان أضاع أوهامه وبلغ سن الرشد وذلك كى يدور حول نفسه أى حول شمسه الواقعية)[٢].

وأخذ يكثر ماركس من أقواله حول إلغاء الدين ونقده وإرجاع الاضطهاد الذى وقع على الطبقات الكادحة بسببه .

وقال : (إن إلغاء الدين بما هو سعادة وهمية للشعب يعنى المطالبة بسعادته الحقيقية والمطالبة بتخليه عن الأوهام فى وضعه ، تعنى المطالبة بتخليه عن وضع يحتاج إلى أوهام ومن ثم فإن نقد الدين هو أصلا نقد وادى الدموع هذا ، الذى يشكل الدين هالته)[٣].

وبذل الشيوعيون قصارى جهودهم فى حرب الدين ومحاولة القضاء عليه ، بل وأعلنوا الإلحاد وأنكروا أن يكون هناك خالق واعتبروا المادة هى الأصل وإليها يرجع الأمر ، وعقد الشيوعيون مؤتمراتهم لحرب الدين واعتبروا القضاء عليه من أهم أعمال الثورة من أجل رفع الظلم والاضطهاد الذى وقع على الانسان حتى أصبح فى هذه الدنيا بائسا مضطهدا وهذا المجتمع أصبح كواد من الدموع . يقول جورج بوليتزر : (والإنسان بحاجة إلى الأوهام مادام فى هذه الحالة والدين يقدمها له فهو يحيط وادى الدموع بهالة يحجب عن الأنظار وسلاسل الأزهار الخيالية ، يعزى الإنسان بما يقدمه له من تحقيق وهمى لكينونته)[٤].

---

(١) وضعية الدين عند ماركس وانجلز (٣٨) .
(٢) مساهمة فى نقد فلسفة الحقوق الهيغلية نقلا من فلسفة الأنوار (١٢) .
(٣) وضعية الدين عند ماركس وانجلز (٣٩) .
(٤) فلسة الأنوار (١٠) .

ونتيجة لهذا التفسير للدين فإن الآلهة عند الشيوعيين مخلوقة من مخلوقات الإنسان يقولون : (إن الإنسان هو الذى خلق الآلهة الإنسان ، الموجود فى شروط حياتية محددة والدين طريقة معينة فى انعكاس العالم فى وجدان الإنسان)[١].

ومما سبق يمكننا استخلاص الآتى :

أولا : أن المادة خالقة هذا الكون والتصرف فيه إنما هو لها دون غيرها باعتبارها الأصل الأزلى الأبدى[٢].

ثانيا : أن الدين ابتكار واختلاق من قبل الطبقة الظالمة تبريرا لأفعالها وتسكينا للطبقة المظلومة لكى ترضى بنصيبها ، أو أن الدين من اختراع الطبقة المظلومة .

ثالثا : الربط بين الظلم الصادر من الطبقة المالكة على الطبقة المملوكة باسم الدين واعتباره السبب المباشر فى هذا الظلم ليتم القضاء عليه .

رابعا : أن أى محاولة للخروج من هذا الظلم فيلزم قبل ذلك إزالة السبب الذى أدى إليه وهو الدين ، ومن هنا كانت الدعوة لإلغاء الدين واعتباره أفيون الشعوب والمثبط للإنسان عن مطالبته بحقوقه .

خامسا : أن الدين هو من الأفكار التى تتناسب مع علاقات الإنتاج الموجودة فى كل مجتمع ، وبالتالى فهو متطور فما كان صالح لزمان لم يعد كذلك لزمان آخر .

سادسا : أن الشيوعية تقطع كل الصلات مع الماضى بما فى ذلك الدين الذى يعتبر من الأوهام والخرافات السابقة . بل إن تطور الإشتراكية يزيل الدين .

سابعا : أن الدين يخالف العلم ويناهضه والإشتراكية قائمة على أصول علمية فهو مخالف لها ، لابد من زواله .

---

(١) فلسفة الأنوار (٩-١٠) .

(٢) وسيأتى الحديث عنها إن شاء الله تعالى فى الفصل الرابع من هذا الباب .

ثامنا : أن وجود الدين سبب شقاء الإنسان وهو وادى الدموع الذى يسبب له الحزن والكآبة .

تاسعا : الاهتمام الكبير من قبل الشيوعيين بمسألة التربية الإلحادية وغرسها فى نفوس الشعب وانتزاع مايوجد فى النفوس من مشاعر إيمانية .

المبحث الثامن
التأميم

من المبادىء الأساسية للشيوعية التأميم الذى يجعل وسائل الإنتاج وفروع الإقتصاد ملكاً للدولة وعرف أصحاب الفكر الشيوعى ذلك المبدأ بقولهم :

(إحالة المؤسسات الإنتاجية أو فروع الإقتصاد التى تشكل ملكا خاصا إلى حوزة الدولة)[١].

فالتأميم هو جعل وسائل الإنتاج فى ملكية إجتماعية مشتركة ، ووجوده إنما هو بانتصار ثورة البروليتاريا بسحق الإقطاعيين والرأسماليين وانتزاع الملكية منهم ، وجعلها فى يد الشعب بأسره وقد (أشار مؤسسو الشيوعية العالمية إلى أن تأميم وسائل الإنتاج هو سنة عامة للثورات الإشتراكية)[٢].

وطريقة التأميم تختلف تبعا لاختلاف الظروف ، جاء فى المعجم : (وطرائق التأميم قد تختلف تبعا للظروف التاريخية الملموسة . وعلى حزب الطبقة العاملة السياسى أن يحدد هذه الأساليب والطرائق)[٣].

ويلحق التأميم بوسائل الإنتاج والمرافق الأخرى داخل الدولة كالصناعة والمصارف وغيرها ، ففى الاتحاد السوفييتى حدث فى كانون الأول ديسمبر ١٩١٧م تأميم المصارف الخاصة وفى حزيران (يونيو) ١٩١٨م جرى تأميم الصناعة الكبيرة ومع تأميم الصناعة جرى فى الوقت نفسه تأميم فروع الإقتصاد الوطنى الأخرى والأسطول التجارى والتجارة الخارجية والسكك الحديدية . وفى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٢٠م أحيلت إلى ملكية الدولة جميع المؤسسات الإنتاجية التى يعمل فيها أكثر من ٥ عمال ويوجد فيها

---

(١) المعجم (١١١) .

(٢) المرجع السابق (١١١) .

(٣) المرجع السابق (١١١) .

محرك ميكانيكى ، أو يعمل فيها ١٠ عمال دون أن يكون لديها محرك ميكانيكى ، وقد كانت هذه الاحالة آخر إجراء أنجز تأميم الصناعة)[١]. ومن أهم الأشياء التى تخضع للتأميم الأرض

يقول لينين : (إن تأميم الأرض ليس فقط الوسيلة الوحيدة لتصفية عادات القرون الوسطى فى الزراعة تصفية تامة بل هو أيضا خير نظام زراعى ممكن فى ظل الرأسمالية)[٢].

ويقول : (إن تأميم الأرض كلها سيتم بوصفه الحد الأقصى من الثورة الديمقراطية البرجوازية ، بوصفه خطوة طبيعية ضرورية إلى الأمام فى الطريق التى تنطلق من انتصار الديمقراطية البرجوازية حتى البدء بنضال حقيقى فى سبيل الإشتراكية)[٣].

ويقول : (ان تأميم الأرض وهو تدبير برجوازى ويفترض أكبر مايكون من الحرية الممكنة والمعقولة فى المجتمع الرأسمالى وحرية النضال الطبقى والتمتع بالأرض خالية من جميع الذيول غير البرجوازية ، وتأميم الأرض ، بالغائه الملكية الخاصة للأرض ، من شأنه فضلا عن ذلك أن يسدد ضربة جبارة للملكية الخاصة لجميع وسائل الإنتاج بوجه عام ، إلى حد أنه ينبغى على حزب البروليتاريا أن يساهم بجميع الوسائل فى هذا الإصلاح)[٤].

الأهداف التى يطمحون إلى تحقيقها من وراء هذا المبدأ :

أولا : مصادرة أملاك الإقطاعيين والرأسماليين وجعلها ملكا للشعب بأسره .

ثانيا : أن التأميم يحول الطبقة العاملة من طبقة مستهلكة إلى سيدة للإنتاج[٥].

---

(١) المعجم (١١٢) .
(٢) التحالف بين العمال والفلاحين (٢١٩) .
(٣) المرجع السابق (١٧٤) .
(٤) المرجع السابق (٢٤١) ، وانظر المعجم (١١٣-١١٥) .
(٥) انظر المعجم (١١١) .

ثالثا : أن التأميم عامل مهم من عوامل بناء العناصر الإشتراكية فى الإقتصاد المتعدد الأنماط وأن إيرادات هذه البلدان من القطاع المؤمم وخاصة من بيع البترول ومشتقاته تستعمل لأجل تسريع التطور الوطنى(١).

رابعا : تخلص الفلاح من ضرورة إنفاق أموال طائلة على شراء الأرض وعلى دفع بدلات الإيجار للملاكين العقاريين(٢).

خامسا : أن انتقال الأرض إلى ملكية الدولة يعنى تقويض احتكار الملاكين الفرديين ، ويعنى أيضا حرية فى المزاحمة أكثر انسجاما واكتمالا فى الزراعة(٣).

وهكذا يربط الشيوعيون بين سعادة العامل وتحقيق رغباته وبين ملكية الدولة لوسائل الإنتاج ، ويصورون ذلك بأنه يخفف على العامل مايبذله من جهد ومال فى سبيل الحصول على قطعة الأرض .

فهل وصل العامل الى تلك الراحة فى ظل النظام الشيوعى؟

---

(١) انظر المعجم (١١٣) .

(٢) انظر المرجع السابق (١١٤) .

وهذه النقاط أخذت من ثنايا الكلام من الصفحات المشار إليها .

(٣) انظر مصادر الماركسية (٤٢) .

المبحث التاسع
زوال الدولة

بعد أن تتحقق الشيوعية على الوجه الذى نظروه فإنه - على حد زعمهم - لاحاجة إلى الحكومة ، وهذا المبدأ لن يتم تحقيقه دفعة واحدة بل يكون بالانتقال من وضع لآخر حتى يكون على الوجه المحدد له .

فيسعى الشيوعيون بداية إلى أن تكون وسائل الإنتاج بأكملها فى حوزة الدولة ويكون تمركز جميع الأدوات فى يدها[1].

وبالتالى ستحقق العدل الذى يزيل التناحر والعداء لأن مهمة الحكومة الأخذ بحق الطبقة المظلومة والقضاء على الطبقات الاحتكارية الظالمة . فإذا أزيل سبب الظلم وهو وجود الطبقات - القائم على الملكية الفردية - فلاداعى لبقاء الحكومة .

يقول انجلز : (فحالما لايعود ثمة أية طبقة إجتماعية ينبغى إبقاؤها فى حالة الاستعباد طالما يتم القضاء على الحكم الطبقى وعلى الصراع الفردى من أجل الوجود القائم على أساس الفوضى السائدة فى إنتاجنا الحاضر ، مع التصادمات والتطرفات الناجمة عنها ، فإنه لايتبقى شىء يتوجب اضطهاده ، بالتالى لايعود ثمة ضرورة من أجل قوة قامعة خاصة هى الدولة . إن أول عمل تشكل الدولة به بصورة فعلية كممثلة للمجتمع بأسره - الاستيلاء على وسائل الإنتاج باسم المجتمع - هو فى الوقت نفسه آخر أعمالها المستقلة بوصفها دولة . إن تدخل الدولة فى العلاقات الإجتماعية يصبح عديم الضرورة فى ميدان إثر آخر ومن ثم يتلاشى من تلقاء ذاته ، إذ يستعاض عن حكومة الأشخاص بإدارة الأمور ، وبتوجيه عمليات الإنتاج . فالدولة لم (تلغ) بل هى تضمحل)[2].

---

(١) انظر البيان الشيوعى (٦٦) .

(٢) انتى دوهرنغ (٣٣٨-٣٣٩) .

وبعد ان أورد لينين ذلك المقطع من كلام انجلز فى كتابه الدولة والثورة علق بقوله (هنا يتحدث انجلز فى الواقع عن (قضاء) الثورة البروليتارية ، على دولة البرجوازية فى حين أن ماقاله عن الاضمحلال يخص بقايا الدولة البروليتارية بعد الثورة الاشتراكية . الدولة البرجوازية لا(تضمحل) برأى انجلز ولكن تقضى عليها البروليتاريا فى الثورة . تضمحل بعد هذه الثورة الدولة البروليتارية أو شبه الدولة)[1].

ويقول لينين تعليقا على قول انجلز (إن الدولة هى (قوة خاصة للقمع) .

إن انجلز قد أعطى هنا بأتم الوضوح تعريفه الرائع هذا والعميق منتهى العمق . ويستنتج منه أن القوة الخاصة لقمع البرولتاريا من قبل البرجوازية لقمع الملايين من الشغيلة من قبل حفنات من الأغنياء لابد أن يستعاض عنها بـ(قوة خاصة لقمع) البرجوازية من قبل البروليتاريا (دكتاتورية البروليتاريا) وفى هذا كنه (القضاء على الدولة بوصفها دولة) وفى هذا كنه عملية تملك وسائل الإنتاج باسم المجتمع ومن الواضح بداهة أن مثل هذه الإستعاضة عن (قوة خاصة) (برجوازية) بـ(قوة خاصة) أخرى (بروليتارية) لايمكنها بتاتا أن تتم بشكل (اضمحلال)[2].

وقد أكثر لينين فى مسألة أن المقصود بالاضمحلال إنما يكون للدولة البرولتارية وأما الدولة البرجوازية فلابد من الثورة العنيفة ضدها .

فقال : (يتكلم انجلز عن (الاضمحلال) أو حتى وهو تعبير أبرز وأجمل عن الجنوح قاصدا بأتم الوضوح والجلاء مرحلة مابعد (تملك الدولة لوسائل الإنتاج باسم المجتمع كله) أى مرحلة مابعد الثورة الإشتراكية ، ونحن جميعا نعلم أن الشكل السياسى (للدولة) فى هذه المرحلة هو

---

(١) الدولة والثورة (١٩) .

(٢) المرجع السابق (٢٠) .

الديمقراطية الأتم ولكن لم يدر فى خلد أحد من الانتهازيين الذين يشوهون الماركسية ، دونما خجل أن الحديث يدور هنا عند انجلس بالتالى عن (جنو) و(اضمحلال) الديمقراطية ، ويبدو دلك لأول وهلة فى منتهى الغرابة ولكن لايستطيع أن يفهم ذلك غير الذين لم يصل بهم تفكيرهم إلى أن الديمقراطية هى أيضا دولة وأن الدولة البرجوازية لايستطيع (القضاء) عليها غير الثورة والدولة بوجه عام أى الديمقراطية الأتم يمكنها أن (تضمحل) وحسب)[١].

والدولة عند الشيوعيين هيئة للظلم والتسلط .

فهى عند ماركس (هيئة للسيادة الطبقية هيئة لظلم طبقة من قبل طبقة أخرى هى تكوين (نظام) يمسح هذا الظلم بمسحة القانون ، ويوطده ملطفا اصطدام الطبقات)[٢].

وعلى هذا الأساس فالدولة أنشئت من أجل الظلم وتكميم الأفواه لامن أجل المصلحة .

يقول انجلز : (إن الدولة قد نشأت من الحاجة إلى لجم تضاد الطبقات وبما أنها قد نشأت فى الوقت نفسه ضمن الاصطدامات بين هذه الطبقات فهى كقاعدة عامة دولة الطبقة الأقوى السائدة إقتصاديا ، والتى تصبح عن طريق الدولة الطبقة السائدة سياسيا أيضا وتكتسب على هذه الصورة وسائل جديدة لقمع الطبقة المظلومة واستثمارها ...)[٣].

واعتبر انجلز أن الدولة إنما وجدت لحالة من التطور فى المجتمع اقتضى وجودها كحالهم مع بقية الأمور من دين وأخلاق فقال : (الدولة ليست بحال قوة مفروضة على المجتمع من خارجه والدولة ليست كذلك (واقع الفكرة الأخلاقية) (صورة وواقع العقل) كما يدعى هيغل . الدولة

---

(١) الدولة والثورة (٢٠) ، وانظر (٢٣) .
(٢) المرجع السابق (٨) .
(٣) المرجع السابق (١٤) .

هى نتاج المجتمع عن درجة معينة من تطوره ، الدولة هى إفصاح عن واقع أن هذا المجتمع قد تورط فى تناقض مع ذاته لايمكنه حله وانه قد انقسم إلى متضادات مستعصية هو عاجز عن الخلاص منها . ولكيلا تقوم هذه المتضادات هذه الطبقات ذات المصالح الإقتصادية المتنافرة بالتهام بعضها بعضا وكذلك المجتمعات فى نضال عقيم ، لهذا اقتضى الأمر قوة تقف فى الظاهر فوق المجتمع ، قوة تلطف الاصطدام وتبقيه ضمن حدود (النظام) ، إن هذه القوة المنبثقة عن المجتمع والتى تضع نفسها مع ذلك فوقه وتنفصل عنه أكثر فأكثر هى الدولة)[١].

وسبب وجود الدولة وبقاؤه إنما يكمن فى الطبقات ، وإذا زالت سوف تزول الدولة بالضرورة .

يقول انجلز :

إن (الدولة لم توجد منذ الأزل فقد وجدت مجتمعات فى غنى عن الدولة ولم يكن لديها أية فكرة عن الدولة وسلطة الدولة ، وعندما بلغ التطور الإقتصادى درجة اقترنت بالضرورة انقسام المجتمع إلى طبقات غدت الدولة بحكم هذا الإنقسام أمرا ضروريا ونحن نقترب الآن بخطوات سريعة من درجة فى تطور الإنتاج لايكف عنده وجود هذه الطبقات عن أن يكون ضرورة وحسب بل يصبح عائقا مباشرا للإنتاج ، ستزول الطبقات بالضرورة كما نشأت فى الماضى بالضرورة . ومع زوال الطبقات ستزول الدولة بالضرورة . والمجتمع الذى ينظم الإنتاج تنظيما جديدا على أساس اتحاد المنتجين بحرية وعلى قدم المساواة سيرسل آلة الدولة بأكملها إلى حيث ينبغى أن تكون حينذاك إلى متحف العاديات بجانب المغزل البدائى والفأس البرونزية)[٢].

---

(١) الدولة والثورة (٧) .
(٢) المرجع السابق (٦٨) .

وعندما كانت مهمة القضاء على الطبقات تقع على عاتق البروليتاريا وهى منتصرة لامحالة - كما يراه الشيوعيون - لم يعد هناك حاجة لوجود الدولة أو الحكومة التى كانت تأخذ على عاتقها الدفاع عن الفكر الشيوعى ونشره ، حيث عمت الشيوعية جميع أرجاء المعمورة . خاصة إذا علمنا أن من مهمات الدولة الملقاه على عاتقها إيصال الفكر الشيوعى إلى كل الشعوب ، فزال المعارض للفكر الشيوعى فلاحاجة لبقاء الدولة . إضافة إلى أن جميع أفراد المجتمع سينعمون بتحقيق رغباتهم واحتياجاتهم . وسيقضى على سبب النزاع والخصومة وهو الملكية الفردية ، ومن هنا فليس لوجود الحكومة أى معنى فالعالم كله يرفل بالمحبة وعدم الطمع!!

يقول لينين : (إن هدفنا النهائى هو القضاء على الدولة أى على كل عنف منظم دائم كل عنف حيال الناس بوجه عام . نحن لانتوقع حلول نظام إجتماعى لايراعى فيه مبدأ خضوع الأقلية للأكثرية . ولكننا نطمع إلى الإشتراكية ، ونحن موقنون من أنها ستصير إلى شيوعية فتزول نظرا لذلك كل ضرورة إلى استخدام العنف حيال الناس بوجه عام إلى خضوع إنسان لإنسان قسم من السكان لآخر ، لأن الناس سسيعتادون مراعاة الشروط الأولية للحياة فى المجتمع بدون عنف وبدون خضوع)(١).

ويعترف بوجود المخالفات والتجاوزات التى تحتاج إلى قمع ولكنه يبرر كالآتى فيقول : (إن الشيوعية هى وحدها التى تجعل الدولة أمرا لالزوم له البتة لأنه لايبقى عندئذ أحد لينفى قمعه (أحد) بمعنى الطبقة بمعنى النضال المنتظم ضد قسم معين من السكان نحن لسنا بطوبويين ، ونحن لاننكر أبدا امكانية وحتمية وقوع تجاوزات من أفراد كما لاننكر ضرورة قمع مثل هذه التجاوزات ، ولكن هذا الأمر لايحتاج أولا إلى آلة خاصة للقمع ، فالشعب المسلح نفسه يقوم ببساطة ويسر كما تقوم كل جماعة من الناس المتمدنين حتى فى المجتمع الراهن بتفريق متشاجرين أو بالحيلولة دون الاعتداء على

---

(١) الدولة والثورة (٨٧-٨٨) .

امرأة . وثانيا نحن نعلم أن السبب الإجتماعى الجذرى للتجاوزات التى تتجلى فى الاخلال بقواعد الحياة فى المجتمع هو استثمار الجماهير وعوزها وبؤسها وعندما يزول هذا السبب الرئيسى تأخذ التجاوزات لامحالة بالاضمحلال نحن لانعلم بأية سرعة وبأى تدرج ولكننا نعلم أنها ستضمحل ومع اضمحلالها تضمحل الدولة أيضا)[1].

ثم إن لينين يجعل القضاء على الدولة من المهام التاريخية التى تضطلع بها السلطة السوفييتية ويكون ذلك بالوصول إلى إشراك جميع الكادحين فى إدارة الدولة وتسيير أمورها فيقول عند حديثه عن الدولة السوفيتية التى تمثل نوعا جديدا يؤدى فى النهاية إلى إزالة الدولة (إن المهمة التاريخية التى تقع على عاتق الجمهورية السوفيتية - وهى نوع جديد من الدولة - فى طريق الانتقال نحو محو الدولة التام تنحصر فيما يلى :

أولا : التنظيم الشامل بطبقة البروليتاريا وإشراكهم فى نشاط الدولة ليتمتعوا بحقوقهم الديمقراطية .

ثانيا : دمج العمال بعضهم ببعض الذين فى المدن منهم والأرياف .

ثالثا : تحقيق المساواة حقيقة لاإدعاء .

رابعا : تحقيق الشكل الأمثل والأعلى من الديمقراطية بخصوص الانتخابات والنواب .

خامسا : الروابط الوثيقة بين السلطة السوفيتية وجماهير البروليتاريا يتيح تحقيق ديمقراطية أعلى .

سادسا : إتاحة الفرصة لإنشاء قوة مسلحة للعمال والفلاحين .

سابعا : دمج السلطة التشريعية بالسلطة التنفيذية .

ثامنا : ضرورة استمرار النضال من أجل إحراز النجاح فى البناء الإشتراكى .

تاسعا : أن الجهد الذى ينبغى بذله فى هذا الاتجاه والذى يرتبط بصلة لاتنفصم بانجاز مهمة سلطة السوفييت التاريخية الرئيسية وهى الانتقال إلى

---

(١) الدولة والثورة (٩٧) .

القضاء على الدولة قضاء كاملا ، إنما هو أولا ينحصر فيما يلى :

(١) كل عضو من السوفييت ينبغى عليه إجباريا أن يقوم بعمل ما فى ميدان إدارة الدولة .

(٢) هذه الأعمال تتغير بالتوالى وتشمل مجموع القضايا المرتبطة بإدارة الدولة وبكل فروعها .

(٣) ينبغى أن يدعى كل السكان الكادحين دون استثناء أحد منهم إلى الإشتراك المستقل فى إدارة الدولة ، وذلك بعدد من التدابير المتتابعة والمنتقاة بحذر والمطبقة مع ذلك بدأب وثبات .

عاشرا : أن الضمانة الفعلية التى تحققها الإشتراكية الديمقراطية هو أن تصل الجماهير الكادحة إلى إدارة الدولة[1].

هذه هى المهمات التى جعلها لينين مناطة بالسلطة السوفيتية من أجل تحقيق مبدأ إلغاء الدولة لعدم الحاجة إليها حيث سادت الشيوعية الأرض . وحصلت الطبقة المظلومة على حقوقها فلم يعد هناك نزاع ولاخلاف ولاخصومات تستدعى وجود حكومة للفصل فيها .

وعلى هذا فخلاصة الأمر فى هذا المبدأ :

أولا : أن تحصل البروليتاريا على السلطة السياسية وتقضى على بقية الطبقات . فزوال الطبقات شرط ضرورى لزوال الحكم .

ثانيا : القضاء على الدولة البرجوازية بالعنف أما دولة البروليتاريا فإنها سوف تضمحل تلقائيا .

ثالثا : أن الظروف الإقتصادية أو المعيشية هى التى أوجدت فكرة الدولة ، فهى كبقية الأفكار والقيم والأخلاق التى وجدت حسب الظروف الإقتصادية التى دعت إليها .

رابعا : أن انتشار الفكر الشيوعى فى أرجاء المعمورة سيزيل الحاجة إلى الدولة . فالفكر الشيوعى انتشر والظلم والطبقات زالت فلاحاجة لها .

---

(١) انظر ماهى سلطة السوفييت (١٣-١٨) .

المبحث العاشر
الأممية

قلنا فى المبدأ التاسع بأن العالم سينعم بالفكر الشيوعى الذى يمثل الفكر الصالح للبروليتاريا ، ومن هنا فهم يرغبون فى تحقق تجمع العمال على خط واحد ودعوتهم كانت واضحة (ياعمال العالم اتحدوا) وكانت هناك عدة محاولات ودعوات من أجل جعل العمال فى اتحاد واحد فهم جعلوا الأممية عدة أقسام :

(١) الأممية الإشتراكية الأولى .
(٢) الأممية الثانية .
(٣) الأممية الشيوعية .
(٤) الأممية البروليتارية .

أولا : الأممية الأولى (الإشتراكية) :

هى (اتحاد عالمى للأحزاب الإشتراكية ـ الديمقراطية التى تسير على خط إصلاحى فى الحركة العمالية)[١].

والأممية الأولى من عام (١٨٦٤-١٨٧٦م) .

ويعتبرونها (أول اتحاد عالمى للعمال اضطلع بدور بالغ الشأن فى نشر أفكار الشيوعية العلمية وفى تنظيم الأحزاب العمالية الوطنية وإرساء أسس تنظيم العمال على نطاق عالمى بغية تحضير هجومهم الثورى على الرأسمال)[٢].

ويرى الشيوعيون أن الأممية الأولى حققت الآتى :

أولا : أرست الأسس النظرية والتنظيمية للحركة العمالية العالمية .

---

(١) المعجم (٥٥) .
(٢) المرجع السابق (٥٧) .

ثانيا : اشتركت بنشاط فى تنظيم نضالات البروليتاريا الإقتصادية والسياسية .

ثالثا : عملت الكثير لأجل تأسيس الأحزاب الماركسية الوطنية .

رابعا : بددت أوهام الإشتراكية الطوباوية السابقة للماركسية .

خامسا : بينت بطلان الإشتراكية البرجوازية الصغيرة .

سادسا : مهدت لقيام أحزاب عمالية إشتراكية جماهيرية .

يقول لينين إن الأممية الأولى أنجزت (مهمتها التاريخية مفسحة المجال لمرحلة من النمو فى الحركة العمالية فى جميع البلدان نموا أقوى وأشد مما مضى الى مالاحد له ـ مرحلة تطور هذه الحركة من حيث الاتساع مرحلة تأليف أحزاب عمالية إشتراكية جماهيرية ، على أساس شتى الدول القومية)[١].

الأممية الثانية :

وحدد تاريخها من قبل الشوعيين من عام (١٨٨٩-١٩١٤م) وهى تمثل اتحاد عالمى للأحزاب الإشتراكية .

واصلت القضية التى بدأت بها الأممية الأولى . وهى قضية وحدة العمال ، غير أن هذه الأممية منيت بالفشل والإفلاس كما ذكر ذلك لينين[٢].

وعقدت المؤتمرات والإجتماعات لهذه الأممية غير أن الخلاف كان محتدما بين أعضاء المجلس العام وراد الحال سوءا بأن العالم كان على عتبات الحرب العالمية الأولى ، حيث إن الأحزاب الإشتراكية الديمقراطية قد وقفت بجوار حكوماتها أثناء الحرب مما أدى إلى إفلاس الأممية الثانية .

يقول لينين : (إن افلاس الأممية الثانية قد تجلى بأبلغ الوضوح فى خيانة أغلبية الأحزاب الإشتراكية الديمقراطية)[٣].

---

(١) مصادر الماركسية (١٨) .

(٢) ألف كتابا أسماه (إفلاس الأممية الثانية) .

(٣) إفلاس الأممية الثانية (٧٠) .

وكان الحزب الألمانى وهو أكثر الأحزاب تأثيرا فى الأممية الثانية قد وقف إلى جانب حكومته وغيره من الأحزاب كان كذلك .

يقول لينين : (إن معظم الأحزاب الإشتراكية ، الديمقراطية وعلى رأسها وفى المقام الأول منها الحزب الأكبر والأكثر تأثيرا فى الأممية الثانية الحزب الألمانى قد وقفت إلى جانب هيئة أركانها العامة وحكومتها وبورجوازيتها ضد البروليتاريا)[١].

ولم يبق من الأحزاب إلا الحزب السوفييتى الثورى الذى أخذ على عاتقه إعادة التنظيم والدعوة الى اتحاد عمال العالم .

نتائج الأممية الثانية كما يراها الشيوعيون رغم إفلاسها الذى منيت به :

أولا : وسعت أبعاد الحركة العمالية المنظمة .

ثانيا : استطاعت أن تنتزع من الرأسماليين تنازلات عديدة لتحسين ظروف عمل العمال ورفع مستوى حياتهم[٢].

يقول لينين : (ان الأممية الثانية قد قامت بنصيبها فى العمل التحضيرى النافع المتعلق بتنظيم الجماهير البروليتارية التمهيدى خلال عهد سلمى مديد من العبودية الرأسمالية الأشد قساوة ومن التقدم الرأسمالى الأسرع فى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين)[٣].

الأممية الثالثة (الشيوعية) :

(وهو اتحاد عالمى للأحزاب الشيوعية من مختلف البلدان .

---

(١) إفلاس الأممية الثانية (٤) .
(٢) انظر المعجم (٦٢) .
(٣) المرجع السابق (٦٢) .

وقـد أملـت تأسيسهـا الحاجة الموضـوعية الى تطهير الحركـة الثـورية للبروليتاريا من التحريفية[١] والإنتهازية[٢] وانشاء منظمة سياسية عالمية للطبقة العـاملة فتجـاوب مـع ظروف العهـد الثـورى والعمـل على أسـاس مـاركسى منسجـم كـوريثة تاريخيـة للأممية الأولى ، ووريثـة لخبرة تقـاليد الأمميـة الثانية)[٣].

فهـذه الأمميـة امتداد للسـابقات وقـد أفادت منهـا كثيرا حيـث غـدت الأممية الشيوعية تحقق دكتاتورية البروليتاريا . يقول لينين :

(الأممية الأولى ارست أسس النضال البروليتارى ، العالمى ، فى سبيل الإشتراكيـة . والأممية الثـانية سجلت مرحلة تمهيد السبيـل مـن أجل انتشار الحركة فى عدد من البلدان على نطاق واسع ، جماهيرى .

والأمميـة الثالثة ورثت ثمار نشـاطات الأممية الثـانية ، ونبـذت دنسها البرجوازى الصغير ، الانتهـازى والإشتراكـى ـ الشـوفينى ، وأخذت تحقـق ديكتاتورية البروليتاريا)[٤].

---

(١) التحريفية : كما يعرفها الشيوعيون (تيار فكرى سياسى معاد للماركسية اللينينية ، ظهـر داخل الحركـة العمـالية والشيـوعية تحت راية "انتقـاد" النظـرية الماركسيـة ، اللينينيـة ، و"إعـادة النظـر فيهـا" ، و"تمحيصهـا" بل وحتى "تطـويرها" وهـى أحد أنواع الإنتهازية) . المعجم (١١٩) .

(٢) تيـار سياسى ينكر ضرورة نضال البروليتـاريا الطبقى والثـورة الإشتراكية ، ويعلق إمكـانية الإنتقال التدريجى مـن الرأسمالية إلى الإشتراكيـة عـن طريق الإصلاحات فقط . انظر الدولة والثورة (١٢٩) .

(٣) المعجم (٦٢) .

(٤) المرجع السابق (٦٢) .

وقـد جاءت الـدعوة لهذه الأممية الشيوعية بعد ثورة أكتـوبر وزيادة الحركـة الثـورية وعقد فى ٢ آذار مـارس ١٩١٩م المؤتمر الشيـوعى العـالمى فى موسكو وكان يمثل خمس وثلاثون منظمة من إحدى وعشرين دولة .

واتخذ المؤتمر قرارا بأن تتخذ الأممية الجديدة اسم الأممية الشيوعية[١].

وقد قدمت الأممية الشيوعية الآتى :

أولا : بعثـت الأممية الشيوعيـة ووطدت التضامن الأممـى بين العمال الثوريين .

ثانيا : سهلت إنشاء أحزاب كفاحية حقا للطبقة العاملة .

ثالثا : ربت ملكات ماركسية ـ لينينية مخلصة لقضية الثورة .

رابعا : أن خبرة الأممية الشيوعية تشكل جزءا لايتجزأ من تلك الخبرة الثورية التى تعتمدها الحركة الشيوعية العالمية المعاصرة[٢].

الأممية البروليتارية :

وتمثـل (إدراك وحدة وتطـابق مصـالح بروليتـارى جميـع البلـدان ، وشعور كل فصيلة وطنية من فصائل الحركة الشيوعية العـالمية بالمسؤولية عن نشاطها إزاء حركة التحرر العالمية)[٣].

وتقوم الأممية البروليتارية على التضامن بين العمـال والنضال المشترك ضد الطبقات الظالمة ، وذلـك بين طبقة العمال فى كـل المجتمعـات ، وتكون المسـاعدات فيما بينهم بجمع التبرعـات المالية والأطعمـة والملابس ، ويكـون التنظيم فيمـا بينها فى الاضرابات والمظاهرات التى تؤيد العمـال وواضع مبدأ أممية البروليتاريا هو ماركس ومعه انجلز ، وأخذت أممية البروليتاريا مكانة من الاهتمام حيث كانت أهـم منظمـة للعمـال الواعين مـن مختلـف البلـدان

(١) انظر المعجم (٦٤) .
(٢) انظر المرجع السابق (٦٤) .
(٣) المرجع السابق (٦٤) .

ولقى الشعار الوارد فى البيان الشيوعى ياعمال العالم اتحدوا صدى واسعا لدى البروليتاريين ، وقد عملت المنظمة البروليتارية على مساندة الثورة فى كل البلدان وارتقت الأممية البروليتارية إلى أممية اشتراكية[١]وقد اعتبر الشيوعيون أن أممية البروليتاريا تسعى إلى الآتى :

أولا : تعزير الروابط بين الأمم الإشتراكية وبين الطبقة العاملة فى البلدان الرأسمالية وحركة التحرر الوطنى العالمية وتوطيد وحدة قوى التحرر كافة .

ثانيا : تنبذ الأممية البروليتارية أى هيمنة سواء كانت هيمنة لبلد ما أو حزب ما أو هيمنة كتلة بلدان أو أحزاب .

ثالثا : أن الأممية البروليتارية تعنى المساواة التامة والتكافؤ والتحالف الأخوى وتنسيق السياسة بين جميع البلدان الإشتراكية ، وكل الأحزاب الماركسية اللينينية .

رابعا : أن الأممية البروليتارية تناضل ضد نزعات ضيق الأفق القومى وتقوقع الأمم فى أطرها الضيقة وتنمية العادات والأخلاق البالية[٢].

وبالتالى فإن القومية والقوميات تمثل عدوا لدودا للشيوعيين هكذا أرادوا أن يقضوا عليها ، لأنها تقضى على مصالح الأممية . يقول انجلز : (الأمر الجوهرى هو الحفاظ على الروح الأممية الحقة التى لاتسمح بأى شوفينية[٣]قومية والتى ترحب بكل تقدم جديد للحركة البروليتارية أيا كانت الأمة التى تحرزه ...)[٤].

ويعتبر الشيوعيون أن الهدف الأسمى للوصول إلى التحالف بين العمال وتحقيق الإشتراكية ، هو الوصول إلى الأممية العامة .

---

(١) المعجم (٦٤) .

(٢) المرجع السابق (٦٦) .

(٣) شوفينية : تيار سياسى إشتراكى لايعادى البرجوازية يعمل أصحابه وفق مصالح أوطانهم . انظر الدولة والثورة (٣-٤) .

(٤) حرب الفلاحين فى المانيا (٢٣-٢٤) .

جاء فى كتاب الإشتراكية لبورجان : (إن بناء الإشتراكية ، إذا ، هو الهدف الذى يجب الوصول إليه لمنع المجتمع من الضياع فى غياهب البربرية والحرب ، والطبقة العاملة هى القوة الإجتماعية الوحيدة التى تستطيع تحقيق هذا الهدف . إن العمال الذين لايملكون سوى قوة عملهم يشكلون الطبقة الوحيدة فى المجتمع التى تتناسب وظيفتها الإقتصادية مع الطابع العالمى للإنتاج . لذلك فإن الشرط الأول والذى لاغنى عنه لتحقيق التحالف العالمى بين الشعوب هو الوحدة الأممية للطبقة العاملة . هذه الوحدة دون سواها تستطيع تجميع وتدريب كافة الجماهير الشعبية فى النضال من أجل الإشتراكية)[١].

والأممية كلها مصلحة ، ومحققة لآمال العمال ، وقاضية على الظلم . يقول لينين : (إن العمال يخلقون فى العالم كله حضارتهم الأممية التى مهدوا لها منذ زمن بعيد دعاة للحرية وأعداء الظلم . والعمال يعارضون العالم القديم ، عالم الظلم القومى عالم الشحناء القومية أو العزلة القومية بالعالم الجديد ، عالم وحدة الشغيلة من أبناء جميع الأمم ، بعالم لايتسع لأى إمتياز لايتسع لأقل ظلم لانسان من قبل إنسان)[٢].

ويقول : (إن الطبقة العاملة وحزب العمال الإشتراكى الديمقراطى فى روسيا قد أعد كل تاريخهما للتكتيك "الأممى" اى للتكتيك الثورى حقا والثورى إلى النهاية)[٣].

وبهذا فالأممية تحقق الآتى :

أولا : اتحاد العمال فى جميع أنحاء العالم تحت لواء واحد (ياعمال العالم اتحدوا) .

---

(١) (١٥٠-١٥١) .

(٢) استيقاظ آسيا (٢٧-٢٨) .

(٣) إفلاس الأممية الثانية (٧٤) .

ثانيا : أن القوميات لاقيمة لها ولاأساس ولايمكن اعتبـارها ، فالشيوعية تعادى القومية .

ثالثا : أن الـدعوة الأممية إنما هـى لصالح العمال فهـم سيقضون على الظلم والاستغلال .

رابعا : أن الأممية ستحقق الإشتراكية وتزيد فى قوتها .

هـذه أهـم المبـادىء الشيـوعية وقـد توخيت أن أعـرضها كمـا يراهـا أصحاب ذلك الفكر دون اشتمال هذا العرض على أى نقد أو نقض بل نترك ذلك إلى حينه إن شاء الله تعالى .

الفصل الثالث
الماركسية وصلتها بالصهيونية

ويشتمل على تمهيد وعدة مباحث .

التمهيد .

المبحث الأول : حياة كارل ماركس .

المبحث الثانى : مصادر الماركسية .

المبحث الثالث : الشيوعية وليدة الصهيونية .

المبحث الرابع : البراهين الدالة على أن الشيوعية وليدة الصهيونية .

الفصل الثالث
الشيوعية وصلتها بالصهيونية

لعب اليهود دورا كبيرا فى الأحداث والمتغيرات التى شهدتها أوروبا وكان دورا إفساديا يحصل اليهود من ورائه إلى تحقيق أهدافهم فى استعباد الناس والقضاء على الأديان وتحقيق أحلامهم .

واتخذوا عدة أساليب فى تحقيق المآرب والوصول إلى الغايات .

وانضوى بنى يهوذا تحت عدة مسميات فأنشأوا الجمعيات السرية والمؤسسات المنظمة ، التى تقوم على رعاية خطط اليهود وتنفيذها ، ومن المنظمات التى عمل الأخطبوط اليهودى على إيجادها الحركات الصهيونية الهادفة إلى العودة إلى أرض فلسطين ، وهى حركات يهودية اتخذت لها عدة أوجه لتحقيق مصالح اليهود . ومن الأوجه التى ظهرت واستغلتها الصهيونية الفكرة الشيوعية ، فعملت على التخطيط لها ، وقامت على تنفيذها وتمويلها واختيار المكان المناسب لها لإعلانها ، وذلك لتقوم بخدمة الصهيونية والسعى فى تحقيق أهدافها .

وهذا ماحصل بالفعل فى السنوات اللاحقة لقيام الفكر الشيوعى ونشره خاصة فى روسيا القيصرية . وقبل الحديث عن الصهيونية ودورها فى إخراج الشيوعية والدفاع عنها أشير إلى أن الحديث هنا سيكون عن الحركة الصهيونية التى تنسب إلى تيودور هرتزل وعن الشيوعية العلمية كما يسميها أصحابها التى تنسب إلى ماركس ، ومن الأهمية بمكان معرفة شخصية ماركس ومن ثم استغلال الصهيونية لفكرة تفجير الثورة فى روسيا ، ولابد من التنبيه لحقيقة وهى : أن الأفكار الشيوعية من حيث هى دعوة قديمة كما مر معنا فى ذكر مراحلها ، ولكن فى المرحلة التى وجد فيها ماركس اتخذت شكلا آخر من حيث التنظيم والتخطيط لهذا الفكر ولأجل ذلك اعتبرت شيوعية

ماركس الشيوعية العلمية عند أصحابها ، لأنها قامت على أصول علمية وبنيت على جذور فلسفية وقواعد منظمة - كما زعموا - مما ساعد على تبنى روسيا لهذه الفكرة ونشرها . ولاشك أن البيئة الأوربية كانت ممهدة لظهور الأفكار والمذاهب المنحرفة ، وصبغ هذه المذاهب والمناهج بالصبغة المنتشرة فى تلك البيئة . ولاغرابة وقد افتقدت أوروبا للدين الصحيح ، حيث إن ذلك سبب ظهور كل فكر ضال ومنهج متخبط وشخصية منحرفة . فالشاهد أن كل شيء فى أوربا كان يمهد لانتشار الأفكار الشيوعية سواء كان الدين المحرف أو الإقتصاد القائم على الاستغلال أو الفلسفة القائمة على الإلحاد . ومن الشخصيات التى عاشت فى هذه البيئة ماركس الذى تنسب إليه الأفكار الشيوعية العلمية . التى تبنتها الصهيونية ونفخت فيها من أباطيلها لتحقق أهدافها ومآربها التوسعية والإباحية فى العالم كله .

ومما زاد الطين بله أن هذه البيئة التى نشأ فيها ماركس :

أولا : (لم تتجاوب مع النهضة الفكرية بل حاربتها) .

ثانيا : لأنها تحالفت مع السلطات الحاكمة ومع الإقطاعيين والرأسماليين وانغمس رجالها معهم فى الترف والملذات ، والشهوات ، وتركوا الشعوب تئن تحت وطأة الظلم الواضح الفادح ، ولم يعرف عن أحد منهم أنه طالب بانصاف الكادحين ، أو حاول معالجة الفساد والحرمان والجهل التى تفشت فى جميع ربوع الدولة فى هذه الأجواء ، ظهر كارل ماركس وكان يعانى من آلام البؤس والحرمان مما ترتب عنده عقدة نفسية كان لها أثرها البالغ فى تفكيره[١].

(لقد عاصر ماركس فترة المخاض الحضارى التى مرت بها أوروبا حيث تنسلخ صيحة الحياة من صرخة الألم ، وينسلخ ضوء النهار من ظلمة الليل البهيم ... وهى فترة حرجة بطبيعتها تسمح بالرؤية الفكرية والرؤية النفسية

---

(١) انظر كفاحنا فى مقاومة الشيوعية (٨-٩) .

فى أكثر من اتجاه ، بل وأكثر من ذلك حرجا أنها قد تدفع الرؤية النفسية فى اتجاه مضاد للرؤية الفكرية ، وينقلب الحرج إلى مأساة عندما تكون الغلبة للرؤية النفسية القليلة فلاترى الحق والخير من خلال موازينهما وإنما تراه من خلال صداها وعلى ضوء مصالحها وتحت ضغط مشاعرها المكبوتة وآلامها الدفينة التى خلفتها عصور الظلم والحرمان قبل أن ترى لها حقا فى الحياة الكريمة)[١].

فالحياة الأوربية أثرت على ماركس كثيرا .

فالتحكم الطبقى ، والإقطاع ، وسطوة رأس المال كانت الأنظمة المألوفة للبشر . بالإضافة إلى الثورات التى شهدتها أوروبا حيث عاش ماركس حمى الثورات[٢].

فشكلت هذه الأوضاع التربة الخصبة لنشوء مثل الأفكار الماركسية .

ومن هنا كان لابدمن دراسة حياة ماركس حتى نتبين معاناته وكيف كانت سببا من الأسباب فى توجهه الفكرى . وأود أن أشير هنا أن الدراسات عن ماركس كانت تقع فى طرفين

أحدها : التهجم على ماركس فى ذاته وشخصه[٣].

وثانيها : من رأى أن دراسة حياته الأولى ليست مهمة لأن الشخص لم يبلغ درجة الاهتمام بدراسة حياته[٤].

وفى نظرى أن كلا الرأيين جانب الصواب .

وذلك لأهمية معرفة الشخص فى بداية حياته ، ومعرفة علاقاته الشخصية ، وسيرة أسرته ، ومدى أثرها على شخصيته ، فإن هذه الفترة مهمة جدا فى صقل أفكاره بالإضافة إلى البيئة التى نشأ فيها .

---

(١) حوار مع الشيوعيين فى أقبية السجون (٤١) ، عبد الحليم خفاجى ، الطبعةالثانية ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ، دار القلم ، الكويت ، دار الأنصار ، القاهرة .

(٢) انظر إشتراكيتهم وإسلامنا (١٩-٢٠) .

(٣) انظر مثلا الشيوعية وموقف القرآن الكريم منها (٤٥) ، د. عبد الباقى عطا الله ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م ، دار المنار للنشر والتوزيع .

(٤) انظر مثلا نقد أصول الشيوعية (٢٩) .

وأمـا التهجم على ذاته بأحوالـه الشخصية ، فلعله لايعنينـا لأنه لـو لم يكـن صاحب فكر منحرف لما تطـرقنا إلى دراسة شخصيتـه من حيث أحوالها الشخصية فغيره على هذه الشاكلة كثيرون . ولو كان فى شخصيته العكس من ذلك لما شفعت له من نقدنا إياه .

المبحث الأول
حياة كارل ماركس

ولد كارل ماركس فى الخامس من أيار (مايو) عام ١٨١٨م فى مدينة ترير من أعمال مقاطعة الراين الألمانية[١].

(وقد كان الجزء الأكبر من سكان ترير يعانى فى سنى طفولة ماركس وشبابه حالة من الفقر المدقع ، فكان أن ترك الفرز الطبقى الحاد والجور الإجتماعى ، أعمق الأثر فى نفس ماركس الشاب)[٢].

والداه :

هنريك ماركس ، تأثر كثيرا بفلسفة عصر التنوير ، وابتعد عن التعصب الدينى[٣].

وكان يهوديا من الدعاة إلى الإسرائيلية ، عمل فى المحاماة ثم اعتنق البروتستانتية وقد تحولت أسرة هنريك إلى المسيحية للمصلحة المادية . وكانت أمه هولندية هاجرت فى القرن ١٧ إلى البلاد المجرية وهى يهودية[٤].

وعن يهودية ماركس وأسرته يقول ولسون : (لقد تركز فى عروق (كارل ماركس) دم سلالات مختلفة من حاخامات اليهود ، وظهر الحاخامات فى أسرة أمه على مدى قرن من الزمان على الأقل ، وأنتجت أسرة والدى أبيه كليهما تسلسلا غير منقطع من الحاخامات ، وكان بعضهم من المعلمين المرموقين فى القرن الخامس عشر والثامن عشر ، فكان جد (كارل ماركس) لأبيه حاخام (تدبير) وأصبح أحد أعمامه الحاخام من بعده هناك ..)[٥].

---

(١) انظر : سيرة حياة كارل ماركس (٩) ، الفلسفة الماركسية فى القرن التاسع عشر (٤٠) ، مصادر الماركسية الثلاثة (١٣) ، حقيقة الشيوعية (١٦) .

(٢) الفلسفة الماركسية فى القرن التاسع عشر (٤٠) ، وانظر : الشيوعية (٤٢) ، إفلاس الماركسية (٢١) .

(٣) الفلسفة الماركسية فى القرن التاسع عشر (٤٠) .

(٤) انظر : الشيوعية وموقف القرآن منها (٤١) ، إفلاس الماركسية (٢١) ، التضليل الاشتراكى ، مصادر الماركسية الثلاثة (١٣) .

(٥) نقلا من كتاب الكيد الأحمر (٦٩-٧٠) ، وانظر موسكو واسرائيل (٢٠) .

وقد تأثر ماركس بتصرفات أبيه حيث عاش حياة قاسية ساعده أبوه فيها فوالده كان يهوديا وغير ديانته كما قلنا إلى المسيحية وأدى موقف أبيه ذلك إلى فقدان ثقة ماركس فى الأديان

(وحاول أن يسقط تصرفات أبيه على الأديان فيتهمها ـ زورا ـ بما كان يراه فى والده ...)(١)

وقيل إن سبب تغيير أبيه لديانته أنه هروبا من الإزدراء الذى كان يعانيه اليهود .

وقيل إن ذلك بسبب التحرر الفكرى والإجتماعى الموجود حينذاك .

(وأيا كان تفسير هذا العمل ، فقد أثر ولاشك على تفكير وعقلية ماركس ... الذى نشأ من نعومة أظافره فوجد أهله يغيرون ديانتهم بغير ماسبب ظاهر ولم يكن غريبا أن ينمو وتنمو معه آراء متطرفة عن الأديان عموما)(٢).

كما إن ماركس عاش (وعائلته تحت وطأة الفقر المدقع ولولا المساعدة المالية الدائمة المخلصة التى كان يقدمها له انجلز لما استحال على ماركس انجاز كتاب (رأس المال) وحسب ، بل لكان هلك حتما من البؤس)(٣).

ثم إن من الأمور المؤثرة فى حياة ماركس موت عدة (أبناء له ومايزالون أطفالا ، فى لندن حيث كانت عائلته تعانى بؤسا مدقعا وكانت بناته الثلاث متزوجات من اشتراكيين من انجلترا وفرنسا وهن : ايليونور ايفيلنغ ، ولورا لافارغ ، وجينى لونغى ، وابن هذه الأخيرة عضو فى الحزب الإشتراكى الفرنسى)(٤).

---

(١) مرض نفسى اسمه الشيوعية (١٦) ، نبيل خالد ، مطبعة دار الوفاء ، المنصورة ، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها .

(٢) النظم الإقتصادية المعاصرة (١٥٠-١٥١) .

(٣) مصادر الماركسية الثلاثة (١٧) .

(٤) مصادر الماركسية (١٨-١٩) ، وانظر مرض نفسى اسمه الشيوعية (١٧) .

زد على ذلك أن علاقة ماركس بأسرته كانت تسوء وتتفاقم .

(فوالدته التى كانت غارقة فى عالم مشاغل الأسرة الضيق لم تغفر لابنها انجرافه فى الحياة السياسية فحرمته بالتالى من حقه فى الميراث ، ليصبح العوز من الآن فصاعدا رفيق دربه الدائم فى حياته وقد كتب ... سنة ١٨٤٢م (إن السعادة الحقيقية تكمن أيضا فى أن منغصات الحياة الإجتماعية تحصن الإنسان ذا الشخصية القوية ...)[١].

تقول ابنته : (كان فى طفولته يحلو له أن يبطش باخواته البنات ، يسومهن العذاب ، ويسوقهن أمامه كما يسوق المدرب الخيل والجياد)[٢].

فهذا مايتعلق بماركس من حيث الولادة والنشأة والأسرة التى عاش فى كنفها ، ويؤخذ من ذلك الآتى :

أولا : تذبذب الأسرة الدينى ، واستغلال الدين فى الخداع والغش للناس من قبل أبيه .

ثانيا : أثر ذلك فى ماركس ، وأصيب بردة فعل تجاه الدين عموما ولم يقتصر الأمر على ذلك الدين الذى كان يعتنقه أبوه .

ثالثا : أن ماركس ولد من أبوين يهوديين وأثرا فيه بيهوديتهما ، ثم غيرا ديانتهما ظاهرا بينما بقى ماركس على يهوديته .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : "مامن مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء"[٣].

رابعا : أن ماركس عاش حالة بؤس شديدة مما كان له أكبر الأثر فى حياته وانعكاس تلك الحياة على أفكاره .

---

(١) نقلا من كتاب الفلسفة الماركسية فى القرن التاسع عشر (٥٨) .

(٢) موقف ماركس وانجلز من الآداب العالمية (٢٥) ، رمسيس عوض ، مكتبة الأنجلو المصرية ، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها .

(٣) متفق عليه ، البخارى مع الفتح (٢١٩/٣) ، كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبى فمات هل يصلى عليه ، وهل يعرض على الصبى الإسلام؟ ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ومسلم بشرح النووى (٢٠٧/١٦) ، كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ، الطبعة الأولى ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م ، المطبعة المصرية بالأزهر

خامسا : الموت الذى لقيه أطفاله ، والحرمان الذى وجده من أمه فى الميراث ، كل ذلك زاد من حدة طبعه ونفوره من الآخرين .

نشأته العلمية[١]:

عندما بلغ ماركس سن الثانية عشرة أرسله أبوه إلى مدرسة ثانوية (جمنازيوم) سنة ١٨٣٠م .

وفى سنة ١٨٣٥م تخرج ماركس وكان عمره سبعة عشر عاما[٢].

وفى نفس العام غادر إلى بون لدراسة القانون حسب رغبة أبيه[٣].

وكانت تشهد أعمالا كثيرة من العنف والاضطهاد والقمع والتجسس من قبل الشرطة بسبب دعاة الإصلاح الوطنى ، والوحدة الوطنية.

وانضم ماركس إلى أبناء بلده وانهمك فى الدراسة والتحصيل بجوار السكر وتناول الكحول ، وقد عاقبته سلطات الجامعة فى عام ١٨٣٦م باحتجازه يوما لتعكيره السكينة ليلا وسكره . ولم يمنع عنه زيارة زملائه مما أدى إلى تناول المشروبات فى الحبس المدرسى[٤].

وبعد علم أبيه بذلك أرسل إلى الجامعة يخبرها أن ابنه سيواصل دراسته فى برلين .

غادر ماركس بون إلى برلين سنة ١٨٣٦م وكانت الحياة خلاف ماكانت عليه فى بون حيث كانت جامعة برلين مركز الصراعات الفكرية أفكار هيغل

---

(١) سيكون الاعتماد بداية على ماكتبه الشيوعيون عن ماركس حتى لايكون هناك تحاملا عليه ، بل سنحاول عرض حياته كما يراها اصحابه وأتباعه ففيها من النقد الشيء الكثير شعروا أو لم يشعروا .

(٢) انظر سيرة حياة ماركس (١٢-١٣) .

(٣) انظر : المرجع السابق (١٥) ، موقف ماركس وانجلز من الآداب العالمية (٢٦) لمحات من تاريخ العالم (١٥٩) ، جواهر لال نهرو ، نقله إلى العربية مجموعة من الأساتذة الجامعيين ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م ، دون ذكر لرقم الطبعة ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، إشتراكيتهم وإسلامنا (٢٠) .

(٤) انظر سيرة حياة ماركس (١٥-١٧) .

وكـانت ، وفيشتـه ، وقـد أفسحـت دراسـة مـاركس للقـانون المجـال أمـامه للانشغـال بالفلسفة فتأثر بالأفكار المثالية ، وأفكار التنـوير الثقافى الفرنسى ، أفكار فولتير ، وروسو[١].

فأثرت هذه الفلسفات فى فكر ماركس وأنتج ماعرف عنـه فيما بعد من فلسفتـه التى كانت خليطا مـن مجموعة فلسفات ، وبعد تأثر مـاركس بالأفكار المثـالية انتقـل إلى البحث فى الـذات الحقيقيـة وأرسل إلى أبيـه يخبره بذلـك حيـث قـال : (لقد انتقلت بالمنـاسبة مـن المثالية التى قـارنتها وغنيتهـا بأفكار كانتيه وفيشتة إلى البحث عـن الفكرة فى الذات الحقيقيـة وإذا كـانت الآلهة قد عاشت فى السابق فوق الأرض فقـد أصبحـت الآن مـركزها بالضبـط) . وهذه الرسالة عام ١٨٣٧م وأصبح ماركس بهذا تلميذا لهيغـل ، وكانت هذه نقطـة تحول فى حياته كما قـال ذلك هو عن نفسه وتحرر مـن الفلسفة المثالية الـذاتية بأسلوب هيغل الديالكتيكـى ، وفى عام ١٨٣٨م توفى والـد مـاركس وتردت أوضاعه المادية وفى نفس العام أعفى من الخدمة العسكرية لضعف فى صدره وداء فى عينه .

فـأخذ يعمـل فى أطـروحة الـدكتوراه وكـان عنـوانهـا (الاختلاف بين الفلسفـة الطبيعيـة الديمقراطيـة والأبيقـورية) ، وانتهـى مـن الأطـروحة عام ١٨٤١م وفى العام نفسه حصل على الدكتوراه[٢].

واعترف ماركس بأن الجدلية الهيغلية هى التى تمثل المنهـج الأكثر عمقا واتساقا لتحليل ودراسة الواقع مقارنة مع غيرها من النظريات[٣].

بعـد ذلك عاد إلى مسقط رأسـه وبدأ فى كتابة المقـالات ونشـرها فى ذم الطبقات ، وذكر العمال وأحوالهم .

---

(١) انظـر : سيرة حيـاة ماركس (١٩) ومـابعدها ، النظم الاقتصـادية المعـاصرة (١٥١) .
(٢) انظر : المرجع السابق (١٩-٢٩) ، مصادر الماركسية الثلاثة (١٣) .
(٣) انظر الفلسفة الماركسية فى القرن التاسع عشر (٤٢،١٩) .

وفى عام ١٨٤٢م أصدر ملك بروسيا قرارا بمراقبة المطبوعات فكتب ماركس مقالا بعنوان (ملاحظات حول أحدث نظام بروسى للرقابة على المطبوعات) وكتب يقول إن العلاج الوحيد للرقابة هو إزالتها . وشارك ماركس بإعداد المقالات فى عدة صحف عام ١٨٤٢م منها روغه ، والرينانية تسايتونغ ، وعين ماركس محررا فيها ، وأخذ يعمل بكل حماس وخاصة فى المعركة مع الرقابة . ووصفت هذه الصحيفة بأنها صحيفة شيوعيين بروسين ورد ماركس بأحقية الأفكار الشيوعية فى الوجود وإن كانت إلى ذلك الوقت طوباوية .

وعكف ماركس فى هذه الأثناء على دراسة مؤلفات الإشتراكيين السابقين مثل شارل فوريبه ودى سان سيمون وروبرت أوين ثم عين ماركس رئيسا لتحرير تلك الصحيفة ، وكان يقوم بدور المحامى للفقراء واستنكار التدابير الوحشية من قبل ملاك الأراضى ضد الجماهير الغفيرة التى كانت بدون حقوق سياسية أو إجتماعية .

واستمر الشد بين ماركس والرقابة الروسية فقررت الحكومة منع صدور صحيفة راينشيه تسايتونغ اعتبارا من ٣١ مارس آذار عام ١٨٤٣م[١].

فى باريس :

بعد أن منعت الصحيفة من الصدور ولم يعد لماركس الحرية فى إظهار آرائه توجه إلى باريس سنة ١٨٤٣م وكان العداء بين البرجوازية والبروليتاريا قد أصبح المظهر الأساسى للحركة الإجتماعية فى فرنسا ، وأعجب ماركس بذلك وبرغبة الشعب فى البحث عن الطريق إلى الحرية رغم الضربات التى وجهت لهم[٢].

---

(١) انظر : سيرة حياة ماركس ، النظم الاقتصادية المعاصرة (١٥١-١٥٢) ، مصادر الماركسية الثلاثة (١٣-١٤) .

(٢) انظر سيرة حياة كارل ماركس (٤٩-٥١) .

وفى باريس حدث اللقاء بين ماركس وانجلز وكان الأخير متبرما من الحالة الاجتماعية القائمة آنذاك ، وكان يفكر لإيجاد حل للفقراء والاستغلال الذريع ، وتأثر بأفكار روبرت أوين ومحاولته الإصلاحية ، وعندما اجتمع بكارل ماركس تغيرت أفكاره وأصبحت مع أفكار ماركس وكان سنهما متقاربا ، وتعاونا فيما بينهما لدرجة أن معظم الكتب التى أصدراها حملت اسميهما معا(١).

وكانت باريس مكان التقاء الديمقراطيين من أمم عديدة حيث كانت وطن الثورة ١٧٨٩م ومنها دخلت عالما جديدا حيث منيت الإقطاعية بهزيمة شنيعة .

وبدأ ماركس فى إعداد ونشر المقالات فظهر العدد الأول من الحولية الألمانية الفرنسية عام ١٨٤٤م وفيه مقالين لماركس (حول المسألة اليهودية) ومقدمة (نقد فلسفةالقانون الهيغلية) وترك مثالية هيغل وأعلن موقفه المادى وتأثره بفيورباخ ، يقول الشيوعيون : (إن مقالات ماركس نقد فلسفة القانون الهيغلية تظهر نهاية الحقبة التى كان فيها هيغليا شابا فى الفسلفة ونهاية حقبته كثورى ديمقراطى فى السياسة كما أنها تسجل بداية حقبة جديدة طور فيها ماركس الذى أصبح الآن ماديا وشيوعيا خطوة فخطوة نظرة البروليتاريا إلى العالم ألا وهى الشيوعية العلمية . وقد عملت الدولة البروسية ضد الحولية الألمانية الفرنسية ، وأصدر الملك أمرا يمنع دخول الصحيفة بكل الوسائل وأمرا آخر باعتقال ماركس ومن معه إذا ماوضعوا أقدامهم فى الأراضى البروسية(٢).

واصل ماركس انتقاده للأنظمة القائمة فما كان من الحكومة البروسية إلا أن طردته من فرنسا إلى بروكسل عام ١٨٤٥م .

وحرمت الشرطة على ماركس نشر أى شىء عن السياسة الراهنة ، وتلقت الوزارة البلجيكية ضغوطا من حكومة بروسيا لطرد ماركس وحينها

---

(١) انظر : لمحات من تاريخ العالم (١٥٩) ، النظم الاقتصادية المعاصرة (١٥٢) .

(٢) انظر : سيرة حياة ماركس (٥١-٥٤) ، مصادر الماركسية الثلاثة (١٥) .

رأى مـاركس أن الحل هو التخلى عن الجنسية البروسية التى لم ينـل منها إلا مطاردته من قبل حكومته .

وفى عـام ١٨٤٥م سافر فى رحلة علمية إلى لندن مـع انجلز ثم عاد إلى بروكسـل وعكفـا على تأليف الأيديولـوجية الألمانية وبدأوا بتطبيـق الطـريقة المادية لفهـم الأشياء خلافا لفيورباخ والماديين السابقين لاعلى الطبيعـة فحسب بل وبنفـس المستوى على التجمع البشرى وتاريخه ، وركـزا على قضية الأكل والشرب والعيش قبل الأمور الأخرى .

وفى عام ١٨٤٦م انتهى العمل من الأيديولوجية الألمانيـة ووضعا بذلك الأسس الجوهرية للشيوعية العلمية .

وفى نفـس العام أنشأ ماركـس وانجلز لجنة المراسلات الشيـوعية لإقـامة الـــروابط بين الإشتراكيين الألمان والفـرنسيين والإنجليز واطلاع الألمان على تقـدم الإشتراكية ، ولأجل التغلـب على ضيق الأفق الـوطنى . وكـان يتطلع ماركس لليوم الذى يهب فيـه شعبـه ضـد الظـالمين الإقطـاعيين ، وفى عـام ١٨٤٧م كرس ماركس جهده لتأسيس حزب ثورى فانتمى ماركس وانجلز إلى جمعية سرية للدعاية (عصبة الشيوعيين) من عدة أعضاء ، وشاركا فى المؤتمر الثـانى لهـذه العصبـة المنعقـد فى لنـدن . وكـان هـدف العصبـة الإطـاحة بالبرجوازية ، وتأسيس مجتمع بدون طبقات ودون ملكية خاصة .

وفى السنـة نفسهـا عهـد إلى مـاركس وانجلـز بإعـداد برنامـاج مفصـل للحزب نظرى وتطبيقى وكتب النص فى ألمانيا عام ١٨٤٨م[١].

وكان ماركس يراقب الوضع فى المانيا ويرى أن الوقت قد حان لعودة الثـوريين الألمان فوضع برنامج مطـالب الحزب الشيوعى فى ألمانيـا ، وذكر أن البرجوازية فى المانيـا قـد خانت وبدون حيـاء الفلاحين ، ولـولاهم لكـانت

---

(١) انظـر : البيان الشيوعى (مقدمة الطبعـة الانجليزية) (١٣-٢٠) ، مصـادر الماركسيـة الثلاثة (١٦) ، إشتراكيتهـم واسلامنـا (٢٠-٢٢) ، الفلسفـة الماركسيـة فى القـرن التاسع عشر (١٩١) ، حقيقة الشيوعية (١٦) .

عاجزة أمام الاقطاعيين واطلع ماركس العمال الألمان على النضال الذى خاضه ٤٠,٠٠٠ بروليتارى فى باريس ، وأخبرهم أن الإشتراكية لن تكون إلا بالإطاحة بالبرجوازية واستيلاء البروليتاريا على السلطة .

وضيقت السلطة البروسية الخناق على ماركس فى كولن فذهب إلى برلين ومنها إلى فيينا وكان الحدث الأهم هناك هو إزالة وزير العمل والوزارة البورجوازية فكانت فرصة لأن يعبر ماركس عن بعض أفكاره ويشارك بنشر مبادئه فاختلفوا هل يوجه الأمر إلى القيصر أو إلى مجلس النواب النمساوى فقال ماركس (لقد كان المرء يتكلم حتى الآن عن قوتين كبيرتين وحسب هما المجلس النيابى والقيصر تلك القوانين التى يريد المرء الالتجاء إليها ليطلب عزل الوزراء إلا أن المرء نسى الشعب الذى شكل أعظم قوة)[١].

ثم عاد ماركس إلى برلين ومن ثم إلى كولن ، وفى عام ١٨٤٨م وجه إلى كافة الروابط والمنظمات فى مقاطعة الراين يدعوها إلى عزل الموظفين المعادين للثورة وتعبئة قوات الحرس الوطنى ضد الوحدات الموالية للملك ومقابلة العنف بالعنف ولكنها فشلت ، وفى عام ١٨٤٩م عاد إلى نشر المقالات وكثرت خطاباته الموجهة إلى البروليتاريا ، وعمل هو وصديقه فى يناير ١٨٤٩م بعد أن كان فى سويسرا وكانت مقالاته تنشر فى صحيفة (رانيشيه تساتيونغ) وأمر بطرد ماركس من بروسيا وأصدرت الصحيفة عددها الأخير باللون الأحمر .

وكانت صحيفة فى غاية الأهمية لماركس عبر لينين عنها بقوله (صحيفة تعبر عن آراء البروليتاريا الثورية على أفضل وجه وبصورة لاتضاهيها أية صحيفة أخرى) .

وسافر ماركس وانجلز إلى فرانكفورت ثم سافر ماركس إلى باريس وبقى انجلز فى بنجن .

---

(١) سيرة حياة ماركس (١٤١) ، وانظر مصادر الماركسية الثلاثة (١٦) .

وفى هـذه الأثناء قامت السلطـة العسكرية باجراءات القمـع والإرهـاب الدموى وخمد الانتفاضات العمالية وتوالت هزيمة الثوار وسلم ماركس خطابا وهـو فى باريس يطلب منه مغادرتها إلى أراضى المستنقعـات التابعة لبريتاغنة ولم يلب ذلك الطلب واستطاع الذهاب إلى لندن[1].

ومن هذه المرحلة نأخذ الآتى :

أولا : تنـاول ماركس للمسكـرات والإكثار من السلـوكيات المنحرفة .

ثانيا : انتقاله إلى برلين وكانت تعج بالفلسفات المختلفة .

ثالثا : تأثره بمثالية هيغل وأخذه بها ثم تركه لها والتحول إلى الفكرة المادية .

رابعا : انهمـاكه فى الأعمال الصحفيـة والكتابات لصـالح طبقة العمال وأوضاعهم المتردية .

خامسا : كثرة المطاردات التى حصلت له ، واحساسه بالتشـرد ، وزيادة حقـده على الأنظمـة وبالتالى على الأفكـار التى تقـوم عليهـا هـذه الأنظمة أو الهيئـات الموجودة فيهـا كالكنيسـة ، والملكية الفردية ممثلـة فى البرجوازية .

فى لندن :

بعـد أن طـرد من باريس توجه إلى لنـدن وعاش فيهـا سنـوات عديدة قضـاها فى مطالعة الكتب الموجودة فى المتحـف البريطـانى ، وكـان يشارك فى القـاء المحـاضرات والحركـات والتنظيمـات الإشتراكيـة والعمـالية ، وكـانت المنظمـات العمالية فى كولن تعمل ولكن دون جدوى فقـد كثرت الاعتقالات والإبادة ومحاربة أفكار ماركس وانجلز فى المانيا .

وأعلن حل منظمة العصبة فى لندن ، وكان يعمل فى صحيفة نيويورك دبلى تريبيـون وزاد من اهتمـامه بطبقة البروليتاريا ووسـع من دائرة الحديث حتى وصل إلى الصين والهند . وقد اشتغل فى هذه الأثناء بتأليف كتابه رأس

---

(١) انظـر : سيرة حيـاة مـاركس (٧٢-١٦٧) ، النظـم الإقتصـادية المعـاصرة (١٥٣) ، مصادر الماركسية الثلاثة (١٧) .

المال مع انشغاله بالأحداث السياسية والتنظيمات العمالية ، وكان يتابع أوضاع ألمانيا مع صديقه انجلز ونشر أفكارهما حول طريق الشعب الألمانى نحو الوحدة الوطنية وحول الخطوات اللازم اتخاذها على هذا الطريق ورأى ماركس أنه لابد من إيجاد صحيفة فى المانيا فسافر إلى برلين عام ١٨٦١م .

وتكون هذه الصحيفة متحدثة باسم البروليتاريا ، ولم يفلح فى تأسيس صحيفة إلا أنه رأى أن الثورة بدأت تنضج فى المانيا وفى عام ١٨٦٢م انبثقت من صفوف العمال نية الدعوة لعقد مؤتمر للعمال الألمان ولاسيما فى برلين ولايبرخ ، وفى عام ١٨٦٣م تم تأسيس الاتحاد العام للعمال الالمان ولأول مرة بعد عقد من الزمن ظهرت منظمة عمالية مستقلة عن البرجوازية وترعرع الأمل من جديد فى قلوب العمال والمثقفين الذين وقفوا بجانب الحركة العمالية .

وفى عام ١٨٦٤م عقد اجتماع فى لندن كان يضم جماعات متفرقة وحضر الاجتماع مئات من العمال والمهاجرين والديمقراطيين والفرنسيين والألمان والبولونيين والطليان والسويسريين وكان يرأس الاجتماع ماركس .

وفى عام ١٨٦٥م جاءت الأنباء إلى ماركس أن العمال أخذوا فى الانضمام إلى اتحاد العمال العالمى ووحدوا صفوفهم فى فروع محلية وكانت تأتيه الأنباء من برلين وسولنجن وغيرها .

وعقد فى عام ١٨٦٦م أول مؤتمر لاتحاد العمال العالمى وذلك فى جنيف ولم يحضره ماركس لانشغاله بالجزء الأول من مؤلفه رأس المال .

وفى عام ١٨٦٧م صدر الجزء الأول منه وعدد النسخ المطبوعة ١٠٠٠ نسخة واصل ماركس فى مؤلفه هذا تطوير الأجزاء المختلفة للشيوعية العلمية وهى الإقتصاد السياسى والمادية الدياتيكية والتاريخية ، والتعاليم المتعلقة بالثورة الإشتراكية ، ودكتاتورية البروليتاريا .

وكانت الاضرابات العمالية على أوجها - (ولاشك أن هذا من الأساليب التى دعت إليها الشيوعية من أجل الحصول على المطالب) - .

ففـى عام ١٨٦٧م ، و١٨٦٨م ، و١٨٦٩م حدثت مظاهرات واضرابات فى بلجيكـا قام بها عمال المنـاجم ضد إلغاء وتخفيـض الأجور وضـد اختصار أوقات العمل .

وفى عـــام ١٨٦٨م أضـرب حوالى ٣٠٠٠ عـــامل مـن عمـــال البنـاء فى سويسرا لتخفيض الساعات وزيادة الأجور .

وفى عـام ١٨٦٧م أضـرب حوالى ١٥٠٠ مـن عمـال صنـــاعة البرونز فى باريس وكانوا يطالبون بحقهم فى تشكيل نقابة أو اتحاد لهم .

وفى عام ١٨٧٠م تلقى ماركس نبأ توحيد صفوف الـروس الذين كانوا فى جنيـف فى فرع روسى يعود لاتحاد العمـال العالمى وتتـالت مؤتمرات اتحاد العمال العالمى ومن أهمها المؤتمر الذى عقد فى عام ١٨٦٩م وأكـد المؤتمر أن المجتـع لـه الحق فى إلغـاء الملكيـة الخاصـة للأراضـى وتحويلهـا إلى ملكيـة إجتماعية .

وكــذلك المؤتمر الــذى عقـد فى ١٨٦٩م حيـث تأســس حزب العمـال الإشتراكى الديمقراطى ، وفى عام ١٨٧٢م عقد مؤتمر لاهـاى الذى عقده إتحاد العمال العالمى .

بعـد هـذا المؤتمر أخذ مـاركس يعانى من اضطرابات صحيـة ، وفـر له انجلز إمكانية السفر للمعالجة فى عامى ١٨٧٥-١٨٧٦م .

وبدأت اهتمـامات ماركس تقل بالسياسة وأوكل المهمـة لرفيقه انجلز ، وفى هذا الوقت ازداد تشكيل الأحزاب الثورية العمالية .

فى النمسـا ١٨٧٤م ، الـدانمارك ١٨٧٦م ، بوهيميـا ١٨٧٨م ، بلجيكـا/ اسبـانيا ١٨٧٩م ، أحزاب أخرى فى فـرنسا وهنغاريا ١٨٨٠م ، انجلترا ١٨٨١م بولونيا وايطاليا ١٨٨٢م .

زاد ألم ماركس عام ١٨٧٨م وقل عمله ، واشتد عليه الألم عام ١٨٨١م وفى العام نفسه ماتت زوجته ، ولأجل الراحة والاستجمـام ذهب إلى مينتور الواقعة فى جزيرة وايت ، وفى ربيع ١٨٨٢م سافر إلى الجزائر ولم يتحسن من سفـرياته تلـك ، وفى ١٨٨٣م مـاتت ابنته الكبرى ورجع مـاركس إلى لنـدن

واشتد عليه الألم فى مارس آذارا ١٨٨٣م وفارق الحياة ودفن إلى جانب زوجته فى مقبرة هايفات فى لندن[١].

وحيث كان انجلز رفيق دربه وكذلك صاحب الأعطيات الجمة لرفيقه يحسن بنا أن نلمح بشىء عن حياته .

ولد فردريك انجلز فى ٢٨ تشرين الثانى (نوفمبر) سنة ١٨٢٠م فى مدينة فوبرتال (Wuppertall) فى أسرة ثرية وكان بكر أبيه الذى يرى فيه وريث مؤسسته (غاسبار انجلس وشركاه) فنشأة انجلز والجو الذى عاش فيه يختلف عن ماركس .

وكانت أسرته متدينة مقرون ذلك بما يشبه التعبد للمعدن الأصفر . وقد أرسله والده سنة ١٨٣٨م إلى مدينة بارمن لدراسة الفن التجارى وكان يقبل على قراءة المؤلفات الطليعية عن الدين والفلسفة والسياسة[٢].

كانت حياة انجلز تختلف عن حياة رفيقه ماركس . فانجلز نشأ (فى عائلة ألمانية بروتستانتية متدينة تملك المصانع ولاتحفل - على عكس عائلة ماركس - بالفنون والآداب ، وكان والده يؤمن بالتقوى والورع[٣]وضرورة الامتثال لأوامر الدين ونواهيه وبطبيعة الحال ترك هذا الجو الدينى فى نفس الغلام فردريك بصماته الواضحة ، فالقصائد التى نظمها فى يفاعته تشبه فى ايقاعها واستعاراتها بترانيم الكنيسة الألمانية البروتستانتية ولكنه وقع فيما بعد تحت تأثير فيرباخ ... فأشاح بوجهه عن الدين)[٤].

وشارك انجلز ماركس فى كثير من الأعمال الكتابية وكذلك واجه معه بعض مالقيه ماركس فى حياته إضافة إلى إمداد ماركس بالمال وكانت المراسلة

---

(١) انظر : سيرة حياة ماركس (١٧١-٣٦٦) مقتطفات منها ، لمحات من تاريخ العالم (١٥٩-١٩٣) ، مصادر الماركسية الثلاثة (١٨-١٩) ، النظم الإقتصادية المعاصرة (١٥٣-١٥٤) .

(٢) انظر الفلسفة الماركسية فى القرن التاسع عشر (٥٩) .

(٣) وذلك حسب تعاليم الكنيسة .

(٤) موقف ماركس وانجلز من الآداب العالمية (٨٤) .

تكاد تكون بينهما يوميا ، وفى سنة ١٨٧٠م اجتمعا مع بعضهما فى لندن حتى عام وفاة ماركس ١٨٨٣م[١]. وعكف انجلز على إتمام كتاب رأس المال الذى بدأه ماركس[٢].

(وفى ٥ أغسطس (آب) ١٨٩٥م توفى فردريك انجلس فى لندن)[٣].

ومن خلال كلام الشيوعيين عن ماركس يمكن الوقوف على المراحل التى مر بها فى حياته :

المرحلة الاولى : تنتهى فى خريف سنة ١٨٣٧م ، وهى المرحلة التمهيدية لتشكيل آرائه الخاصة ، ويمكن اختصار مضمون هذه المرحلة بكلمة واحدة : البحث الدؤوب والخلاق عن حلول للمسائل الفلسفية المهمة[٤].

المرحلة الثانية : (مع خريف سنة ١٨٤٢م تبدأ مرحلة جديدة من مراحل تطور أفكار ماركس وانجلس الفلسفية والسياسية - الإجتماعية ، ارتبط فيها تطورهما النظرى على نحو وثيق ومتفاعل بتنامى مستوى نضوجهما السياسى الفعلى . وفى سياق نضالهما من أجل مصالح الكادحين يتناول ماركس وانجلس بالتحليل الدقيق دائرة واسعة من المسائل السياسية كما يحتكان للمرة الأولى بالمشكلات الإقتصادية ويطلعان على النظريات الشيوعية المعروفة حتى ذاك . وفى هذا الوقت بدأت تبرز العناصر الأولى للمادية فى طريقة تحليلهما للمشكلات الإجتماعية وكما أشار لينين فقد بدأت تستشف من المقالات المنشورة فى (الجريدة الرينانية) (ملامح تحول ماركس من المثالية إلى المادية) ، (ومن الديمقراطية الثورية إلى الشيوعية) (٣ مجلد ٢٦ ص٨٢) . وينطبق ذلك تماما على انجلس الذى كانت تحليلاته الفلسفية والسياسية تتشابك فى عقدة محكمة شأنه فى ذلك شأن ماركس)[٥].

---

(١) انظر مصادر الماركسية الثلاثة (٦٥،٦٦) .
(٢) انظر المرجع السابق (٦٧) .
(٣) المرجع السابق (٥٨) .
(٤) انظر الفلسفة الماركسية فى القرن التاسع عشر (٤٣/١) .
(٥) المرجع السابق (٦٣/١) .

المرحلة الثالثة : (لقد كان نشاط ماركس ، وكذلك نشـاط انجلس إلى حد كبير مرتبطين فى هذه المرحلة بـ(الجريدة الرينانيـة) التى بدأت تصدر منذ الأول من كانون الثانى (يناير) سنة ١٨٤٢م ، وكانت فى بدية عهـدها جريدة ليبرالية معتدلة ولكنها تحولت إلى جريدة أكثر راديكالية مع التحاق الهيغلين الشبـاب بهيئة تحريرها بيد أن ماركس وحده أصبح أحد أكثر العـاملين نفوذا إثر نشر مقالاته الأولى ، ورئيسـا لتحريرها منذ ١٥ تشـرين الأول (أكتوبر) سنـة ١٨٤٢م فقـد استطاع أن يجعـل منهـا منبرا حقيقيا للـديمقراطية الثـورية ومـدافعا عـن (مصالح الجماهير الفقيرة والمحـرومة إجتمـاعيا وسيـاسيا) [١ ، مجلد ١ ، ص١٢٥])[١].

أما المرحلة الرابعة : فهى التحرر من الدين .

(لقـد ذاد ماركس قبل كل شيء عن حق الجريدة فى التطـرق إلى شتى المواضيـــع : السيـاسية والـدينية والفلسفيـة وهـو إذ يعــارض رأى (جريدة كولونيا) الرجعية يبرهن مستخدما مواد أطروحة الدكتوراه الحتميـة التاريخية لشيـوع الفلسفـة المتطورة بين أوسـع فئات المجتمع . وبين أن تصـور كتـاب (جريدة كولونيا) حول أن بناء الدولة يجب أن يقوم على الـدين هو تصور مغــرق فى الجهـل . فمـن مميزات الفلسفـة الحديثـة أنهـا تنظـر إلى الـدولة باعتبـارها جهـازا ضخمـا ينبغـى أن تتحقـق فيه الحرية السيـاسية والمعنـوية والحقـوقية ، علما أن خضوع المواطـن لقوانين هذه الـدولة إنما هـو خضوع للأحكام الطبيعية لعقله الخاص العقل الإنسانى [مجلد ١ ، ص١١٢])[٢].

وأما المرحلة الخامسة والأخيرة : (تبدأ المرحلة الجديدة فى تكون آراء ماركس وانجلس الفلسفية التى وصفها لينين بمرحلة التحول النهائى إلى المادية والشيوعية فى صيف سنة ١٨٤٣م)[٣].

---

(١) الفلسفة الماركسية فى القرن التاسع عشر (٦٤/١) .
(٢) المرجع السابق (٦٤/١) .
(٣) المرجع السابق (٧٤/١) ، وانظر كذلك ص(٨٦) .

ونلاحظ أن أكبر فترة قضاها ماركس إنما كانت فى المادية فلاغـرابة أن يخرج بهذه الأفكار .

ومـن خلال العـرض السابق عـن شخصية ماركس يتبين لنـا أنه رجل صاحب فكر مستقل وخاصة فيمـا نسـب إليـه (المادية الجدليـة ، والمادية التـاريخية) ولاينفـى ذلك تأثره بمن سبقـه وأخذه عنهـم حتى أصبحـت لديه أفكارا مختلطة شكلت فكرا نسب إليه ، حيث كان يأخذ من كل فيلسوف أو مفكـر مايروق له ويتفق مع آرائه ، ويدع بقيـة أفكاره إذا لم تخدمـه . ومن الجدير بالـذكر هنـا هـو أن شخصيـة مـاركس حظيـت بما لم تحظ به شخصيـة أخرى ممـا يدل على أن هناك أصـابع خفية تحركها ، وتعمـل على إظهـارها وإبرازها فكان لها مالها من الشهرة وذيوع الصيت .

هــذا فى حين أن هنـاك فلاسفـة ومفكـرين ـ كـانوا بمثـابة المصـادر والأسـاتذة لماركس ولكن ـ لم يلقوا مالقيه ماركس . ولعـل نظرياتهم لم تكن بكل أجزائها تخدم تلك الأصابع التى حركت ماركس ووجهته ، ولأجل ذلك ماترك ماركس ـ فى الغالب ـ أحدا أخذ عنـه إلا وانتقـد جانبـا مـن فلسفتـه لأنها فى ذلك الجانب تتعارض مع فلسفته .

المبحث الثانى
مصادر الماركسية

كانت الحياة الأوربية تعج بالمتناقضات والصراعات فى ظل غياب الدين سواء الدين الصحيح أو المحرف ، فأنتجت الحياة الأوربية ماأنتجته من الأفكار الإلحادية ، والفلسفات والنظريات المخالفة لما هى عليه الطبيعة الإنسانية فكانت المذاهب شتى ، والمصادر متنوعة ، والأفكار الشيوعية واحدة من هذه المذاهب التى تأثرت بالنظريات والفلسفات الموجودة فى أوروبا فأفاد ماركس ممن قبله ووافقهم فى أمور وخالفهم فى أخرى . فجاء بمذهب خليط من أفكار مجموعة من الفلاسفة السابقين ، ويمكن إرجاع مصادره التى استقى منها أفكاره إلى أربعة مصادر أثرت فى فكره أكثر من غيرها رغم أنه إستفاد من أكثر آراء الفلاسفة الذين سبقوه وأخذ منهم مايوافق رغبته ورفض مالايخدم فكره .

والمصادر هى :

أولا : الإشتراكية الفرنسية .

ثانيا : الفلسفة الألمانية .

ثالثا : الإقتصاد السياسى الانجليزى .

رابعا : نظرية التطور .

واعتبر الشيوعيون أن هذه المصادر الوريث الشرعى لفلسفات القرن التاسع عشر فقالوا :

(إن الوريث الشرعى لخير ماأبدعته الإنسانية فى القرن التاسع عشر الفلسفة الألمانية والإقتصاد السياسى الانجليزى والإشتراكية الفرنسية)[١].

ولنعرض لهذه المصادر بشىء من التفصيل :

---

(١) مصادر الماركسية (٤) ، وانظر : تاريخ النظريات الإقتصادية (١٩٣) ، الفلسفة الماركسية فى القرن التاسع عشر (١/١٨) .

أولا : الفلسفة الألمانية :

كانت الفلسفة الألمانية ذات إتجاه مثالى وخصوصا لدى [كانت] وتعاقب الفلاسفة من بعده الذين أخذوا بالمبدأ المثالى .

وعلى رأس هؤلاء هيغل الذى أخذ عنه ماركس منهجه الجدلى غير أنه رفض مثاليته . وجدلية هيغل قادت ماركس إلى مادية فيورباخ حيث كان هذا الأخير تلميذا لهيغل وبالعموم فقد اعترف بتأثير الفلسفة الألمانية فى الإشتراكية ، يقول انجلز : (إن الإشتراكية العلمية فى معظمها عبارة عن ثمرة إبداع ألمانى لم يكن بوسعها أن تنضج إلا لدى أمة حافظت فلسفتها الكلاسيكية على تقاليدها الحية فى الجدلية الواعية أى فى المانيا)[١].

ويرى الشيوعيون أن أهمية فلسفة هيغل تأتى من كونها (تنبذ التصورات حول الطبيعة النهائية لنتائج التفكير والنشاط الإنسانيين فكل ماهو موجود فى حياتنا وتفكيرنا على السواء يتحول على نقيضه وكل واقع يتحول إلى لاواقع وكل معقول إلى لامعقول وإن ماكان فى السابق معقولا وواقعيا وضروريا تبطل ضرورته مع الوقت كما يفقد حقه فى البقاء ويضيع معقوليته ويشمخ مكان الواقع المتلاشى واقع جديد مفعم بالحياة)[٢].

وعندما كان هيغل محافظا معترفا بالحقيقة المطلقة ، مخالفا بهذا ماتذهب إليه الماركسية انتقدت فلسفته . يقول انجلز : (هذه الفلسفة لاتعد أى شىء نهائيا مطلقا مقدسا إنما تكشف الغطاء عن الصبغة المؤقتة لكل شىء وفى كل شىء لايستطيع الثبات والصمود أمامها إلا عملية متصلة من الصيرورة

---

(١) الفلسفة الماركسية فى القرن التاسع عشر (١٩) .
(٢) المرجع السابق (٢٠) .

والـزوال أى عمليـة الإرتقـاء الـدائمة مـن الأخفض إلى الأرفـع ومـاالفلسفة الديالكتية ذاتها إلا مجرد انعكاس لهذه العملية فى المخ المفكـر ولهذه الفلسفة بطبيعـة الحال جانبهـا المحـافظ فهـى تعترف أن مـراحل محدودة مـن المعـرفة والمجتمـع لها مايبررها من العصر والظروف ولكن يقـف الأمر عند هذا الحد فى الطابع المحافظ فى هذه النظرية نسبى أما الطابع الثورى فمطلق وهو المطلق الوحيد الذى تعترف به)[١].

واعترف ماركس بأن هيغل مثاليى ، ولأجل ذلك يختلف عنه حيث قال فى رسالة بعث بها الى ل.كوجلمان هانوفر[٢]فى ٦ آذار ١٨٦٨م :

(إن منهجـى فى العرض ليـس هو منهج هيغل ، مـادمت مـاديا وهيغل مثاليا . إن جدل هيغل هو الشكل الجوهرى لكل جدل . لكـن هذا فقط بعد تخليصه من شكله الصوفى وهذا بالضبط مايميز منهجى)[٣].

فماركس أخذ من هيغل جدليته وخالفه فى مثاليتـه وأخذ من فيورباخ ماديته وطورهما .

يقـول لينين : (ولكن ماركس لم يتوقف عند مادية القـرن الثامن عشر بل دفـع الفلسفـة خطوات إلى الأمـام فـأغناه بمكتسبات الفلسفـة الكلاسيكيـة الألمانيـة ولاسيما بمكتسبات مـذهب هيغل الذى قام بدوره إلى مـادية فورباخ

---

(١) لودفيج فيورباخ وانتاج الفلسفة الألمانية الكلاسيكسية (٣٢-٣٣) ، نقلا من كتاب الفكر المادى الحديث وموقف الإسلام منه (٢٤٤) .

(٢) كـوجلمان لـودفيغ طبيـب ألمانى شـارك فى ثورة ١٨٤٨-١٨٤٩م عضـو فى الأممية الأولى ، لـه مـراسلات منتظمـة مـع ماركس بين ١٨٦٢ و١٨٧٤م كـان يطلعـه من خلالهـا على الـوضع فى ألمانيـا عاش مابين (١٨٣٠-١٩٠٢م) . مـن صفحـات فهرس الأعلام ، مراسلات ماركس انجلز (٢٣٩) .

(٣) مراسلات ماركس انجلز (١١٥-١١٦) .

وأهـم هذه المكتسبات الدياالكتيك إى نظرية التطور بأكمـل مظاهرها وأشدها عمقا وأكثرها بعدا عن ضيق الأفق نظرية نسبية المعارف الإنسانية التى تعكس المادة فى تطورها الدائم ... وقد عمق ماركس المادية الفلسفية وطورها فانتهى بهـا إلى نهايتها المنطقية ووسـع نطاقها من معرفة الطبيعـة إلى معـرفة المجتمع البشرى)[١].

وقد اختلف ماركس فى ماديته عن فيورباخ حيث كانت مادية فيورباخ ميتـافيزيقيـة [٢]أمـا مـاركس وانجلـز فكـانت مـاديتهما خلافـا لمن سبقهمـا واستخـدماها فى (تفسير الظـاهرات الإجتمـاعية التى عـالجاها وفقـا لمقتضيـات المنهج الديالكتيكى)[٣].

ومـع ذلك فقد اعترف انجلز بفضلـه وقال : (بدا لى كـأن علينا دينا لم نقـم بأدائه نحو فيورباخ ممـا يستوجب أن نعترف إعترافـا كاملا بما أحدثه ـ خلال أزمتنا الفكرية ـ ذلك الرجل من أثر فاق كل أثر لســواه من المدرسة الهيجلية)[٤].

ولايفــوتنا هنـا التنـويه بأن الهيغليين إنقسمـوا إلى قسمين : الجنـاح الهيغلى اليمينى وبقـى أصحـابه متمسكين بفكـر هيغـل ، والجنـاح اليسـارى (الهيغليين الشبـاب) ورفع هذا الجناح راية الأفكار الإلحادية المستخلصـة من المذهب الهيغلى ، وكان داعية هذا الجناح فيورباخ[٥].

لقـد شكلـت الفلسفـة الكلاسيكيـة الألمانيـة مصـدرا مهمـا مـن مصادر ماركس وانجلز فى تكوين أفكـارهما . يقـول انجلـز : (إن المثــالية الألمانيـة

---

(١) مصادر الماركسية (٤-٥) .

(٢) المتيافيزيقية : أى تؤمن بماوراء الطبيعة .

(٣) الفلسفة الماركسية فى القرن التاسع عشر (٢٤/١) .

(٤) نقلا من كتاب الفكر المادى الحديث وموقف الاسلام منه (٢٤٣) .

(٥) انظر الفلسفة الماركسية فى القرن التاسع عشر (٢١/١) .

الكلاسيكية كانت شرحا منهجيا مهما للإشتراكية العلمية)[١].

وهكـذا غدت الفلسفة الكلاسيكيـة الألمانية مصدرا مـن مصادر ماركس وانجلز ، وقد أخذا منها مايؤيد أفكارهما ، ورفضا مايتعارض معها .

---

(١) الفلسفة الماركسية فى القرن التاسع عشر (١/١٠) .

المصدر الثانى : الإشتراكية الفرنسية :

يعتبر الفيلسوف الفرنسى أوجست كونت[(١)](أحد الفلاسفة البارزين فى الدعوة إلى الأفكار الإشتراكية فى العصر الحديث وقد اتجه فى فلسفته إلى القضاء على النزعة الفردية الذاتية وإقامة النزعة الإنسانية العامة التى تجعل الفرد ترسا فى آلة المجتمع كما اعتبر كونت الملكية مجرد وظيفة لخدمة المجتمع لالخدمة أصحاب الملكيات الخاصة)[(٢)].

وتعد آراء فولتير وجان جاك روسو عن الدين المنبع الأساسى الذى اعتمد عليه ماركس[(٣)].

ويمكن اعتبار فرنسا فى أربعينات القرن التاسع عشر كما يقول الشيوعيون : (مختبرا حقيقيا للفكر الثورى .. ذلك من حيث وفرة أشكال الصراع الطبقى وتنوع الطبقات والأحزاب ووسائلها الإعلامية ومن حيث حجم الخبرة الثورية ووضوحها ، وفى هذا الصدد كتب انجلس : (إن فرنسا هى تلك الدولة التى كان الصراع الطبقى التاريخى فيها يقترب كل مرة ، أكثر منه فى أى مكان آخر من نهايته الحاسمة . وفى فرنسا أيضا تجلت على نحو أكثر بروزاملامح تلك الأشكال السياسية المتغيرة التى كان يجرى فى إطارها هذا الصراع ، وتنعكس فيها نتائجه) .

---

(١) أوجست كونت : فيلسوف فرنسى ، تربى على الدين الكاثوليكى ، التقى بسان سيمون وأصبح أحد تلامذته ، وعمل أمينا لسره لمدة ستة أعوام . ثم انفصل عنه وكون له فكرا مستقلا ، أصيب بانهيار عقلى ، ثم شفى منه وعمل فى حقل التدريس وعين معيدا فى كلية العلوم التقنية ، وله عدة مؤلفات منها التقويم الوضعى ، المذهب الذاتى ، التعليم المسيحى الوضعى . ولد عام ١٧٩٨م ومات عام ١٨٥٧م .
انظر موسوعة أعلام الفلسفة (٣٠١/٢) ومابعدها .

(٢) فلسفة كونت (٣١٥) ليفى بريل نقلا من كتاب إنهيار الشيوعية أمام الإسلام (٧٥) .

(٣) انظر إنهيار الشيوعية أمام الإسلام (٧٥) .

فهنا بالذات دفنت سنة ١٧٨٩م الإقطاعية وأقيمت (السيطرة الخالصة للبرجوازية بكل وضوحها الكلاسيكى) . كما لم يحدث فى أى بلد آخر...)[١].

وقد أغنت التجربة الفرنسية ماركس كثيرا ولاغرابة فقد وجد فيها الأفكار الثورية وكذلك الآراء الإشتراكية والطوباوية بالإضافة إلى المناهج المختلفة التى تمهد للمادية الإلحادية حيث يرى الشيوعيون (أن تجربة فرنسا التاريخية قد أعطت ماركس مادة حية لأفكاره حول الدور التاريخى العالمى للبروليتاريا ، حول الثورة وأهمية الديكتاتورية الثورية فى عملية دفع الثورة نحو نهايتها المظفرة ، حول دور الحزب الثورى فى هذه العملية وحول مواقف مختلف الطبقات وأحزابها فى مسار الثورة . إن كل هذه الطروحات التى تم إثباتها وصوغها النظرى كمبادىء أساسية للشيوعية العلمية قد أغنت بدورها الماركسية ، باعتبار كونها عقيدة فلسفية متماسكة للبروليتاريا)[٢].

وكان فلاسفة فرنسا كفولتير ومن معه يرون أن البشرية عاشت فى حياة مادية خالصة قبل تفكيرها فى الدين والدين إنما هو من اختراع الناس للوصول من ورائه إلى أهداف أرادوا تحقيقها ، وهذا ماذكره ماركس وانجلس فى تقريرهما أن الدين من صنع الإنسان وذكر ماركس السبب فى اختراع الدين .

كما ذكر من قبل جان جاك روسو (إن الدين ونظم الأخلاق والمجتمع هى مجرد اختراع من ملاك الارض الذين حدا بهم جشعهم وحرصهم والحفاظ على ملكيتهم إلى أن يأتمروا بينهم على وضع تلك النظم والقوانين ليخدعوا بها الناس ويضلوا بها الفقراء)[٣].

---

(١) الفلسفة الماركسية فى القرن التاسع عشر (١/٣١-٣٢)

(٢) المرجع السابق (٣٢) .

(٣) الدين والبناء العائلى (٦٢) ، نبيل السمالوطى نقلا من كتاب إنهيار الشيوعية أمام الإسلام (٧٦) .

كما كانت فرنسا مسرحاً للصراعات والثورات المتعددة ضد الإقطاعية ، ومن ثم ضد البرجوازية ، وكان للعمال الفرنسيين دور كبير فى تاريخ أوروبا جاء فى كتاب الفلسفة الماركسية فى القرن التاسع عشر (إن المساهمة الفعالة للعمال الفرنسيين فى الحركة الثورية فى بلدهم وبحثهم الدؤوب عن النظرية الإشتراكية قد وضعهم فى طليعة البروليتاريا الأوربية)[١].

وأثرت هده الثورات فى معتقدات وأفكار الشعب الفرنسى وجعلته ينتقل من فكر إلى آخر ويؤمن بالأفكار الإشتراكية ، وقد عبر ماركس عن ذلك بقوله : (لقد ولدت الثورات التى حدثت بحدة تقليدية بالغة فى فرنسا ، معتقدات ديمقراطية وشيوعية أكثر جذرية)[٢].

ويمتدح لينين فرنسا باعتبارها المنبع لمعادات الدين والعبودية فى القرون الوسطى فيقول : (برزت المادية فى فرنسا ـ حيث كانت تدور المعركة الحاسمة ضد ركام القرون الوسطى وضد العبودية فى المؤسسات والأفكار ـ بوصفها الفلسفة المبدئية الوحيدة والأمينة لكل مذاهب العلوم الطبيعية ، والمعادية للخرافات وماشابه من أشكال النفاق والرياء ، ولذا ، فقد راح أعداء الديمقراطية يحاولون "دحض" المادية وزعزعتها وتلطيخ سمعتها ، ويدافعون فى الوقت نفسه عن مختلف أشكال المثالية الفلسفية)[٣].

وقد اعترف ماركس أن مادية فرنسا تصب مباشرة فى الإشتراكية والشيوعية[٤].

ويثنى انجلز على هذا المصدر فيقول :

---

(١) (٢٨/١) .
(٢) الفلسفة الماركسية فى القرن التاسع عشر (٢٨/١) .
(٣) انظر المرجع السابق (٢٨/١) .
(٤) انظر المرجع السابق (٢٨/١) .

(ومن المصادر الأخرى التى غذت هذا الفكر الطليعى هناك الأفكار الإشتراكية والشيوعية التى نالت القسط الأكبر من التطور فى فرنسا خلال الثلاثينات والأربعينات ، ففى أثناء ثورة أواخر القرن الثامن عشر البرجوازية الفرنسية كان بوسع الجماهير الكادحة أن تقتنع بأن العالم البرجوازى الذى استبدل شكلا من أشكال الإستغلال بآخر هو أيضا غير معقول كالإقطاعية وغيرها من الأنظمة الإجتماعية السابقة فالتناقضات بين الأغنياء والفقراء ازدادت حدة وبات تحرير الملكية من قيود الإقطاعية بالنسبة إلى الكثير من الفلاحين والبرجوازيين الصغار تحريرا من الملكية وأصبح الدفع عدا ونقدا هو الرابط الوحيد فى المجتمع البرجوازى الذى يحكم على الكادحين بالفقر والمعاناة ، لقد أصبحت المذاهب المختلفة تبرز على الفور بوصفها انعكاسا لهذا النير واحتجاجا عليه)[1].

ومر معنا عند حديثنا عن الإشتراكية الطوباوية بعض المفكرين الفرنسيين الذين أفاد منهم ماركس كما ذكرنا ، واعتبر أفكار سان سيمون (أجنة كافة الأفكار الإقتصادية تقريبا للاشتراكيين المتقدمين)[2].

وقد اعتمد ماركس على التجربة التاريخية للصراع الطبقى فى فرنسا ، والثورات التى حصلت فيها بالدرجة الأولى وبنى بعض أفكاره على ذلك كالصراع الطبقى ، والإنتاج وأسلوبه ، وأثر الوضع الإقتصادى فى هذا الصراع .

جاء فى كتاب الماركسية فى القرن التاسع عشر :

(إن تجربة فرنسا التاريخية قد أعطت ماركس مادة حية لأفكاره حول الدور التاريخى العالمى للبروليتاريا حول الثورة وأهمية الدكتاتورية الثورية فى عملية دفع الثورة نحو نهايتها المظفرة حول دور الحزب الثورى فى هذه

---

(١) انظر الفلسفة الماركسية فى القرن التاسع عشر (٢٩/١) .

(٣) المرجع السابق (٣٠/١) .

العمليـة وحول مواقف مختلـف الطبقات وأحزابها فى مسـار الثورة ، إن كل هذه الطروحات التى تم اثباتها وصوغها النظرى كمبـادىء أساسية للشيوعية العلميـة قـد أغنت بدورها الماركسيـة باعتبـار كونها عقيـدة فلسفيـة متماسكة للبروليتاريا)[1].

ومـن هـذا النـص ومما سبق يظهـر لنـا جليا أن الفلسفـة الإشتراكيـة الفـرنسية قـد أثرت فى مـاركـس وفلسفتـه ، ولعبـت دورا كبيرا فى تشكيـل أفكاره الإشتراكية .

ولايفوتنا هنا التذكير بأن فرنسا كانت الإنطلاقة للثورات فى أوروبا فقد دشنـت الثـورة الفـرنسية عهـدا جديدا كمـا اعترف زعمـاء الماركسيـة بذلـك بالإضـافة الى الأفكار الإشتراكيـة للطوباويين الفرنسيين والتى اعتمـد مـاركس عليها كثيرا بل وأثنى عليها واعتبرها أكثر نضوجا من غيرها رغم طوباويتها .

---

(١) (٣٢/١) .

المصدر الثالث : الإقتصاد الانجليزى :

إن ماركس أولى الإقتصاد إهتماما كبيرا ، وألف فى مسائله كتبا كثيرة ومن أشهر كتبه فى هذا الإتجاه رأس المال ، وتحدث فيه عن مسائل الإقتصاد وعلاقات المجتمع فى ضوئها ، وقال عنه ماركس : (إن الهدف النهائى لهذا الكتاب أن يكشف عن القانون الإقتصادى لحركة المجتمع الحديث)(١). وجاء ماركس بعدة نظريات إقتصادية كان من أبرزها نظرية القيمة ، وفائض القيمة(٢). وقد استفاد ماركس فى توجهاته الإقتصادية من فلاسفة الإقتصاد الانجليزى . يقول لينين : (لقد تكون الإقتصاد السياسى والكلاسيكى ماقبل ماركس فى انجلترا وكانت أكثر البلدان الرأسمالية تطورا ، فقد درس آدم سميث ، ودافيد ريكاردو(٣)النظام الإقتصادى فسجلا بداية نظرية القيمة ـ العمل . وواصل ماركس عملهما فأعطى هذه النظرية أساسا علميا خالصا وطورها بصورة منسجمة إلى النهاية ، وبين أن قيمة كل بضاعة مشروطة بوقت العمل الضرورى إجتماعيا لإنتاج هذه البضاعة)(٤).

وقد استقى بعض أتباع ريكاردو الأفكار الإشتراكية من نظريته . يقول ماركس : (قام أتباع ريكاردو اليساريون فى بريطانيا العظمى باستخلاص بعض الاستنتاجات الإشتراكية ، من نظريته الخاصة بقيمة العمل)(٥).

ويضاف لهذا أن ماركس قد استفاد من الإشتراكيين الطوباويين الإنجليز وعلى رأسهم روبرت أوين . غير ماأحدثته الثورة الصناعية فى انجلترا .

---

(١) نقلا من كتاب مصادر الماركسية (٣١) .

(٢) سيأتى الحديث عنها إن شاء الله تعالى فى المذهب الإقتصادى الشيوعى .

(٣) عالم إقتصادى انجليزى ، من كبار ممثلى الإقتصاد السياسى البرجوازى الانجليزى ، قال بنظرية القيمة . ولد عام ١٧٧٢م ومات سنة ١٨٢٣م .
انظر مراسلات ماركس انجلز (٢٣٣) .

(٤) مصادر الماركسية (٦) .

(٥) نقلا من كتاب الفلسفة الماركسية فى القرن التاسع عشر (٢٦) .

هـذا مـايتعلق بالمصادر الثلاثة الأولى . وقـد صـرح مـاركس بأثر هذه المصـادر على بروليتاريا أوروبا كلهـا فقال : (ينبغى الإقـرار بأن البروليتـاريا الألمانيـة هـى المنظـر الأيديولـوجى للبروليتـاريا الأوربيـة تمامـا . ككـون البروليتـاريا الانجليزية منظـرها الإقتصـادى والبروليتـاريا الفـرنسية منظـرها السياسى)[١].

(١) نقلا من كتاب الفلسفة الماركسية فى القرن التاسع عشر (٢٧-٢٨) .

المصدر الرابع : نظرية التطور :

إن النظريات الفلسفية فى الأعم الأغلب التى وجدت فى أوروبا قامت على محاربة الدين ولأجل ذلك اتخذها أصحاب الأهواء مصادرا لهم يرجعون إليها ، ويأخذون بما جاء فيها ، ويتخذون من أفكار أصحابها دعامة يرتقون من عليها لبث أفكارهم وخدمة أهدافهم .

وعندما كان من مبادىء الشيوعية الأساسية القضاء على الدين . وهذه النظريات تدعم ذلك وقامت أصلا على مخالفة الدين وادعت بطلانه فقد تمسك ماركس صاحب الشيوعية العلمية بهذه النظريات ومن أخطر النظريات وأكبرها أثرا فى مذهب ماركس نظرية التطور ، التى ظهرت آثارها واضحة فى مذهبه ، وهذه النظرية تنسب إلى تشارلز داروين . ومما تجدر الإشارة إليه هو أن هذه النظرية أثرت فى كثير من المذاهب والأفكار الموجودة فى أوروبا وقد اتخذها ماركس مصدرا أساسيا من مصادر فكره .

ولابد من التعرض لهذه النظرية بشىء من الدراسة وبيان أثرها فى مذهب ماركس .

نظرية التطور

تنسب لتشارلز دارون[١] (Charles Darwin) وإن كانت الفكرة قد وجدت منذ القدم ، غير أنها اتخذت على يديه ، صفة النظرية العلمية المؤصلة ، التى قامت على البراهين كما يراه مؤيدو النظرية . وقد ذكر دارون كثيرا من الفلاسفة والمفكرين الذين سبقوه فى هذا القول ، وإن اختلف مع بعضهم فى أشياء ووافقهم فى أخرى[٢].

لقد شكلت آراء العلماء السابقين مادة خصبة لدارون ولكن إتخذت النظرية على يديه نوعا من التأصيل والتعليل فارتبطت باسمه .

حيث أصل لهذه النظرية ، وذكر الأسباب والعوامل التى تؤدى إلى التطور والنشوء والإرتقاء وذكر خمسة عوامل طبيعية تؤدى لذلك :

(١) الوراثة :

أى أن صغار كل نوع تشابه آباءها .

(٢) التحول :

فأفراد كل نوع تتشابه ولاتتماثل .

(٣) التوالد :

إن مايقدر له البقاء أقل مما يولد من النبات والحيوان فالطبيعة تسرف فى الإيجاد كما تسرف فى الإفناء فينشأ :

---

(١) عالم طبيعى انجليزى صاحب النظرية ، من أهم كتبه غير أصل الأنواع تباين الحيوانات ، والنباتات بفعل الاستدجان . ولد سنة ١٨٠٩م ومات سنة ١٨٨٢م . انظر بنية الثورات العلمية (٣٠٧-٣٠٨) ، وانظر الدراسة التى قدمها المترجم لأصل الأنواع (٦٢-٩٨) عن حياة داروين

(٢) انظر أصل الأنواع (١٠٣) ومابعدها ، داروين ، ترجمة اسماعيل مظهر ، مكتبة النهضة ، بيروت ، بغداد ، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها . كذلك انظر المقدمة التى كتبها المترجم فقد اشتملت على دراسة تاريخية جيدة عن النظرية (١-٦٢) .

(٤) التناحر على البقاء :

فكل نبات أو حيوان يبرز في الوجود ينبغي له أن يسعى في الرزق ويجاهد غيره وينشأ عن هذا .

(٥) بقاء الأصلح :

فالأفراد التي تكون أكثر قدرة على مقاومة الأفاعيل الطبيعية تكون أكثر قابلية للبقاء[1].

ونرى من هذه العوامل إسناد الأمر إلى الطبيعة وبيان أنها تخبط خبط عشواء دون أن يكون هناك أصولا تتمشى عليها!!

وعرفت هذه النظرية بنظرية (النشوء والإرتقاء) أو (الإنتخاب الطبيعي) ، وأفادت النظرية أن الأمر يعود إلى الطبيعة ، وأن التطور هو الذي أوصل الإنسان إلى هيئته الحالية ، ومن هنا ولج ماركس واستند على النظرية وعممها على كل شيء ، من الأفكار ، والمعتقدات ، والأخلاق ، وربط تطورها بتطور وسائل الإنتاج ، وكما أثرت النظرية في فكر ماركس ، فإن آثارها قد حقت على جوانب متعددة في الحياة الأوربية .

---

(١) انظر أصل الأنواع (٣٨-٣٩) .

أثر نظرية داروين فى الفكر الأوروبى :

أثرت النظرية الداروينية على شتى مجالات الفكر الأوربى وتأثرت بها أفكار الفلاسفة والمفكرين هناك ولاشك أن اليهود قد لعبوا دورا هاما فى نشرها وغيرها من النظريات التى تعارض الدين ، إذ أن هذه النظريات قد جعلت الإنسان هملا فى هذه الدنيا فلايدرى من أين أتى ولايدرى إلى أين سيذهب ، فتجده لايعرف للعقاب والثواب بابا ، ولايقيم للدين والأخلاق قدرا جاء فى بروتوكولات حكماء صهيون (لاتتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء ولاحظوا هنا أن نجاح داروين وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل والأثر غير الأخلاقى لاتجاهات هذه العلوم فى الفكر الأممى سيكون واضحا لنا على التأكيد)[١].

وبالفعل لقد (بذل اليهود جهود الجبابرة لتوسيع الهوة التى قامت بين الدين وبين الداروينية على أمل تحطيم الدين فى النهاية تحقيقا لحقدهم القديم ضد غير اليهود عامة وحقدهم فى أوروبا على المسيحيين بصفة خاصة ، من أجل مالاقوه منهم من اضطهاد واستغلت اليهودية العالمية نظرية داروين أبشع استغلال ...)[٢].

فأعطت النظرية ثمارها حسب ماأراده اليهود لها فكانت آثارها عقدية وأخلاقية .

---

(١) بروتوكولات حكماء صهيون (١٦) ، ترجمة محمد خليفة التونسى ، الطبعة السابعة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، لبنان .

(٢) التطور والثبات فى حياة البشرية (٣٤) .

الآثار العقدية :

تحدثنا عن واقع أوروبا ووضع الشعوب فيها التى كانت تحت سلطة الكنيسة وطغيانها الذى أحاطته بالدين فكان الناس يبحثون عن مهرب لهم للخروج من ذلك الظلم والطغيان بل والهروب من دين الكنيسة ، فكانت النظريات العلمية تشكل بابا حقيقيا للهروب من نيرها وخاصة أن النظريات كانت تعارض ماهى عليه من أفكار وتنقض أكثر مايأتى عن طريقها .

فاعتقد الناس فى النظريات العلمية ووثقوا بها دون دين الكنيسة .

ومن أكثر النظريات مخالفة لأفكار الكنيسة نظرية التطور حيث قامت الكنيسة برفضها ومحاربتها .

فوقف الناس مع الكنيسة بداية (فى نظرى) لما لها من سلطة (أى خوفا من سلطتها وطغيانها) إضافة إلى أن داروين أخرج الناس عن إنسانيتهم[١].

ولكن سرعان ماوجد الناس أن فى هذه النظرية وغيرها مخرجا لهم فتدافعوا من خلالها سخطا على الكنيسة وأفعالها .

وزادت هذه النظرية فى زعزعة عقيدتهم رغم مالديهم من إنحراف فجعلت الإنسان ينغمس فى اللذة والشهوة طالما أن الطبيعة تخبط خبط عشواء ولاغاية لها . وكانت (نقطة تحول فى تاريخ العلوم ... أثرت فى التفكير البشرى بحيث يمكن تتبع آثارها فى كل ماأنتجه العلماء فى العهد الأخير)[٢].

فالأثر الأول : زيادة زعزعة النفسية الأوربية وإنحرافها وتجرأها على نبذ الدين ومعادته بل وإنكاره وإنكار كل ماجاء فى معتقداته (الإلحاد) .

ثانيا : نفى الغاية والقصد فى هذه الحياة .

وهو أثر بدهى يظهر للوهلة الأولى من النظر إلى شجرة التطور التى مر بها الإنسان حتى وصل إلى حاله الذى هو عليه الآن فنجد أن أصله

---

(١) انظر التطور والثبات فى حياة البشرية (١٩-٢٠) .

(٢) الفكر المادى وموقف الإسلام منه (١٨١) .

جرثومة حقيرة ، والطبيعة تخبط خبط عشواء . ونتيجة لعشوائيتها وقع الإختيار على الإنسان من قبلها . وكان بالامكان أن يقع إختيارها على غيره ليكون سيدا لها .

إذا فلاداعى لأن يفكر الإنسان فى الغاية التى خلق من أجلها وأصله جرثومة .

ولاداعى للبحث فى القصد من خلقه والغاية من وجوده طالما أن الطبيعة اختارته عن غير قصد وإنما عن طريق الصدفة والعشوائية . فليعش الإنسان لهم واحد هو قضاء الشهوة والغريزة .

فأسدت هذه النظرية للإنسان معروفا فى تعلقه بالحيوانية ولم تطلب منه شيئا أكثر من الاهتمام بماديته وحيوانيته .

ثالثا : أفادت هذه النظرية أن التطور المطلق هو المبدأ المعتبر فى هذه الحياة .

ويلزم من ذلك التطور فى كل الثوابت العقدية والأخلاقية فبعد الحاجة إلى الإله نظرا لقصور الانسان فى المعرفة وعدم تمكنه من الوصول إلى تفسير الأحداث أصبح الآن يعرف ماكان يجهله والمعرفة تزداد لديه إذا فلاحاجة لهذا الشعور بوجود خالق . وكذلك الأخلاق من حياء وغيره لاداعى لبقائها بل لابد من تطورها . وهكذا .

كسرت النظرية الداروينية ماكان سائدا فى المجتمع الأوربى من فكرة الثبات والجمود المطلق الذى غذته الكنيسة .

فقالت بالتغيير فى كل شىء وعدم ثباته سواء الدين أو الأخلاق أو القيم الثابتة ، وكان لها آثار إجتماعية وأخلاقية .

أثر الداروينية فى الفكر الشيوعى :

إن النظرية التى جاء بها داروين أثرت فى أفكار ماركس كثيرا بل عدها هو مصدرا من مصادره . حيث ذهب الى أن التطور لايقف عند كون الإنسان متطورا بل إن المجتمعات البشرية بأكملها متطورة وهذا التطور يصاحبه تطور فى علاقات الإنتاج ووسائله ، كما أن الأفكار والمعتقدات والقيم والأخلاق تتبدل وتتغير ففى كل مرحلة من مراحل التاريخ تكون الأفكار الدينية والأخلاقية وغيرها من العلاقات مرتبطة بتلك المرحلة متناسبة معها ، وفى المرحلة التى تليها كذلك وهكذا إلى أن يصل ماركس إلى المرحلة التى لم تعد بحاجة إلى الدين والأخلاق لأن المجتمع البشرى بلغ من التطور مايجعله فى غير حاجة إلى هذه الأوهام والخرافات ، ولعل فكرة القضاء على الدين وهى من أهم المبادىء الشيوعيةجاءت من أن الدين يتطور ويتبدل وكان مناسبا لعصر سابق ولايتناسب مع عصر آخر .

وبالعموم يمكن إرجاع أثر الداروينية فى الشيوعية إلى ثلاث نقاط :

أولا : إلغاء الإله والقول بالطبيعة .

ثانيا : القول بأن الكائنات الحية تتبع فى تطورها خلقا حتميا ينشأ من ضغط البيئة الخارجية على الكائن الحى ومحاولة الكائنات أن تكيف حياتها مع هذه البيئة وفى أثناء عملية التطور تنقرض أعضاء أو وظائف معينة لأنها لم تعد تلائم البيئة وتنمو بدلا منها أعضاء ووظائف جديدة اكثر منها تعقيدا ولكن الكائنات لاإرادة لها فى هذا التطور ولاقصد وإنما هو مفروض عليها فرضا من الخارج أرادت أم لم ترد ولاتملك هذه الكائنات أن تبطىء به أو تسرع أو تحوله عن طريقه فالأمر فى ذلك كله متروك (للطبيعة) ، وقد طبق الشيوعيون هذه النظرة تطبيقا كاملا على التطور الإقتصادى والإجتماعى وزعموا أن مايصلون إليه من النتائج صحيح لأن الأساس الذى يبنون عليه صحيح .

ثالثا : النظرة المادية الحيوانية إلى الإنسان تلك النظرة التى تنفى الجوانب الروحية والمثل العليا وتؤمن بعالم الجسد وحده وبالواقع الذى تدركه الحواس فحسب شأنهم فى ذلك شأن بقية أوروبا المادية .

ومن هنا كانت الشيوعية هى التطور الأخير للحضارة المادية الأوربية ولم تكن شيئا جديدا كما يريد دعاتها أن يفهموا الناس فى الشرق والغرب[١].

يقول د. عمارة نجيب : (وتبنى هده النظرية وتحمس لها كثير من العلماء والفلاسفة وأضافوا إليها وطوروها ، واستخدموها فى التدليل على عدم وجود شىء وراء الطبيعة وأسندت عملية الخلق والتطور إلى الطبيعة ذاتها وكان (ماركس) أحد الذين استفادوا من هذا الإستنتاج ووضع فلسفته المادية الإلحادية انطلاقا من هذا المبدأ . ووسع مضمونها فى التطور حتى طبقه على النظام الإجتماعى الإنسانى وتاريخ الإنسان السياسى . مكونا فلسفته الماركسية ، التى اشتهرت بالشيوعية أو بالإشتراكية العلمية . ومن هنا كان الإنسان فى نظرهم هو مصدر الدين ، فهو صانع الدين وخالقه ومبتدعه وهو الذى تدين بتصرفه وفكره دون أن يكون هناك قوى خارجة عن بيئة الإنسان والإنسانية ، أو بمعنى آخر دون أى تأثر بقوى خارج الطبيعة ، التى أعطيت فى نظرهم كل قدرة على الخلق والإبداع والتدبير)[٢].

---

(١) انظر : الإنسان بين المادية والاسلام (٦٣-٦٥) ، الفكر المادى الحديث وموقف الإسلام منه (١٨٤).

(٢) الإنسان فى ظل الأديان (٢٩-٣٠) ، د. عمارة نجيب ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م ، مكتبة المعارف ، الرياض .

موقف العلم من النظرية :

تعرضت النظرية للنقد من كثير من العلماء والفلاسفة ، وذلك لكونها لم تقم على أصول علمية ، ومن هنا اعتبرها بعضهم خرافة علمية . ولاشك أن النظرية مردودة أصلا بكتاب الله تعالى ، فهى تخالف القواعد التى يقوم عليها الكون وخلق الإنسان التى ذكرها الخالق جل وعلا فقال تعالى : {**لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم**}[١].

وقال تعالى : {**ولقد كرمنا بنى آدم**}[٢].

فالأصل خلق الإنسان فى أحسن تقويم فهل القرد كذلك؟!

هذا من ناحية أصل الإنسان .

أما الجانب الآخر ، فإن دارون نفى الحكمة فى خلق هذا الكون وأسند الأمر للطبيعة التى تخبط خبط عشواء ، (أى للمصادفة) ، والكون بنظامه البديع المتكامل المترابط يمنع من إرجاعه إلى الصدفة . وقد كثرت أقوال العلماء والفلاسفة فى نفى المصادفة عن خلق الكون .

ومما يضاف إلى هذين الأمرين وهما (نقض كتاب الله تعالى لهذه النظرية ، ونفى القول بالمصادفة) أن داروين قد اعترف بوجود الإعتراضات عليه . وأورد بعض ماجاء عنه فيقول : (أنا لاأنكر أن هناك إعتراضات خطيرة وكثيرة يمكن أن توجه ضد نظرية التطور عن طريق الإنتخاب الطبيعى ...)[٣].

ويذكر كثيرا من الاعتراضات الواردة على نظريته . ومن ذلك قيام أشكال مختلفة تربط بين كل الأنواع فى كل مجموعة بتدرجات وهى مجهولة

---

(١) سورة التين : (٤) .
(٢) سورة الإسراء : (٧٠) .
(٣) أصل الأنواع (٧٤٦) .

فيقول : (وعلى أساس هذا المذهب القائل بانقراض أعداد لاتحصى من الحلقات الرابطة بين السكان الحاليين والمنقرضين فى العالم وبين الأنواع المنقرضة فى كل فترة والأنواع الأقدم منها فى فترة سابقة لماذا لايخص كل تكوين جيولوجى بمثل تلك الحلقات؟ لماذا لاتزودنا كل مجموعة من البقايا الحفرية بشواهد واضحة على التدرجات والطفرات فى أشكال الحياة ، إننا لانصادف تلك الشواهد وهذا هو أوضح وأقوى كل الاعتراضات التى يمكن أن توجه ضد نظريتى ...) .

ويقول : (لايمكن أن أجيب على تلك الأسئلة والاعتراضات الخطيرة إلا على فرض السجل الجيولوجى أبعد مايكون عن الكمال أكثر ممايعتقد معظم الجيولوجيين ولايمكن أن يوجه اعتراضه بأنه لم يكن هناك زمن كاف لأى قدر من التغير العضوى ذلك لأن الزمان كان طويلا جدا بالدرجة التى يقصر العقل البشرى عن تقدير طوله أو تفهمه ...)[1].

وبدورنا نقول إذا كان علم الجيولوجيا لم يسعف داروين لأن يجعل الحلقات مكتملة متصلة فكيف أسعفه إلى أن يصل إلى هذه النتائج التى يرجع بعضها إلى أزمان أقدم من زمن تلك الحلقات المفقودة؟!!

ثم إن داروين اعترف بجهله لتلك المسائل فقال :

(إن الاعتراضات الأكثر أهمية تتعلق بمسائل نجهلها دون إنكار بل إننا لانعرف حتى مدى جهلنا بها نحن لانعرف كل التدرجات الانتقالية بين أبسط الأعضاء وأكثرها كمالا ولايمكن الإدعاء بأننا نعلم كل الطرق المختلفة للتوزيع خلال الزمن الطويل من السنين)[2].

فإذا كان الأمر كذلك فمن أين لتشارلز داروين أن يثبت أن ماذهب إليه وأثبته فى غابر الأزمان حقيقة طالما أنه اعترف بجهله فى أمور كثيرة وعجزه عن الإجابة على تساؤلات مطروحة من قبله وهو صاحب النظرية؟!!

---

(١) أصل الأنواع (٧٤٩-٧٥١) .

(٢) المرجع السابق (٧٥٢) .

إن الاعتراض والنقد لهذه النظرية قد صدر من الذين أخذوا بها وعلى رأسهم ماركس رغم اعتباره أنها مصدرا له(١).

وبهذه النظرية والعرض لها نختم حديثنا عن المصادر والأصول التى اتخذها ماركس فنجد أنها أصول لم تتجاوز وقتها ، ودعاوى كانت ترفع لتحقيق الأهداف من ورائها ، ونظريات باطلة شهد أصحابها بقصورها بل ووقوفها حائرة أمام حقائق العلم وتساؤلاته ، فإذا كان هذا حال الأصول فما هو حال البناء الذى قام عليها؟!

إن النتيجة واضحة نتيجة حتمية لكل ماقام على فاسد فمصيره الزوال ليبقى الحق الذى سيظهره الله تعالى ولو كره المشركون . وعندما كان اليهود وراء هذه النظريات والنفخ فيها ومن ثم تسخيرها واستغلالها لمصلحتهم ، وكون إحدى هذه النظريات هى نظرية التطور والتى تدعو إلى التحرر من الدين ، ولكونها إحدى مصادر الفكر الشيوعى فقد سخر اليهود هذا الفكر بأكمله لخدمة أهدافهم عن طريق منظماتهم السرية وحركاتهم الصهيونية .

---

(١) انظر مثلا مراسلات ماركس انجلز (١٤٨-١٥٢) .
وانظر ديالكتيك الطبيعة (٣٠٢) ، فردريك انجلز ، ترجمة توفيق سلوم ، الطبعة الأولى ١٩٨٨م ، دار الفارابى ، بيروت ، لبنان .
وانظر كتاب الجفوة المفتعلة بين العلم والدين (٤٥) ومابعدها وجاء فيه (إن العلماء لم يقبلوا نظرية التطور لأنها صحيحة فى ذاتها أو لأنها يمكن البرهان على صحتها بطرق صحيحة سليمة منطقية علمية وإنما قبلوها لأنهم لم يجدوا أمامهم إلا واحدة من اثنين إما قبولها على علاتها أو رفضها وقبول فكرة الخلق المباشر فآثروا الأولى ورفضوا الثانية) .
وقد ذكر النص باللغة الإنجليزية كاملا ثم ترجم (٥١) .

المبحث الثالث
الشيوعية وليدة الصهيونية

إن اليهود عملوا كثيرا لخدمة عقيدتهم ـ رغم بطلانها ـ ولايزالون كذلك حتى وقتنا الحاضر وسيظلون إلى أن يشاء الله تعالى ، والمتتبع للتاريخ يعلم مدى حرص بنى يهوذا على نشر عقيدتهم ، والقضاء على الأديان المخالفة لهم ، كما جاء فى بروتوكولاتهم (يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان)(١).

وعمل هؤلاء المفسدون على إيجاد الشعارات والطرق المختلفة المنضوية تحت أسماء عديدة من أجل تحقيق مآربهم الخبيثة فأنشأوا المنظمات والحركات السرية التى تعمل لخدمة أهدافهم وتحقيق رغباتهم . ومن هذه الحركات ـ القائمة بتخطيط من اليهود ـ (الحركة الصهيونية) التى اتخذت من المذاهب المنحرفة مطيةلها للوصول إلى غاياتها وتحقيق مخططاتها التى صاغتهافى بروتوكولات حكماء صهيون . إن حركة العودة إلى فلسطين واخضاع أمم الأرض للهيمنة اليهودية ليست دعوة حديثة كما يعتقده بعض الناس ، بل دعوة قديمة لها جذورها التاريخية .

ولكن لم تحقق الجزء الأكبر من أهدافها إلا عن طريق الصهيونية الحديثة وذلك فى اعتقادى يرجع إلى :

(١) تميزها عن غيرها من الدعوات بالتخطيط الدقيق وبذل الجهد الكبير من أجل تحقيقها والسهر على تنفيذ ماجاء فيها .

(٢) تواطؤ اليهود والنصارى فى حربهم ضد المسلمين واعتبار الإسلام هو العدو اللدود ، ولايعنى هذا عدم اتفاقهم من القديم فى حربه ولكن اتخذ هذا التواطؤ المكر والخداع والتلبيس وتيسير كل منهم للآخر مايريد الوصول إليه .

---

(١) بروتوكولات حكماء صهيون ، البروتوكول الرابع عشر (١٥٢) .

(٣) تخاذل المسلمين وبعدهم عن كتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم ، ونكوصهم على أعقابهم ، وتخاذلهم فى جهاد أعدائهم وعدم استغلال مواردهم فى الضغط على عدوهم .

فهذه بعض العوامل التى منحت هذه الدعوة الصهيونية الحديثة على يد تيودور هرتزل[1] سمة تحقيق كثير من الأهداف على أن صهيونية هرتزل ليست إلا مرحلة من المراحل التى جاءت فى الدعوة إلى العودة إلى أرض فلسطين . يضاف إلى ذلك :

(٤) سيطرة اليهود على أكبر المنظمات الدولية التى أصبح الناس يلجأون إليها ويتحاكمون إلى قراراتها ، ومن ثم سيطرتهم على أكبر الدول عالميا من حيث التصرف فى شئون العالم ودوله عنيت ماتسمى (بالولايات المتحدة الأمريكية) .

---

(١) مؤسس الصهيونية الحديثة ، تلقى دراسة الحقوق فى فيينا ، نال شهرة واسعة كصحفى أدبى وكاتب مأساوى ، ولكن عمله على تأسيس الحركة الصهيونية الحديثة طغى على الانجازات الأخرى . ولد عام ١٨٦٠م فى بودابست ، ومات سنة ١٩٠٤م .
انظر الأخوة الزائفة (٧٢) ، جاك تنى ، ترجمة أحمد اليازورى ، الطبعة الخامسة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع .

العودة إلى (صهيون) بفلسطين عقيدة يهودية :

وردت النصوص التوراتية المحرفة الدالة على أن العودة إلى أرض فلسطين من صلب عقيدة اليهود ، وقد وردت قدسيته فى العهد القديم . فهذا الجبل هو الذى وعد الإله بنى إسرائيل به .

فمن ذلك (إنى مسحت ملكى على جبلى المقدس صهيون)(١).

وجاء أيضا (ليرسل من مقدسة إليك نصره وليكن لك من صهيون عضدا)(٢).

وجاء فى كتابهم المقدس أيضا (تفتدى صهيون بالحق والراجعون فيها بالبر)(٣).

وكذلك (اللهم فى صهيون يجدر بك التسبيح وإليك يوفى بالنذور)(٤).

(الرب يؤثر أبواب صهيون على جميع مساكن يعقوب)(٥).

إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة التى تبرهن على أهمية هذا الجبل وقدسيته وعلاقته بإله اليهود .

ولم يكن الامر مقصورا على التوراة أو علمائها فى الحديث عن هذا الجبل والعودة إليه فهذا هرتزل يقول (ستكون عاصمتنا ، كنزنا الثمين ، فى موقع تحيط به الجبال وعليها قلاع فوق قممها ، وعلى شاطىء نهر جميل مع قلاع أخرى على الجوانب)(٦).

---

(١) المزامير ١١٢٠/٦/٢ .
(٢) المزامير ١١٤٠/٣/٢٠ .
(٣) اشعيا ١٥٣١/٢٧/١ .
(٤) المزامير ١١٩٩/٢/٦٥ .
(٥) المزامير ١٢٣٤/٢/٨٧ .
(٦) اليوميات الكاملة ، تيودور هرتزل ٢٣/١ ، ١٨٩٥م نقلا من كتاب تكوين الصهيونية (٥٩) .

ومما يدل على أن قضية العودة إلى أرض فلسطين قضية عقدية هو أنه عرض على اليهود فى العصر الحديث عدة (مناطق مختلفة فى الأرجنتين وافريقيا الشرقية وقبرص وأذربيجان (فى الاتحاد السوفيتى) ، وفشلت جميعا فى استثارة اليهود للهجرة إليها ، وعندما قبل هرتزل بالمشروع البريطانى لإقامة وطن قومى يهودى فى أوغندا ، كاد قبوله يخرق الحركة الصهيونية برمتها ، ويصف المؤرخون مشاهد الأسى والهلع بل والبكاء بين يهود أوروبا الشرقية عندما قرر المؤتمر الصهيونى قبول الاقتراح فى ١٩٠٣م بإيعاز من هرترل وسرعان مانقض القرار فى المؤتمر الثانى فى ١٩٠٥م عندما تقرر تكريس الجهود كليا نحو فلسطين)[١].

وكانت المناسبات الدينية عند اليهود مليئة بالتغنى بالعودة إلى أرض فلسطين والتعلق بها (وعلى مر الأجيال عبر اليهود عن هذا التعلق بحصيد من الأقوال والأمثال والسنن والتقاليد . ومن ذلك الكلمة التى طالما استشهد بها الصهاينة (فى أورشليم فى العام القادم) كدعاء ونخب يقال فى إحتفالات عيد الفصح ونهاية عيد الكفارة ...)[٢].

ويختم الحاخامات والوعاظ خطبهم بكلمة (اللهم ابعث بالمخلص إلى صهيون)[٣].

فقضية العودة إلى فلسطين قضية عقدية ، وكانت تعنى الحركات الصهيونية المنادية بالعودة إلى أرض بيت المقدس إعادة مجد بنى اسرائيل - كما زعموا - وبناء هيكل سليمان عليه الصلاة والسلام بعد إزالة المسجد الأقصى وهذا هو الهدف الأسمى للصهاينة فى العودة الى أرض فلسطين .

ونأتى الآن إلى التعريف بالصهيونية .

---

(١) تكوين الصهيونية (٦١) .
(٢) المرجع السابق (٦١-٦٢) .
(٣) المرجع السابق (٦١-٦٢) .

تعريف الصهيونية :

يعرفها هرتزل بأنها (حركة الشعب اليهودى فى طريقه إلى فلسطين)[١].

وسميت بالصهيونية نسبة إلى جبل صهيون الواقع جنوب القدس .

ويمكننا أن نعرفها بالتالى :

حركة سياسية دينية تهدف إلى السيطرة على العالم والتحكم فى خيراته متخذة من جبل صهيون مقرا لها حيث ينتظرون مسيحهم ليخلصهم من العذاب .

وقد تذرع هرتزل واليهود فى جعل هذه الحركة أكثر خدمة لأهدافهم بمسألة معاداة السامية ، وأن اللاسامية آخذه فى الانتشار .

والسامية : نسبة إلى سام بن نوح حيث يرجع اليهود إليه فى نسبهم .

ومعاداة السامية : هم أولئك أعداء اليهود .

ومن هنا اعتبر بعض الكتاب أن هذه الدعوة كانت بداية الانطلاق لإعلان الحركة الصهيونية الحديثة ، وقام اليهود بإثارة هذه القضية وهى معاداة السامية ووصل بهم الخداع والمكر أن يرسلوا البعثات إلى دول العالم من أجل القيام باضطهاد اليهود وتعذيبهم لإجبارهم على العودة إلى أرض فلسطين وذلك كله تحت شعار معاداة السامية[٢].

وزاد اليهود من إثارة شعوبهم وبنى جنسهم بالمكر والخديعة بأن اللاسامية ستقضى على اليهودية ، وكان من بين هؤلاء تيودور هرتزل حيث

---

(١) الصهيونية وربيبتها اسرائيل (٢٨) ، عمر رشدى ، الطبعة الثالثة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ، دار القلم ، الكويت .

(٢) ولمزيد انظر تكوين الصهيونية (١٣٩-١٤٠) .

أخذ (يثبت هذه الشكوك عند اليهود عندما يقوم بإعلامهم عن سياسة كارل ريتر اللاسامية وكيف أنها تنتشر بسرعة بين الشعب الألماني . واقترح هـرتزل إقـامة منظمة يهودية تدعـى حركة العودة إلى إسـرائيل (Jewish Back to Israel Movement) باسـم المحافظين من اليهود وكانت تلـك بداية الحركة الصهيونية)[1].

(٢١) أحجار على رقعة الشطرنج (١٥٣) .

الحركة الصهيونية الحديثة :

إن هذه الحركة لم تكن هى الوحيدة فى تاريخ اليهود بل سبقها حركات عديدة كانت جميعها تهدف إلى العودة إلى أرض فلسطين[١]. والذى يهمنا منها هنا الحركة الصهيونية الحديثة التى ارتبطت بتيودور هرتزل .

إن أخطر ماتمخضت عنه حركة هرتزل هو وجود المؤتمرات التى تعقد كل سنة ، وكان أول مؤتمر سنة ١٨٩٧م فى مدينة بال بسويسرا ، وقد وضع فيه (القواعد الدائمة لتنظيم الصهيونية ، وسمى المؤتمر نفسه ، جورا ، "الأمة اليهودية" ، وأنشأ اليهود تنظيما سياسيا عالميا)[٢].

و(نقل هذا المؤتمر الحركة الصهيونية من مجرد أحلام وأمانى إلى حقيقة واقعة تمثلت فى مقررات مؤتمر بال حيث رسمت الخطوط العريضة للاستراتيجية الصهيونية ، فبعد أيام قليلة من المؤتمر كتب هرتزل فى مذكراته يقول : (لو أردت أن ألخص أعمال مؤتمر بال فى كلمة واحدة وهذا مالاأقدم على الجهر به لقلت فى بال أوجدت الدولة اليهودية ولو جهرت بذلك اليوم لقابلنى العالم بالسخرية ، فى غضون خمس سنوات ربما فى غضون خمسين سنة بالتأكيد سيراها الجميع ، وإن الدولة قد تجسدت فى إرادة الشعب فى إقامتها)[٣].

(وكان من نتائج المؤتمر الصهيونى الأول الذى عقد فى بال عام ١٨٩٧م هو نقل الجهد الصهيونى وعلى صعيد عالمى إلى مرحلة جديدة هى مرحلة العمل والإنشاء والإنجاز المتكامل لترسيخ الوجود الصهيونى فى فلسطين بالتعاون مع الدول الاستعمارية ، وكان لابد من الاعتماد على الدول الكبرى لتحقيق هذه الغاية فأجرى الزعماء اليهود الإتصالات مع الدولة العثمانية

---

(١) انظر عن هذه الحركات كتاب خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية (١٥٧-١٥٨) ، عبد الله التل ، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، المكتب الإسلامى .

(٢) الأخوة الزائفة (٧٣) .

(٣) الاستراتيجية الاسرائيلية (٢٧٥/١) ، وانظر (٣٥/١-٣٦) ، د. غازى إسماعيل ربابعه ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م ، مكتبة المنار ، الأردن ، الزرقاء .

صاحبة السيادة على فلسطين فى ذلك الوقت من أجل تحقيق إقامة دولة يهودية على أرض فلسطين فخيبت الحكومة التركية ممثلة فى السلطان عبد الحميد[١]آمالهم ، ثم اتجهوا نحو بريطانيا فكانت خير معين لهم فى اقامة دولتهم وأمدتهم بكل أسباب القوة والمنعة وأعطت لهم بموجب وعد بلفور حق إقامة وطن قومى لهم فى فلسطين بحكم خضوع فلسطين آنذاك للانتداب البريطانى ، وقدر مخططوا الإستراتيجية الصهيونية أن بريطانيا لابد وأن ترحل عن فلسطين فاتجهوا نحو أمريكا باعتبارها الدولة الأقوى فى العالم والتى تمثل الجالية اليهودية فيها قوة ضغط كبيرة فى توجه سياسة الولايات المتحدة الخارجية والتى أمدتهم بدورها بكل مايساعد الكيان الصهيونى فى فلسطين على البقاء والتوسع ، وقد أخذت الصهيونية بعين الاعتبار أن إقامة دولة يهودية فى قلب الوطن العربى سيقابل بالتحدى والمقاومة المسلحة من قبل العرب ، ومن هنا كان لزاما أن تكون القوة هى الوسيلة لفرض الأمر الواقع ، كما تمخض عنه خروج (حركتان يهوديتان قدر لهما أن يغيرا مسار التاريخ فهذا تيودور هرتزل يترأس "المؤتمر الصهيونى" الأول ، وتلك "الجمعية الإشتراكية اليهودية" تلتقى فى "المؤتمر الشيوعى" الأول فى منسك)[٢].

---

(١) من سلاطين الدولة العثمانية ، تولى الخلافة عام ١٨٧٦م وعمل على إصلاح الدولة وقام بأعمال جليلة فى مجال التعليم والثقافة ، رغم أن ديون الدولة حينذاك كانت تقدر بـ٢٥٢,٨٠١,٨٨٥ ليرة عثمانية ، وحين أراد اليهود أن يحصلوا على وطن قومى لهم فى فلسطين حاولوا استغلال وضع الدولة العثمانية المادى فأرسل هرتزل إلى السلطان عبد الحميد يطلب اعطاء فلسطين لليهود وعرض عليه رشوة مقدارها ٥ ملايين ليرة فرفضها وطرد مندوب هرتزل من قصره .
انظر أسرار الانقلاب العثمانى (٣٥-٤٨) ، مصطفى طوران ، ترجمة كمال خوجه الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة .

(٢) الأخوة الزائفة (٨٠) .

واتخذ المؤتمر عدة قرارات منها ماهو علنى ومنها ماهو سرى ، فمن العلنية تأسيس دولة لليهود فى فلسطين ، وشراء الأراضى الفلسطينية ، وتنمية موارد الأموال اليهودية ، وإنعاش الثقافة العبرية والاستعانة بأموال الأغنياء من اليهود لتحقيق الأهداف والمشاعر الوطنية لدى اليهود .

أما المقررات السرية لمؤتمر بال فهى تلك التى سميت بمقررات حكماء صهيون [١].

كيف ظهرت البروتوكولات؟

نترك الاجابة عن هذا التساؤل لمن قام بنشرها لأول مرة باللغة الروسية وهو سرجى نيلوس حيث قال فى مقدمته : (لقد تسلمت من صديق شخصى [٢]ـ هو الآن ميت ـ مخطوطا يصف بدقة ووضوح عجيبين خطة وتطورا لمؤامرة عالمية مشؤومة موضوعها الذى تشمله هو جر العالم الحائر إلى التفكك والانحلال المحتوم . هذه الوثيقة وقعت فى حوزتى منذ أربع سنوات (١٩٠١م) وهى بالتأكيد القطعى صورة حقة فى النقل من وثائق أصلية سرقتها سيدة فرنسية من أحد الأكابر ذوى النفوذ والرياسة السامية من زعماء الماسونية الحرة . (Freemasoary)

وقد تمت السرقة فى نهاية اجتماع سرى بهذا الرئيس فى فرنسا حيث ذكر المؤتمر الماسونى اليهودى (Jewish Masonie Conspiracy) [٣].

ويصف هذه المقررات والبروتوكولات فيقول :

---

(١) انظر خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية (١٦٤) .
(٢) أليكس نيقولا نيفتش كبير جماعة أعيان روسيا الشرقية أيام القيصرية .
(٣) بروتوكولات حكماء صهيون (٩٧) .

(وللـذين يريدون أن يروا ويسمعـوا أخاطر بنشـر هذا المخطوط تحت عنوان (بروتوكولات حكماء صهيون) وبالتفرس المبدئى خلال هذه المذكرات قد تشعرنا بما نشعر به أمـام مـانسميه عادة (الحقـائق المسلمـة) Truisms إنها تظهـر فى هيئة الحقائق المألـوفة كثيرا أو قليلا ، وإن عبر عنهـا بحدة وبغضاء لاتصـاحبان عـادة الحقـائق المألـوفة ، فبين سطـورها تتـأجج بغضـاء دينيـة ، وعنصـرية عميقـة الغـور متغطـرسة قـد خبئت بنجاح أمـدا طـويلا ، وإنهـا لتجيش وتفيض ، كما هو واقع من إناء طافح بالغضب والنقمـة ، مدرك تمام الإدراك أن نصره النهائى قريب ...)[1].

ثم حذر بعـد ذلـك المسيحيين فى روسيـا وأبان لهـم أن الخطـر يقترب منهـم فمن هذه المخططات يقصـد اليهود تحطيم القيصرية فى روسيـا والقضـاء على الـدين المسيحى فيها . وذكـرهم بأن اللحظة القـادمة مـن التاريخ أعظم وعيدا والأحداث القادمة أشد هولا[2].

كمـا تنبأ بأن اليهود يسعون لإزالـة الأنظمة الملكيـة والإفساد الأخلاق وخاصـة عن طريق النساء اليهـوديات واعتبر أن الأفعـى اليهودية تتجه نحو موسكو وكييف وأودسا واعتبر القسطنطينيـة كـأنها المرحلـة الأخيرة لطـريق الأفعى قبل وصولها إلى أورشليم (أى تحطيم الخلافة الإسلاميـة) ولم تبق أمام الأفعـى الا مسافة قصيرة حتى تستطيـع إتمام طريقها بضـم رأسهـا إلى ذيلها .

ولكـى تتمكـن مـن الـزحف بسهـولة فى طـريقهـا اتخذت صهيـون الاجراءات الآتية من أجل قلب المجتمع وتأليب الطبقات العاملة[3].

---

(١) بروتوكولات حكماء صهيون (٩٧-٩٨) .

(٢) وبالفعل كانت نبؤاته التى اعتمد على البروتوكولات فيها قـد تحققت أو على الأقل أكثرها .

(٣) انظر بروتوكولات حكماء صهيون (١٠١) من مقدمة سرجى فيولس .

وقد شكل نشر هذا الكتاب ذعرا لدى اليهود وحاولـوا اخفاءه وحرق نسخـه وحبسها ولكن دون القضـاء عليها قضاء مبرما ، ولأن اليهـود يملكون توجيـه وسـائل الإعلام فى أغلـب بلدان العالم حاولـوا عـن طريقها نفى أن تكون البروتوكولات منسوبة إليهم وهذا إدعاء وكلام نظرى .

أمـا الواقع العملى والأحداث التى تشهدها الساحة العـالمية كلها تؤكد صحة نسبة هذه المخططات إليهم .

ويقـال لهـم (أى لليهود) ولمن (يشكـك فى نسبتهـا لهـم) إن اليهـود يسيرون حسب هذه المخططات ويقومون بتنفيذها بدقة حسـب ماجاء فيها مما يدل دلالة واضحة أنها من نسج العقلية اليهودية الصهيونية .

وممـا يدل على ذلك ذعرهـم الشديد ومصادرة النسـخ وغير ذلـك من أحداث تزامنت مع نشر البروتوكولات[١].

جاء فى كلمـة نشرت فى جريدة صـوت المرأة فى شيكـاغو سنـة ١٩٤٥م للمحامى هنرى كلين :

(إن البروتوكـولات وهى الخطـة التى وضعت للسيطـرة على العالم أمر حقيقـى ثابت وإن زعماء الصهيـونية يكونون مجلس سـانهدرين الأعلى الذى يرمـى إلى السيطرة على حكـومات العالم ، ولقد طردنى اليهـود مـن صفوفهم لأنى أنكرت عليهم خططهم الشريرة)[٢].

فـالصهاينة هـم وراء هـذه البروتوكـولات وهـم مـن اليهـود ولخدمـة أهداف اليهودية الدينية والسياسية .

---

(١) فيمـا يتعلق بموقف اليهود من البروتوكـولات (حرقا ومصادرة) وخوفـا منها لأنها تكشف نواياهم وخفايا قلوبهم المريضة .
انظر بعض ماجاء فى مقدمة محمد خليفة التونسى للبروتوكولات (٣٤-٥٠) ، وانظر الاستراتيجيـة الإسرائيلية (٣٩/١) ، التوراة تاريخها وغاياتهـا (٧٠-٧٢) ، لم يذكر اسـم المؤلف ، ترجمة سهيل ديب ، الطبعة الخامسة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، دار النفـائس بيروت .

(٢) الحكومة السرية فى بريطانيا ، جورج سكوت نقلا من كتاب خطـر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية (١٦٥) .

الصهيونية واليهودية :

قد يتبادر للذهن أنهما مصطلحين مختلفين ولكن حقيقة الأمر أن اليهود هم الصهاينة والصهاينة من اليهود .

والتنبيه على هذا الأمر حتى لايظن أحد بأن ماذكرناه سابقا من أن اليهود وراء الثورة البلشفية يتعارض مع مانقرره هنا من أن الشيوعية وليدة الصهيونية .

فالعلاقة وثيقة بين اليهودية والصهيونية بل إن العودة إلى فلسطين (جبل صهيون) من المعتقدات اليهودية المقدسة . يقول تيودور هرتزل : (العودة إلى صهيون يجب أن تسبقها عودتنا إلى اليهودية)[١].

فهى دعوة واضحة إلى التعاليم اليهودية أولا ، ثم العودة إلى صهيون ثانيا . فتعاليم اليهودية المقدسة تعظم صهيون والصهيونية تدعم هذا التقديس بالعودة إليه .

بل إن الكهنة اليهود يختمون عظاتهم بقولهم (اللهم أرسل المخلص إلى صهيون)[٢].

وأوضح المفكر اليهودى سولمن شيختر (١٨٤٧-١٩١٥م) وحدة الصهيونية واليهودية وترابطهما بقوله : (حيثما يكون الصهيونيون عاملين نشطين تكون اليهودية حية فعالة) .

ويؤكد ذلك التلازم هرتزل فيقول : (إن يهوديتنا وصهيونيتنا متلازمان متلاصقان ولايمكن تدمير الصهيونية دون تدمير اليهودية)[٣].

يقول الشيخ عبد الرحمن الدوسرى رحمه الله : (فالصهيونية من ضروريات دينهم ولكنهم يخادعون جميع الشعوب بالتفريق بين الصهيونية واليهودية ليعيشوا بأمان وليصطادوا فى الماء العكر مايريدون ويعبثوا فى

---

(١) الصهيونية وربيبتها إسرائيل (٢٢) .
(٢) الإستراتيجية الإسرائيلية (٢٧٥/١) .
(٣) الصهيونية وربيبتها إسرائيل (٢٢) .

الظلام بجميع مقدرات العالم تحت هذا الستار إيهاما وتضليلا لأطفال العقول وماأكثر أطفال العقول ...)[١].

ويقول فى بيان عدم التعارض بينهما : (ألا فاعلموا أن التفريق بين الصهيونية واليهود خداع صادر من مكر اليهود ومن المستحيل أن يوجد يهودى لايعمل لصالح دولة اسرائيل المزعومة . ولكن ياللعقول وزيغة الأذهان .

إن اليهودية سرطان قد فتحت بيدها جمعيات سرية وجواسيس محنكين يتقمصون أسماء وأعمالا ووظائف شتى فى أغلب ربوع العالم ليستعينوا بواسطتهم ببعض الناس على بعض ويضربوا بعضهم ببعض ، ويتخذوا منهم دروعا زمنية أو مسوحا دينية أو دثارا إنسانيا ولفيفا من وكلائهم وعملائهم فى كل بلد منهم جماعة لاتدين بالولاء إلا لهم وتتنكر لمن سواهم مهما تفيأوا من ظليل النعمة . إن اليهودى يردد فى كل عام دعواته الملعونة المأفونة فى أعياده السنوية كعيد الحاقوكا وعيد الغور قائلا ياإله إسرائيل كما أعنتنى على إلحاق الأذى بالحيوانات الناطقة فى العام الماضى أكمل نعمتك على وألحق بيدى الأذى لتلك الحيوانات فى العام الآتى . فأى فرق بين اليهودى والصهيونى بعد هذا؟)[٢]

وأمر آخر وهو أن الثورة البلشفية التى قامت ومن ورائها اليهود ـ دعما وتنظيما وتخطيطا من داخل روسيا وخارجها ـ كان القصد منها تحقيق الأهداف والغايات اللاحقة ففجر اليهود الثورة لتحقيق أطماعهم العقدية الصهيونية ومن ذلك العودة إلى أرض فلسطين .

---

(١) يهود الأمس سلف سيء لخلف أسوأ (١٥٣) ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٢م ، مكتبة السوادى للتوزيع .

(٢) المرجع السابق (١٥٣) .

فاليهود الصهاينة كانوا خلف الفكر الإشتراكى ونشره فى روسيا من أجل تحقيق الأطماع المستقبلية التالية لهذه المرحلة .

فأولا اخضاع روسيا والقضاء على النصرانية ثم الانطلاق منها إلى تحقيق أهداف أخرى فى إيجاد الوطن القومى لليهود ودعمه وتحقيق المصالح من خلاله وهذا ماسوف يظهر لنا عند حديثنا عن البراهين والأدلة التى سنسوقها فى إثبات هذه الحقيقة وهى أن الشيوعية كانت وليدة للمخططات الصهيونية.

وإن كان هناك من انخدع بهذا الزيف وهو الاختلاف بين المصطلحين إلا أنه بعد تكشف الأمور له تراجع عن رأيه القائل بالفصل بين اليهودية والصهيونية .

ومن هؤلاء سامى يوسف[١]وهو يسارى قديم ولكنه بعد اتضاح الأمر لديه تراجع عن ذلك ، فقال :

(كنت أؤمن سابقا بالفصل بين اليهود والصهيونية ولكن حدث أنى وقد مررت بالاتحاد السوفييتى يتسلط اليهود عليها تماما ويتم هناك تبادل المعلومات والأخبار ...) .

(وفى الكليات الشرقية (التى تدرس اللغات والآداب العربية والإسلامية) أكثر الأساتذة يهود صهاينة حاقدون . وفى أكبر الأقسام الشرقية فى الوزارات نجد اليهود ومن هنا كانت مؤلفاتهم مليئة بالحقد والتشويه والدس على العرب وعلى الإسلام أيضا ...) فبعد أن علم حقيقتهم وحقيقة خططهم ومايبتغون فعله ومايقولونه عن الاسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم تراجع عن فكرته[٢]. وقال : (إن هؤلاء الصهاينة طابور خامس لكل من إسرائيل والعرب الاستعمارى معا وستكشف الأيام مصداق هذه النبوءة

---

(١) حيث كان ينكر ذلك ويقول عن نفسه (كنت ومازلت أول الداعين إلى فصل اليهودية عن الصهيونية) واعتبر ذلك خطأ وقع فيه كثير من الكتاب والصحفيين . انظر كلامه ص٨،٧ من كتابه تكوين الصهيونية .

(٢) دور الماركسية فى الإشتراكية العربية (١١٣) ومابعدها .

والقضية قضية وقت)[١].

وعلى العموم من يجهل حقيقة الأمر هو الذى يدهش لهذا القول . يقول الجندى : (إن الصهيونية والشيوعية من منبع واحد . وإن الشيوعية وليدة الصهيونية بدت الدهشة على وجوه الذين لايتعمقون الأمور والواقع أن الصهيونية والشيوعية من أصل واحد وهما يتآمران على الإلحاد وبلشفة العالم الإسلامى وإن اليهود هم أول من أسس الأحزاب الشيوعية فى البلاد العربية)[٢]. وسيظهر ذلك جليا من خلال المبحث التالى .

---

(١) دور الماركسية فى الإشتراكية العربية (١١٧) ، ونقول هى نبوءة بالنسبة لك وإلا حقيقة الأمر واضحة من قبل .

(٢) هزيمة الشيوعية فى عالم الإسلام (٢٣) .

المبحث الرابع
البراهين الدالة على أن
الشيوعية وليدة الصهيونية

كـان اليهود خلف الثورة البلشفية كما قلنا سابقـا فى دعمها والتخطيط لها وذلك ليحققوا غاياتهم من ورائها .

وبعـد أن تم لهم إعلانهـا وسارت الأمور هناك حسـب مايريدون لها انتقلـوا إلى الخطـوة التى كـانوا يعـدون لهـا من وراء الشيـوعية ألا وهـى الـوصول إلى بيـت المقدس ، وإقـامة الـوطن القومى ، والقضـاء على بقـايا الخلافة الإسلامية .

ومن هنا يتوجب إثبات هذه الحقيقة وهى أن الشيوعية فكرة صهيونية قامت لخدمة الأهداف اليهودية .

وسيكون ذلك الإثبات ذا شقين :

(أ) البراهين الدالة على أن الشيوعية وليدة شيطانية للأفكار الصهيونية من حيث الصلة الفكرية والتبنى والدعم وشخصيات الحركتين .

(ب) دعـم الدولة الشيوعية للمخططـات الصهيونية والمشاريع اليهـودية بعد أن جعلها اليهود القطب الثانى لهذا العالم وسيكـون العرض فى نقاط .

(أ) البـراهين الدالة علـى أن الشيـوعية وليـدة الصهيـونية :

أولا : اتفـاق الحركتين فى أصولهما المادية من نشر للإلحاد ، قضـاء على الدين ، وإفساد للأخلاق وتاريخ اليهود المخزى قد ورد ذكـره فى كتاب الله تعـالى ومـاجاء من أفعالهم مـع رسـول الله صلى اللـه عليـه وسلم وفى كتب التاريخ وصف لأحوالهم قبل الإسلام وبعده .

وأمـا الشيوعية فقد مارست ذلك وأظهرته وأرغمـت الناس عليه . بل إن التشابه وصل إلى ماتوعد به الشيوعية اتباعها واليهـود أتباعهم وأذنابهم (فـالشيوعية التى انطلقت تاريخيا وأيديولوجيا من فكرة المشـاعية الإبتدائية ، لتصـل بالإنسان فى المستقبل إلى ماتسميه الإشتراكية العلميـة ، قد التقت على صعيـد الفكر بمتاهة (الفردوس الموعود) بعد ضياع (الفـردوس المفقود) الذى لاتفتأ الصهيونية العالمية تذرف عليه الدموع . وهكذا نرى أن الفكـر الهدام الـذى تبنـاه الشيوعية الدوليـة يلتقى مع الفكر الخبيـث الـذى تجرى ضمنه الصهيونية العالمية ، وإن الإلحادية المنهجية ذات النزعـة الطوباوية تتعانق مع الميول اليهودية المسرفة فى ماديتها)[١].

ويبذل علماء اليهود (مافى وسعهم لهدم الأديان عـن طريق استحداث المذاهب السياسية والفكرية كالشيوعية والوجودية والماسونية ومذهب التطور ... ويقـومون على دراسة علم الأديان المقارن لغاية نشـر الالحاد ونسف الإيمان من النفوس)[٢]. كما نصوا على ذلك فى بروتوكولاتهم[٣].

يقـول جاك تنى : (إن للفلسفـة الماركسيـة والفلسفـة الصهيـونية أصل واحد ، فكلاهمـا أداة لهـدم الـدين ، وأزميـل لتفـريق الشعـوب وتشتيـت مواطنيها)[٤].

---

(١) تجربة عـربى فى الحزب الشيوعـى (١٢٧-١٢٨) ، قدرى قلعجى ، الطبعـة السـادسة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، دار الكتاب العربى ، بيروت .

(٢) حركـات ومذاهب فى ميزان الإسلام (٢٦) ، فتحى يكن ، الطبعـة الثالثة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع .

(٣) انظر البروتوكول الرابع عشر (١٥٢-١٥٤) .

(٤) الأخوة الزائفة (١٨) .

ثانيا : إن الاختلاف بينهما فى الأسماء مابين شيوعية وصهيونية لايدل على أنهما يختلفان فى حقيقتهما فغايتهما واحدة ووراءهما قوة واحدة توجه كل حسب ماتقتضيه مصلحة هذه القوة الخفية ، ومايحصل الآن من ظن بأن هناك تعارض بينهما إنما هو لمصلحة إقتضاها الوقت .

يقول فرنك بريتون : (تختلف الصهيونية عن الشيوعية فى ثلاثة أمور :

أولها : التسمية ففى التسمية الصهيونية تخصص وفى الشيوعية تعميم يختار المرء بينهما بحسب مزاجه .

والثانى : مركز النشاط فمركز نشاط الصهيونية مااصطلح على تسميته بالغرب وتتزعمه امريكا (واشنطن) ومركز نشاط الشيوعية الشرق وتتزعمه روسيا (موسكو) .

الثالث : الأسلوب فى العمل فالصهيونية تتاجر بالمال تدعمه الدعاية عند اللزوم والشيوعية تتاجر بالدعاية يدعمها المال لدى الإقتضاء ، وأما الحقيقة الراهنة فهى أن الصهيونية والشيوعية صنوان منبعهما واحد وغايتهما واحدة وجوهرهما واحد والفئة التى تقوم عليها من وراء الستار واحدة ومااختلافهما الظاهر سوى ترتيب مؤقت اقتضاه النجاح فى السعى إلى الغاية الواحدة حتى إذا تحققت الثقة بالنجاح الكامل اتحدتا معا للسيطرة على العالم)[١].

ويقول : (ولاعبرة بهذا الفرق الظاهر بين الشيوعية والصهيونية ، فكون اليهودى شيوعيا أو صهيونيا أو كليهما معا وكثير منهم كذلك ، لاينفى كونه يهوديا وليست الشيوعية والصهيونية سوى مظهرين لقومية واحدة هى القومية اليهودية التى لاتفتأ تناوىء سائر العالم غير اليهودى)[٢].

---

(١) الصهيونية والشيوعية ، فرانك ل.بريتون ، تعريب نهاد عيسى ، الطبعة الأولى سنة ١٩٥٤م . نقل ذلك عنه أنور الجندى فى كتابه المخططات التلمودية (٦٩) ، دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع ، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها ، وكتاب الشيوعية وموقف القرآن الكريم منها (٣١-٣٢) ، وكتاب كفاحنا فى مقاومة الشيوعية (٤٩) ، وكتاب الكيد الأحمر (٦٥) .

(٢) نقلا من كتاب الشيوعية وموقف القرآن الكريم منها (٣٢) .

والشيوعية واليهودية يشتركان فى مخطط واحد وهـدف واحد والدليل على ذلك أنهما (فى الاتحاد العام للحزب الاشتراكى الديمقراطى اليهودى حزب البند)[1].

يقول الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله :

(إن الشيوعية والصهيونية لايتيحان الفرصة لتحقيق أهدافنا من التقدم والاستقرار ، وعندما نقول الصهيونية والشيوعية نذكر اسمين ولكن الحقيقة أن الشيوعية وليدة الصهيونية وهدفها الأساسى هو التخريب والتحطيم)[2].

فاختلاف الأسماء لايدل على اختلاف المسميات بل هى عدة أسماء لمسمى واحد ولخدمة أهداف جهة واحدة هى (اليهودية العالمية) .

ثالثا : اتفاقهما فى الأساليب فهما حركتان تقومان على القوة والعنف والثورات واستغلال الشعوب وقهرها والغاية عندهم تبرر الوسيلة .

يقول روبرت وليامز : (الصهيونية هى صنو الشيوعية وحاميتها ومرضعتها وكلتاهما تهدف إلى إشعال ثورة عالمية والشيوعية التى وضع تعاليمها يهودى عريق هو ماركس ونفذت فى روسيا بفضل اليهود هى من نتاج العقل اليهودى)[3].

وهذه المشابهة لاتأتى من فراغ حيث إن هذه الأساليب هى التى يرى اليهود بسط سلطانهم عن طريقها . يقول طارق حجى : (أما الأساليب فواحدة عدوان على الشعوب ، ودفع للأفراد الى حمامات الدم ، وصلب للإنسانية على صليب الأنانيات ، وجر للعالم إلى الأهوال والمآسى التى لاتزال تنزف منها الدماء وشعور بالتفوق والأفضلية والكمال يبرر لنفسه كل وسيلة محرمة فى سبيل الوصول إلى الغاية المنشودة . والصهيونية العالمية

---

(١) هزيمة الشيوعية فى عالم الإسلام (١٠٨) .

(٢) المرجع السابق (١٠٨) ، وانظر فتاوى عن الشيوعية (١٩) ومابعدها ، د. عبد الحليم محمود ، الطبعة الثانية ، دار المعارف .

(٣) الشيوعية والصهيونية توأمان (١٨-٢٠) ، نقلا من كتاب الشيوعية منشأ ومسلكا (١٧) .

المعـاصرة هى رديف للنزعة الاستعمـارية لدى الدول الـرأسمالية ، كشريكين على مـائدة واحدة سـواء أكان ذلـك لاقتسـام الثروات أو لاقتراف الجرائم ، والشيـوعية الدولية هى بدورهـا رديف مماثل للنزعة الاستعمـارية التى يمثلها الاتحاد السوفييتى . ولكن بأساليب أكثر مكرا وأبلغ دهاء ، فهى تعمل بصمت وتحت شعـارات مضللة لتستأثر بخيرات العالم ماديا ولتعبر الإنسـانية إلى تبعية مروعة من الظلم الفكرى والتقـت الشيوعية والصهيـونية حول مشرب واحد كشقيقين حميمين تحت ضغـط الفـوارق الموضـوعية فى مجرى الإستراتيجيـة العـامة لكل منهما ، نتيجة للمخططات التى وضعت بيـارقها على رقعة شطرنج السياسة البعيدة المدى بكيفية تحول اليد الحديدية ذات القفـاز الحديدى لعب لعبتها فى اللحظة المواتية وتوجيه ضربتها فى المكان المناسب)[1].

ومـن ذلك إشتراكهما فى نزعـة السيطرة على العالم (فـالشيوعية تهـدف إلى غـزو العالم والسيطرة عليـه وقد كشفت الشيوعيـة ، عن هذا الغرض من ظهور بيان ماركس وانجلز المشهور فى تاريخ الشيوعية .

يقول ماركس : (أمامكم العالم ويمكن أن تكسبوه) .

كـذلك طغـت فكـرة السيطرة على العـالم منـذ زمن بعيـد على العقليـة اليهـودية ودونهـا اليهـود فى قـوانينهم السـرية لاعتقـادهم بأنهـم شعـب الله المختار وان بقية الناس قد خلقوا ليسخروا فى خدمة بنى إسرائيل)[2].

كمـا جاء فى بروتوكولات حكمـاء صهيون الحرص على العنـف والقوة وأن خير النتائج فى حكم العالمماينتزع بالعنف والإرهاب[3].

---

(١) تجربة عربى فى الحزب الشيوعى (١٢٨) .

(٢) حركات ومذاهب فى ميزان الإسلام (٢٥) .

وانظر : عـاجلا أو آجلا ستزول اسـرائيل (٥٢) بقلم ١٥ كـاتبـا فـرنسيا ، ترجمة ريمون نشـاطى ، منشـورات دار الآداب ، دار العلم للملايين ، دون ذكـر لـرقم الطبعة أو تاريخها ، حقيقة الشيوعية (١٧١-١٧٢) .

(٣) انظر البروتوكول الأول (١٠٣-١١٢) .

ولأجل هذا يهدفون لزيادة قوتهم وتسليح جيشهم من أجل تحقيق الخطط التى وضعتها البروتوكولات ، جاء فيها (وبايجاز من أجل أن تظهر استعبادنا لجميع الحكومات الأممية فى أوروبا سوف نبين قوتنا لواحدة منها متوسلين بجرائم العنف وذلك هو مايقال له حكم الإرهاب وإذا اتفقوا جميعا ضدنا فعندئذ سنجيبهم بالمدافع الأمريكية أو الصينية أو اليابانية)[١].

وكذلك الشيوعية لم تقم إلا بالقوة والعنف والإرهاب بل من أساليب الشيوعية فى تحقيق أهدافها العنف والثورة كما مر معنا ذلك عند دراسة مبادىء الشيوعية فلاتتحقق دكتاتورية البروليتاريا إلا بطريق العنف وبعد قيام الثورة البلشفية أخضعت الشيوعية بلدان أوروبا الشرقية لسيطرتها بالقوة .

ويقرر هومر تلك الحقيقة فيقول : (ان البلشفية والصهيونية ليست فى الحقيقة سوى وجهين لعملة واحدة وسيلتين لغاية واحدة ، سلاحين فى معركة واحدة ، تمسك بها أيدى القوة اليهودية العالمية الرامية فى مساعيها ونشاطاتها للسيطرة الإقتصادية والدينية والسياسية على العالم)[٢].

إن (بين الشيوعية والصهيونية آصرة قربى وحلف لاينفصم ، فقد وحدت بينهما الأهداف وتسلطت عليهما فكرة السيطرة على العالم والبشر جميعا)[٣].

فالشيوعيون (فى العالم بأسره يتعاونون مع يهود العالم فى دعم الشيوعية واليهود يتخذون الشيوعية وسيلة للتغلب على العالم والوصول إلى السيطرة وتسخير الموارد العالمية وفق أهوائهم ...)[٤].

---

(١) بروتوكولات حكماء صهيون البروتوكول السابع (١٢٨) .

(٢) اليهودية والبلشفية (٢-٣) نقلا من كتاب حقيقة المواقف الشيوعية من القضية الفلسطينية (٥٧) .

(٣) حقيقة الشيوعية (١٧١) .

(٤) المرجع السابق (١٧٨) .

رابعا : التقاء تيودور هرتزل مؤسس الصهيونية الحديثة ، وماركس صاحب الشيوعية العلمية فى أصل واحد أخذا عنه ، ألا وهو موسى هس وكان سابقا على هرتزل فى أفكاره .

فقد دعا إلى العودة إلى فلسطين وهو صاحب كتاب روما والقدس الذى وضعه عام ١٨٦٢م واقترح قيام دولة يهودية فى فلسطين تساعد على قيامها فرنسا ، وأخذ منه تيودور هرتزل أفكاره الأساسية التى ضمنها كتابه الدولة اليهودية .

أما ماركس فقد امتدح موسى هس وتعرف عليه عام ١٨٤١م وأعجب به كثيرا[١].

فكان موسى هس صديقا لكارل ماركس وزميله انجلز ونتيجة لاعجاب ماركس به قال عنه : (لقد اتخذت هذا العبقرى مثالا وقدوة بسبب مايتحلى به من دقة التفكير ونظرا لاتفاق آرائه مع عقيدتى ومبادئى إنه رجل نضالى فى تفكيره وسلوكه)[٢].

بل لقد تعاونا معه بين عامى ١٨٤٤-١٨٤٥م وكان موسى هس من المروجين للإشتراكية الطوباوية وعتبوا عليه لوجود الأفكار المثالية لديه[٣].

(وكان الأساس فى تفكير (هس) معلم ماركس هو : (أن مالايستطيع اليهودى الفرد أن يحصل عليه بسبب يهوديته فإن الشعب اليهودى يستطيع الحصول عليه بسبب قوميته)[٤].

---

(١) انظر الشيوعية منشأ ومسلكا (١٦) .

(٢) المسيح الأحمر الدجال (٣٦) ، فؤاد كرم ، ١٩٧٠م ، دون ذكر لرقم الطبعة أو دار النشر .

وانظر : الكيد الأحمر (٧٢) ، (٦٤) ، موسكو واسرائيل (٣٠-٣١) ، المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها (١٢٠) .

(٣) انظر الفلسفة الماركسية فى القرن التاسع عشر (٢٣٠/١) .

(٤) المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها (١٢١) .

ويقـول جاك تنى : (ولاعجب أن يحتـل "موســى هـس" الـذى سماه ماركس "الحبر الشيوعى" مكانة هامة فى التاريخ . فهو فى وقت واحد المناصر الخبيـث لحركتين خبيثتين ، تبدوان لأول وهلة متعارضتين تمامـا ـ الصهيونية السياسية والشيوعية العالمية)[١].

ويقـول : (وقـد أقيمـت الأولى لتـدمير جميـع الحكـومات المسيحيـة ، والثانية لاغتصاب فلسطين (وبالتالى ضرب العالم الإسلامى فى الصميم وتفتيت القوة العربية)[٢]. وهذا دليل واضح على مايكنه الأعداء لهـذه الأمة المسلمة ومـايخطط له اليهود ومالسلام المزعوم إلا تمييع لعقيـدة الولاء والبراء وترك سنة الجهاد .

ومما سبـق (يتضح لنا أن رائد الفلسفـة الصهيـونيـة وداعيهـا هرتزل ورائد الشيـوعية وفلسفتهـا كـارل ماركس رضعا من ثدى واحد وشـربا مـن منبع واحد واستلهما مبادئهما من فكر واحد ومن عقل واحد)[٣].

فدل ذلك على الأصل الذى يجمع هاتين الحركتين اللتين تعملان لخدمة اليهــود . وهـذا يؤكـد أن التعـارض الظاهرى (الطـارىء) بين الشيـوعية والصهيـونية إنما هـو تضليـل وإيهـام ليخفـى اليهود حقيقـة أمـرهم وفسـاد مآربهم.

خامسا : أن الفكـر الشيـوعى كـان فى خدمـة الصهيــونية اليهـودية فالشيوعية هى الضمانة التى تبقـى على أوروبا الشـرقيـة بعيـدة عن المسيحية وبالتـالى استغلال هذه القوة فى تحقيق أهدافها فى منطقـة الشرق الأوسط عن طريق استغلال هذه القوة والضغـط على هذه المنطقة وجعـل اليهود يحصلون على مايخططون له من الوصول إلى المسجد الأقصى وإقامة ملك سليمان عليه السلام على أنقـاضه ، وذلك لأن اليهود (كانوا ينظرون إلى روسيـا على أنها

---

(١) الأخوة الزائفة (٨٠) .

(٢) المرجع السابق (٨٤) .

(٣) الشيوعية منشأ ومسلكا (١٥) .

حصن من حصون المسيحية نظرا لأن اليهود لم يتمكنوا من التغلغل فى كيان الحكم آنذاك فضلا عن أنه لم يسمح لليهود بالسيطرة على مقدرات الشعب الروسى بل إن اليهود كانوا يواجهون باستمرار عمليات قمع مستمرة كلما بدرت منهم بادرة لمحاولة تخريب الإقتصاد الروسى أو التسلل إلى مركز من المراكز الحساسة والواقع أن الصهيونية العالمية كانت تنظر إلى روسيا القيصرية باعتبارها حصنا من أعتى حصون المسيحية نظرة عداء مستمر وكان تخطيطها مبنيا على ضرورة الإطاحة بالنظام القيصرى وإحلال نظام آخر محله تستطيع الصهيونية العالمية أن تتحرك فيه بلون من الحرية ولم يكن هناك من فرصة أسنح لهم من قيام الثورة الروسية فى عام ١٩١٧م التى كان وراءها فى الواقع مجموعة من عتاة اليهود والصهيونية)[١].

واليهود يعملون على استخدام كافة السبل للوصول إلى غاياتهم فإذا ماأحسوا بان أسلوبا أو نظاما لم يعد قادرا على تحقيق الأهداف بالصورة التى أرادها له بنى يهوذا لجأوا إلى أسلوب آخر .

(فبعد أن أفلست الصهيونية فى تنفيذ مخططات الحاخامات ابتدعت المذهب الماركسى وقامت بنشره فى أوروبا بأسلوب فلسفى ثورى إجتماعى بغية هدم معالمها الروحية والنظم القائمة فيها لتتمكن من السيطرة عليها ثم الانطلاق إلى الشرق لتتحكم بمقدراته وتحقق مطامعها فى ربوعه)[٢].

وعلى هذا (فالشيوعية ليست إلا اختراعا يهوديا ، تماما كما اخترعوا الرأسمالية وقد استخدم الاختراعان ، وسيتواصل استخدامهما لنفس الأهداف اليهودية)[٣].

---

(١) الصهيونية والنازية دراسة مقارنة (٤٦-٤٧) ، د. محمد الدسوقى ، عبد التواب سلمان ، ١٩٦٨م ، دار المعارف بمصر ، دون ذكر لرقم الطبعة .

(٢) تاريخ الحركة الصهيونية ، الصهيونية والثورة البلشفية سانتينى نقلا من كتاب دور الدول الإشتراكية فى تكوين إسرائيل (١٥) ، إبراهيم الشريقى ، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

(٣) الأخوة الزائفة (٢٠٠) .

لقد أراد اليهود من إقامة الثورة البلشفية الحصول على وطن قومى فى أرض فلسطين حيث كانوا يسيطرون على الغرب وبقى عليهم الشرق المسيحى حيث ذكرت مجلة فرنسا القديمة فى عددها ١١٥ الصادر فى عام ١٩١٩م :

(إن إقامة دولة يهودية فى فلسطين كان الهدف الأول والأخير لاشعال الثورة البلشفية)[١].

ثم إن (الماركسية فى جذورها اجتهاد يهودى . هذه حقيقة يعتز بها اليهود أنفسهم ويعلمها كل مطلع على أصول الفكر الماركسى وعلى تاريخ حركاته فى كل مكان)[٢].

سادسا : اعترافهم فى البروتوكولات بأنهم وراء الدعوات الشيوعية والمبادىء المنادية إلى الأخوة والمساواة والعدل بين الناس التى يرغب اليهود من ورائها كسب ود الناس والطبقات المضطهدة ذات الدخول المحدودة لأن هذه الدعوات بمثابة الأحلام التى يتمنون أن تتحقق فى حياتهم ، وذلك من أجل تحقيق أهداف اليهود .

جاء فى البروتوكول الثالث : (إننا نقصد أن نظهر كما لو كنا المحررين للعمال ، جينا لنحررهم من هذا الظلم ، حينما ننصحهم بأن يلتحقوا بطبقات جيوشنا من الإشتراكيين والفوضويين والشيوعيين . ونحن على الدوام نتبنى الشيوعية ونحتضنها متظاهرين بأننا نساعد العمال طوعا لمبدأ الأخوة والمصلحة العامة للإنسانية ، وهذا ماتبشر به الماسونية [٣]

---

(١) المسيح الأحمر (٣٦) .

(٢) موسكو وإسرائيل (١٧) .

(٣) الماسونية (منظمة دولية ، تعرف باسم جماعة (البنائين الأحرار) وهى ذات شعارات ومبادىء بعضها منشور ومتداول ، وبعضها يحيط به الإبهام أو السرية إلا بالنسبة لأعضائها ، وللخاصة من هؤلاء الأعضاء . فضلا عن الرمزية التى تحيط بطقوسها واجتماعاتها) .
الماسونية (٩) .

الإجتماعية)[١].

سابعا : إعترافهم بأن الحركة الشيوعية فى روسيا إنما كانت معركة الجماهير اليهودية حقيقة حيث صرحت دائرة المعارف اليهودية بأن الإشتراكية فى روسيا أصبحت حركة الجماهير اليهودية[٢].

ويقول رورفلت[٣]: (إن الإشتراكية أسس قواعدها فلاسفة من اليهود الأوربيين)[٤].

ثامنا : أن الشخصيات الماركسية إما يهودية أو ترجع أصولها إلى اليهودية والحركة الصهيونية منظمة يهودية ، ولولا اليهود لما انتصرت الثورة البلشفية .

فصاحب الفكرة الشيوعية ماركس هو يهودى وابن حاخام يهودى وكتاب رأس المال له يحظى بمكانة مرموقة لدى الشيوعيين وكأنه كالتوارة عند اليهود[٥].

= كما عرفها المستشرق الهولندى دوزى : (جمهور من مذاهب مختلفة يعملون لغاية واحدة) . "وهى إعادة الهيكل إذ هو رمز دولة إسرائيل" .
الماسونية فى العراء (٢٢) ، د. محمد على الزعبى ، الطبعة الخامسة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

(١) الماسونية (مسوى أو ماسونى نسبة الى الماسونية ويقصد بها البناؤون الأحرار أو البناء الحمر والبناؤون الأحرار هم الذين بنوا هيكل سليمان) .

(٢) انظر الاخوة الزايفة (٨٢) .

(٣) روزفلت : أحد رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية ، من الحزب الديمقراطى ، بنى شهرته منذ أن كان حاكما لنيويورك ،كان مساعدا لوزير البحرية فى عهد الرئيس ويلسون ، ورشح لمنصب نائب الرئيس فى سنة ١٩٢٠م ، ورشح نفسه للانتخابات عام ١٩٣٢م وفاز بها ، وأعيد انتخابه مرة أخرى عام ١٩٣٦م .
انظر موجز تاريخ الولايات المتحدة ، ألان نيفيتز ، هنرى ستيل كوماجر ، ترجمة محمد بدر الدين خليل ، الطبعة الأولى ١٩٩٠م ، الدار الدولية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الكويت ، لندن .

(٤) دور الدول الإشتراكية فى تكوين إسرائيل (٨٣) .

(٥) انظر حقيقة اليهود (٨١) ، فؤاد سيد الرفاعى ، دار صلاح الدين ، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها .

كما أن أشهر أعضاء المكتب السياسى الأول الذى تشكل بعد الثورة كان من اليهود أو تربية يهودية أو تربطه بهم صلات حميمة .

فلينين[١]ربيب اليهودى ونصف يهودى .

ستالين : متزوج من يهودية .

تروتسكى : يهودى .

كامينيف : يهودى[٢]، وكذلك بقية الأعضاء[٣].

وكانت نسبة اليهود فى الدولة الروسية نسبة ساحقة مقارنة بغيرهم ، فأول مجلس شيوعى كان عدد أعضائه ٥٤٧ منهم ٤٤٧ من غلاة اليهود واللجنة المركزية وعدد أعضائها ٣٨٨ منهم ٣٧١ من اليهود .

وأول حكومة بعد الثورة كانت مكونة من ٢٢ وزيرا منهم سبعة عشر وزيرا يهوديا[٤].

وكانت المناصب العليا فى الدولة بأيديهم[٥].

---

(١) تقول دائرة معارف الماسون حنا أبو راشد ص٢١٠ إن لينين نيقولا يهودى غذت مؤلفاته زعماء الحركة الشيوعية وغدت بعد الانقلاب ١٩١٧م دستور الاتحاد السوفييتى فالماسونية مهدت له الزعامة . نقلا من كتاب الأفعى اليهودية (٤٤) .

(٢) كامينيف : إنتسب إلى الحزب البلشفى فى ١٩٠١م ، ووقف ضد لينين فيما بعد ، طرد من الحزب بوصفه معارضا نشيطا ضمن التروتسكية . عاش مابين ١٨٨٣-١٩٣٦م . انظر رسائل حول التكتيك (١٢٩) .

(٣) ولمزيد عن ذلك انظر : الأفعى اليهودية (٤٤) ، حقيقة اليهود (٨٠) ، فوق أطلال الماركسية (١٧٧-١٧٩) ، محمد عبد الله الخطيب ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م ، دار المنار الحديثة ، هزيمة الشيوعية فى عالم الإسلام (١٠٦-١٠٧) ، إنهيار الشيوعية أمام الإسلام ١٤٦٠-١٤٧) .

(٢) انظر الأفعى اليهودية (٤٥) ، المسيح الأحمر الدجال (٣١) ، موسكو وإسرائيل (٢٦) .

(٣) انظر حقيقة الشيوعية (١٧٣) ، وانظر موسكو وإسرائيل (٤١٨) .

وإذا كنا قد أثبتنا أن لينين هو عميل اليهود الأول فى تفجير الثورة البلشفية حيث قام بتنفيذ المخططات الصهيونية ويسرت له السبل للإطاحة بالحكومة القيصرية واعتبروا لينين قائد الشيوعية الأول فإن ماركس وهو منظرها ولينين وهو مطبقها كانا يعملان لخدمة أهداف اليهود ، يقول ديسمانتين رئيس القسم اليهودى فى الحزب السوفييتى (إن لينين موسى اليهود الجديد سيحطم الأصنام وسيحول تركيا إلى جمهورية سوفيتية ويحرر فلسطين من الانتداب البريطانى ليقيم على أرضها دولة اليهود)[١].

ولولا اليهود العملاء داخل روسيا وأثرهم فى الاضطرابات التى حصلت بداخلها ودعم اليهود من الخارج لما انتصرت الثورة البلشفية حيث لم تنتصر الا لأن اليهود (كسبوا كثيرا بفضل الاضطرابات التى شهدتها روسيا فى عامى ١٩٠٥-١٩٠٦م)[٢].

وقد صرح الصهاينة بأن اليهود فى أمان مابقيت هذه القيادة فى أيدى أولئك العملاء والقواد ، فقال الكاتب الاسرائيلى م.كوهين : (يمكن القول دون أية مبالغة أو رغبة فى التجنى أن الثورة الاجتماعية الروسية الكبرى كانت من صنع اليهود الذين قادوا الثورة ودعموا البولشفيك السوفييت وعن اليهود يمكن أن نعيش باطمئنان كبير مادامت قيادة الجيش الأحمر تكمن فى أيدى تروتسكى)[٣].

---

(١) المسيح الأحمر (٤٢-٤٣) .
(٢) المرجع السابق (٤) .
(٣) الاتحاد السوفييتى والشرق الأوسط نقلا من كتاب المسيح الأحمر (٤٠) .

ويقول جاك تنى : (كانت "الجمعية الإشتراكية اليهودية" زمن تأسيسها وكذلك ظلت لعدة سنوات تالية ، أكبر وأقوى خلية فى الحركة الشيوعية الروسية . وعمل قادتها دون توقف على نشر الماركسية بين عمال القطاعات الصناعية فى الإمبراطورية ، مؤسسين خلايا سرية حيثما وجدوا ثلاثة مؤيدين أو أكثر . ثم أعيد تنظيم القيادة اليهودية فى الحركة الثورية فى كل مكان)(١).

وعن مدى تغلغل اليهود فى الاتحاد السوفييتى انظر إلى الآتى :

(أ) فى إحصاء عام ١٨٩٧م كان تركيب اليهود الوظيفى كالتالى :

٣١,٦٪ يشتغلون بالتجارة .

٣٧,٩٪ يشتغلون بالحرف والصناعات اليدوية .

٦,٦١٪ يشتغلون كخدم منازل وعمال يومية .

٥٪ بدون وظيفة محددة .

(ب) سيطر اليهود على تجارة السكر والفرو والجلود والماشية والمنتجات الزراعية وانخرطوا فى أكثر المشاريع الصناعية .

(ج) فى عام ١٩٢٦م كان التوزيع الوظيفى لليهود كما يلى :

١٩,١٪ فى التجارة حوالى ثلث المحلات فى موسكو كان يملكهااليهود .

٣٤,٣٪ فى الصناعة والحرف .

٩,٢٪ فى الزراعة .

١٠,٢٪ وظائف إدارية ومهنية .

٢٧٪ غير مصنفين وظيفيا .

---

(١) الأخوة الزائفة (٨٥) .

(د) التوزيع الوظيفى لعام ١٩٣٩م :

٣٠,٦٪ عمال .

١٠,١٪ حرفيون .

٥,٨٪ فلاحون .

٤٠,١٪ أعمال كتابية وتضم مؤلفين علماء مثقفين وموظفين حكوميين .

٢,٩٪ وظائف أخرى[١].

وكذلك اليهود يمثلون ٦٠٪ من هيئة التدريس فى معاهد العلم العليا . وحوالى ٨٠٪ من مسئولية التوجيه العقائدى فى حلقات الحزب الحاكم[٢].

وكما سيطر اليهود على الاتحاد السوفييتى داخليا فحاولوا كذلك السير به فى السياسة الخارجية لخدمة مصالحهم . فـ(اهتم اليهود أيما اهتمام بتأسيس أحزاب شيوعية تابعة للحزب الشيوعى الأم فى موسكو وكانت عينهم على فلسطين فكان الحزب الشيوعى اليهودى هو أول حزب شيوعى فى المنطقة العربية ، وأسس عام ١٩١٩م وقد أوكل إليه إنشاء أحزاب شيوعية أخرى فنجح عام ١٩٢١م فى تأسيس أول حزب شيوعى مصرى على يد (روزنبرغ) صاحب مخزن مجوهرات فى الاسكندرية ، فى حين كان (شامى) اليهودى يوافى قيادته فى موسكو بالتقارير اللازمة عن سوريا ثم توج ذلك بإنشاء أول حزب شيوعى فى سوريا عام ١٩٢٤م)[٣].

---

(١) انظر إنهيار الشيوعية أمام الإسلام (١٨٦-٩١٨٧ .

(٢) انظر موسكو وإسرائيل (٤١٨) .

(٣) إنهيار الشيوعية أمام الإسلام (٢٠١) .

والحزب الشيوعى الفلسطينى بدأ يهوديا وطرح مشروع تعريبه عام ١٩٢٩م بقرارمن الكونترن وعلى الرغم من ذلك فقد بقى العرب أقلية فيه ودبت الخلافات سنة ١٩٣٩م لتنتهى سنة ١٩٤٣م بانفصال العرب عن الحزب وأنشأوا (عصبة التحرر الوطنى) . وبعد سنة ١٩٤٨م تغير الوضع إذ اندمجت بقايا تلك العصبة فى فلسطين المحتلة مع الحزب الشيوعى الإسرائيلى[(١)].

وقاموا ببث الشعارات وتشكيل المؤسسات الداعية إلى الفكر الشيوعى ولو بطريقة غير مباشرة لأنها قد تكون اكثر فائدة من الدعوة المباشرة خاصة فى بعض الدول فيتسترون بالدعاوى والجمعيات الوطنية التى تخدم أهدافهم فأنشئت المراكز والمجمعات والمؤسسات التى ترعى الفكر الشيوعى وتقوم بالدعاية له فى كل بلد حسب الشعارات التى قد ينخدع بها أهل ذلك البلد .

فـ(تنوعت هذه المراكز التى شكلها اليهود فى الأحزاب الشيوعية فى البلدان العربية ومنها القيادة العامة فى فلسطين بل يمكن القول بكل يقين بأن الحركة الشيوعية فى العالم العربى قد أنشأها اليهود الذين يتسربون إليه عن طريق فلسطين تنفيذا لأوامر الشيوعية الدولية فى موسكو ومازال الحزب الشيوعى فى إسرائيل يضم عناصر متنوعة من عرب ويهود)[(٢)].

إن اليهود وراء الحركات الشيوعية فى العالم العربى كله فموقفهم من قضية فلسطين يدل على الولاء الحميم الذى يربط بين الحركات الشيوعية فى أى مكان ـ وبين اليهود[(٣)].

---

(١) انظر تجربة عربى فى الحزب الشيوعى (٥١) .
ونقل ذلك من كتاب الماركسية والمسألة اليهودية (٦٣-٦٤) .
(٢) المصدر السابق (١٣١) .
(٣) وللمزيد انظر هزيمة الشيوعية فى عالم الإسلام (٣٥-٤٣) ، (٥٣-٥٤) .

ومـن الإحصاء الذى أجرته السلطات الأمريكية تبين أن معظـم أنصار الشيـوعية فى العـالم أنصار للصهيـونية (وظهر لهامنه أن تسعين فى المائة مـن أعضاء الحزب الشيوعى الأمريكى من غلاة الصهيونيين وأن الموظفين الـذين فصلوا من الخدمة بتهمة الشيوعية كان من بينهم ١١٨ يهودى من ١٣٠ ..)[١].

كمـا أن معظم الذين اتهموا بالجاسوسية الشيوعية فى كنـدا من اليهود وحكـم بالسجن على اليهودى الشيوعى روز دكار منظـم الحزب الشيوعى فى كندا لاتهامه ببيع أسرار القنبلة الذرية لروسيا . وفى الهيئة التنفيذية للحزب الشيـوعى الفرنسى أربعة مـن اليهود ، والشيوعى الأول فى جنـوب أفـريقيا اليهودى سام كوهى[٢].

كمـا أن الأحزاب الشيـوعيـة خارج الاتحاد السـوفييتى يسيطـر عليهـا اليهود ، وتحت القيادة اليهودية كما فى بولندا ، والمجر ، وتشيكوسلوفاكيا ، ورومانيا ، وأكرانيا[٣].

ومـن هنا يتبين لنا أن اليهود كانوا وراء الشيوعيـة ، واختاروا لقيادة الأحزاب الشيـوعية المنتشـرة فى دول العـالم شخصيات يثقـون فيهـا ليضمنوا تنفيذ مخططاتهم .

وإذا كـان اسم لينين قد أصبح الأكثر شهرة خلف الثـورة البلشفية فى روسيا ، فإن الصهيونية حقيقة خلف هذه الدعوة الإباحية .

يقول سانتينى : (أخفقت الحركة الصهيونية الإشتراكية فى إشعال ثورات فى أوروبا الصناعية واللاتينية على غرار ثورتها البلشفيـة فى روسيا القيصرية ضحيـة أكبر مـؤامرة نفـذت فى عـام ١٩١٧م ـ يعتقـد الشعب الـروسى كمـا

---

(١) حقيقة الشيوعية (١٧٢) .
(٢) المرجع السابق (١٧٥) ومابعدها .
(٣) انظر المرجع السابق (١٧٣،١٧٥) .

صوروا له وبالأخص طبقة العمال والفلاحين أن بطل الثورة الأوحد هو لينين .. والواقع أن أبطالها هم زعماء الحركة الإشتراكية اليهود بقيادة تروتسكى)[١].

ويؤيد ذلك روبرت وليامز فيقول : (إن الصهيونية ليست شقيقة الشيوعية فحسب بل هى أمها)[٢].

تاسعا : سلسلة الاجتماعات التى كانت تعقد بين دعاة الشيوعية وزعماء الصهيونية فقد كشفت الوثائق عن الاجتماعات التى عقدت بين لينين وحايم وايزمان زعيم الحركة الصهيونية سنة ١٩١٦م[٣](ففى مدينة زيوريخ السويسرية وبحضور كارل راديك اجتمع لينين بالزعيم الصهيونى حايم وايزمن وزميله فى الحركة الصهيونية الكاتب المعروف جاك ليفى ، والبروفسور اليهودى النمساوى موليز فاندسيم العضو فى الحركة الإشتراكية ، والبروفسور اليهودى البولندى دافيد هارن . وعقدت سلسلة من الاجتماعات بين لينين ووايزمن فى منزل الصناعى اليهودى دانيال شوين (أيار ١٩١٦م) بحث فيها المخطط الثورى الاشتراكى الماركسى (P.R.S.M) قوامه هدم القيصرية فى روسيا وقيام على أنقاضها دولة ماركسية . وبحث أيضا المخطط اليهودى للشرق (P.J.O) الذى وضعته لجنة شكلت من زعماء الإشتراكيين اليهود الأوربيين فى مدينة النمسا عام ١٩٠٨م ويهدف إلى فتح أبواب الشرق للشعب اليهودى ليستقر فى فلسطين ويؤسس فيها دولة إشتراكية تكون قاعدة

---

(١) نقلا من كتاب دور الدول الإشتراكية فى تكوين إسرائيل (١٨) .
(٢) نقلا من كتاب كفاحنا فى مقاومة الشيوعية (٥٠) .
(٣) لاحظ التاريخ قبل تفجير الثورة بسنة واحدة .

لنشر الفلسفة الماركسية فى أقطار الشرق الأوسط)[١].

وقد سجل وقائع تلك المناقشات جاك ليفى الذى كان عميلا للمخابرات الفرنسية وقال لينين لوايزمن (على نجاح الثورة فى روسيا يتوقف تحرير اليهود من كابوس ملوك أوروبا وحكامها ورفعهم إلى أسمى المراتب فى الدولة وفرض احترامهم وشخصيتهم . وسوف تحقق الثورة للشعب اليهودى المشتت ماعجزت عن تحقيقه لهم الثورة الفرنسية (١٧٨٩م) ـ وبعد أن تزول القيصرية وكنيستها من روسيا تقام الدولة الماركسية الاشتراكية على الأسس التى خطط لها لتحقق أهدافها البعيدة المدى فى الغرب والشرق).

واقتنع وايزمن بالفكرة وقال للينين (إن فتح أبواب الشرق واستقرار اليهود فى فلسطين يتوقف بالدرجة الاولى على تدمير الإمبراطورية العثمانية .

وبتدميرها تزول الحواجز والعقبات التى تعترض المسيرة إلى أرض الميعاد ... عمرها أصبح محدودا وانهيارها وشيكا . لابد من إنشاء دولة يهودية فى فلسطين على أسس إشتراكية بعد أن تحقق الثورة الروسية الإشتراكية أهدافها)[٢].

فتخطيط اليهود إزالة القيصرية من روسيا .

ثم القضاء على الخلافة العثمانية .

والاستيلاء على بيت المقدس وإيجاد الوطن القومى لليهود ، وقد تحقق ذلك كله وآخر المطاف الاعتراف الرسمى بدولة إسرائيل فى عملية السلام الأخيرة وتطبيع العلاقات . ولاشك سيعقب ذلك أحداثا أخرى ولو بعد حين.

كما أفاد كلام لينين أن الثورة الفرنسية من ورائها اليهود ولكنها فشلت فى تحقيق الأهداف البعيدة لليهودية العالمية .

---

(١) دور الدول الاشتراكية فى تكوين إسرائيل (١٦-١٧) .
(٢) المرجع السابق (١٧) .

عاشرا : ومما يدل على أن الشيوعية خدعة يهودية ومخطط صهيونى .
ان اليهود حصلوا على عدة إمتيازات فى روسيا بعد قيام الثورة البلشفية ، ومنها :

(أ) الإبقاء على الديانة اليهودية دون الديانات الأخرى . وإن كان ورد أن لينين اعتبر أن دينهم خرافات إلا أنه قال لابد من الإبقاء عليه حتى يتسنى لليهود البؤساء الحصول على حقوقهم لأنهم إذا نبذوا دينهم فسوف يضيعون بين الأقوام المجاورة فالمحافظة على الدين اليهودى أمر ضرورى لحياة الشعب اليهودى حتى يصلوا إلى حقوقهم[١].

(ب) جعل السلطة فى أيديهم أو فى يد من قام على تنفيذ مخططاتهم مثل لينين وتروتسكى .

(ج) السماح لهم بامتلاك أرض فى المقاطعات اليهودية فى كريما وخرسان وبيروبيدجان .

(د) انتساب أعداد كبيرة من اليهود إلى أجهزة الدولة المختلفة واحتلوا مناصب حساسة .

(هـ) تمكينهم من الجامعات السوفيتية بحيث أصبح عدد الأساتذة الجامعيين من اليهود أكثر من ٢٥ ألفا .

(و) أجيز لليهود فى مطلع الثورة إنشاء أحزاب يهودية مستقلة مع أن لينين قام بحل جميع الأحزاب ليتسنى لحزبه البولشفيكى السيادة[٢].

(ز) نشر الصحف والمجلات والكتب اليهودية يقول اسحاق دويتشر : (قاد البولشفيك ، أيام لينين ، سياسة دقيقة حازمة ضد الحركات القومية والوطنية والدينية باستثناء اليهود الذين سمحوا لهم بإحياء نزعتهم الدينية والقومية ونشر عدة صحف ومؤلفات)[٣].

---

(١) انظر هزيمة الشيوعية فى عالم الإسلام (٢٥) .
(٢) ومر معنا ذكر مدى تغلغل اليهود فى الحزب الشيوعى البرهان رقم (٨) .
(٣) انظر المسيح الأحمر (٣٣) .

(ح) تدريب الشباب اليهودى والسماح لهم بالهجرة إلى أرض فلسطين مع أن الخروج من أرض الاتحاد السوفييتى يكاد يكون محرما على مواطنيها[١].

(ط) تخصيص مليون ليرة ذهبية من الذهب القيصرى الذى استولى عليه اليهود لشراء أراضى لليهود الروس الإشتراكيين فى فلسطين وبعثت لجنة عام ١٩٢١م لدراسة موضوع شراء الأراضى وطافت البعثة جميع المناطق ودرست أوضاعها دراسة متكاملة وأخذت البعثة تقاريرها إلى لينين وتروتسكى مع مجموعة من الخرائط[٢].

(ى) مطالبة بعض القادة السوفييت بدفع التعويضات للشعب اليهودى نظير مالقيه هذا الشعب من ألمانيا حيث ذكر جون سوريك (أن الرئيس السوفييتى ستالين طلب مضاعفة التعويضات التى ستفرض على ألمانيا لليهود لإنفاقها فى انشاء مستعمرات فى فلسطين لثلاثة ملايين يهودى من الاتحاد السوفييتى وأوروبا الشرقية)[٣].

هذا غير الامتيازات التى حصلوا عليها والعطايا من المؤسسة الشيوعية التى عملوا على إيجادها وتمويلها لتحقق أهدافهم حيث أصبحت الدولة الشيوعية بل الكتلة الإشتراكية بكاملها تمد يد العون للدولة اليهودية الصهيونية (اسرائيل) فى أرض فلسطين سواء كان دعما ماليا أم عسكريا أو التصويت لصالحها فى المحافل الدولية أو غير ذلك مما يحقق مصلحة إسرائيل (وكل ذلك حدث بعد الثورة البلشفية) .

وباختصار يمكن القول أن الثورة الشيوعية قد حافظت على اليهود (منذ اندلاعها فى روسية على قوميتهم الصهيونية فى الوقت الذى حاربت فيه القوميات . وحافظت على ديانتهم فى الوقت الذى حاربت فيه بقية الأديان

---

(١) انظر المسيح الأحمر (١٩) .

(٢) انظر : الى أرض الميعاد ، البرفسور زاندا نقلا من كتاب دور الدول الإشتراكية فى تكوين إسرائيل (٢٧) .

(٣) نقلا من كتاب دور الدول الإشتراكية فى تكوين إسرائيل (٣٧) .

ومع أنهم يعدون مواطنين سوفييت وفى دولة الاتحاد السوفيتى فإنه يسمح لهم دون غيرهم من بقية المواطنين السوفييت بالخروج والهجرة إلى إسرائيل باسم يهود بل ولكونهم يهودا وفى الوقت الذى يعتبر فيه الاتحاد السوفييتى بالنسبة لغيرهم كالستار الحديدى ...)[١].

ثم إن الحكومة البلشفية فى الأيام الأولى من استلامها السلطة أصدرت قرارين .

(القرار الأول : صدر فى الأسبوع الأول لحكم لينين سنة ١٩١٧م وقد ورد فيه : العداء لليهود جريمة يعاقب عليها القانون .

القرار الثانى : جاء تنفيذا لاتفاق لينين وايزمن الموقع بينهما عام ١٩١٦م وورد فيه :

إن الحكومة البلشفية برئاسة لينين تعلن تأييدها الكامل لحق اليهود فى وطن قومى لهم فى فلسطين .

وهذان القراران يدلان على عدة حقائق منها :

أولا : ارتباط الشيوعية منذ قيامها ارتباطا عضويا بالصهيونية ، بل إن الصهيونية هى التى أنشأت الشيوعية لتنفيذ مخططاتها ، وهذه حقيقة يعتز بها اليهود ، فقد صاغ كارل ماركس نظريته ووضع برنامج العمل الثورى ويعتبر ماركس فيلسوف الشيوعية ومؤلف النظرية المادية - من بيت يهودى محافظ كان جده حاخاما معروفا وكذلك والده)[٢].

الحادى عشر : الاعتراف والتصريحات من قبل اليهود فى وسائل إعلامهم وعلى ألسنة قوادهم وبعض من يعمل لمصلحتهم حيث تضخمت هذه التصريحات والكتابات التى تبين العلاقة الوثيقة بين الصهيونية والشيوعية ودور اليهود فى إيجاد النظام الشيوعى وتمويله للوصول إلى تحقيق الغايات من ورائه فجاء فى مجلة افريكان هيبرو[٣]تقريرا يفيد (إن الثورة الشيوعية فى

---

(١) الشيوعية منشأ ومسلكا (١٠٦-١٠٧) .

(٢) حقيقة المواقف الشيوعية من القضية الفلسطينية (٢٣-٢٥) .
وانظر إنهيار الشيوعية أمام الإسلام (٢٠٠) .

(٣) من كبريات المجلات اليهودية الأمريكية فى ١٠ سبتمبر ١٩٢٠م .

من ورائه فجاء فى مجلة افريكان هيبرو[٣]تقريرا يفيد (إن الثورة الشيوعية فى روسيا كانت من تصميم اليهود ، وأنها قامت نتيجة لتدبير اليهود الذين يهدفون إلى خلق نظام جديد للعالم ، وأن ماتحقق فى روسياكان بفضل العقلية اليهودية التى خلقت الشيوعية فى العالم ، ونتيجة لتدبير اليهود ، ولسوف تعم الشيوعية العالم بسواعدهم)[١].

ويقول الزعيم الإسرائيلى موسى سنيه أحد زعماء اسرائيل : (كل يهودى يعلم فى أعماق نفسه من كان أعظم أصدقائه وأحرصهم على صداقته إنه الجمهورية السوفيتية .

ويقول رينولد : (لاأستطيع أن أتصور يهوديا يقوم بدور العدو للاتحاد السوفييتى ومثل هذا اليهودى شىء شاذ غير طبيعى ، وتشويه لكل شىء لائق وحق)[٢].

وفى بيان يهودية ماركس وخدمته لأهداف اليهود وكون الصهيونية وراء الشيوعية وتفجير الثورة البلشفية ماذكره الحاخام (لويز برونس) الذى يؤكد فى كتابه (أغرب من الخيال) مايلى :

(إن كارل ماركس حفيد الحاخام مردخاى كان فى روحه واجتهاده وعمله ونشاطه وكل ماقام به أو أعد له من فكر وأسلوب أشد اخلاصا لاسرائيل من الكثيرين الذين يتشدقون اليوم بأدوارهم فى مولد الدولة اليهودية)[٣].

ويقول جاك تينى : ف(هناك الكثير من الأشياء فى حقيقة البلشفية نفسها فى حقيقة أن الكثير من البلشفيك يهود وفى حقيقة أن مثاليات البلشفية تتفق فى وجوه عديدة مع أسمى المثاليات اليهودية)[٤].

---

(١) حقيقة الشيوعية (١٧٢) ، وانظر كفاحنا فى مقاومة الشيوعية (٤٨) .

(٢) حقيقة الشيوعية (١٧٣) .
وانظر : فوق أطلال الماركسية (١٧٩) ، هزيمة الشيوعية فى عالم الإسلام (٩) .

(٣) موسكو وإسرائيل (٣١) ، والمسيح الأحمر (٣٦) ، وانظر (٣٨) .

(٤) مجلة التاريخ اليهودى (جوريشن كرونكيل ١٤ ابريل ١٩١٩م) نقلا من كتاب الأخوة الزائفة (١) .

وقد ذكر عبد الله التل أن أوجه الشبه بين اليهودية والشيوعية كثيرة ذكر منها عشرين وجها[١].

فهذه بعض الأقوال والتصريحات الدالة على الرابطة بين اليهودية ممثلة فى الصهيونية وبين الشيوعية . كما أن فيها الاعتراف الواضح بفضل ماركس وخدمته لأهداف إسرائيل .

ويمكن أن يضاف إلى ذلك :

(أ) التشابه فى الأساليب ومن ذلك تشكيل الخلايا السرية لنشر المبادىء الشيوعية ولتعويض القيادات والأنظمة وإفسادها لتحقيق أهدافهم[٢]. يشترك فى ذلك الشيوعيون والصهاينة ، فالصهيونية إن هى إلا منظمة يهودية تعمل لمصلحة إسرائيل والشيوعية إنما فجرت ثورتها فى روسيا عن طريق الخفاء والتستر والعمل فى السر .

(ب) من أوجه الشبه أن الصهيونية تقوم عليها فئة من عتاة اليهود وكذلك الشيوعية أى أن السلطة فى يد أقلية ، الحاكمون قلة والمحكومين أغلبية . وهم اليهود ، أى القلة الحاكمة .

(ج) إيمان كل من الطائفتين بإراقة الدماء كحلول للمسائل[٣].

(د) التشابه فى الإباحية وذلك كما ورد فى التلمود أن من رأى رؤيا بأنه يرتكب الفاحشة مع خطيبته له أمل كبير فى الحصول على صداقة الشريعة ومن يحلم أنه ارتكب الفحشاء فى شقيقته له أمل كبير بإدانة

---

(١) انظرها فى كتاب الأفعى اليهودية (٤٧-٥٠) .

(٢) ولمزيد من معرفة ذلك :
انظر : تجربة عربى فى الحزب الشيوعى (١٨-٢٢) ، لينين (١٥٠،١٥٨،١٥٩،٢٤٨، ٢٤٩،٣١٢) ، المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها (١٢١) .

(٣) انظر : شهادتى للتاريخ (٢٦٤-٢٦٥) ، عبد القوى مكاوى ، الطبعة الأولى ١٩٧٩م دون ذكر لدار النشر ، حاضر العالم الإسلامى (٣٩) ، د. على جريشة ، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، دار المجتمع للنشر والتوزيع ، جدة .

نفسه ومن يحلم أنه ارتكب الفحشاء مع امرأة قريبة يحصل على السعادة الخالدة .

ثم إن التلمود يشرح أن جمهورا من الحكماء الأوائل كانوا إذا نزلوا مدينة وليس لهم فيها امرأة نادوا (من من النساء تريد أن تكون امرأة لهم بضعة أيام)[1].

وجاء فى البيان الشيوعى الدعوة الى مشاعية النساء . وجاء فى كتاب (اليهود يجب أن يعيشوا) لمؤلفه صموييل روث (ان كتاب الصلاة اليهودى يعتبر سفاح القربى ولاجتماع للزنا الجماعى من الذنوب المغفورة لديهم إذا تم ذلك فى يوم 'كيبور")[2].

وقد ألف ليون بلوم[3]كتابا اسمه (الزواج) دعى فيه إلى الفسق والفجور ، وكان ليون هذا من أبواق الماسونية ، وقد دعى فى كتابه إلى :

(أ) دعوة الشباب والفتيات إلى الانغماس فى حمأة الرذيلة .

(ب) طالبهم بتعجيل قضاء رغبتهم الجنسية اذا أحسوا بها لاعن طريق الزواج بل بالمشاعية الوقحة .

(ج) تهوينه من شأن الأخلاق والعفة والفضيلة وطالبهم بالتخلص من قيودها .

(د) السخرية بالأديان والرسل والدعوة إلى الإلحاد .

(هـ) تهوين العلاقات الزوجية وتحطيم الرباط الأسرى عن طريق دعوة الزوجات لاتخاذ الأخدان وطالب الرجال بإغواء النساء العفيفات .

(و) الدعوة إلى العقم الاختيارى بتنفير النساء عن الحمل والولادة وتربية الأطفال[4].

---

(١) المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها (٩٠) .

(٢) ص١٣٦ نقلا من المرجع السابق (٧٩) .

(٣) ليون بلوم يهودى ولد فى بلغاريا ، تولى رئاسة الوزارة الفرنسية سنة ١٩٣٦م ، وهلك سنة ١٩٥٠م . نقلا من المرجع السابق (٧٣) .

(٤) نقلا من المرجع السابق (٧٢،٧١) .

فهـذا غيض من فيض فى تتبع البراهين التى تدل وتثبـت أن الشيوعية إنما كانت دسيسة يهودية تظهر فى روسيا لتحقق بعد ذلك غايات أخرى وعلى رأسهـا القضاء على المسلمين وإبعـادهم عن دينهم وإقامـة الدولة اليهودية فى أرض فلسطين ، وقد تحقق ذلك .

وممـا يزيد من إثبات هذه الحقيقة هو التقارب بين إسـرائيل والدولة الشيوعية فى الاتحاد السوفييتى ، والدول الشيوعية فى المعسكر الشرقى بالعموم وهنـا نأتى إلى الجانب الثانى وهـو ماقدمته الدولة الشيـوعية التى بناها اليهود لدولة إسرائيل ذلك الكيـان الـذى جعلـت لـه الأرض الإسلاميـة وطنـا . وسيكون ذلك زيادة على ماذكرناه .

(ب) **دعم الشيوعية لدولة إسرائيل** :

أولا : اعتراف الاتحاد السـوفييتى بإسـرائيل بعـد قيـامها مبـاشرة حيث كانت دولة السوفييت ثانى دولـة تعترف بإسـرائيل بعـد الـولايات المتحـدة الأمـريكية مع أن الاتحاد السـوفييتى هو الذى اعترف اعترافـا صريحا ومباشرا وكـاملا فى حين جاء الاعتراف الأمـريكى بإســرائيل مجرد اعتراف بالأمــر الواقع)[1].

بل إن الاتحاد السوفييتى أعلن عن طريق مندوبه اندريه جروميكو قبل عشـرة أيام من إعلان قيام دولة إسرائيل بالتحديد فى ٤ مـايو ١٩٤٨م أعلن أنه توجد دولة يهودية بالرغم من محاولات بلاد معينة لاعاقة تنفيذ التقسيم ، فكـان اعتراف السوفييت قانونيا فيكونون أول من إعترف بإسـرائيل فى العالم كله[2].

وقـال ف.ب.لـوتسكى المؤرخ السـوفيتى المشهـور فىكتـابه الامبرياليـة البريطـانية والأمـريكية فى الشـرق الأدنى (مـوسكو ١٩٤٨) ، (إن الاعتراف السـوفياتى باسـرائيل هو اعتراف "حقـوقى" ، فى حين أن الاعترافين البريطـانى

---

(١) السـوفييت وقضيـة فلسطين (١٧-١٨) ، د. محمـد نصر المهنا ، دار المعـارف ، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها .

(٢) المرجع السابق (١٤-١٥) .

والأمـريكى ليسـا سوى اعتراف "واقعـى" وقـال إن الاتحاد السـوفييتى كـان يدعم إسرائيل دعما حقيقيا ومخلصا ...)[١].

والاعتراف الأمـريكى لايستـدعى التبادل الدبلومـاسى فهو غير رسمى Defacto اعتراف بالأمـر الـواقـع وتستطيـع واشنطـن سحبــه فى اقـل العنـا والاتحاد السوفييتى اعترف قانونيا Deturi وكذلك فعلت الدول الإشتراكية[٢].

وإذا اعتبرنا أن أمريكا اعترفت بإسرائيل بعد قيامهـا بعشر دقائق وكان فى ١٤ أيار ١٩٤٨م حيـث بعث الرئيس الأمـريكى ترومـان[٣]برقية الاعتراف فإنه بعدها بأربع دقائق اعترف ستالين باسم الاتحاد السوفييتى بالدولة اليهودية وانهـالت الاعترافـات من قبـل الـدول الشيوعية بالدولـة اليهـودية فى أرض فلسطين[٤].

وأخذت بعـد ذلك التصريحات تظهـر من مسؤلى البلـدين بما يكنه كل طرف للطرف الآخر ، فأرسـل بن غـوريون رسـالة شكـر لستـالين بتـاريخ ٦ تشـرين الثانى من عام ١٩٤١م قال فيها ان الأمة الاسـرائيلية لن تنسى العون والتأييد الذى أعطتهما إياه روسيا[٥].

ويقول (كوسيجين)[٦]فى لقائه مع مندوب مجلة "اللايف" الأمـريكية : (نحن لايوجد لـدينا نيـات معـادية ضـد إسرائيل فى الماضـى كنـا البادئين فى خلقها ولانزال نؤمن بأن إسرائيل لابد أن تبقى كدولة)[٧].

---

(١) نقلا من كتاب النار والجليد (٢٣٦) .
(٢) انظر موسكو واسرائيل (٢٢٩-٢٣٠) .
(٣) خليفة روزفلت ، تدرج فى الأعمال الخاصة حتى أصبح سياسيا فى مدينة كنساس ، إلى قـاض (مسئول إدارى) إلى عضـو بمجلس الشيوخ آخر الأمـر رشـح بعد ذلك لمنصب نائب الرئيس ، ورشح عام ١٩٤٥م رئيسا للبلاد .
انظر موجز تاريخ الولايات المتحدة (٥٣٩) ومابعدها .
(٤) انظر دور الدول الإشتراكية فى تكوين إسرائيل (٥٢-٥٣) .
(٥) الحقيقة الكاملة (٨٧) .
وانظر الشيوعية منشأ ومسلكا (٨٩) .
(٦) أول رئيس للاتحاد السوفييتى بعد الإطاحة بالقيصرية .
(٧) مجلة اللايف العدد الصادر فى شباط فبراير سنة ١٩٦٨م ونقلته أيضا مجلة "التايمس" الأمـريكية فى ص٢٣ بتـاريخ ٢ شبـاط سنة ١٩٦٨م نقلا من كتـاب الكيـد الأحمر (١٤٩) .

(وبتاريخ الخامس عشر من شباط من عام ١٩٦٨م ألقى الكسى كوسيغين خطابا فى مدينة (مدينسك) السوفياتية جاء فيه : (نحن لسنا أنصار حرب جديدة فى الشرق الأوسط ، بل على العكس ، نريد سلاما مستقرا فى المنطقة ، وهناك بعض الدول العربية تؤيد هذا الموقف إننا نرفض تصفية إسرائيل ، بل نؤيد استمرار إسرائيل كدولة)[1].

وهكذا يظهر مدى ماوصل إليه الاتحاد السوفييتى فى مسألة الاعتراف بدولة إسرائيل وكذلك التأييد المطلق لبقائها كدولة فى أرض فلسطين العربية.

ثانيا : المساعدات العسكرية التى تلقتها إسرائيل من الدول الشيوعية وعلى رأسها الاتحاد السوفييتى ، فمعظم أفراد القوات الإسرائيلية من الروس واليوغسلافيين والرومانيين والبولنديين الذين استقروا فى فلسطين ، بالإضافة إلى الأسلحة التى كانت تحصل عليها إسرائيل من هذه الدول فى حروبها ضد المسلمين العرب يقول د. إبراهيم الشريقى : (إن الأسلحة التى حصل عليها اليهود وحاربوا فيها العرب عام ١٩٤٧م وعام ١٩٤٨م كانت من دول أوروبا الشرقية التى استولى عليها الشيوعيون فى أعقاب الحرب العالمية الثانية بمساندة الجيش الأحمر وبأمر من موسكو سمح للبعثة اليهودية برئاسة موسى شاريت أن تشحن مايلزمها من معدات حربية على بواخر رومانية ويوغسلافية إلى ميناء حيفا حيث بلغت أرقام صفقات الأسلحة نقلا عن مصادر أوربية رسمية والوكالات الدولية مايلى :

طائرات تشيكوسلوفاكية	٢٤
دبابات متنوعة	١٢٥
سيارات مصفحة	٤٠٠
مدافع ثقيلة	٧٠

---

(١) حركات ومذاهب فى ميزان الإسلام (٣٠) .

مدافع متنوعة	٣٥٠
بنادق ورشاشات	١٠٠ ألف
قذائف يدوية	١٥٠ طن
ذخائر	٣٠٠٠ طن
سيارات نقل	١٠٠٠ سيارة

والواقع لولا مؤازرة الدول الشيوعية لإسرائيل وتزويدها بالأسلحة الثقيلة والطائرات لما استطاعت فى المرحلة الثانية تموز ١٩٤٨م أن تثبت أقدامها فى مناطق شاسعة لم يقرها مشروع التقسيم كالنقب ويافا والخليل...الخ)[١].

وأكد بن غوريون فى مقابلة أجراها معه التلفزيون الإسرائيلى دعم الاتحاد السوفييتى ودوره البارز فى إيجاد إسرائيل فقال : (إن الاتحاد السوفييتى عمل أكثر من الولايات المتحدة من أجل ولادة إسرائيل والأسلحة الوحيدة التى سمحت لهذا البلد من دفع الغزو العربى والتى خلصته جاءت من العالم الإشتراكى بينما كانت الولايات المتحدة ترفض أى مساعدة عسكرية)[٢].

وفى ٢٥ تشرين الثانى من عام ١٩٥٢م وقف عضو الكنيست الإسرائيلى (بيرتربر نشتاين) فى أحد إجتماعات الكنيست فقال : (إن تشيكوسلوفاكيا مدت لنا يد المساعدة العسكرية أكثر من أية دولة أخرى فى أثناء قتالنا مع العرب ...)[٣].

ولابد لنا من وقفة مع قضية بيع الاتحاد السوفييتى السلاح للعرب لنتبين حقيقة الأمر لاكما يزعم دعاة الباطل ورواد الأضاليل من أن الاتحاد السوفييتى صديق حميم للعرب وأنه يدعم القضية الفلسطينية ولنقف على حقيقة هذه الأسلحة وبيعها ومقدرتها .

---

(١) دور الدول الإشتراكية فى تكوين إسرائيل (٣٤-٣٥) ، وانظر الحقيقة الكاملة (٩١) .

(٢) إسرائيل الى أين (٦٥) ، ناحوم غولدمان ، ت د. نسيم الخورى ، الطبعة الأولى ١٩٨٥م/١٤٠٥هـ ، دار المشرق العربى الكبير ، بيروت ، دمشق .

(٣) الحقيقة الكاملة (٨٧) .

فى ٢٢ حزيران ١٩٦٤م أدلى الملحق العسكرى فى باريس لمراسل صحيفة معاريف بتصريح جاء فيه : (لقد أعربنا عن تأييدنا لإسرائيل بالسلاح والعتاد والرجال فى أقسى ظروف الأزمة الفلسطينية فما قدمناه ونقدمه للبلاد العربية من سلاح هو لأغراض دفاعية ولمكافحة الرجعية العربية فقط ، ولايمكن أن نسمح باستعماله للعدوان على إسرائيل فنحن نريد سلامة إسرائيل بل نعمل من أجل سلامتها ... ثم هل تظنون أننا جاهلون لأهمية إسرائيل بالنسبة إلينا؟ وهل تظنونا لانعلم ماهو نوع الحكم الإشتراكى السليم الذى تبنونه فى إسرائيل بأيديكم؟ وهل من المعقول أن نكون طرفا فى هدم التجربة الإشتراكية التى حققتها إسرائيل؟ هل تظنون أننا مهملون أهمية الوجود الإسرائيلى فى الشرق الأوسط ، تلك المنطقة المهمة؟ اطمئنوا ... اطمئنوا ... إن الاتحاد السوفييتى مع إسرائيل وسيؤيدها اليوم وغدا كما أيدها ورعاها بالأمس ونحن نرعى الإشتراكية العربية لأن فى ذلك تعزيزا لمصلحة إسرائيل أيضا؟؟)[١].

وبتاريخ الرابع عشر من شباط سنة ١٩٦٥م نشرت صحيفة (ها آرتس) الإسرائيلية تصريحا للمستشار الأول فى السفارة السوفيتية فى إسرائيل جاء فيه (لم نقدم السلاح لبعض الدول العربية إلا بما يكفى لحاجات الدفاع لاالهجوم وعلى الشعب فى إسرائيل أن يتذكر أن الاتحاد السوفياتى كان أول من دعا إلى حظر توريد السلاح إلى الشرق العربى عام ١٩٥٧م ونحن مستعدون لحظر السلاح عن المنطقة العربية ، لكن حركات التحرير اليسارية فى العالم العربى تحتاج إلى السلاح لتكافح الرجعية العربية ويقضى عليها وعلى كل من يساعدها أن القضاء على الرجعية العربية سيزيل خطر العدوان العربى على إسرائيل لأن الأنظمة والحركات التقدمية اليسارية فى البلاد العربية لاتريد العدوان على إسرائيل ...)[٢].

---

(١) حركات ومذاهب فى ميزان الإسلام (٢٩) .
وانظر موسكو واسرائيل (٤٢٢) .

(٢) حركات ومذاهب فى ميزان الإسلام (٢٩-٣٠) .

وجاء فى عدد ١٠ يونيه ١٩٦٥م فى جريدة "كول ها عام" - وهى وثيقة الصلة بالاتحاد السوفييتى - : (قد لايعلم الكثيرون بأن الاتحاد السوفييتى لايدع أى فرصة تمر دون أن يؤكد على أصدقائه من النظم والحركات الإشتراكية العربية بأن التعايش السلمى بين العرب وإسرائيل جزء جوهرى من السياسة السوفياتية وأن تزويد موسكو للإشتراكيين العرب بالسلاح مقيد تقييدا كاملا بهذا الاعتبار السياسى الهام بالنسبة لسلامة إسرائيل)[1].

وفى ٢٢ يونيه ١٩٦٤م أجرى مراسل جريدة معاريف التى تصدر فى تل أبيب حديثا صحفيا مع الملحق العسكرى السوفياتى فى باريس ومما جاء فى الحديث :

(فنحن نبيع للجمهورية العربية المتحدة ولغيرها من الدول التى تبحث عن السلاح .. وليس فى تعاملنا التجارى بالسلاح مع مصر أى التزام بالنسبة للمشكلة الفلسطينية ، فنحن على أتم الصلات مع إسرائيل .. ولم يصدر ولن يصدر عنا أى عمل أو معونة أو تواطؤ مع مصر أو مع غيرها للاضرار بالكيان السياسى المستقل لإسرائيل .. هذه هى القاعدة الحقيقية فى السياسة السوفيتية نحو الشرق الأوسط . إننا نشارك العرب فى مكافحة الاستعمار والرجعية فقط ، ولانشاركهم ولايمكن أن نشاركهم فى العدوان على إسرائيل...) .

وقال : (فما دمنا ومانقدمه للجمهورية العربية المتحدة اليوم من سلاح هو لأغراض دفاعية فقط .. ولايمكن أن نسمح باستعماله للعدوان على إسرائيل .. ليس لدى موسكو أى رغبة أو أى تفكير فى منع السلاح السوفياتى عن إسرائيل إذا احتاجت إليه ...) . وقال : (إننا نريد سلامة إسرائيل بل نعمل لسلامتها ، فلاتنزعجوا من السياسة السوفيتية فى المنطقة العربية ، هذه السياسة متممة بل ضرورية لسلامة إسرائيل)[2].

---

(١) موسكو وإسرائيل (٤٢٣-٤٢٤) .

(٢) المرجع السابق (٤٢١-٤٢٢) .

وقالت صحيفة (الهامشمار) لسان حزب المابای الإشتراكی عدد ٧ أكتوبر ١٩٦٤م عن النظم العربية الإشتراكية (فهذه النظم وهی تعيش علی السلاح السوفياتی والذخيرة والمعونات والقروض السوفياتية وعلی العقيدة السوفياتية أيضا فانها (أی النظم الإشتراكية العربية) عاجرة عن حرية التصرف فی أی عدوان عسكری علی إسرائيل ونحن نميل إلی تصديق القول السوفياتی الرسمی عندما يؤكد لحكومة إسرائيل بأنه ليس فی علاقات الاتحاد السوفياتی مع مصر أو مع الدول العربية الأخری فی مسألة بيع السلاح والقروض المالية والتعاون العقائدی مايؤذی إسرائيل فی المرحلة النهائية ، بل إن المرحلة النهائية سيكون فيها كل الخير والأمن والسلامة لإسرائيل...)[١].

ويقول يعقوب ريفتين بعد أن تحدث عن مسألة حظر السلاح فی الشرق الأوسط (يجری ترديد هذه النداءات التی هی أيضا مبادیء أصيلة فی سياسة إسرائيل .. نحن نريد السلاح والتعايش السلمی وفض المنازعات بالطرق السلمية ... ولهذا فسياسة السوفيات فی الشرق العربی عظيمة النفع والفائدة لنا . وستظهر ثمارها علی أطيب لون وقالب لصالح إسرائيل)[٢].

وأحيانا ينادی الاتحاد السوفياتی بأن تكون منطقة الشرق الأوسط خالية من السلاح النووی ولكن كما يقول البروفسور غايرييل شتاين[٣] (فإن موسكو قادرة علی أن تخدم إسرائيل والسلم العالمی أجل الخدمات ...) .

ويضيف (فلاتعبئوا بكل مايقوله الإشتراكيون العرب فی تهديدات إسرائيل ، فذلك بضاعة سياسية ودعاية مالوفة ، والعلم بالحقائق يدفعنا إلی القناعة بأن السوفيات سيخدمون إسرائيل وسلامتها أكثر من أی طرف أجنبی آخر ... أنا مع الصداقة السوفيتية الإسرائيلية إلی أبعد حد ... والسوفيات حريصون حرصا فی إسرائيل علی هذه الصداقة ، فهی ضرورية لهم ولولا

---

(١) موسكو وإسرائيل (٤٢٨-٤٢٩) .

(٢) المرجع السابق (٤٤٤-٤٤٥) .

(٣) عالم فيزيائی فی إسرائيل من المشرفين علی التجارب الذرية هناك .

ذلك لما ساهموا فى توطيد سلامة إسرائيل يوم ولادتها بالسلاح والرجال والعمل الدبلوماسى لانكترث للقول والدعاوى الذى يوجهه السوفيات للعرب . فالسوفيات قوم يعلمون مواطن الضعف والقوة فى الدول الضعيفة وإسرائيل ليست جاهلة ولامتجاهلة للسياسة السوفياتية .. ونحن نعلم أتم العلم بأن هذه السياسة مؤيدة أشد التأييد لسلامة إسرائيل)(١).

وفى عدد فبراير ١٩٦٥م نشرت جريدة (هآرتس) كبرى الصحف اليهودية فى الأرض المحتلة تفاصيل محاضرة ألقاها المستشار الأكبر للسفارة السوفيتية على طلاب وأساتذة فى الجامعة العبرية واقتبست الجريدة على لسان المستشار السوفييتى (لم نقدم لمصر من الأسلحة إلا مايكفى لحاجات الدفاع لاالهجوم ... وعلى الشعب فى إسرائيل أن يتذكر بأن الاتحاد السوفييتى كان أول من دعا إلى حظر توريد السلاح على دول المشرق العربى ١٩٥٧م ونحن مستعدين لحظر السلاح عن المنظمة العربية ولكن حركات التحرر الوطنى اليسارية فى العالم العربى تحتاج إلى السلاح لكى تكافح الرجعية العربية وتقضى عليها وعلى من يساعدها من الاستعمار .

فالقضاء على الرجعية العربية سيزيل عن إسرائيل خطر العدوان العربى ... النظم التقدمية اليسارية مثل الجمهورية العربية المتحدة لاتريد العدوان على إسرائيل ... نحن نعلم ذلك تمام العلم) .

إن (الجمهورية العربية المتحدة لايمكن أن تقوم بعدوان على إسرائيل ... ولايمكن أن تستعمل السلاح والعتاد السوفياتى لمثل هذا العدوان ... نحن فى الاتحاد السوفياتى أدرى من غيرنا بطاقات الإشتراكية المصرية ونوايا الإشتراكية المصرية ، وليس فى ذلك أى ضرر على إسرائيل أو خوف عليها)(٢).

---

(١) موسكو واسرائيل (٤٤٥) .
(٢) المرجع السابق (٤٢٢-٤٢٣) .

بل إن السلاح الذى أعطاه السوفييت لمصر بعد ضربة ١٩٦٧م إنما كان بعد أن حققت اسرائيل أهدافها فأراد السوفييت (تغطية التواطؤ السوفياتى ضد العرب ومحاولة لتطويق تدهور سمعة الاتحاد السوفياتى فى المنطقة العربية أى خوفا على مصالحه الاستعمارية وأهدافه الشريرة فى بلاد العرب)[(١)].

فالدعم للعرب كان مشروطا ، بل إن الاتحاد السوفييتى كان متسلطا على طاقات العرب العسكرية فى النظم الإشتراكية فهى أسيرة ورهينة بمشيئة السوفييت[(٢)]، كما أنها تستخدم فى زعزعة النظم بالإضافة إلى استخدام الأتباع فى نشر الماركسية وحركات البعث الثورية كما استغلت الثورة الناصرية[(٣)].

ومما سبق نصل إلى الآتى :

أولا : أن مصلحة إسرائيل وحاجتها مقدمة على مصالح العرب والمسلمين بل مقدمة على الدول الإشتراكية العربية التى تنافح عن موسكو .

ثانيا : أن الاتحاد السوفيياتى يعتبر الحفاظ على إسرائيل من أسس سياسته فى الشرق الأوسط .

ثالثا : أن السلاح الذى يباع للدول العربية سلاحا دفاعيا فقط .

رابعا : أن هذا السلاح لايمكن استخدامه ضد إسرائيل فهو سلاح مشروط .

خامسا : يصل الاتحاد السوفياتى بهذا إلى أن تظل الدول العربية خاضعة له تسير فى فلكه وتنفذ خططه ولاتسير إلا حسب الطريق الذى يرسمه لها .

---

(١) المخطط السوفياتى لهزيمة حزيران (١٩) ، د. محمد عزت نصر الله ، الطبعة الأولى ١٩٧٠م ، مؤسسة دار فلسطين للتأليف والترجمة .

(٢) موسكو واسرائيل (٣٦٤) .

(٣) انظر المرجع السابق (٣٩٣) .

سادسا : يتمكن الاتحاد السوفياتى بهذا من ابتزاز الأموال العربية فى أسلحة مشروطة دفاعية فقط وقد تكون مما عفى عليه الدهر وأصبح فى دولته قديما لايؤدى الغرض الذى تنشده تلك الدول فيصدر للدول العربية .

سابعا : أن الاتحاد السوفييتى لن يسمح بالتفوق العربى على إسرائيل بل العكس هو الذى يحرص عليه الاتحاد السوفياتى .

ثامنا : أن هذا السلاح يستخدم لضرب الصحوة الإسلامية التى يعبرون عنها (بالرجعية) وبالفعل قد تم هذا واستخدمت هذه القوات ضد المسلمين فى تلك الدول والأيام الماضية وأيامنا هذه تشهد بأن الاتحاد السوفييتى نجح أيما نجاح فى إعطاء السلاح والإمداد بالقوة لضرب المسلمين عن طريق تلك الدول التى أرادت تطبيق الإشتراكية .

تاسعا : أن الامداد بالسلاح الجيد (إذا صح أنه جيدا) لايكون إلا بعد أن تكون القوة السابقة قد قضى عليها فما فائدة السلاح عندما يعطى لدولة خاسرة فى الحرب عالمة بأن هذه الأسلحة لن تحقق لها شيئا .

عاشرا : أن إمداد الدول العربية الإشتراكية المنافحة عن الشيوعية فيه مصلحة لإسرائيل لأنه يبقى هذه الدول فى فلك الاتحاد السوفييتى ، وبالتالى يؤمن جانب هذه الدول بالنسبة لإسرائيل .

ثالثا : انتشار الفكر الإشتراكى داخل إسرائيل وارتباط الحزب الإشتراكى فيها بالأحزاب الإشتراكية فى المعسكر الشرق . وبالمقابل نشر الأفكار الصهيونية بين الحركات الإشتراكية واستخدام الحزب الإشتراكى فى إسرائيل لنشر الإشتراكية فى العالم العربى .

وقد (أوفدت الحكومة البلشفية اثنين من اليهود جاك شابيليف وراوول كارنبورغ لتأليف الحزب الماركسى ليكون قاعدة لنشر المبادىء الإشتراكية العلمية فى الشرق الأوسط تحت شعار مكافحة الإقطاع والرجعية والاستعمار وقد تالف الحزب الماركسى اليهودى فى فلسطين سنة ١٩١٩م ومنها تسللت تعاليم كارل ماركس إلى الأقطار العربية المجاورة بوساطة المبشرين اليهود الإشتراكيين وفى غضون سبع سنوات تم تأليف أربعة أحزاب ماركسية الأول فى مصر سنة ١٩٢١م ، والثانى فى سورية سنة ١٩٢٤م ، والثالث فى لبنان سنة ١٩٢٥م ، والرابع فى العراق سنة ١٩٢٧م)[١].

ومن المهم معرفة أن الحزب الإشتراكى العمالى هو الذى يحكم إسرائيل وهو معروف باسم ماباى أنشأته جماعة اليهود الذين ينتمون إلى الحركة الإشتراكية فى أوروبا الشرقية وحزب احدوث هافودا يسارى إشتراكى.

والحزب الذى أسسه المنشقون عن حزب ماباى والمعروف باسم رافى وكان زعيمه بن غوريون والحزب اليسارى (حيروت) ويليه حزب عمال اغودات الدينى ثم حزب مرزاحى وبين قواد هذه الأحزاب وزعماء الأحزاب الإشتراكية الماركسية الحاكمة فى دول المعسكر الشرق رابطة المنبت والجنس والأهداف والمصالح المشتركة[٢].

---

(١) دور الدول الإشتراكية فى تكوين إسرائيل (٢٥-٢٦) .
ولمزيد من معرفة شخصيات اليهود التى عملت فى نشر الفكر الماركسى فى البلاد العربية انظر المسيح الأحمر (٤٣-٤٨) .

(٢) انظر دور الدول الإشتراكية فى تكوين إسرائيل ٥٩٠-٦٠) .

(ولم يتردد (حايم وايزمان) السياسى اليمينى النزعة فى الإشادة فى مؤتمر المجلس التنفيذى الصهيونى لعام ١٩٢٠م بأهمية (ترويج الصهيونية فى عموم الحركة الإشتراكية)[١].

رابعا : الاتفاقيات التى وقعت بين إسرائيل والدول الإشتراكية وفى مقدمتها الاتحاد السوفييتى حيث يعتبر الدولة الأولى التى وقعت معها إسرائيل اتفاقية وكان ذلك فى عهد ستالين .

ثم تلا ذلك الاتفاقيات فى عهد خروتشوف وكانت اتفاقيات تجارية وثقافية وسياحية بالإضافة إلى الاتفاق على العلاقة التجارية التى تنص على استخدام الموانىء الإسرائيلية من قبل السفن السوفيتية ، واستخدام الأولى سفن الثانية لنقل بضائعها للأسواق الآسيوية والأمريكية وبلدان أوروبا الشرقية ، وفى عام ١٩٦٤م وقعت ثلاث اتفاقيات بين روسيا وإسرائيل :

الاتفاق الأول تجارى : وذلك بتوسيع التبادل التجارى بشراء الفوسفات والمنتجات الإسرائيلية كالمنسوجات والكيماويات واستيراد إسرائيل الآلات الكهربائية والموتورات والفرو ثم بيعه بواسطة المؤسسات التجارية اليهودية .

الاتفاق الثانى سياحى : وضع برامج سنوية لتبادل الزيارات بين فنانى وعمال وكتاب البلدين وقد دخل إسرائيل بضعة آلاف من السواح الروس سنة ١٩٦٤م وزار الاتحاد السوفييتى أفواج من الشباب والعمال اليهود[٢].

الاتفاق الثالث : للنقل البحرى حيث تستخدم الموانىء الإسرائيلية من قبل السفن الروسية واستخدام سفن الأخيرة لنقل المنتجات الإسرائيلية ووقعت إسرائيل عدة اتفاقيات مع الدول الشيوعية الأخرى :

---

(١) تكوين الصهيونية (٢٥٨) ومابعدها .

(٢) مع ملاحظة الحظر الذى كانت تفرضه الدولة الشيوعية على شعبها ، وهذا لاغرابة فيه فقد قلنا أن اليهود حصلوا على امتيازات كثيرة بعد الثورة البلشفية مباشرة ومنها الهجرة وسيأتى إيضاح ذلك إن شاء الله تعالى .

فمع يوغسلافيا : أربع اتفاقيات .
ومع تشيكوسلوفاكيا : خمس اتفاقيات .
ومع رومانيا : أربع اتفاقيات .
ومع بلغاريا : ثلاث اتفاقيات .
ومع بولنده : ثلاث اتفاقيات .
ومع المجر : ثلاث اتفاقيات[1].

وقد نفذ ماجاء فى الاتفاق من قضية استخدام السفن فوصلت إلى ليننغراد أول باخرة يهودية ليستعملها الاتحاد السوفييتى لنقل الفحم البريطانى إلى الاتحاد السوفييتى ، واسم الباخرة (عمال) وحمولتها ٢٤ ألف طن وهى تابعة لشركة (عتيد) الإسرائيلية الحكومية . كما إن إسرائيل تستفيد بخدمة السفن فى تجارتها ، والبواخر الإسرائيلية تدخل الموانىء السوفيتية وتخرج منها دون ضجيج حتى لايعلم العرب بذلك ...[2].

الاتفاق التجارى :

جاء فى صحية (لامرحاف) اليهودية اليسارية عدد ١٢ أكتوبر ١٩٦٤م عن المعاهدة التى وقعها السفير السوفياتى فى تل أبيب الرفيق (ميخائيل بودرف) مع جولدا مائير وزير خارجية إسرائيل وتشمل المعاهدة أمران :

(أولهما تسليم الاتحاد السوفييتى كل ممتلكات الكنيسة الأرثوذكسية الروسية فى القدس والناصرة وحيفا وأماكن فلسطينية أخرى لحكومة إسرائيل .

وتقدر كل هذه الممتلكات بحوالى ٤,٥ مليون دولار ، وهو مبلغ تافه بالقياس إلى أهمية هذه الممتلكات التاريخية وبعضها يقع فى أهم مناطق القدس مما لو بيعت تجاريا لجلبت أضعاف ذلك المبلغ كما تقول هذه

---

(١) انظر دور الدول الإشتراكية فى تكوين إسرائيل (٥٤-٥٥) .
(٢) انظر موسكو وإسرائيل (٤٣٠) .

الجريدة اليهودية وسوف لن تدفع إسرائيل هذا المبلغ نقدا وإنما فى شكل صادرات يهودية للاتحاد السوفييتى ، وألقى السفير السوفياتى بهذه المناسبة خطابا رسميا قال فيه : إن هذه الاتفاقية تعد بمثابة اعتراف راسخ من جانب الحكومة السوفياتية بأن إسرائيل كيان سياسى مستقل كل الاستقلال ، وله كل الحق فى وراثة أى ممتلكات أو نفوذ تقليدى لأى طرف أجنبى كان له فى الماضى بعض المزايا فيما يعرف بالأراضى المقدسة ...)[١].

كما قام الاتحاد السوفييتى بتشجيع الصناعة الإسرائيلية وشراء منتجاتها.

فجريدة (لامرحاف) فى عدد ١١ أغسطس ١٩٦٠م تعلمنا بما يلى :

(منحت الحكومة السوفياتية شركة (مسوليل بونيه) الإسرائيلية عقدا سخيا لتقوم هذه الشركة بموجبه ببناء دار ضخمة للسفارة السوفياتية فى (لاجوس) عاصمة نيجيريا ، وتبلغ تكاليف البناء مايزيد على ٨٠٠ ألف دولار سيدفعها السوفيات بالعملة الصعبة) .

وذكر راديو إسرائيل فى إذاعته يوم ١٠ أكتوبر ١٩٦٥م بأن الحكومة السوفياتية قد عقدت اتفاقية تجارية خاصة باستيراد المنسوجات الإسرائيلية والأدوية الطبية المصنوعة فى إسرائيل بمبلغ يزيد على مليون ونصف المليون دولار وسيكون الدفع بالعملة الصعبة أيضا ...)[٢].

وجاء فى عدد ١٠ نوفمبر ١٩٦٤م من جريدة (لامرحاف) (بأنه أصبح من الضرورى الآن أن نشير إلى تزايد التبادل التجارى بين إسرائيل والاتحاد السوفياتى والدول الإشتراكية فى أوروبا الشرقية للدلالة على أن ازدياد النفوذ السوفياتى ورواج الماركسية فى البلاد العربية يفيد إسرائيل أكثر من أى لون آخر من السياسات)[٣].

---

(١) موسكو وإسرائيل (٤٢٦-٤٢٧) .
(٢) المرجع السابق (٤٣٦) .
(٣) المرجع السابق (٤٣١-٤٣٢) .

(وفى ١٥ أكتوبر ١٩٦٥م ذكرت مجلة (جويش كرونيكل) بأن المكتب التجارى فى سفارة السوفيات فى تل أبيب قد بدأ المفاوضات مع السلطات الإسرائيلية لشراء منتجات إسرائيلية صناعية تبلغ أثمانها مليون و٧١ ألف دولار ...)[١].

أما السياحة : فمن المعلوم أن الاتحاد السوفييتى يمنع على رعاياه الخروج من أراضيه ، غير أن اليهود مسموح لهم بذلك وهو أحد الامتيازات التى أعطوها .

فقد جاء فى جريدة(لامرحاف) اليسارية (بأن دفعة جديدة من السياح السوفيات قد وصلت ميناء حيفا وعلى ظهرها ١٢٠٠ شخصا وهذه أول دفعة سياحية سيعقبها دفعات أخرى تزداد شهرا بعد شهر ، فإسرائيل هى من البلدان القلائل التى يأمن الاتحاد السوفييتى على مواطنيه زيارتها والتجول فيها لأن التجربة الإشتراكية فى إسرائيل أمر يستفيد السائح السوفياتى فى الاطلاع عليه وخصوصا فى المزارع الجماعية (كيديويم) وفى منظمات الشباب ونقابات العمال اليهودية (هستدروك) وصرح المندوب السوفياتى السياحى الحكومى الذى يرافق هذا الفوج من السياح السوفيات بأن البرنامج السوفياتى السياحى لمواطنيه يعتبر إسرائيل فى رأس البلدان التى يجب الاطلاع عليها . وأن التجربة الإشتراكية الإسرائيلية ليست أمثولة للبلدان العربية فحسب بل أيضا لدول إشتراكية أخرى أحدث عهدا بالتطبيق الإشتراكى من إسرائيل حسب التطبيق الإشتراكى عريق ودقيق . وقال هذا المتحدث السوفييتى بأن اللغة الروسية واسعة الانتشار والتداول فى إسرائيل مما يسهل على الزوار السوفيات التخاطب مع الشعب الإسرائيلى وكانت أوائل الهجرة اليهودية إلى فلسطين غالبها من العناصر السلافية السوفياتية وهذا أمر نعتز به ونحرص على تعزيزه فى كل النواحى . وقال هذا المتحدث

---

(١) موسكو وإسرائيل (٤٣٦) .

أيضا بأن عدد الزوار اليهود من إسرائيل للاتحاد السوفياتى يفوق عدد الزوار العرب عدة أضعاف ... فالعلاقات بين السوفيات وإسرائيل أقوى وأوسع بكثير مما يحسبه الجهلاء وخصوم الأمتين ...)[١].

وكان السياح السوفييت يقابلون بحفاوة بالغة فى إسرائيل .

كما أن فى إسرائيل والاتحاد السوفياتى بضعة عشر مكتبا وهيئة ومنظمة رسمية وشبه رسمية متفرغة كليا لتعزيز الصلات السوفياتية - الإسرائيلية .

كما أن إسرائيل حكومة وشعبا تعلم بأن زيادة النفوذ السوفييتى فى الوسط العربى واعتماد العرب على السوفييت سياسيا وإقتصاديا وعسكريا هو فى المرحلة النهائية ، وفى المرحلة الراهنة يعزز سلامة إسرائيل تعزيزا أكيدا متواصلا[٢].

وقالت جريدة (دافار) تعليقا على هذه الاتفاقيات الجديدة بين موسكو وتل أبيب (عدد ٦ أكتوبر ١٩٦٤م) مايلى :

(إن استعداد الاتحاد السوفياتى لقبول المدفوعات الإسرائيلية فى شكل بضائع ومنتجات إسرائيلية هو فى حد ذاته دلالة عمدية على عودة السوفيات إلى سابق الجهر بمودتهم لإسرائيل . هذه المودة التى بلغت ذروتها يوم احتضنت موسكو القضية الصهيونية فى الأمم المتحدة أكثر من حضانة الأمريكان فى ساعات الحرج الصهيونى يوم ارتدت الولايات المتحدة عن فكرة التقسيم وقالت بإيقاف تنفيذه فى مشروع الوصاية . بينما ظل الاتحاد السوفييتى يناضل حثيثا من أجل صيانة مكاسب حرب التحرير الوطنى اليهودية ضد العدوان العربى ... ولئن اعترى العلاقات السوفياتية - الإسرائيلية لون من الصمت بعد حرب سيناء عام ١٩٥٦م واتجه الروس إلى

---

(١) موسكو وإسرائيل (٤٣٢-٤٣٣) .

(٢) كتبت ذلك جريدة (كول هاعام) فى عدد ١٨ أغسطس ١٩٦٥م وذلك قبل زيارة عبد الناصر لموسكو تذكر الإسرائيليين بأن لهم نصيب الأسد من الاتحاد السوفييتى. انظر موسكو وإسرائيل (٤٣٣-٤٣٤) .

تثبيت نفوذهم فى المنطقة العربية وفى قلبها بالذات فى مصر فإن عودة السوفيات إلى التعاون المستمر مع إسرائيل اليوم لدليل على أن موسكو قد وضعت أركان النفوذ فى المنطقة العربية بحيث أصبحت لاتخشى كثيرا عودة السياسة السوفياتية إلى العمل العلنى مع حكومة إسرائيل) .

(ولقد أحسنت موسكو فى أنها قد استبدلت سفيرها فى إسرائيل بسفير جديد بلغ النشاط عنده حدا جميلا لتعريز العلاقات السوفياتية ـ الإسرائيلية مع هذا السفير هو الرفيق (ميخائيل بودرف) صاحب الفضل فى الاتفاقية الجديدة)(١).

وقد كانت هذه الاتفاقيات فى تفاصيلها سرية بناء على رغبة الاتحاد السوفييتى وهذا يدل على أنه كان يرغب فى كسب ود العرب وبالفعل استطاع الوصول إلى ذلك .

فقد (نشرت جريدة (جروزاليم بوست) فى نفس الوقت تعليقا أدلت به (جولدا مائير) بشأن هذه الاتفاقية فقالت :

(الواقع أننا عقدنا ثلاث اتفاقيات مع الاتحاد السوفييتى خلال بضعة الأيام الماضية . وأنا لاأحب أن أدخل فى التفاصيل حرصا على رغبة الاتحاد السوفييتى فى أن لانذيع التفاصيل ... ولكنى أحب أن أؤكد للشعب الإسرائيلى بأن إسرائيل فى أمن وسلام على الأقل من جانب السياسة السوفياتية فى المنطقة العربية)(٢).

وقالت جريدة (الهامشمار) لسان حزب الماباى الإشتراكى أكبر وأهم الأحزاب السياسية فى إسرائيل (عدد ٧ أكتوبر ١٩٦٤م) مايلى :

(هذه الاتفاقيات الجديدة مع الاتحاد السوفييتى تتجاوز المألوف فى العلاقات التجارية ولها معان بليغة ...)(٣).

---

(١) موسكو وإسرائيل (٤٢٧-٤٢٨) .
(٢) المرجع السابق (٤٢٧) .
(٣) المرجع السابق (٤٢٨) .

وقـالت جريدة (أومير) لسـان حال نقـابات العمـال الإسـرائيلية (الهستدروت) فى عدد ٨ أكتوبر ١٩٦٤م مايلى :

(سـواء اطلع العرب أم لم يطلعوا على هذا التعاون الـوثيق بين الاتحاد السـوفياتى وإسرائيل ، فإن الحقيقة التى تؤكدها هذه الاتفـاقيات الجديدة هى أن حكـومة السـوفيات ترفض رفضـا كليـا أن تنساق مـع الموقـف العربى فى المقاطعة الإقتصادية لإسرائيل ...)[١].

خامسا : المسـاعدات النفطية والقروض المالية التى كـانت تحصل عليها إسـرائيل مـن قبل الدول الشيـوعية وإن كانت الأقوال متضـاربة فى كيفيـة حصـول إسـرائيل على النفط . فهنـاك قول يرى : أن إيران تمون إسـرائيل بالنفط .

والقـول الثـانى : أنها تحصـل على النفط من أمارات الخليـج العـربى .

والثـالث : أن الشركات الأمـريكية والبريطانية وحدهـا هى التى تمول إسرائيل بالبترول .

يقـول د. الشـرقاوى : (إن إسـرائيل بعـد أن انقطـع عنهـا ـ فى سنـة ١٩٤٨م ـ البترول العـراقى الـذى كـان يمر فى أنابيب تمتـد مـن الكركوك إلى حيفـا استعـانت ببترول رومـانيا الغنيـة بحقول النفـط ، وهـى تعتبر صديقة لإسـرائيل التى تربطهـا بها علاقـات قـوية ، واتفاقات إقتصـادية ، وتجارية ، وثقـافية ، وفنية ، وبموافقـة موسكو استمرت رومانيا فى المرحلـة الأولى تمون صديقتها بالبترول .

وفى عـام ١٩٥٥م منح الاتحاد السوفييتى إسرائيل قـرضا قدره ٥٠ مليون دولار لشراء ماتحتاجه من البترول الروسى ومشتقاته ، وكـان أول قرض من نوعه تمنحه موسكو لدولة أجنبية دولة الصهاينة .

وفى عـام ١٩٦١م حصلـت إسـرائيل على صفقات ضخمـة مـن البترول للتخـزين بواسطة شركة إينى الإيطـالية المؤسسة الوحيـدة فى أوروبا الغـربية

---

(١) موسكو وإسرائيل (٤٢٩) .

التى تستورد البترول السوفييتى وتبيعه فى إيطاليا وبعض الأقطار الإفريقية)[١].

ويظهر لنا جليا أن إسرائيل إنما تمون بالنفط عن طريق الاتحاد السوفييتى أو إحدى الدول الإشتراكية ، ويتم ذلك إما بطريق مباشر أو غير مباشر مما يدل على أن إقتصاد إسرائيل مدعوم من قبل الدول الشيوعية التى كان لليهود الدور الأكبر فى إنشائها على أرض روسيا القيصرية فأخذوا يستثمرون ذلك الجهد الذى بذلوه فى السابق .

سادسا : مواقف الاتحاد السوفييتى فى الهيئات الدولية من إسرائيل ، ودفاعه عنها بكل قوة ، وتبنيه القرارات لصالحها ، مما يدل على رعاية الدولة الشيوعية للمصالح الإسرائيلية وذلك منذ صدور وعد بلفور[٢]الذى يقضى بإعطاء فلسطين وطن قومى لليهود .

ولو تتبعنا مواقف مندوب الاتحاد السوفييتى فى الأمم المتحدة الدالة على دفاعه عن إسرائيل ومطالبته بما فيه مصلحتها لطال بنا المقام ولكن نأخذ بعض المواقف والأقوال الدالة على تبنى الاتحاد السوفييتى الدفاع عن دولة إسرائيل فى الاجتماعات التى عقدت بين ردهات الأمم المتحدة (تلك المنظمة اليهودية) ، ومما دفعنا لذلك أيضا أن كثيرا من المسلمين يجهلون حقيقة مواقف الاتحاد السوفييتى تجاه القضايا الإسلامية عامة ، وقضية فلسطين خاصة.

يقول د. الشرقاوى : (هنالك ٩٩ بالمئة من الشعوب العربية تجهل حقيقة موقف الاتحاد السوفييتى وكتلته الشيوعية من قضية فلسطين فى هيئة

---

(١) دور الدول الإشتراكية فى تكوين إسرائيل (٦٦) .
ورجع الدكتور لتقرير مكتب الدراسات الإقتصادية روما (١٩٤٩) ، وتقرير المؤسسة العامة للتجارة الخارجية بروكسل (١٩٥٥) ، وتقرير مكتب البحوث الإقتصادية باريس (١٩٦٣) .

(٢) وزير خارجية بريطانيا حينذاك .

الأمم المتحدة ووراء كواليس الهيئة الدولية وخارجها البعيد عن أنظار ساسة العرب . وبكل صراحة أقول وأؤكد ماأقوله إعتمادا على ملفات هيئة الأمم المتحدة وسجلاتها . إن موقف موسكو منذ أن عرضت قضية فلسطين على المنظمة الدولية فى عام ١٩٤٧م حتى قيام إسرائيل وبعد قيامها كان لصالح اليهود)[١].

وإذا كنا نعلم بأن فلسطين كانت واقعة تحت الانتداب البريطانى ، وأن العرب طالبوا بانهائه وإعلان الاستقلال ، فإن الاتحاد السوفييتى ممثلا فى مندوبه لدى الأمم المتحدة لم يرض عن هذا الطلب[٢]. وقال : (هنالك شعب يهودى فى فلسطين يجب مراعاة شعوره وإسماع صوته فى هيئة الأمم التى لايستطيع أحد أن يرغمها على اتخاذ قرار يؤيد مطلب العرب المتمثل بإعلان استقلال الشعب الفلسطينى)[٣].

وتوالت الأقوال والتصريحات من مندوبى الدول الإشتراكية فى الدفاع عن الحقوق اليهودية المزعومة فى فلسطين ، فقال التشيكى سلوفاكى جان بابانك : (إن مطالب الشعب اليهودى هى حق وعدل واليهود ابتدأوا بتعمير فلسطين قبل الانتداب البريطانى عليها بزمن طويل وحقهم فى فلسطين تاريخى وشرعى)[٤].

---

(١) دور الدول الإشتراكية فى تكوين إسرائيل (٤٢-٤٣) .

(٢) وكذلك المندوب البولندى وذكر أن هذا الطلب يتجاهل الحاجة الملحة لمعرفة رأى من هم أبرز وأهم طرف فى المسألة الفلسطينية وهم اليهود .
انظر إنهيار الشيوعية أمام الإسلام (٢٠٥) .

(٣) دور الدول الإشتراكية فى تكوين إسرائيل (٤٤) ، وانظر : اليهود فى المعسكر الشرقى (٤٨) ، إنهيار الشيوعية أمام الإسلام (٢٠٥) ، تجربة عربى فى الحزب الشيوعى (١٤٢) ، موسكو وإسرائيل (٦١-٦٢) ، وأضاف قول مندوب تشيكوسلوفاكيا وجاء فيه (إن الدول العربية تسألنا أن نجد للمشكلة حلولا نحن على استعداد لأن نسمع منهم ولكنا لسنا على استعداد للموافقة على مايشاؤون) .

(٤) دور الدول الإشتراكية فى تكوين إسرائيل (٤٦) ، وانظر موسكو وإسرائيل (٧٨).

وقال : (لقد استمعت إلى أقوال المندوبين العرب الذين يطالبون بالحق العربى لإعلان دولة مستقلة فى فلسطين ، فصلة اليهود بفلسطين أقدم من عهد الانتداب البريطانى فقد باشرت الحركة الصهيونية فى تعمير فلسطين منذ عام ١٩٠٨م وتنميتها تنمية حديثة فقد أنشأت الحركة الصهيونية فى ذلك العام "مكتب فلسطين" الذى أصبح فيما بعد يعرف باسم "الوكالة اليهودية" ولذلك فللشعب اليهودى حق فى المسألة الفلسطينية)[١].

وقال مندوب بولندا : (إن قصدنا الوحيد هو التعبير عن أعمق مشارعنا نحو مآسى اليهود . فاليهود فى حاجة إلى كل ألوان العطف والعون ... وعلينا أن نستذكر بأنه ليس هناك خلاف بين العرب واليهود وكل مافى الأمر أن السلام والتعايش السلمى سيجعل من الطرفين أخوة حين يزول الاستعمار والرجعية العربية)[٢].

وقال المندوب البولندى : (إن تقرير قضية فلسطين لايمكن أن يبحث بدون منح الوكالة اليهودية حق المشاركة فى أعمال الجمعية العمومية والحكومة البولندية تحيط مصالح الشعب اليهودى ومصيره العناية ...)[٣].

ويؤكد ذلك غروميكو زاعما حق الشعب اليهودى فى أرض فلسطين وتاريخهم وحضارتهم فيها فيقول : (إن الشعب اليهودى خلق ليعيش أسوة بالشعوب التى تكافح لتعيش حرة ، لقد أصاب اليهود نكبات وتشريد واضطهاد وعلى هيئة الأمم أن تحقق لهم رغباتهم المتمثلة فى الاعتراف بحقوقهم فى فلسطين التى لهم فيها حضارة تاريخية عميقة الجذور وعلى لجنة التحقيق الدولية أن تأخذ بعين الاعتبار الحق المكتسب والحق التاريخى للشعب اليهودى فى فلسطين)[٤].

---

(١) موسكو وإسرائيل (٧٦) .
(٢) المرجع السابق (٧٨) . وانظر (٧٩) قول لمندوب تشيكوسلوفاكيا .
(٣) المرجع السابق (١٢٩) .
(٤) دور الدول الإشتراكية فى تكوين إسرائيل (٤٦) .

وقال المندوب السوفييتى "سيمون تسارابكين" فى جلسة ٣ أكتوبر ١٩٤٧م فى الأمم المتحدة : (إن الاتحاد السوفييتى يدعو ويؤيد ويعمل من أجل إقامة الدولة اليهودية وضمانتها . وفى فترة الانتقال فإن الاتحاد السوفييتى يلح على الأمم المتحدة بأن تتحمل مسؤولية ضمان الدولة الجديدة والاتحاد السوفييتى سيساعد على ذلك بكل الوسائل)[١].

إلى غير ذلك من الأقوال والمواقف التى صدرت من مندوبى الاتحاد السوفييتى والدول الإشتراكية التى لم تخل من الإلحاح على تأييد إسرائيل فى إقامة دولة لها فى أرض فلسطين ونادوا بأحقية اليهود بهذه الأرض وعارضوا كل الأقوال التى طرحت وكان فيها جزء لايكاد يذكر من الحفاظ على أبسط حقوق الشعب الفلسطينى فى أرض الإسراء[٢].

واحتلت القضية الفلسطينية القسط الأكبر من أعمال هيئة الأمم المتحدة طوال عامين من ١٩٤٧-١٩٤٩م ، وكان الاتحاد السوفييتى والدول الإشتراكية حينها الأبرز نشاطا ودعما وتأييدا لإسرائيل . ومن الخطوات التى قدمها الاتحاد السوفييتى من أجل تثبيت إسرائيل طرح فكرة التقسيم من قبل غروميكو وهو أول مندوب لدى هيئة الأمم المتحدة تكلم عن التقسيم من على منبرها[٣].

و(عندما جرى التصويت على قرار تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧م كان من بين الدول التى أيدت المشروع روسيا وأوكرانيا وروسيا البيضاء وهى من جمهوريات الاتحاد السوفييتى التى لها ممثلون فى الأمم المتحدة ، كما أيد المشروع دول الكتلة الشرقية الممثلة فى الأمم المتحدة فى ذلك الحين وهى

---

(١) ملخص محاضر جلسات اللجنة السياسية (٦٩-٧٠) نقلا من كتاب إنهيار الشيوعية أمام الإسلام (٢٠٩) .

(٢) انظر مزيدا من هذه الأقوال كتاب موسكو وإسرائيل على سبيل المثال (٧٦،٧٧، ١٢٦،١٢٨،١٣٠،١٣٢،١٣٤-١٣٥،١٦٢،١٦٤) .

(٣) انظر : اليهود فى المعسكر الشرق (٤٩) ، حقيقة المواقف الشيوعية من القضية الفلسطينية (٣٨) .

بولنـــدا وتشيكـوسلوفاكيا ، ولم يتــوقف تأييـد الاتحاد الســوفييتي للعـدوان الصهيـوني على الدول العربيـة عند حد التصويت بل تجاوزه إلى مـاهو أهـم فكان أساس نجاح قيام إسرائيل ...)[١].

قرار تقسيم فلسطين :

إن هـذا القرار يحمل مفارقـات غريبة : منها الدعـوة إلى الإقـرار ولو بجزء مـن أرض فلسطين لليهود رسميـا ، ومنها رفض الـولايات المتحدة لقرار التقسيم (الحاضنـة الأولى لإسـرائيل) . فلأول مـرة جهـر المنـدوب الأمريكي المستر أوستن بأن قـرار التقسيم خاطـىء ، وألقى خطابين مطـولين عبر فيهمـا عن رأى الحكومة الأمريكيـة وطالب بوضع فلسطين تحت الـوصاية الدولية ، شريطة الإبقاء على وحدة البلد الفلسطيني[٢].

وهل كان هذا الموقف من الولايات المتحدة سيرضى الاتحاد السوفييتي؟ الإجابة عنـد غروميكو حيث قال : (لقد تدخل مندوب الـولايات المتحدة فى أول لحظـة عقدها مجلس الأمـن (للنظر فى الطوارىء العـربية) فـاقترح إعادة النظـر فى الجمعية العامة الـداعى إلى التقسيم ، واقترح العـدول عنـه وإيجاد حلول أخرى ، إنى أؤكد وألح على أنه ليس من حق مجلس الأمن أن يبدل من قرار الجمعية العامة ، فقرار التقسيم يجب أن يظل ، ولايمكن استبداله أو إهماله أو العدول عنه)[٣].

وقـال : (إننـا نلقـى تبعيـــة المسئولية كلهـا على الـــولايات المتحـدة الأمريكية فى أى عرقلة لمشروع التقسيم .

إن الـولايات المتحـدة الأمـريكية قـد غيرت مـوقفهـا بدافـع المصالح البترولية وبسبب الأهمية الإستراتيجية التى للشرق الأوسـط . إن على أعضاء

---

(١) النـار والجليـد (٢٩٧) ، وانظر حقيقـة المواقـف الشيوعية من القضيـة الفلسطينيـة (٣٨) ومابعدها .

(٢) انظر دور الدول الإشتراكية فى تكوين إسرائيل (٥٠) .

(٣) مـوسكو وإسـرائيل (١٥٢) ، وانظـر : تجربة عـربى فى الحزب الشيــوعى (١٤٦) ، السوفييت وقضية فلسطين (١٢-١٣) .

مجلس الأمن جميعهم أن يدركوا بأن هذا التطور الجديد الذى تقوم به الولايات المتحدة فى مصلحة العرب مرجعه البترول والإستراتيجية)[١].

وقال : (إن رجوع حكومة الولايات المتحدة عن موقفها المؤيد لقرار التقسيم قد خلق وضعا جديدا للقضية الفلسطينية مما يستوجب على الوفد السوفييتى استنكاره أشد الاستنكار فموقف السوفييت نحو التقسيم هو موقف المؤيد المناصر له والعازم على تنفيذه ، إن الولايات المتحدة فى موقفها الجديد لاتكتفى بمعارضة مشروع التقسيم فحسب بل تريد الإبقاء على وحدة فلسطين ، وترفض إرغام المعارضين (العرب) على قبول أى حل آخر . إن أمريكا بموقفها هذا إنما تعارض إرادة الأمم المتحدة التى أقرت التقسيم وأقرت معونة اليهود على خلق وطن قومى لهم فى ديارهم بفلسطين . إن المندوب الأمريكى يصر على أن مشروع التقسيم غير منصف للعرب وغير قابل للتنفيذ هذا المنطق الأمريكى هراء طبخوه قبل أسبوعين أو ثلاثة لترضية العرب . إن الموقف الأمريكى الجديد مخالف للحقائق ومخالف للإنصاف ، ومن المنصف أن تؤيده دول أخرى فى هذا المجلس . إن الذين يدعون بأن مشروع التقسيم غير قابل للتنفيذ مخطئون ، ففى استطاعتنا تنفيذه والتغلب على معارضيه (العرب) إننا سنلجأ إلى مختلف الوسائل فى سبيل تلك الغاية ، والرأى العام العالمى سيجد نفسه مؤيدا لوجهة نظرنا وحرصنا على معونة الشعب اليهودى . إننا سنكافح الوصاية الدولية على فلسطين إذا كان القصد منها عرقلة تقسيم فلسطين وترك العصابات العربية العسكرية تفسد حق الشعب اليهودى فى وطنه واستقلاله)[٢]. وكان هذا حال الدول الإشتراكية أيضا فى موقفها من قرار التقسيم وتأييدها له[٣].

---

(١) تجربة عربى فى الحزب الشيوعى (١٤٦) ، موسكو وإسرائيل (١٥٢-١٥٣) ، دور الدول الإشتراكية فى تكوين إسرائيل (٥٠) .

(٢) تجربة عربى فى الحزب الشيوعى (١٤٦-١٤٧) ، موسكو وإسرائيل (١٦١-١٦٢) .

(٣) انظر : دور الدول الإشتراكية فى تكوين إسرائيل (٤٧) ، موسكو وإسرائيل (١٢٩) .

وقد أفاض غروميكو كثيرا فى الدفاع عن حقوق اليهود فى فلسطين ورفضه التأخر فى إعطاء اليهود أرضا لهم ، ورفض الاتحاد السوفييتى كثيرا من الحلول التى وضعت لإزالة الإشكال القائم فى منطقة الشرق الأوسط وإن كانت فى الأصل تصب فى معين واحد ، العداء للمسلمين ، ونشر الأفكار الإلحادية الإباحية ، وخدمة الأهداف اليهودية ، وقد تراعى أحيانا ردود الأفعال العربية والإسلامية فتخفف من حدتها . وطالب غروميكو بحق المشاركة لليهود فى فلسطين فقال : (إن قضية فلسطين بحد ذاتها فى طابعها التاريخى تحتم منح اليهود حق المشاركة فى معالجة هذه القضية التى تعتبر قضية الشعب اليهودى)[1].

كما اعترف غروميكو بأهمية هذه القضية لليهود والاتحاد السوفييتى على حد سواء فقال : (إن قضية فلسطين تهم اليهود ... ولاتهمهم فحسب بل تزعجهم وتزعجنا نحن السوفييت أيضا كلما علت شوشرة العرب)[2].

وقال فى خطاب آخر بتاريخ ١٩٤٧/٥/١٤م : (نحن هنا نسأل الأمم المتحدة باسم الشعب اليهودى المشرد بأن تراعى آماله ، فتقر له وطنا وحقوقا ، وأنه لمن المنكر أن تمنع عن الأمة اليهودية الحق)[3].

فكان الاتحاد السوفييتى ينظر على أن حق اليهود فى فلسطين أمر لايمكن التراجع فيه .

ومن المفارقات التى حدثت بشأن قضية فلسطين موقف بريطانيا حيث قال مندوب بريطانيا لدى الأمم المتحدة الكسندر كادوغان : (إن الحل السليم هو الذى ترضاه الفئتان العرب واليهود لافئة واحدة وعلى هيئة الأمم أن تجد الحل المقبول وتؤكد الحكومة البريطانية بأنها لن تستخدم قواتها العسكرية لمساعدة هيئة الأمم فى عملية قرار التقسيم) .

---

(١) دور الدول الإشتراكية فى تكوين إسرائيل (٤٤) .

(٢) موسكو وإسرائيل (٧٩) ، إنهيار الشيوعية أمام الإسلام (٢٠٧) .

(٣) نقلا من كتاب اليهود فى المعسكر الشرق (٦٠) ، وانظر السوفييت وقضية فلسطين (١١-١٢) .

وهنا يهاجمه المندوب السوفييتي ويؤكد ماقلناه سابقا من أن الشيوعية ماوجدت إلا لتحقيق أطماع اليهود في إيجاد الوطن القومي لهم بأرض فلسطين . فقال مندوب السوفيتت (سيمون تسارابكين) : (إن موقف بريطانيا يعقد الأمور ويعيق تنفيذ قرار هيئة الأمم ، وإذا كانت بريطانيا عاجزة عن المساعدة فنحن غير عاجزين عن تنفيذ قرار التقسيم ومستعدون لتنفيذه)[١].

وهكذا نافح الاتحاد السوفييتي عن اليهود بداية بالامتيازات التي منحتها الثورة البلشفية لهم ، ثم التنازلات لهم بالهجرة إلى فلسطين ، إلى تبنى الدفاع عن قيامها واستحقاقها لأرض فلسطين ، إلى أن أصبحت إسرائيل دولة يرعاها الاتحاد السوفييتي واليهود عامة .

سابعا : إن المؤتمرات التي عقدت من قبل الأحزاب الشيوعية لم يوجد فيها مايدل على شجب أفعال اليهود أو تصرفاتهم ضد المسلمين العرب ، أو المطالبة بالحفاظ على حقوق الشعب الفلسطيني[٢]. بل إن السوفييت عملوا على إيجاد الدولة اليهودية ، وسعوا في تحقيق ماتريد . يقول غروميكو : (إن الاتحاد السوفييتي قد ثبت منذ البدء في الإصرار على خلق الدولة اليهودية وتأييدها والاعتراف الكامل بها وحمل الأمم المتحدة على تنفيذ ذلك وجعل الدولة اليهودية حقيقة ثابتة ...)[٣]. ولم تكن الدولة الشيوعية الأم هي الوحيدة التي عملت لمصلحة إسرائيل ، بل إن الدول الإشتراكية سواء منها العربية أو الأجنبية كانت تحذو حذو موسكو في موقفها من إسرائيل دعما وتأييدا[٤].

---

(١) دور الدول الإشتراكية في تكوين إسرائيل (٤٨) ، موسكو وإسرائيل (١٣١) . ولمزيد عن هذه الأحداث والمواقف داخل الأمم المتحدة وكثير من القرارات التي اتخذت بشأن فلسطين انظر كتاب موسكو وإسرائيل على سبيل المثال (٩٥-٩٧،١٠٥، ١١١-١١٢،١١٤-١١٦) .

(٢) انظر إسرائيل إلى أين (٧٣) .

(٣) موسكو وإسرائيل (٢٢٤) .

(٤) انظر : الإشتراكية في التجارب العربية (١٦٥-١٦٦) ، طائفة من المفكرين ، الطبعة الأولى ١٩٦٥م ، دار الكتاب الجديد ، حقيقة المواقف الشيوعية من القضية الفلسطينية (١٠) ، الكيد الأحمر (١٤١) .

ومما يدل على إقرار السوفييت للوجود الإسرائيلى وأحقيته ، وموقف السوفييت من طلب اليهود حق العضوية فى الأمم المتحدة ، واعتبر السوفييت أن وجود إسرائيل عنصر خير وسلام وأمثولة للجماهير العربية التى تطمح فى التخلص من الاستعمار والرجعية . ورغم محاولات بعض الوفود العربية تأجيل قبول إسرائيل فى الأمم المتحدة إلا أنها ذهبت أدراج الرياح ، وأصبحت إسرائيل عضوا فى الأمم المتحدة فى يوم ٣ مارس ١٩٤٩م[1]. ولولا موقف اليهود وقوتهم لما تم قبولها ، وكان للاتحاد السوفييتى دور كبير فى ذلك .

وقد تنبه بعض العرب لتلك المواقف منه[2]، ولكن ذلك لم يقدم للقضية أى شىء جديد .

ثامنا : اعتراف إسرائيل بالأنظمة الإشتراكية وتأييدها لها ، وامتداح الاتحاد السوفييتى وأنظمته ، وربما يظهر ذلك أو بعضه فى الآتى :

(أ) لم تدخل إسرائيل فى أى حلف عسكرى أو سياسى غربى يعادى دول الكتلة الشرقية بزعامة موسكو .

(ب) اعتراف إسرائيل بالنظام الشيوعى فى الصين رغم معارضة أمريكا ولكن تلك رغبة الاتحاد السوفييتى .

(ج) اعتراف إسرائيل بالتخطيط لحدود بولنده الذى يفقد ألمانيا المقاطعات الشرقية وتصبح بولندية .

---

(١) انظر : إنهيار الشيوعية أمام الإسلام (٢١٨) ، دور الدول الإشتراكية فى تكوين إسرائيل (٤٣) .

(٢) انظر الكيد الأحمر (١٤١-١٤٢) وذكر قول المندوب السورى فارس الخورى وفيه : (إن موقف الاتحاد السوفييتى من تطور القضية الفلسطينية شىء مخيف ، فموسكو لاتريد العدل والإنصاف ولاالسلام ولامبادىء الأمم المتحدة ، إن كل ماتريده هو زرع استعمار جديد فى القلب من العالم العربى ، فإذا كان هذا هو حال السياسة السوفيتية هنا فلالوم علينا ولاتثريب إذا نحن كفرنا بكل شىء بالغرب والشرق معا) .

(د) تؤيد إسرائيل سياسة موسكو بشأن قضية برلين ومعارضة فكرة وحدة الشعب الألماني[١].

(هـ) اشتراك الأحزاب اليسارية والنقابات العمالية الإسرائيلية فى كل المؤتمرات التى تعقد فى موسكو وبراغ وصوفيا وبلغراد وبودابست ووارسو تحت شعار التعايش السلمى ومكافحة الاستعمار والرجعية[٢].

تاسعا : أن الزعما الإسرائيليين فى الأعم الأغلب تعود أصولهم إلى الدول الإشتراكية إما من الاتحاد السوفييتى ، أو دول أوروبا الشرقية ، مما جعلهم على علاقة وطيدة بتلك الدول وتربطهم بها روابط غير رابطة المصلحة . يقول كيربيشنكو : (إن جميع الإسرائيليين من الجيل الأقدم وصلوا إلى فلسطين ولديهم معرفة جيدة عن روسيا جاءوا إلى فلسطين لإقامة دولة إشتراكية كدولتنا ...)[٣].

ويقول إسحاق دوشتير : (لقد ولدت إسرائيل بدعم رئيسى من يهود أوروبا الشرقية وخصوصا روسيا وبولندا وليتوانيا ومن أوساط هؤلاء تحدر جميع قادة الصهيونية وخطبائها وسياسييها وأقطابها ، وعندما ظهرت دولة

---

(١) سيأتى الحديث معنا عن قضية برلين تفصيلا فى فصل الحرب الباردة إن شاء الله تعالى .

(٢) انظر دور الدول الإشتراكية فى تكوين إسرائيل (٦٦-٦٧) .

(٣) النار والجليد (٢٧٤) .

وعن أصول بعض الزعماء الإسرائيليين نجد (أن تيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية ولد فى بودابست ، وناحوم غولدمان الأديب اليهودى العالمى ولد فى روسيا . وديفيد بن غوريون أول رئيس وزراء لإسرائيل ولد فى بلدة بنسك على الحدود البولندية الروسية . وأما غولدا مائير رئيسة الوزراء الإسرائيلية السابقة وموشى شاريت فقد ولدا فى روسيا . وشمعون بيريز بولندى ويقال روسى . وكذا مناحم بيغن رئيس الوزراء السابق ولد فى مدينة برست ليتوفسك البولونية).

إنهيار الشيوعية أمام الإسلام (١٣٤) .

ومن هنا فلانستغرب الدعم الكبير الذى تتلقاه إسرائيل من الدول الإشتراكية الشرقية .

إسـرائيل على مسرح الوجود الـدولى فى عام ١٩٤٧م كانت العلاقـة بإسرائيل وطيدة ، ويدل على هذا وضع العلماء تحت تصرف إسرائيل ...)[١].

ومـن هنـا فلاغرابة أن تستخـدم اللغـة الروسية فى اجتمـاعات مجلـس الوزراء الإسرائيلى[٢]، كما أنه لاغرابة أن يكون قادة الدول الإشتراكيـة على مصـالحة دائمة مـع إسـرائيل[٣]. إن كـون هـؤلاء الـزعماء يأتون على قيـادة إسـرائيل لايمكن أن يكون كله مصادفة ، وإن حصل لبعضهـم فلايمكن قبوله فى مجمـوعهم ، ممـا يدل على العلاقـة الـوثيقة بين قيـام الثـورة البلشفيـة والصهيونية .

عاشرا : أن الأمـوال اليهـودية التى غـذت الثـورة البلشفيـة وقـامت بدعمها ، هى الأموال التى عملت على توطيد اليهود والصهاينة فى فلسطين ، فأسرة روتشيلد التى دعمت الثـورة البلشفيـة قامت بدعـم إسـرائيل ، فقصـر برلمان تل أبيـب (هدية من هـذه الأسـرة)[٤]. كمـا قام روتشيلـد فى إحدى المرات بتبرع سخـى لإسـرائيل قـوامه نصـف مليـار دولار[٥]. ومن هنا فـإن القائمين على الثورة البلشفية هم أولئك القائمون على دعـم دولة إسرائيل مما يدل على أن الشيـوعية فكرة يهودية وظفت لها الأموال اليهـودية ، وكـذلك الصهيونية التى دعمها اليهود .

فـالدعم كـان متبادلا حيث عمـل (خبراء اليهود فى الـولايات المتحـدة الأمـريكية لصـالح الاتحاد السـوفييتى الذى حصل بعد أن مهـدوا لـه الطريق وأفسحـوا لـه المجال على معـونات ضخمـة من واشنطن بلـغ مجمـوعها مليار دولار نقـدا وثلاث مليـارات مـواد غذائية وطبية وكيمـاوية وآلات زراعيـة ومـوتورات ...الـخ . وكـانت هنـالك خطـة صهيـونية قـوامها تمويل الاتحاد

(١) إسرائيل إلى أين (٧٤) .
(٢) انظر النار والجليد (٢٧٤) .
(٣) انظر إسرائيل إلى أين (٥٥) .
(٤) عاجلا أو آجلا ستزول إسرائيل (٦٤) .
(٥) المرجع السابق (١٨٩) .

السوفييتى من خزينة الحكومة الأمريكية والمؤسسات المالية والشركات لإنشاء صناعات عصرية ضخمة .. واكتشفت واشنطن أسرار الخطة وخطرها التى كانت تهدف من ورائها الحركة الصهيونية كسب ثقة موسكو ودعمها لتنفيذ مخططها الكامل فى فلسطين)[١].

الحادى عشر : أن بقاء إسرائيل وسيطرتها فى منطقة الشرق الأوسط يحقق أهدافا كبيرة لليهود بعموم سواء فى الولايات المتحدة أم الاتحاد السوفييتى .

وقد حرص السوفييت على بقاء إسرائيل لأمور كثيرة منها :

(أ) أن إسرائيل قامت على أساس إشتراكى وأكثر سكانها من البلدان الإشتراكية فقرابة ١,٥٦٠,٠٠٠ من الاتحاد السوفييتى ودول أوروبا الشرقية ، ليقوموا بنشر الفكر الإشتراكى حيث تعتبر إسرائيل النموذج الأول فى الشرق الأوسط للإشتراكية العلمية .

(ب) أن وجود إسرائيل يرغم العرب الذين يرفضون الإشتراكية ، على الاستمرار فى التعاون مع الكتلة الشرقية وربط أسواقهم التجارية فيها بها[٢]. إذ أن (موسكو تأمل وتعتقد ـ ولها مايؤكد ذلك الإعتقاد ـ بأن بقاء إسرائيل فى قلب العالم العربى سيعطى للسوفييت قاعدة تستعملها موسكو يوما ، إذا أفلت من يد السوفييت زمام السيادة والحضانة لحركات اليسار العربى ونظمه فى وسط عربى إسلامى رفض فى كل تاريخه الطويل ـ عاجلا أم آجلا ـ أن يهضم أو يرضى أو يقتنع بأى بيعة أو عقيدة غير بيعة العروبة والعقيدة الدينية السماوية)[٣].

---

(١) نقلا من كتاب دور الدول الإشتراكية فى تكوين إسرائيل (٣٩) .

(٢) انظر : دور الدول الإشتراكية فى تكوين إسرائيل (٦٠-٦١) ، الكيد الأحمر (١٤٣) ، الحقيقة الكاملة (٩٣) .

(٣) موسكو وإسرائيل (٤٠٣-٤٠٤) .

فالانحسار لليسار أصبح واضحا على مستوى الدول العربية (فإسرائيل إذا (احتياطى) للسوفييت يحتفظون بها ليوم الحاجة)[١].

ولأجل ذلك فالاتحاد السوفييتى يحتضن إسرائيل ويؤيد الإشتراكية العربية ويهدف من ذلك إلى نقطة إلتقاء بين اليهود والعرب هى الإشتراكية الثورية[٢].

ومن هنا فهم يرون أنه لابد أن تكون النظرة لقضية فلسطين من خلال معرفة مالدى إسرائيل .

وقد وجه سؤال لخروشوف (ماهى الطريقة التى يراها السوفييت لإعادة فلسطين لأصحابها الشرعيين؟)

أجاب (إن الحل يقوله لك رئيس الحزب الشيوعى فى بلدك العربى فليجمعك برئيس الحزب الإسرائيلى وتفاهما)[٣].

وهكذا تلتقى مصالح اليهود والإشتراكيين ، بل إن مصالحهم واحدة لأنهم يهدفون لشىء واحد . ونرى كذلك أنهم يرغبون فى المحافظة على الود بين الأحزاب الإشتراكية العربية ودولة إسرائيل .

(ج) إن وجود إسرائيل يشكل طمأنينة للقوى الكبرى .

يقول العقاد : (إن "حيلة الساعة" لاتعطى المستعمرين طمأنينة إلى الشرقين الأوسط والأدنى يستقرون عليها . فغاية مافى حيلة الساعة أن تعطيهم طمأنينة ساعة ، وكأنهم بحثوا عن حيلة طويلة الأجل تسعفهم عند الحاجة بطمأنينة مثلها فلم يجدوا أنفع لهم من دولة يصنعونها بأيديهم ، ولايزالون على ثقة من حاجتها إليهم فهم يعطونها قرارها وهى تعطيهم مايفتقرون إليه من قرار وكانت دويلة إسرائيل ...)[٤].

---

(١) موسكو وإسرائيل (٤٠٤) .

(٢) انظر الحقيقة الكاملة عن سقوط الثورات الإشتراكية (٩٣) .

(٣) المرجع السابق (٩٠) .

(٤) لاشيوعية ولااستعمار (١٣٢-١٣٣) ، دار الهلال دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

(د) إن وجود إسرائيل يحقق المصالح الأيديولوجية للشرق والغرب معا .

فـ(نجد المصالح السوفيتية الأيديولوجية والمصالح الأمريكية الحضارية تلتقى معا فى الشرق الأوسط على محاربة الإسلام واقتلاعه من جذوره فيما نجد الاختلاف الأمريكى السوفييتى فى المنطقة ينصب على الناحية الاستراتيجية فقط ... وقد استطاعت الحركة الصهيونية أن تقنع الغرب الرأسمالى والشرق الإشتراكى (الشيوعى) أن إسرائيل تقوم بعبء محاربة الإسلام لمصلحتهما المشتركة ، كما رتبت إسرائيل أمورها بحيث أصبحت تبدو مناسبة للمصلحة الاستراتيجية لكل من الشرق والغرب . يتبين لنا إذن أن اِلتقاء الشرق والغرب حول ضرورة استمرار الوجود الإسرائيلى وحمايته يعود إلى عدة أسباب أيديولوجية ذات هدف نهائى واحد هو القضاء على الإسلام فى الشرق الأوسط ، بعد أن تمكن الاستعمار الشرقى والغربى من تعطيل الإسلام فى مناطقه الأخرى ، فهى تهدف إلى ضرب الإسلام والمسلمين والقضاء على أية قوة قد تظهر فى المستقبل ، فأوجدوا إسرائيل لضرب المسلمين بها حتى لاتقوم لهم قائمة ، وحتى تصبح بلاد العرب والمسلمين نهبا مشاعا بين الشرق الشيوعى والغرب الرأسمالى[١].

ويشغلون أهلها (عن التفكير بما يضمن لهم العودة إلى ماكانوا عليه قرونا طويلة حيث أسدوا إلى الحضارة الإنسانية الأمجاد والمفاخر فيعيدوا سيرتهم الأولى فى قيادة العالم سياسيا وفكريا . ووقفت قوى الاستعمار عليها فى العالم مؤيدة وجود إسرائيل . بريطانيا ، الولايات المتحدة ، فرنسا مع بلدان المعسكر الشرقى ...)[٢].

إن أطماع إسرائيل واليهود لن تقف عند حد ، والصهيونية لاتخفى حقدها وأطماعها حتى فى أرض الحرمين الشريفين[٣].

---

(١) انظر المخطط السوفييتى لهزيمة حزيران (٤٣) .
(٢) الحقيقة الكاملة (٨٣) ، وانظر (٨٨) .
(٣) انظر المخطط السوفييتى لهزيمة حزيران (٤٨-٤٩) .

ونختم هذه الفقرة ببعض ماجاء عن السفير الروسى فى إسرائيل (ديمترى شوفاخين) سنة ١٩٦٦م فى المؤتمر اليهودى العالمى حيث قال : (إننى أناشدكم هنا فى إسرائيل وفى الوسط اليهودى فى كل مكان أن تؤيدوا بكل قلوبكم سياسة الاتحاد السوفييتى فى الشرق العربى لأنها سياسة فيها كل النفع وكل الخير لإسرائيل ولليهودية العالمية .

إننا نحارب الحلف الإسلامى ، ونجند لذلك كل الأصوات العربية الإشتراكية القومية لمكافحته ، فانهزام العصبية العربية الدينية والقومية مفيد جليل الفائدة لإسرائيل ولأنصارها من اليهود فى كل مكان ، وفى الاتحاد السوفييتى بصفة استثنائية .

إننا نحن السوفييت قد بذلنا أعظم الجهد لضمان الاتجاه العربى نحو الإشتراكية التقدمية ، وهذا الإتجاه هو العامل الأساسى الوحيد الذى سيصون إسرائيل .. وسوف لن نسمح للنعرات العربية الأخرى أن تستيقظ بنفسها أو بمعونة الاستعمار لكى تحطم مابنيناه ومازرعناه من قواعد إشتراكية قومية فى المنطقة العربية ، فهناك تجانس واتفاق كلى فى المصلحة السوفيتية وفى مصلحة إسرائيل ...)[١].

الثانى عشر : التصريحات التى جاءت على ألسنة الرؤساء والقواد فى أن وجود إسرائيل يشكل مصلحة حقيقية للاتحاد السوفييتى ، وأن الاتحاد السوفييتى عمل على إبقائها تحقيقا للمصالح ، وكذلك من مصلحة إسرائيل بقاء سياسة السوفييت . يقول ناحوم غولدمان : (إن للاتحاد السوفيتى مصلحة حقيقية خاصة به فى وجود إسرائيل ، إذ بدونها فإن الأكثرية العظمى من بلدان العالم العربى التى هى بطبيعتها وعقيدتها وتقاليدها ضد الشيوعية وبعضها معاد لها بعنف ستصبح موالية للغربيين والأمريكيين ضد السوفييت ، وقد قال لى ذات يوم رجل دولة روسى مهم وبصراحة كلية خلال لقاء معه إذا لم توجد إسرائيل لوجب علينا إنشاءها)[٢].

---

(١) الكيد الأحمر (١٤٧) .
(٢) إسرائيل إلى أين (٦٨) .

ويقول دافيدها كوهين : (إسرائيل فى حاجة إلى الاتحاد السوفييتى مثل حاجة الاتحاد السوفييتى لإسرائيل . هذه قاعدة قديمة وراسخة فى العلاقات بين البلدين ولاننسى أن موسكو كانت أول من اعترف بإسرائيل وأيدها تأييدا كاملا قبل أن تولد وإبان الولادة ...)[١].

وقد كثرت وتتالت الاعترافات الإسرائيلية بهذه العلاقة الحميمة والتى تحقق لهم المصلحة الكبيرة ، وكذلك رضاهم عن السياسة السوفيتية فى الشرق الأوسط . يقول "موشه كول" وهو عضو فى البرلمان : (المعرفة الدقيقة هى أساس الصداقة والتعاون ونحن نعرف الاتحاد السوفييتى وسياسته ـ وهم يعرفون حاجتنا وسياستنا ـ ولذلك فلاخوف على إسرائيل أبدا . بل لها كل المصلحة فى أن لاتعرقل المعنى الجميل الذى تحققه موسكو فى الأقطار العربية)[٢].

<u>الثالث عشر</u> : تطوير الصناعة الإسرائيلية والإهتمام بها من قبل الدول الإشتراكية ، وتظهر هذه الإحصائية ـ أن مساهمة الكتلة الشرقية كانت أكثر من مساهمة الدول الغربية ، مما يدل على العلاقة الوطيدة بين دولة إسرائيل والدول الإشتراكية وهى من عام ١٩٥٠-١٩٦٥م .

---

(١) موسكو وإسرائيل (٤٤٣-٤٤٤) .

(٢) المرجع السابق (٤٤٤) .

ولمزيد من الأقوال انظر (٤٣٨،٤٤٣،٤٦٢،٤٦٤) وقد أجاد الكاتب فى موضوعه . وانظر حقيقة المواقف الشيوعية من القضية الفلسطينية (٥٩-٦٠) .

	العدد	الكتلة الشرقية	الكتلة الغربية
معامل السكر	٣	٢	١
معال الألبان	١٢٥	٩٠	٣٥
معاصر	١٤	٨	٦
مصافى الزيوت النباتية والكحول	١٠	٦	٤
مطاحن	٥٠	٣٠	٢٠
معامل النسيج والأقمشة	٩	٥	٤
معامل الأحذية	٢٦	٩	١٧
معامل الأسمدة الكيماوية	٢	١	١
معامل الكيماويات المتنوعة	٧	٣	٤
معامل المواد الطبية	٥	٢	٣
معامل الأدوات الكهربائية	٨	٣	٥
موتورات لمحطات الكهرباء	٧٠٠	٥٠٠	٢٠٠
معامل النجارة	٥٠	٣٥	١٥
معامل الأسمنت	٤	٣	١
معامل الزجاج	٣	٢	١
معامل تكرير البترول	٢	٠	٢
جرارات زراعية	٢٠٠٠	١٥٠٠	٥٠٠
حصادات ودراسات	٣٠٠٠	٢٠٠٠	١٠٠٠(١)

ولايفوتنا هنا أن نذكر أن العلماء اليهود هم الذين أفشوا أسرار الذرة إلى الاتحاد السوفييتى ، ويقوم يهود العالم فى تطوير الصناعات الصهيونية مقام الرأسمال اليهودى العالمى وخاصة الأمريكى بدور مشهور فى

(١) انظر دور الدول الإشتراكية فى تكوين إسرائيل (٥٤-٥٥) .

المجال الصناعى والزراعى ، وأدت موجات الهجرة من الاتحاد السوفييتى خاصة إلى تزويد الآلة الصناعية الصهيونية بمئات الألوف من العمال المهرة[١].

الرابع عشر : البعثات التى أوفدها الاتحاد السوفييتى إلى إسرائيل وكذلك الهجرات اليهودية التى سمح بها لليهود من أجل الوصول إلى أرض فلسطين .

وكانت تهدف هذه البعثات إلى تدريب الشباب اليهودى وتشكيل الفرق التى تقوم على حمايتهم ، كما كانت البعثات تكتب التقارير عن تلك المنطقة ثم ترسلها إلى لينين وتروتسكى .

وأما الهجرات فكانت ميسرة من روسيا إلى فلسطين ففى المرحلة الأولى بلغ عدد اليهود الذين وفدوا على فلسطين من عام ١٩٢١-١٩٣٩م نحو ١٦٥ ألف يهودى ، وكانت الأموال تتدفق على اليهود لشراء الأراضى وإنشاء المستعمرات والقرى النموذجية لتوطيد أقدام اليهود فى أرض فلسطين من قبل السوفييت[٢].

وكانت الهجرة فى غالبها من الدول الإشتراكية ، مما زاد القوة البشرية للصهيونية داخل الأراضى الفلسطينية[٣]، وفى هذا دعم للكيان الصهيونى بالرجال والخبراء والفنيين[٤]، زد على هذا أن هؤلاء القادمين يحملون الأفكار الإشتراكية التى عرفوها فى بلادهم وبالتالى العمل على

---

(١) انظر السياسة الصناعية لمجتمع الحرب الصهيونى (٢٣) ، إعداد قسم الدراسات ، الطبعة الثانية ١٩٨٢م/١٤٠٢هـ منشورات فلسطين المحتلة .

(٢) انظر دور الدول الإشتراكية فى تكوين إسرائيل (٢٩) .

(٣) انظر : النار والجليد (٢٩٧-٢٩٨) ، حقيقة المواقف الشيوعية من القضية الفلسطينية (٣٣-٣٤) .

(٤) انظر : إنهيار الشيوعية أمام الإسلام (٢٢٢) ومابعدها ، حقيقة المواقف الشيوعية من القضية الفلسطينية (٣١-٣٢) ، النار والجليد (٢٤١-٢٤٢) .

نشرها[١].

والجدير بالذكر أن الولايات المتحدة وعن طريق الكونغرس قامت بتهديد الاتحاد السوفييتى إذا لم يلغ الضريبة التى فرضها على المهاجرين المتعلمين . وبالفعل تم إلغاؤها وحصل الاتحاد السوفييتى على بعض الاتفاقيات التجارية[٢].

ومما يؤسف له أن منظمة التحرير الفلسطينية كان موقفها سلبيا من هذه الهجرة ولايتعدى الخطب الباهتة ، والمواقف الباردة ، وكانت حرارته فى تبرير موقف الاتحاد السوفييتى ، وسهلت المنظمة لإسرائيل مالم تستطع أن تحققه فى حروبها ، فعمالة الحكومة للشيوعية فى الاتحاد السوفييتى واضحة ، وهى منسجمة مع الفكر العلمانى الذى تنتهجه المنظمة ، ويتجلى ذلك بالنظر فى موقفها من الاتحاد السوفييتى ودعمه لإسرائيل ، وموقفها من حركة حماس ففى الوقت الذى يفيض فيه حديثها عن الاتحاد السوفييتى عذوبة ، تراها تتربص بـ(حماس) الدوائر وتعتبرها خارجة عن الشرعية الفلسطينية[٣].

---

(١) انظر المسيح الأحمر (٥٥) .
كانت نسبة الهجرة من الاتحاد السوفييتى :

عام ١٩٧١م	٤٥٪
عام ١٩٧٢م	٤٨٪
عام ١٩٧٣م	٦٧٪

انظر كتاب الشيوعية منشأ ومسلكا (١٠٦-١٠٧) .

(٢) انظر النار والجليد (٢٤٣) .

(٣) انظر إنهيار الشيوعية أمام الإسلام (٢٦٣-٢٦٤) .
وقد شكلت الهجرة دافعا لبعض الأنظمة لتشكل من خلالها بعض أهدافها منها :
١ - ظهور بعض الدول أمام شعوبها بمظهر الحريص على حرياتها .
٢ - إعادة بعث التيار القومى .
٣ - خوف بعض الأنظمة من السقوط .
انظر إنهيار الشيوعية أمام الإسلام (٢٦٧) .

الخامس عشر : يضاف إلى ذلك أهمية منطقة الشرق الأوسط والأدنى وهى مهمة للشرق والغرب على حد سواء فهى منطقة حيوية وبها ثروات هائلة ، وكذلك تكمن قوة المسلمين فيها . فالاهتمام بها لأمور عديدة منها :

(أ) نشر الإشتراكية الإلحادية فى العالم الإسلامى والعربى وهذا أحد أهم الإغراءات لغزوه[1].

وبالفعل انتشرت الأحزاب فى البلدان الإسلامية والعربية وبعد التنبيه لخطرها وحقيقة أمرها اتخذت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية التى اجتمعت فى لبنان أوائل سنة ١٩٤٨م قرارا بتوحيد الأساليب فى القضاء على الشيوعية والحركات الثورية فى دول الجامعة العربية[2]. على الأقل اتخذ قرار بغض النظر عن تطبيقه!!

(ب) (لأن الشرقين الأوسط والأدنى لازمان لحماية الطريق إلى الشرق الأقصى) .

(ج) (لأنهما فى أول الأمر كانا قبلة الطامعين لم يبحثوا عن قبلة غيرهما إلا لعجزهم عن الاستيلاء عليهما فلما تألبت مطامع الاستعمار على الشرق كله عادت إليهما أنظار الناظرين من قديم وجديد ولاسيما المتأخرين فى سباق الاستعمار ...) .

(د) (لأن أقطار الشرق الأدنى وبعض أقطار الشرق الأوسط كانت كلها بقايا تابعة للدولة العثمانية التى اصطلحت الدول الكبرى على تسميتها باسم "الرجل المريض" المتفق على تقسيم تركته ، حلا لما سموه يومئذ بالمسألة الشرقية" .

(هـ) (لأن بلاد الشرقين الأوسط والأدنى أسواق صالحة لترويج المصنوعات الحديثة ، مذ كانت بلادا عمرتها الحضارة عدة قرون وعودت أهلها

---

(١) انظر دور الماركسية فى الإشتراكية العربية (٦٠) .

(٢) انظر الماركسية بين النظرية والتطبيق (٣١-٣٢) .

اقتنـاء اللـوازم والكماليـات من مطالب الأمم المتحضـرة ، فهـى بهذا الاعتبار أنفع لدول الصناعة من مستعمراتها فى القارة الأفريقية وبعض مستعمراتها فى القارة الآسيوية) .

(و) (لأن الحصـول على خامـات المواد الصنـاعية ميسـور فى بلاد الشـرقين الأوسـط والأدنى ، وتشاء المصـادفات[1] أن تظهـر فى هذه البلاد ينـابيع النفــط الـذى يعـول عليـه أصحـاب المصـانع وأدوات المواصلات) .

(ز) (لأن الـدول التى تنتحل الدفاع عن مذهب من المذاهـب تجد الذرائع ممهـدة لديها للتدخل فى شئـون الشرق الأدنى باسـم الـدفاع عن أبناء مذهبها أو الدفاع عن الأماكن المقدسة ..) .

(ح) (أن الرقعة الوسطى بين القارات الثلاث موقع من أخطر مواقع الدفاع والهجـوم فى الحروب الكبرى ، وهـذا هو الموقع الـذى تقيم فيـه أمم الشـــرقين الأوســـط والأدنى وتتـألب حولـه كـــل تلـك المطـامع والتعلات)[2].

وبعـد هـذا العرض للبراهين الـدالة على أن الشيـوعية إنما هـى مطيـة صهيـونية ، مـن جملة المطايا التى اتخذهـا اليهود لتحقيـق أهـدافهم ، وتنفيذ مخططـاتهم . علينـا أن نعلم بأن السـوفييت لم يكـونوا فى يوم مـــن الأيام فى خدمـة المصـالح الإسلامية أو العـربية ، بل الـذى كـان يحدد سيـاستهم هـو المصلحة التى تصب أساسا فى مصلحة اليهود .

---

(١) بل قدرة الله تعالى وحكمته .

(٢) لاشيـوعية ولااستعمار (١٣٠-١٣١) . وانظر السوفييت وقضيـة فلسطين (١٩٣-١٩٤) ولمزيد عـن دور الاتحاد السـوفييتى والـدول الإشتراكيـة فى تكـوين إسـرائيل انظر الإنهيار (١/٢١٨-٢٢٠) .

ومـن العرض السابق وماتقـدم من نصوص أصل إلى الحقـائق التالية :

أولا : تحكم اليهودية العالمية بسياسة الدولتين الكبريين فى العالم أمريكا والاتحاد السـوفييتى (سابقا) وجعل هاتين الدولتين تسيران فى فلكهـا وترعيان مصالحها وتخدمان أهدافها .

ثانيا : تنوع الأساليب والوسائل التى يتخذها اليهود فى تحقيق أهدافهم وامتطـائهم عدة حمير ليصلوا لغاياتهم حتى لو سارت بهـم فى طرق متناقضة على الأقـل أمام الرأى العـام العالمى ، ولكن حقيقتهـا أنها تصب فى مصلحة اليهـود .

ثالثا : أن الشيـوعية وليدة الصهيـونية وقامت بالتخطيـط لهـا اليهودية العـالمية ، وحققت من ورائهـا أهدافها فى إقامة الوطـن القومى لها فى أرض عربية إسلامية .

رابعا : غفلـة المسلمين وضعفهـم (بسبـب بعـدهم عـن دينهـم) وعـدم معـرفتهم بما يدار حولهم مـن مكر وخداع ، وماتنسجـه لهم القوى الكبرى من حيل ، ولأجل ذلك لجأوا إليهـا طـالبين المعـونة منهـا على عـدوتها الصهيونية ونسوا أنها هى التى تدير تلك القوى الكبرى . وفـوض المسلمون أمـرهم إلى هيئات ومنظمات دوليـة هى يهودية أصلا ـ وإن لم تكـن كذلك فلاتخرج عن خدمة مصالح اليهود ـ وأخذوا (يتحاكمون إليها) .

خامسا : إن مصلحـة إسرائيل وأمنهـا لايمكن أن يمسـا بسـوء طالما أن القـوة الأولى فى العـالم خلفهـا وبقية الدول تمتلىء أجهـزتها بعيـون إسرائيل ودعاتها .

سادسا : أن القضـاء على المسلمين ونشـر الإلحاد والسيطـرة على مـوارد الأمـة الإسلامية والعربية وثرواتها هى الغاية من هذه الألعـوبة التى أوهمت النـاس أن العـالم ينقسـم إلى قسمين متنـافسين متصـارعين ، ولكـن الحقيقـة والـواقع يشهدان بخلاف ذلـك ، ويدلان على أن اليهـود يحكمون المعسكرين

حقيقـة لاإدعاء . وقد إتخذ اليهود من الأفكار الإلحادية ، والمذاهـب الأرضية سنـدا لهم فى نشر أباطيلهم ، وتخرصـاتهم التى يرغبـون من ورائها الوصول إلى تحقيـق أهدافهم ومن ذلك الأفكار المادية التى نادى بهـا بعض الفلاسفة ، وصاغها ماركس فى مذهب جديد جاء به استغله اليهود فى العمـل على تحقيق مآربهم من ورائه . ذلك المذهـب هو المادية والمادية التـاريخية . ونعـرض له بدون إطالة .

الفصل الرابع
المادة

ويشتمل على تمهيد وعدة مباحث .

التمهيد .

المبحث الأول : مادية ماركس .

المبحث الثانى : المادية الجدلية .

المبحث الثالث : أزلية المادية وأبديتها وقوانينها عند الماديين .

المبحث الرابع : المادية التاريخية .

المبحث الخامس : التفسير المادى للدين والأخلاق والأسرة .

الفصل الرابع
المادة

بعد المقدمات السابقة التى أثبتنا من خلالها أن اليهود قاموا بنشر الإباحية والرذيلة تحت مسميات عديدة ، وأن أوروبا كانت تعيش فى انحراف عقدى وخلقى ، وأن الإنسان هناك أصبح هاربا من الدين بسبب أفعال الكنيسة ، فإن النتيجة الطبعية لهذا كله هو الانغماس فى تحقيق الرغبات الشهوانية ، والملذات الجسدية ، فأصبح مايحسه الإنسان ويشاهده هو الغاية عنده ، وماعدا ذلك فلااعتبار له ، ولم يقف الأمر عند الشذوذ الأخلاقى ، والانهماك فى الشهوات ، بل تعداه إلى اعتبار أن ماليس بمحسوس ومشاهد مما أخبرت به الرسالات السماوية غير صحيح ، ومطعون فيه ، فانتشرت الأفكار المادية والتى تعنى أنه لايوجد إلا مايمكن أن يشاهد ويحس ، وعرف أصحاب هذا الاتجاه بالماديين ، ولايعنى ذلك عدم وجود أصحاب هذا الفكر فيما مضى من الأزمان . غير أنه أخذ فى هذا الوقت الإدعاء بأنه يقوم على أصول علمية وبراهين عقلية ، وحقا غدت هذه الجاهلية أعتى من الجاهليات السابقة لإدعائها العلم وهو منها برىء . وكردة فعل لهذا المذهب وجد المذهب المعاكس له وهو المثالى والذى يعتبر مناقضا له تماما . ورغم كثرة الفلسفات والمذاهب فى أوروبا إلا أن هذين المذهبين كان لهما بروزا خاصا عن سواهما . وذلك منذ عهد الاغريق والرومان وحتى العصر الحديث . فما هى المسألة التى كانت تعرض على المذهبين وماهو سبب الخلاف؟

منشأ الخلاف :

يرجع الخلاف إلى قضية فى غاية الأهمية وهى أيهما أسبق العقل أم الطبيعة؟

وبعبارة أخرى هل العالم مخلوق؟ أم أنه غير مخلوق؟ فالذين قالوا بالأمر الأول أطلق عليهم أصحاب النزعة المثالية ، دون النظر بالطبع فى حقيقة هذا الخالق أو هذه القوة التى أوجدت الكون (كما صوروها) .

وأمـا القـائلون بالـرأى الآخر فهـم أصحـاب النزعـة المادية ، فهم لايؤمنون إلا بما هو مشاهد محسوس .

واعترف بهـذا التقسيم أصحـاب الفكر المادى الحديث . يقـول انجلـز : (إن المسألة الأساسية العظمى فى كل فلسفة ، ولاسيما الفلسفة الحديثة ، هى مسألة علاقة الفكر بالكائن، أو علاقة العقل بالطبيعة .. أيهمـا يسبق الآخر ، العقـل أم الطبيعـة؟ ... وكـان الفلاسفة تبعا لإجابتهـم على هـذا السؤال قد انقسمـوا إلى معسكرين كبيرين : فـأولئك الذين كانوا يؤكـدون تقدم العقل على الطبيعـة ويقبلـون على هـذا النحو ، فى آخر تحليل ، بخلـق العـالم ، أيا كان نوع هذا الخلق ... ألفـوا معسكـر المثـالية . والآخرون ، الـذين كـانوا يقـررون تقدم الطبيعة ، انتمـوا إلى مختلف مدارس المادية وكـل مفهوم آخر للمثالية والمادية (بالمعنى الفلسفى) ليس من شأنه إلا خلق البلبلة)[١].

إن هـذا الخلاف ليـس وليـد العصـر الحديث فى أوروبا بل انقسـم الفلاسفة منذ القدم إلى هذين الفريقين فكانت الإجابة على هـذا التساؤل هى

---

(١) مصـادر الماركسية الثلاثة (٢١) ، وانظر : المثالية والمادية وأزمـة العصر (٣٣-٣٤) د. عبـد المنعـم الحفنى ، الطبعة الثـانية ١٩٧٧م ، مكتبة مدبولى ، القـاهرة ، المادية والمثـالية (٣-٤) مهدى الحافظ ، ١٩٧٤م دون ذكـر لرقم الطبعـة ، دار الفارابى ، بيروت ، معـالم الاشتراكيـة العـربية (١٨٩) ، حسين أبو الحسـن ، الطبعـة الأولى ١٩٨٠م ، دار المسير للصحـافة والطبـاعة والنشـر ، الفكـر المادى الحديث ومـوقف الإسلام منه (٢٤٥) .

السبب فى نشوء الخلاف[١]. فمن قال بأن الروح فوق الطبيعة فهم مثاليون (Idealists) والـذين اعتبروا أن الطبيعة هـى الأصـل فهـم الماديون (Materialists)[٢].

وقد وجد لكل مذهب دعاته وفلاسفته قديما وحديثا .

فمن المثاليين القدماء أفلاطون . واستدل على إثبات وجود الله تعالى أو وجود إله (على طريقته) بوجهين :

(أ) الحركة.

(ب) النظام .

---

(١) وإذا كنا نعتقد أن الصواب مع ماذهب إليه المثاليون إلا أنهم أخطأوا فى تصويرهم لهذا (الإله) ، والإخبار عنه وعن صفاته وكيفيتها التى لايعلمها إلا هو سبحانه وتعالى . وتصوير المثاليين للإله بهذه الصورة قياسا لما يراه الماديون من نظام بديع للكون ومن أمور عجزوا عن فهمها جعلهم يترددون بل ينكرون ماجاء به المثاليون فلم يسلموا بوجود الإله الذى صوروه بصورة جعلت الماديين يستمرون فى غيهم ويتطاولون فى رفضهم أن يكون هناك خالق لهذا الكون وفى نظرنا أن هناك أسباباً ساعدت على انتشار الفكر المادى الإلحادى الحديث منها :
أولا : الفكر المثالى الذى انحرف بحقيقة الإله إلى تصورات وخيالات لاحقيقة لها .
ثانيا : الكنيسة ونبذها للآراء العلمية وردها للنظريات باسم الإله واقترافها كل طغيان باسمه أيضا .
ثالثا : دور اليهود واستغلالهم لكل مايبعد الناس عن الدين ليسهل عليهم نفث سمومهم وتحقيق أهدافهم حيث (فرحت اليهودية العالمية أيما فرحة بقيام النهضة الأوربية الحديثة علىأساس لاديني (Secalar) فذلك نصف الطريق نحو تحطيم المسيحية خصمهاالقديم وقامت تنفخ فى هذا الاتجاه من وراء الستار) . التطور والثبات فى حياة البشرية (٣٣) .
رابعا : العداء للاسلام وأهله فى الغرب ، وتشويه حقائقه ، ونقلها بصورة مغلوطة حتى لاتتضح الحقيقة .

(٢) انظر : سقوط الماركسية (٢٤) ، وحيد الدين خان ، ترجمة ظفر الإسلام خان ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م ، دار الصحوة للنشر ، الفكر الماركسى (٨) .

(أ) الحركة :

يقرر أن الحركات سبع : حركة دائرية وحركة من يمين إلى يسار ، ومن يسار إلى يمين ، ومن أمام إلى الخلف ، ومن خلف إلى أمام ، ومن أعلى إلى أسفل ومن أسفل إلى أعلى ، وحركة العالم دائرية منظمة لايستطيعها العالم بذاته فهى معلولة لعلة عاقلة وهذه العلة هى الله أعطى العالم حركة دائرية على نفسه وحرمه الحركات الست الأخرى وهى طبيعية فمنعه من أن يجرى بها على غير هدى .

(ب) التنظيم :

يرى أن العالم آية فنية فى غاية الجمال ولايمكن أن يكون النظام البادى فيما بين الأشياء بالاجمال وفيما بين أجزاء كل منها بالتفصيل نتيجة علل إتفاقية ولكنه صنع عقل كامل توخى الخير ورتب كل شىء عن قصد[١].

وهاجم أفلاطون المادية بكل قوة ، ودافع عن المثالية ووحدانية الخالق ولو بشكل مبهم ، ونفى أن يكون الكون وخصوصا الإنسان والحياة قد تألف من المادة وحدها ، وأنه لايمكن إرجاعه إلى المادة وهى نوع من الوجود . بل أحط وأصغر حد للوجود[٢].

ثم تعاقب الفلاسفة الذين ينادون بهذا الرأى ، كل على طريقته وحسب فهمه ، ومن هؤلاء الفلاسفة فى العصر الحديث فيشته وهيغل ونعرض لهما بشىء من التفصيل نظرا لأن ماركس أخذ عنهما .

---

(١) انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية (٩٩-١٠٠) ، يوسف كرم ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م دون ذكر لرقم الطبعة ، الفلسفة الاغريقية (٢٧١) ، محمد غلاب ، الطبعة الأولى ١٩٣٨م ، القاهرة .

(٢) انظر موقف الدين من العلم (٤٠-٤١) ، د. على فؤاد باشكيل ، ترجمة أورخان محمد على ، ١٩٨٥م ، دار الوثائق ، الكويت ، وانظر نقد العقل المحض (١٩٤) .

فيشته[١] Fichte

وتقوم فلسفته على استخدام مبدأ النقيض والذى يصل من خلاله إلى اثبات الحقيقة المطلقة . وهذا ماعرف فى فلسفته بالأنا المطلق

يقول الخفاجي : استخدم فيشته (مبدأ النقيض ، للتدليل على أصالة العقل الإنسانى وأسبقيته فى الوجود ، وأنه الوجود الحقيقى الذى لايتوقف وجوده على غيره ، وأن له القدرة على الخلق ، وأن حريته مطلقة لايحدها شاهد ولاحس ولاوحى ، وأن المجتمع الانسانى والقانون والدولة والخلقية من آثاره ، وأن هدفه الأخير إقامة الروابط الأخوية بين الناس فى ظل دولة عالمية .

وكان هدف "فيشته" هو التخلص من إله الكنيسة فأقام العقل إلها لاسدنة له ولاكهنة ولاكرادلة ولابابوات .. وهو الأمر الذى هدف إليه التيار الثانى للفلسفة المثالية الذى نادى بسيادة العقل على النص والطبيعة معا...)[٢].

ويمكن اعتبار فيشته مثاليا إلا أنه وجد فى بعض أفكاره فهما ماديا . ومن هنا أخذ عنه أصحاب الفكر المادى الماركسى . يقول انجلز عن فيشته إنه كان ينظر (إلى تاريخ الإنسانية باعتباره نتاجا لنشاطها الخاص فيها ولايعود ذلك فقط إلى أن الناس يصنعون تاريخهم بأنفسهم . بل ولأنهم يخلقون الظروف التى تحدد فيما بعد أهم ملامح كل عصر تاريخى ، كما أكد المفكرون التقدميون السابقون لفيشتة . وهذه المقولة ـ بصرف النظر عن مقدماتها المثالية الذاتية ـ تتضمن بذور الفهم المادى للتاريخ ، الذى فسر ضمن الامكانيات المتاحة له ولأول مرة كيف أن الناس يصنعون تاريخهم

---

(١) فيلسوف ألمانى ، عاش فى أسرة فقيرة ، درس اللاهوت وعمل معلما فى سويسرا وبولونيا ، ودرس فى جامعة برلين ، وعين رئيسا لها سنة ١٨٠٧م ، له عدة مؤلفات منها مذهب العلم ، نظرية التقاليد ، مصير الإنسان . ولد عام ١٧٦٢م ومات سنة ١٨١٤م . انظر موسوعة أعلام الفلسفة (٢/١٥٣-١٥٤) .

(٢) حوار مع الشيوعيين (١٣٠) ، وانظر : الفكر المادى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى (٢٦٢) ومابعدها ، المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها (١٢٩) .

بأنفسهم ، على الرغم من أن الطبيعة الخارجية هى كطبيعتهم البشرية أيضا ليست من صنعهم بل هى مستقلة عن وعيهم وإرادتهم)[١].

وبهذا يظهر لى أن فيشته كان مثاليا وجد فى فلسفته أفكارا مادية .

هيغل :

دراسة مختصرة عن حياته : ولد بمدينة اشتوتجارت الألمانية عام ١٧٧٠م كان أبوه موظفا حكوميا ، أرسله إلى المدرسة الألمانية ، وتولت أمه رعايته ، وزودته بقواعد اللغة الألمانية ، والتحق بالمدرسة اللاتينية وعمره خمس سنوات ثم بالمدرسة الثانوية وهو فى العاشرة ، وبقى فيها إلى سن الثامنة عشرة[٢].

التحق هيغل بمعهد توبنجن عام ١٧٨٨م وذلك لدراسة البروتستانتية بمنحة حكومية من الدوق كما كانوا يسمونها فى ذلك العصر .

وكان المعهد ذائع الصيت فى تخريج القساوسة الإنجيليين .

وفى عام ١٧٩٣م تخرج هيغل من المعهد ، وأعلن عدم رغبته فى ممارسةمهنة القسيس ، مفضلا ممارسة مهنة التعليم واستكمال دراسته للفلسفة والآداب .

وظل يدرس حتى عام ١٧٩٦م فى مدينة برن عاصمة الاتحاد السويسرى وفى عام ١٨٠١م انتقل إلى "إيينا" وجدد صداقته مع (شيلنج)[٣]هناك وتعاون الاثنان فى إصدار جريدتهما الفلسفية النقدية التى ظل هيغل يكتب فيها إلى أن توقفت عن الصدور عام ١٨٠٣م عندما غادر شيلنج تلك المدينة .

---

(١) تاريخ الديالكتيك الفلسفة الكلاسيكية الألمانية (١٣) ، مجموعة من المؤلفين ، ترجمة د. نزار عيون السود ، الطبعة الأولى ١٩٨٦م ، دار دمشق للطباعة والنشر .

(٢) انظر فى سبيل موسوعة فلسفية (هيغل) (١١) د. مصطفى غالب ، الطبعة الثانية ١٩٨٢م ، دار مكتبة الهلال ، بيروت .

(٣) شيلنج : فيلسوف ألمانى ، كان والده قسا ، درس شيلنج اللاهوت وحاز على الأستاذية فيها ، عمل أستاذا فى جامعة (إيينا) ، وعين سكرتيرا لأكاديمية الفنون الجميلة فى ميونخ ، من مؤلفاته مذهب المثالية المتعالية ، الفلسفة والدين ، ولد عام ١٧٧٥م وتوفى عام ١٨٥٤م . انظر موسوعة أعلام الفلسفة (٣٢/٢) ومابعدها .

ثم توالت الأحداث على مسرح الحياة السياسية والإجتماعية بصورة متزايدة وبشكل عنيف ، ولم يكن أمام (هيغل) إلا أن يرحل إلى "بامبرج" سنة ١٨٠٧م ليتولى هناك رئاسة صحيفة يومية محدودة الانتشار ، ورأس تحريرها لمدة سنة . رحل بعد ذلك إلى "نورمبرج" ، حيث عين ناظرا لمدرسة "نورمبرج" الثانوية ، وظل فى هذا المنصب ثمان سنوات درس خلالها الفلسفة والطبيعة والرياضيات ، وهى الدروس التى جمعها فى كتابه (المدخل إلى الفلسفة) ، وسنة ١٨١١م تزوج وأنجب طفلين .

وفى الفترة من ١٨١٢-١٨١٦م أكمل هيغل نشر كتابه عن المنطق فى ثلاثة أجزاء وهو الكتاب الذى يعتبر بمثابة حجر الزاوية فى بناء المذهب ، وفيه عرض للمعانى الأساسية .. الميتافيزيقية والمنطقية التى يدور عليها مذهبه المثالى .

وبعد صدور هذا الكتاب حصل هيغل على كرسى الفلسفة فى جامعة هايدلبرج ، وعندما خلا كرسى الفلسفة فى جامعة برلين بوفاة فيشته عرض هذا المنصب على هيغل عام ١٨١٧م فقبله وأخذ فى القاء المحاضرات ولقى اهتماما بالغا سواء من طلابه الذين كانوا يحضرون من جميع أنحاء البلاد ، أو على مستوى الدولة التى أوشكت أن تتخذ من الهيغلية عقيدة رسمية لها أو على مستوى الأساتذة الذين تحمسوا للفلسفة الهيغلية وبدأوا يدرسونها فى الجامعة .

وبعد انجازاته وزياراته إلى خارج بلاده عين مديرا لجامعة برلين . وظل يشغل هذا المنصب من عام ١٨٢٩م حتى ١٨٣١م ، وفى صيف عام ١٨٣١م انتشر وباء الكوليرا لأول مرة فى برلين ، وأصيب هيغل بالعدوى فى ١٠ نوفمبر ومرض فى ١٣ نوفمبر وتوفى فى ١٤ من الشهر نفسه عام ١٨٣١م(١).

كان له مؤلفات كثيرة منها : الإيمان والمعرفة ، حياة يسوع ، المنطق الكبير ، فلسفة الروح ، روح المسيحية ومصيرها ، الدين القومى والمسيحية فلسفة الدين(٢).

(١) انظر : فى سبيل موسوعة فلسفية (١٤-٢٢) ، موسوعة أعلام الفلسفة (٥٦٩/٢) .
(٢) انظر : فى سبيل موسوعة فلسفية ، موسوعة أعلام الفلسفة (٥٦٩/٢-٥٧٠) .

فلسفته : تقوم فلسفة هيغل على استخدام مبدأ النقيض . (وأراد هيغل باستخدام مبدأ النقيض هذا ألا يجعل الطبيعة غاية أخيرة للإنسان ، إذ هى ستنتقل إلى العقل المجرد الذى يتمثل فى القانون والأخلاق والدولة ، وكلها تعتبر موجودات إلهية على الأرض .. ولذا يتحدث عن الدولة كصورة من صور العقل المجرد بأنها : الإرادة العاقلة الإلهية ، وبأنها الإله على الأرض . ويرى لذلك أن لها مطلق الحق قبل الأفراد ، وأن على الأفراد بطريق الالزام المطلق ، أن يكونوا أعضاء فى الدولة وأن يطيعوها طاعة عمياء ، وبهذا دعم هيغل حكم الامبراطور المطلق ولذلك كان يسمى بفيلسوف البلاط . وأراد هيغل باستخدام مبدأ النقيض كذلك بل فى الدرجة الأولى أن يؤكد سيادة العقل على الطبيعة لاعلى الدين وهذا هو الفرق بينه وبين "فيتشه" ...)[١].

وعلى هذا الأساس اعتبر هيغل أن الله تعالى (عقل) ، والمجال الذى استخدم هيغل فيه مبدأ النقيض هو مجال الفكرة ، وقال بوجود فكرة مطلقة أسماها العقل المطلق ، واستخدم مصطلحات خاصةبه :

(١) الدعوى . (٢) مقابل الدعوى .

(٣) جامع الدعوى ومقابلها .

فالعقل المطلق له وجود ذاتى أزلى قبل خلق الطبيعة ، وقبل خلق العقل المحدد . وهذا العقل المطلق هو (الله) . وهذه الدعوى . والطبيعة مقابل الدعوى ، وانتقلت الفكرة التى هى العقل المطلق إلى ماوجوده محدد مقيد ، ثم انتقلت من النقيض إلى جامع يلتقى فيه الشىء ونقيضه ، وهو (العقل المجرد) . وعلى هذا فالله فى نظره عقل مطلق أزلى سابق على وجود الطبيعة وظهورها ، فالفكرة أو العقل هو أساس الوجود الطبيعى ، وليست المادة . فالمادة تابعة ولاحقة لوجود الفكرة أو العقل[٢]. فتقوم فلسفته على

---

(١) حوار مع الشيوعيين فى أقبية السجون (١٣٢) وانظر (١٣٠) ، وانظر : الاتجاهات الفكرية المعاصرة (١٧٢) ، المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها (١٢٩) .

(٢) انظر الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى (٢٩٠-٢٩٢) .

استخـدام مبدأ الجدلية ذلك المبـدأ الذى عول عليه مـاركس كثيرا فى ماديته وبناء فلسفته .

ثناء الماركسيين على هيغل :

رغـم مـافى فلسفـة هيغـل مـن مثـالية إلا أن الماركسيين اعتبروه ذروة كامل تاريخ الديالكتيك الـذى سبق الماركسية حيث قـالوا : (لقد كان هيغل وسيبقـى ، فى كثير مـن الجوانب ، ذروة كـامل تاريخ الـديالكتيك السـابق للمـاركسية ، ومهما شوهت المثالية ديالكتيكة ، فقد كـان هناك مستقبل عظيم أمـام اكتشافاته الديالكتيكية والهواجس والأفكار القائمة عليهـا . بيد أن هذا المستقبـل لم يكتسبـه الديالكتيـك دفعة واحدة ، وكان يمر الطـريق إليـه عبر عقبات كبيرة)[١].

يقـول ماركس : (إن ديالكتيك هيغل يعتبر "شكلا أسـاسيا" لديالكتيك العصر الحديث)[٢].

ويقـول انجلـز : (لقـد شكـل ديالكتيـك هيغـل أحد المصـادر النظـرية الأساسية الثلاثة لفلسفة الماركسية)[٣].

وجاء فى كتاب تاريخ الديالكتيك الفلسفة الكلاسيكية الألمانية : (تعتبر فلسفة هيغل أعلى انجاز للديالكتيك فى الفلسفة الكلاسيكيـة الألمانية فى القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر . وتتميز فلسفته باتساع أفقها الفريدة وبعمـق مضمـونها ، كمـا تمتـاز بأهميـة وتنـوع المسائل التى تطـرحها . فقـد اكتشف هيغل قوانين الديالكتيك الرئيسية ...)[٤].

ورغـم هذا الثناء على هذه الفلسفـة ، إلا أن هيغـل أنتقـد فيها وذلك بسبـب مثـاليته التى لم تكـن تروق لماركـس الـذى يقـول : (إن طـريقتى الـديالكتيكية لاتختلف عن الطـريقة الهيغلية من حيـث الأساس فحسب ، بل

---

(١) تاريخ الديالكتيك الفلسفة الكلاسيكية الألمانية (٣٣٤) .
(٢) المرجع السابق (٣٣٦) .
(٣) المرجع السابق (٣٣٦) .
(٤) المرجع السابق (٢٢١) .

هى ضدها تماما ، فحركة الفكر ، هذا الفكر الذى يشخصه هيغل ويطلق عليه اسم (الفكرة) هى فى نظره خالق الواقع وصانعه ، فما الواقع إلا الشكل الحادثى للفكرة ، أما فى نظرى فعلى العكس ، ليست حركة الفكر سوى انعكاس الحركة الواقعية منقولة إلى دماغ الإنسان ومستقرة فيه ...) .

ويقول : (ولكن على الرغم أنه بسبب ضلاله ، يشوه الديالكتيك بالصوفية ، فهو على كل حال أول من عرض حركة الديالكتيك الشاملة : الديالكتيك عند هيغل يسير على رأسه ، ويكفى إعادته على قدميه لكى نرى له هيأة معقولة تماما)[1].

وبالعموم فإن هيغل وقع فى مغالطات . فكيف تحمل الفكرة الواحدة عدة تناقضات تتصارع باستمرار لتنشأ فكرة جديدة متطورة . وهذه تنطوى على تناقضات متصارعة ينشأ عنها فكرة جديدة أكثر تطورا ، وهكذا فى سلسلة غير متناهية من التطورات والتصاعد نحو الكل المطلق؟!!

والحقيقة أن جدل الأفكار ليس قائما فى ذاتيتها من خلال تصارع تناقضاتها وإنما قائم فى تناظر الأفكار فيما بينها.

فالفكرة هى وحدة قائمة بحد ذاتها متكاملة لها هوية ثابتة تنطلق فى تناظرها مع فكرة أخرى خارجة عنها من منطلق إثباتها لنفسها وتصارعها مع الأخرى حتى إذا وضعت كل فكرة نظريتها وأسسها وأثبتت صحتها فتناقضت فى ذلك مع الأخرى فحينئذ تثبت إحداهما فتعمد ، وتنهار الأخرى فتنفى ، أو أن يتمخض عن ذلك تولد فكرة جديدة[2].

وكل فلسفة أو مذهب وضعى (من قبل الفكر البشرى) تجد الخلاف يدب فيه وعدم الرضا به أو التسليم بكل مقولاته أمور واردة ، وهذا ماحصل لفلسفة هيغل حيث دب الشقاق والخلاف بين تلاميذ هيجل وأتباعه وانقسموا إلى فريقين اليسار واليمين وتركز الخلاف بينهما على السياسة

---

(١) رأس المال (١/٢٢-٢٣) ، ترجمة محمد عيتانى ، ١٩٨١م ، مكتبة المعارف ، بيروت وانظر الفلسفة الماركسية فى القرن التاسع عشر (١٥١) .

(٢) انظر معالم الاشتراكية العربية (١٤٤) .

والـدين ، فـاليمين كـان محافظا ، واليسـار كان متحمسـا للأفكـار المادية[١].
واعتبر الماركسيـون أن مـاركـس وانجلـز أسهمـا إسهاما كبيرا فى هـذا الاتجاه اليسـارى المتشـدد فى رفـض الـدين واعتبروا نشـاطهما (بداية لنشـوء النهج الفكرى الهيغلى اليسارى)[٢].

وقبـل الانتقال إلى هذا الجانب المادى نشير إلى أن الفلسفـة المثالية قد أثرت سلبـا رغم توصلها إلى نتيجـة إيجابية أثبتت مـن خلالها وجود الخالق جل وعلا . فبعـد أن أثبتوا الوجود كلا بطريقته ، وحسـب تخيله ، واصلوا حديثهـم عـن هذا الإله ، ومـن هناكان المزلق الذى انحدر فيـه هـؤلاء ،لأن مايتعلق بالإله الذى هو الخالـق جل وعلا وصفـاته وأفعـاله ليـس للعقـل والتخمين فيـه مجال ، بل هـو متروك لما جاء عنه جل شـأنه أو بلغته الرسل عنه عليهم الصلاة والسلام .

نعـم (فى مقدور الفلسفـة أن تتكلم كثيرا عـن الطبيعـة والكيميـاء والحيـوان والنبات قبل أن تنفصـل عنها وتصبح علومـا مستقلـة ، وكان فى مقـدورها أن تتكلم فى الأخلاق والسيـاسة وتخطىء فى كـل ذلـك وتصيب ، فالمخاطر من وراء ذلك محدودة غايته أنها مازالت تجهـل .. أما أن تجيب هى على كـل التسـاؤلات الخاصـة بالألـوهية ومتعلقـاتها ، فهـذا مـاتردت فيهـا بالتخمينـات والشطحـات ، ذلـك أن هـذه القضايا لاتخضـع بطبيعتهـا لموازين الإنسان ...)[٣].

وأدى ذلك التصور النابع من مخيلة الإنسان عن الإلـه إلى ردود أفعال من قبل الآخرين ؛ لأنهم رأوا أن هـذا الإلـه إنما هـو مـن نسج هـؤلاء ولاحقيقـة له وإذا كان موجودا حقيقـة فلابد من رؤيتـه أو مشـاهدته ، فإن

---

(١) انظر موقف ماركس وانجلز من الآداب العالمية (١٨) .
(٢) الفلسفة الماركسية فى القرن التاسع عشر (٦٢/١) .
(٣) حوار مـع الشيـوعيين فى أقبيـة السجـون (٤٤) وانظـر (٤٦) وذكـر فيهـا بعـض تصورات هؤلاء عن الإله . وقال : (إن للعقل دوره فى الاستـدلال على الله تعالى فقط ولايتجاوز هذه المنطقة وإلا دخل فى دائرة الظنون والتخمينات) .

التجارب المعملية لم تثبت ذلك ، فكان تقديس المحسوس والمشاهد هو أبلغ رد على هؤلاء المثاليين الذين أغرقوا فى الخيال حتى وصفوا الإله بما هو منزه عنه .

فجاءت الأفكار المادية مخالفة ومعارضة للأفكار المثالية ، وتعاقب فلاسفتها منذ القدم إلى العصر الحاضر .

وإن اختلفت أساليبهم فى عرض آرائهم وتصوراتهم عن الخالق والكون والإنسان والأخلاق ...الخ ومؤدى ذلك أن لاإله ، وأن المادة هى العلة الأولى ، وهى أزلية أبدية ، وأن الأحداث الكونية والتقلبات الطبيعية تكون بصورة عشوائية مفتقرة للحكمة والعدل ، أى أن الصدفة هى سلطان تلك الأحداث والتقلبات ، ويجدر بنا القاء الضوء على بعض أولئك الذين حملوا فكرا ماديا لنتبين أن حضارة أوروبا الحديثة إنما قامت على تأثرها بأفكار الفلاسفة الأقدمين من اغريق ورومان ، وأنها امتداد لها . كما ذكرنا ذلك فى المقدمة عند حديثنا عن أوروبا . فيصدق على هؤلاء الفلاسفة المحدثين قول الخالق جل وعلا : {**إناوجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون**}[١]، وقوله تعالى : {**إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون**}[٢].

المادية وبعض فلاسفتها :

إن الفكر المادى هو الآخر يضرب بجذوره إلى الاغريق والرومان ، وكان من أشهر الفلاسفة الماديين :

(أ) **ديموقريطس الابديرى**[٣]: Democrite D'Abdere

وتقوم فلسفته على :

---

(١) سورة الزخرف : (٢٢) .

(٢) سورة الزخرف : (٢٣) .

(٣) فيلسوف يونانى ، أسس مدرسة أبدير حوالى سنة ٤٢٠ق.م سافر إلى مصر وقضى بها خمس سنوات ، له عدة مؤلفات منها فى الأفلاك ، فى طبيعة الانسان ، مسائل فى السماء . ولد عام ٤٦٠ق.م ومات ٣٧٠ق.م . انظر موسوعة أعلام الفلسفة (٤٥٥/١) رقم(٥٥٥) .

(١) أبدية المادة وعدم تبدلها .

(٢) مبدأ الحتمية فى الطبيعة .

(٣) مشابهة الآلهة للبشر إلا أنها أطول عمرا وأن هذه الآلهة تفنى[١].

(ب) **أبيقور**[٢]: Epicure

وتقوم فلسفته على :

(١) تقديس الحس وعدم الإيمان إلا بما هو محسوس وأن الحس هو أساس المعرفة .

(٢) ترك الإيمان بالمعتقدات الدينية أسلم من الإيمان بها وأن الدين مصدر الشر .

(٣) أن مقياس الخير هو فى الاحساس باللذة ومفارقة الألم .

(٤) انكار البعث ومافى الآخرة من نعيم وثواب[٣].

ثم تتابع فلاسفة ذلك المذهب قديما وحديثا وكان من أشهر المحدثين :

(ج) **هوبز**[٤] : Hobbes Thomus

وتقوم فلسفته على :

---

(١) ولمزيد من المعلومات عنه انظر : موسوعة أعلام الفلسفة (١/٤٥٥-٤٥٦) ، كواشف زيوف (٤٢٠-٤٢١) ، تاريخ الفلسفة اليونانية (٥٢) ، موقف الدين من العلم (٣٨-٣٩) . ولقد أشار القرآن الكريم إلى وجود هؤلاء الماديين منذ القدم . قال تعالى : {وقالوا ماهى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومايهلكنا إلا الدهر} . سورة الجاثية : (٢٤) .

(٢) فيلسوف اغريقى ، أنشأ مدرسة عرفت باسم (حديقة أبيقور) فى أثينا ، وزاول التعليم فيها ست وثلاثين سنة ، وله عدة مؤلفات منها : الرسائل ، شذرات القانون ، مقالة فى الطبيعة ، ولد عام ٣٤١ق.م ومات سنة ٢٧١ أو ٢٧٠ق.م . انظر موسوعة أعلام الفلسفة (١/٥٢) رقم (٤٥) .

(٣) انظر موسوعة أعلام الفلسفة (١/٥٢-٥٣) رقم (٤٥) ، وانظر : كواشف زيوف (٤٢٢-٤٢٨) ، موقف الدين من العلم (٣٩) .

(٤) فيسلوف انجليزى ، تخرج من جامعة اكسفورد ، سافر إلى ايطاليا ، ثم إلى فرنسا ، ثم عاد إلى بلاده ومالبث أن غادرها إلى باريس واستقر بها أحد عشرة سنة ثم عاد إلى بلاده ، وأصدر فيها قانونا يدين الالحاد فخاف على نفسه فحماه الملك شريطة أن لاينشر شيئا من كتبه، وله عدة مؤلفات منها: فى المواطن فى الجسم ، فى الإنسان ، ولد عام ١٥٨٨م وتوفى عام ١٦٧٩م . انظر موسوعة أعلام الفلسفة (٢/٥٤٩) رقم (١٢٣٨) .

(١) إنكار وجود الإله .

(٢) أن المعرفة لاتأتى إلا عن طريق الحس ، وبالتالى إبطال ماعدا ذلك[١].

(د) **دافيد هيوم**[٢]: Hume David

وتقوم فلسفته على :

(١) إنكار وجود الإله.

(٢) أن ماوراء الحس والمشاهد كله من ضروب التخمين .

(٣) القول بالمصادفة[٣].

(هـ) **شوبنهاور**[٤]: Schopenhauer

وفلسفته تقوم على :

(١) القول بالمصادفة فى الكون .

(٢) أن الحياة تفتقر إلى المصدر وبالتالى فهى حادثة .

(٣) وبهذا ينكر وجود الإله[٥].

---

(١) انظر : الإسلام والحضارة الإنسانية (٨٧) ، إسلام لاشيوعية (٦٣) ، د. عبد المنعم النمر ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ، دار غريب للطباعة ، القاهرة ، دون ذكر لرقم الطبعة .

(٢) فيلسوف ايرلندى ، مؤرخ وإقتصادى ، درس القانون والتجارة والفلسفة ، له عدة مؤلفات منها التاريخ الطبيعى للدين ، تاريخ انجلترا ، محاورات فى الدين الطبيعى ولد فى أدنبره عام ١٧١١م ، ومات سنة ١٧٧٦م . انظر موسوعة أعلام الفلسفة (٥٧٤/٢) رقم (١٢٤٨) .

(٣) انظر موسوعة أعلام الفلسفة (٥٧٤/٢-٥٧٦) .

(٤) فيلسوف ألمانى ، طاف أوروبا وسجل ملاحظاته عنها وعن الناس فيها ، درس الفلسفة ، ونال شهادة الدكتوراه ، من مؤلفاته : العالم كإرادة وكتصور ، عن الإرادة فى الطبيعة ، أساس الأخلاق . ولد عام ١٧٨٨م ومات سنة ١٨٦٠م . انظر موسوعة أعلام الفلسفة (٤٢/٢-٤٣) رقم (٧٣٦) .

(٥) انظر : موسوعة أعلام الفلسفة (٤٢/٢) ومابعدها ، كواشف زيوف (٤٣٢) ومابعدها .

وغير هؤلاء كثير مثل نيتشه[١]، وهربرت سبنسر[٢]، وتقوم فلسفة نيتشه على إنكار الإله، وعدم تصديق أولئك الذين يتحدثون عن آمال تتجاوز الأرض وتعلو فوقها[٣]، أما سبنسر فأهم مايميز فلسفته بعد إلحاده ، القول بالتطور للأشياء وأن هذا تطور حتمى[٤].

فهؤلاء من أشهر الفلاسفة الذين يمثلون الفكر المادى وإلا هناك غيرهم سواء فى القديم أو الحديث من الذين اصطبغوا بهذه الصبغة المادية الإلحادية ولاشك أن بعضهم تأثر بأفكار بعض ومنهم من زاد على الآخر ومنهم من خالف وهكذا إلا أن هذه الفلسفات والآراء كلها تكاد تصب فى بوتقة واحدة ألا وهى : إنكار الإله ، وجعل المادة هى الخالقة ، وعدم الاعتراف إلا بما هو محسوس ومشاهد .

وعلى هذا يمكن أن نقول بأن هذه الآراء والفلسفات تقوم على التالى :

أولا : تتفق تلك الفلسفات على إنكار الخالق جل وعلا لهذا الكون .

ثانيا : أن هذا الكون أزلى أبدى وأن المادة هى التى أوجدته فهى إذا الأصل .

ثالثا : رفض كل ماهو غيبى واعتباره من الأمور الوهمية وكل أمور الغيب ليست إلا وهما ويترتب على هذا إنكار النبوات .

---

(١) فيلسوف ألمانى ، كان والده قسيسا ، فقد إيمانه فى الثامنة عشرة من عمره، عاش فترة الشك والتشتت ، مما أدى به بعد أن اختلف مع بعض معاصريه إلى فقدان عقله ، والعيش فى اختلال عقلى تام استمر إحدى عشرة سنة ، له عدة مؤلفات منها : أصل المأساة ، غروب الآلهة ، هكذا تكلم زرادشت . ولد عام ١٨٤٤م ومات عام ١٩٠٠م . موسوعة أعلام الفلسفة (٢/٥١٢-٥١٣) رقم (١٢٠١) .

(٢) فيلسوف انجليزى ، عمل فى المجال الصحفى ، وترأس تحرير مجلة الايكونوميست له عدة مؤلفات منها مبادىء علم النفس ، المبادىء الأولى ، معطيات الأخلاق ، ولد عام ١٨٢٠م ومات عام ١٩٠٣م . موسوعة أعلام الفلسفة (١/٥٤٥-٥٤٦) رقم (٦٣٩) .

(٣) ولمزيد انظر : موسوعة أعلام الفلسفة (٢/٥١٢-٥١٥) ، كواشف زيوف (٤٤٢-٤٥٠) .

(٤) لمزيد انظر موسوعة أعلام الفلسفة (١/٥٤٥-٥٤٧) .

رابعا : أن الدين شر ومهمة الفلسفة تكمن فى القضاء عليه ، بالإضافة إلى أنه اختراع من قبل الناس .

خامسا : أن اشباع الغريزة والوصول إلى اللذة الجسدية هو أساس كل شيء واشباع هذه الغريزة هو مايرمى إليه الانسان بل إن اللذة هى مقياس الخير .

سادسا : حرية الانسان فى فعل مايشاء . يرى أنه يحافظ على حياته .

سابعا : أن هذا الكون وجد صدفة ، وأنه يسير بدون عناية ولاحكمة.

وهكذا (انصرف اتجاه الغرب إلى المادية بكل معانيها ، وبكل ماتتضمنه هذه الكلمة من عقيدة ووجهة نظر ونفسية وعقلية وأخلاق واجتماع وعلم وأدب وسياسة وحكم ، وكان ذلك تدريجيا ، وكان أولا ببطء وعلى مهل ، ولكن بقوة وعزيمة ، فقام علماء الفلسفة والعلوم الطبيعية ينظرون فى الكون نظرا مؤسسا على أنه لاخالق ولامدبر ولاآمر ، وليس هناك قوة وراء الطبيعة والمادة تتصرف فى هذا العالم الطبيعى ، وتحكم عليه وتدبر شئونه ، وصاروا يفسرون هذا العالم الطبيعى ، ويعللون ظواهره وآثاره بطريق ميكانيكى بحت وسموا هذا نظرا علميا مجردا وسموا كل بحث وفكر يعتقد بوجود إله ويؤمن به طريقا تقليديا لايقوم عندهم على أساس العلم والحكمة ، واستهزأوا به واتخذوه سخريا ، ثم انتهى بهم طريقهم الذى اختاروه وبحثهم ونظرهم إلى أنهم جحدوا كل شيء وراء الحركة والمادة ، وأبوا الإيمان بكل مالايأتى تحت الحس والاختيار ، ولايدخل تحت الوزن والعد والمساحة ، فأصبح ـ بحكم الطبيعة وبطريق اللزوم ـ الإيمان بالله وبما وراء الطبيعة ، من قبيل المفروضات التى لايؤيدها العقل ولايشهد بها العلم)[1].

وكان من أشهر هؤلاء القائلين بالمادة ، والذين أخذ المذهب المادى على يديهم صفة التنظير والبرهنة كارل ماركس .

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (١٧٨) .

المبحث الأول
مادية ماركس

شكل ماركس علامة بارزة فى مادية العصر الحديث وذلك لأنه دمج بين عدة فلسفات وخرج بفلسفة خاصة به ، وقد قلنا بأن ماركس أخذ من هيغل جدليته كما أنه أخذ من فيورباخ ماديته ، ومن هنا نلمح أولا عن أستاذ ماركس باختصار .

فيورباخ(١): Feuerbach

كان تلميذا لهيغل ، ثم تخلى عن فلسفته ونقدها ، وقد مر معنا القول بأن أنصار هيغل انقسموا إلى يمين ويسار ، وكان فيورباخ من قواد الاتجاه اليسارى ، حيث اعتبر فلسفة هيغل عاجزة عن حل مشكلة الخلاف بين الإنسان وتجاربه حيث كانت بعيدة عن عالم الواقع ، وقال إن هيغل لاهوتى تستر بزى فيلسوف ، فكان مذهبه الذى يقول بأن الله خلق الطبيعة ... واعتبر فيورباخ الفلسفة النظرية أنها لاتوصل إلى فهم حقيقى للواقع ، وبعد نقده لهيغل حدد مبادىء فلسفته التى التزم فيها بالحسية وانتقاد الدين .

وأكد فيورباخ أن الحواس التى احتقرها الفلاسفة هى التى تؤدى إلى بلوغ الحقائق الفلسفية ... ثم تحدث عن الإنسان وعلاقاته ، ورأى أن العلاقات الإنسانية تستخلص بشكل خاص من الحب الجنسى ... وعندما يدرك الرجل وجود كائن آخر يختلف عنه ويكلمه ويساهم فى تحديده وهو المرأة فالانسان ليس كائنا مستقلا بل هو بطبيعته كائن مرتبط بكائن آخر وتشكل

---

(١) فيلسوف وعالم اجتماع ألمانى ، درس الابتدائية والثانوية فى مدرسة انسباخ ، ودرس اللاهوت وتتلمذ على يد هيغل ، حصل على الدكتوراه من جامعة ايرلنغن سنة ١٨٢٨م ، وعمل بها أستاذا ، ثم انضم إلى جماعة اليسار الهيغلى وله عدة مؤلفات منها : نقد الفلسفة الهيغلية ، ماهية المسيحية ، ماهية الدين ، نسب الآلهة ولد عام ١٨٠٤م ومات عام ١٨٧٢م . انظر موسوعة أعلام الفلسفة (٢٠٧-٢١٢) رقم (٨٩٨) .

هذه الوحدة أساس الحياة الاجتماعية ، ويرى فيورباخ أن وجود الآخر شرط ضرورى لكل معرفة .

أما النقد الدينى : فهو يرى أن الإيمان بالعناية الإلهية يدفع إلى احتقار التقدم المادى . وكذلك الإرادة إذا ماسلمت إلى كائن أسمى فإنها تؤدى إلى خضوع كلى أعمى . كما أن الدين أساء إلى الحب حيث إن الإنسان الذى استعبده الحب الإلهى يتخلى عن تعرفه إلى ذاته فى اتحاده مع الآخرين ، ويضع كل قواه فى خدمة إيمان أعمى يحرض بعضهم على بعض فالدين يشكل عقبة فى سبيل التقدم المادى والأخلاق .

ويقول إن على الإنسان أن يسعى فى استرداد ماهيته ويملك جوهره من جديد ، فالانسان والإنسان وحده كائن عام جماعى أى الإنسانية هو الله بالنسبة للإنسان[١].

وقد أثنى ماركس على فيورباخ ورأى أن الفضل الأكبر يرجع إلى فيورباخ فى :

(١) (فضح المثالية كعقيدة دينية مهذبة) .

(٢) (مناقضة المثالية بالمادية الحقيقية)[٢].

وكالعادة فإن ماركس وانجلز ينقدان فيورباخ (لأنه لم يطبق المادية إلى النهاية ، لأنه جحد المادية بسبب أخطاء بعض الماديين ، لأنه حارب الدين بقصد تجديده أو بقصد صنع دين آخر ، لأنه لم يعرف كيف يتخلص من

---

(١) انظر : موسوعة أعلام الفلسفة (٢/٢٠٧-٢١٢) ، الاتجاهات الفكرية المعاصرة (١٧٢) ، الفلسفة الماركسية فى القرن التاسع عشر (١٦٦) وجاء فيه : (إن العالم الذى نعرفه عن طريق حواسنا هو الحقيقة الوحيدة وإن شعورنا وتفكيرنا مهما بدا أنهما فوق المحسوسات إن هما إلا من نتاج مادة وعضو من أعضاء الجسم وذلك هو المخ فليس المادة وليدة العقل بل العقل نفسه لايعدوكونه أعلى وأرق ماتنتجه المادة وتولده) .

(٢) الفلسفة الماركسية فى القرن التاسع عشر (١٣٨) .

التعابير المثالية فى حقل علم الإجتماع ويصبح ماديا)[١].

ومن هنا يمكن القول إن فلسفة فيورباخ تقوم على التالى :

أولا : إنكار الإله .

ثانيا : أن الشعور بوجود الإله إنما يتولد من فكر الإنسان وأمانيه[٢].

ثالثا : ذوبان الفرد فى المجتمع فلاكيان له إلا من خلاله .

رابعا : أن المجتمع يمثل الإله بالنسبة للإنسان (الإنسانية) .

خامسا : إن الإله هو الإنسان نفسه.

سادسا : أن الدين محصول للعقل الإنسانى وليس موحى به من الخارج أى أن الإنسان هو الذى اخترع الدين[٣].

تعريف المادة والمقصود بالمادية :

المادة (كل شىء يكون مددا لغيره ... والإمداد أن يرسل الرجل للرجل مددا تقول : أمددنا فلانا بجيش)[٤].

ومادة الشىء : الأصل الذى يتكون منه الشىء . فمادة السرير الخشب ومادة الثوب الصوف ، ومادة الورق القطن .

والمادة : كل شىء يكون مددا لغيره ، ومادة الشىء أصله وعناصره التى يتركب منها ، حسية كانت أو معنوية كمادة البناء أو مادة البحث .

وهذه المادة المكونة غيرها ترجع إلى مادة هى أصلها وهكذا . ولابد من أن ينتهى هذا التسلسل إلى مادة أساسية وهى المادة التى لايمكن أن يوضع لها مادة بدورها[٥].

---

(١) الماركسية والنزعة التحريفية (٢١) لينين ، منشورات مكتبة عائد بديره ، دمشق ، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها .

(٢) قارن مايقوله الشيوعيون عن منشأ فكرة الإله .

(٣) انظر عن الفقرة (الخامسة والسادسة) الفكر المادى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى (٢٧٢-٢٧٣) .

(٤) لسان العرب (٣/٣٩٨) حرف الدال ، فصل الميم .

(٥) انظر فلسفتنا (٣٤٧-٣٤٨) ، محمد باقر الصدر ، الطبعة الثانية عشر ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م التعارف للمطبوعات ، بيروت ، لبنان .

وقد كثرت تعاريف المادة فى معناها الاصطلاحى :

فمن ذلك (أنها كل ماتقع عليه الحواس)[١].

أو (ذلك المجهول الذى يلد منه كل ماهو معلوم)[٢].

ويقول ستالين عنها : (المادة عنصر أول لأنها منبع الاحساسات والتصور والإدراك بينما الإدراك هو عنصر ثان مشتق لأنه انعكاس المادة انعكاس الكائن وأن الفكر هو نتاج المادة لما بلغت فى تطورها درجة عالية من الكمال أو هو بتعبير أدق أن الفكر هو نتاج الدماغ والدماغ هو عضو التفكير فلايمكن بالتالى فصل الفكر عن المادة دون الوقوع فى خطأ كبير)[٣].

ويعرفها الماركسيون أيضا بأنها (الوجود الموضوعى خارج الذهن)[٤].

ويعرفها لينين بقوله : (المادة هى كل مايحدث الإحساس بفعله فى حواسنا) .

أو (المادة هى الواقع الموضوعى المعطى لنا فى الإحساس)[٥].

ويظهر من هذه التعريفات أن المادة هى أصل هذا الوجود وأنها الخالقة وماعداها مخلوق . وباختصار شديد فهى (الإله) إلا أن العلم لم يمهلهم حيث تفجرت الذرة ولم تعد للمادة تلك القدسية ، فقد أصبحت مكونة من عدة أجزاء لاتشكل وحدة مستقلة بذاتها .

يقول ادنجتون : (إن المادة مركبة من بروتونات والكترونات أى شحنات موجبة وسالبة من الكهرباء)[٦].

---

(١) حوار مع الشيوعيين فى أقبية السجون (٧١) .

(٢) النظرية المادية فى المعرفة (٣٨) ، روجيه جارودى ، تعريب إبراهيم قريط ، دار دمشق للطباعة والنشر ، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها .

(٣) المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية (٢٩) نقلا من كتاب موقف الإسلام من نظرية ماركس للتفسير المادى للتاريخ (١٢٤) ، د. أحمد العوايشة ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، المكتبة الإسلامية ، عمان ، الأردن .

(٤) حوار مع الشيوعيين (٧١) ، وانظر النظرية المادية فى المعرفة (٣٨) .

(٥) نقلا من كتاب النظرية المادية فى المعرفة(٣٨) .

(٦) نقلا من كتاب حوار مع الشيوعيين (٧٢) .

ويقول هولفيغ : (هل المادة موجودة؟ هاهى الذرة مجردة من المادة إن المادة تتلاشى)[١].

ويقول جارودى أين هى المادة؟ (إن الذرة ، هذا "الكنه المادى" غير القابل للتحطيم يتبخر إلى كهرباء ، وأين هى "كتلة" الالكترون؟ إنها تنعدم عندما يقرب من السكون وعندما يسافر تجد نفسها متمددة بشكل ساحة مغناطيسية فى الفضاء المحيط بها كله أما يزال لها "جسم"؟ وكتلتها ، هذا التعبير الرياضى لكنه المادى ، أما تزال ثابتة؟ لا . فالمادة تزول إذن ويتطاير الواقع كله بشكل دخان جبرى ولاتبقى سوى معادلاتنا ونبقى وحدنا مع إحساساتنا وفكرنا لكى ننظمها)[٢].

ويقول د. الجمل : (لقد انتهت المادة إلى ذرة . وانتهت الذرة إلى إشعاع أو إلى طاقة ليس لها من خواص المادة التى كان يعرفها الماديون شيئا قط . فقد انتهى الحجم وانتهى الوزن وانتهى اللون وانتهى كل شىء كانت تعرف به المادة . انتهت المادة إلى أن تصبح أمرا هو أقرب مايكون إلى الأفكار وأبعد مايكون عن المحسوسات .

والذى نريد أن نصل إليه من هذا أن جوهر المادة ليس شيئا من البساطة والوضوح بحيث يقال عنه ماكانت تقوله الفلسفة الماركسية فى أواخر القرن الماضى وأن وضع المادة فى مقابل الفكرة وجعلها نقيضين يصبح الآن من الأمور التى لايستطيع العقل الفلسفى أن يتقبلها بقبول حسن...)[٣].

وهكذا ثبت أن الأصل المزعوم إنما هو مكون من جزئيات وذرات عديدة ، بل إنه غير مشاهد ولامحسوس . ونأتى إلى تعريف المادية عند الماركسين وهى مبنية على القول فى المادة .

---

(١) نقلا من كتاب المادية والمثالية (٥٩) . ولمزيد من الأقوال عن المادة وتفجرها وتحولها إلى عدة أجزاء وتلاشيها انظر : حوار مع الشيوعيين (٧٢-٧٣) ، العلوم الطبيعية فى القرآن (٢٢٤) ، يوسف مره ، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م ، دار مكتبة الهلال ، بيروت .

(٢) النظرية المادية فى المعرفة (١٧) .

(٣) الإشتراكية العربية (١٣٩-١٤٠) .

يقول لينين : (المادية هى التسليم بالقوانين الموضوعية للطبيعة ، وترجمة هذه القوانين فى رأس الإنسان ترجمة صحيحة)[١].

ويقول : (إن المادية متفقة تمام الإتفاق مع العلوم الطبيعية ، تعتبر المادة معطى أوليا ، والوعى والفكر ، والإحساس ، معطى ثانويا لأن الحساسية لاترتبط بشكل واضح ، إلا بأشكال عليا من المادة ، لايمكننا أن نفترض فى أسس بناء المادة ، وجود خاصة مشابهة للحساسية)[٢].

والمادية هى لب الفلسفة الماركسية ، وماقامت إلا عليها ، لنبذ الدين وتحطيم أفكار القرون الوسطى ، لأن هذه المادية هى المنسجمة مع تعاليم العلوم الطبيعية .

يقول لينين : (إن المادية هى فلسفة الماركسية ففى غضون كل تاريخ أوروبا الحديث ، ولاسيما فى أواخر القرن الثامن عشر ، فى فرنسا ، حيث كان يجرى نضال حاسم ضد كل نفايات القرون الوسطى ، ضد الاقطاعية فى المؤسسات وفى الأفكار ، كانت المادية الفلسفة الوحيدة المنسجمة إلى النهاية والأمينة لجميع تعاليم العلوم الطبيعية ، والمعادية للأوهام ولتصنع التقوى ...الخ ، ولذا بذل أعداء الديموقراطية كل قواهم "لدحض" ، المادية ، لتقويضها للافتراء عليها ، ودافعوا عن شتى أشكال المثالية الفلسفية التى تؤول أبدا ، على نحو أو آخر ، إلى الدفاع عن الدين أو إلى نصرته .

وقد دافع ماركس وانجلز بكل حزم عن المادية الفلسفية ، وبينا مرارا عديدة مافى جميع الانحرافات عن هذا الأساس من أخطاء عميقة)[٣].

وكانت المادية عند ماركس تتشكل نضالا ضد المؤسسات السياسية القائمة آنذاك وضد الدين واللاهوت ، بل أيضا ضد كل ميتافيزية[٤]، وكان

---

(١) نقلا من كتاب النظرية المادية فى المعرفة (٤٥٥) .

(٢) المادية والتجريبية الانتقادية (٢٤) ، نقلا من كتاب النظرية المادية فى المعرفة (١٦٣-١٦٤) .

(٣) مصادر الماركسية الثلاثة (٤) .

(٤) انظر مصادر الماركسية (٢٠) .

يؤكد على السخرية من كل مايرجع إلى المثالية[١].

ومن هنا (تؤكد المادية :

(١) أن حوادث العالم هى الأوجه المختلفة للمادة المحركة ، باعتبار أن المادة هى ماهو موجود خارج روحى وخارج كل روح والتى لاتحتاج لأية روح لكى توجد .

(٢) أن المادة هى ، بالتالى ، الواقع الأول وليست إحساساتنا وفكرنا سوى إنتاج هذا الواقع وانعكاسه .

(٣) يمكن للمعرفة المثبتة بالتجربة وبالممارسة العملية أن تنفذ نفاذا تاما إلى العالم وإلى قوانينه)[٢].

ومؤدى ماتذهب إليه الماركسية أن المادة هى الأصل ولاتحتاج إلى غيرها . وبالتالى فهم يرون أنه لايمكن الإيمان إلا بما هو محسوس مشاهد وخاضع للتجربة . ومن هنا جاء ثناؤهم على الفكر الحسى ، واعتبروه هو الذى سدد الضربة القاضية لكل التصورات الدينية . يقول بوليتزر : (إن الفكرة القائلة إن جميع المعارف تأتى من العالم الحسى ، عبر الحواس ، فكرة لها أهميتها العظيمة . فهى تمثل ، أولا ، قطيعة مع التصورات الصوفية بصدد أصل المعرفة . فقد كانت إحدى الحجج التى يتذرع بها لإثبات وجود الله القول بأن الإنسان يملك فى داخله فكرة الله الفطرية) .

ويقول : (كانت البرهنة على أن جميع أفكارنا تأتى من التجربة بمثابة دحض وتفنيد لنظرية الأفكار الفطرية ، وضربة قاصمة تسدد إلى اللاهوت والميتافيزيا)[٣].

---

(١) انظر المادية والمثالية (٤٦) .
(٢) النظرية المادية فى المعرفة (٥-٦) .
(٣) فلسفة الأنوار (٢٠-٢١) .

وإذا كـانت البيئة الأوربية تشكل أرضا خصبة لنشأة الأفكـار الإلحادية فإنها كذلك قد شكلت أساسا قـويا لماركس وانجلز فى قيـام ماديتهما . يقول بوليتزر نتيجـة لما وصـل إليـه الفكر الأوربى فقد (تهيـأت العنـاصر للمعركة الكبرى الفـاصلة والنهـائية التى ستشنهـا فلسفة الأنوار ضـد كـل ماتبقى من الأيديولوجيا القروسطية . هذه المعركة تمتد من النضال ضد المبادىء النظرية التى كـان يستلهمها المجتمع الاقطاعى إلى النضال ضـد مؤسساته . إنه نضال ضد اللاهوت ، ضد الميتافيزياء ، ضـد مجمـل المعتقـدات الـدينية ، ضـد النظريات الاجتماعية والسياسية التى كانت تلك المبادىء بمثابة تبرير لها . إن فلسفـة الأنوار بدحضهـا اللاهـوت والميتافيزياء ، قضـت على "هـالة التكريس الإلهى" التى كانت الكنيسة قد أحاطت بها المؤسسات الاقطاعية)(١).

ومـن مادية القرن الثامن عشر انطلق ماركس وانجلـز فوضعا أصولهما المادية وأفكـارهما الإلحادية . يقـول لينين إن (ماركـس لم يتوقف عند مادية القرن الثامن عشر ، بل دفع الفلسفة خطوات إلى الأمـام . فأغناها بمكتسبات الفلسفـة الكلاسيكية الألمانيـة ، ولاسيما بمكتسبات مـذهب هيغـل ، الذى قاد بدوره إلى مـادية فورباخ . وأهـم هذه المكتسبات ، الـديالكتيك ، أى نظرية التطور بأكمل مظاهرها وأشدها عمقا ، وأكثرها بعدا عن ضيق الأفق ، نظرية نسبية المعارف الإنسانية التى تعكس المادة فى تطورها الدائم)(٢).

ومـن هنـا فـإن الفضل يرجع إلى مـاركس وانجلـز فى اكتشـاف المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية حيث طبقا هذه النظرة المادية على جميع شئون الحيـاة الإنسانية . يقول بولتيزر : (كـان ماديو القرن الثـامن عشر قد تركوا هم أنفسهم مهمة يتوجب انجازهـا : تطبيق وجهة النظر المادية تطبيقـا منطقيا متمـاسكا على التاريخ ، على دراسة تطور المجتمع . هـذه المهمة المزدوجة هى

---

(١) فلسفة الأنوار (٢٣) .
(٢) مصادر الماركسية (٥) .

التى أنجزهـا ماركس وانجلز . انجاز المهمة الأولى هو المادية الجدليـة ، وانجاز المهمة الثانية هو المادية التاريخية . كيف أنجز ماركس وانجلـز هاتين المهمتين؟ كيف استخلصا (النواة العقلية) من جدل هيغل؟ ماالسمات الأساسية للمادية الجدليـة والمادية التـاريخيـة؟ هـذا مايتيح "تاريخ الحزب البلشفـى" لكـل فرد اليوم أن يعلمه .

إن مـاركس وانجلز هما اللـذان تابعا تطوير مأثرة مـادية القرن الثامن عشـر . لهـذا ألح لينين على كـون المادية الجدلية الشكـل الحديث للمـادية . لكـن ماركس وانجلز طورا فلسفة الأنوار جدليا ، أى بتجـاوزها . لقد تجاوزا بالمنهـج الجدلى الماركسـى ، ضيـق أفـق مادية القرن الثـامن عشـر الذى كان نتيجـة محتومة لوضع العلوم فى تلـك الحقبة . وأبدعا فى الـوقت نفسه المادية التـاريخية . هكذا جرى لأول مـرة تطبيق وجهة النظر المادية تطبيقـا منطقيـا متماسكا .

ولأن الماركسيـة هـى وحدهـا التى أنجزت تلك المهـام ، فـإنها الوريثة والمتابعة الوحيدة لفلسفة الأنوار ، وهى وحدها التى يمكن أن تكون وريثتها ومتابعتها : فالمادية لايمكن أن تكون على مستوى العلوم الحديثة إلا إذا كانت جدليـة ، ولاوجود لتصور علمـى آخر للتاريخ سوى المادية التـاريخية وهذه الأخيرة (تسحب مبادىء المادية الجدلية على دراسة ظاهرات الحياة الإجتماعية على دراسة الحياة الاجتماعية ، على دراسة تطور المجتمع)[١].

وعلى هـذا وكما قلنا فإن جديد ماركس الذى جاء به ليـس الجدلية ، ولاالمادية بحد ذاتها بل (المادية الجدلية) .

---

(١) فلسفة الأنوار (٤٠-٤١) .

المبحث الثانى
المادية الجدلية [الديالكتيك]

ينسب هذا المصطلح إلى كارل ماركس ، وقد مر معنا إيضاح معنى المادية فما المقصود بالجدلية (أو الديالكتيكية) .

كلمة ديالكتيك أخذت (من الكلمة اليونانية (ديالغو) ومعناها المحادثة والمجادلة)[١].

فالكلمة اغريقية ولها عدة معان منها الحوار[٢]، المحاجة ، فن النقاش[٣].

والجدل عند أفلاطون يعنى (علم الاستدلال الذى يكون بالفكر الصحيح والقياس المؤدى إلى علم حقيقة الشىء)[٤].

ويعرفه زينون الأيلى بقوله : (الجدل وسيلة لدحض رأى الخصم وذلك بالتسليم جدا لهذا الرأى ثم ارغام الخصم على أن يسلم بأن رأيه يؤدى إلى نتائج متناقضة)[٥].

---

(١) حكم الاسلام فى الاشتراكية (٣٨) ، ولمزيد من التفصيل حول هذه الكلمة انظر : نقض الإشتراكية الماركسية (٨) ، غانم عبده ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م ، دار الإيمان ، بيروت ، كواشف زيوف (٥٤٠-٥٤١) ، إنهيار الشيوعية أمام الاسلام (٣٧) ، الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى (٦٨) ومابعدها .

(٢) انظر موقف ماركس وانجلز من الآداب العالمية (٢٩) .

(٣) انظر المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها (١٢٧) .

(٤) أفلاطون فى الإسلام (٣٢٧) ، د. عبد الرحمن بدوى ، الطبعة الثانية ١٩٨٠م ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع .

(٥) المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها (١٢٧) . ولمزيد من التعريفات انظر : نفس المرجع (١٢٨) ، الكيد الأحمر (٣٤٨-٣٤٩) ، نقض أوهام المادية الجدلية (٢٣) د.محمد سعيد رمضان البوطى ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م ، دار الفكر ، دمشق سوريا .

ومن خلال عرض هذه التعريفات نجد أن الجدل لايخرج عن إثبات الحقيقة من خلال المحاورة والمجادلة مع الخصم وبيان التناقض فى أدلته . أو نبذ الأدلة الخاطئة والإبقاء على الأدلة الصحيحة[١].

ولكن هل استمر الديالكتيك بهذا المفهوم فى العصر الحديث؟

يقول الصدر : (إن الجدل الجديد ، لم يعد منهجا فى البحث وأسلوبا لتبادل الآراء بل أصبح طريقة لتفسير الواقع ، وقانونا كونيا عاما ينطبق على مختلف الحقائق وألوان الوجود فالتناقض ليس بين الآراء ووجهات النظر فحسب بل هو ثابت فى صميم كل واقع وحقيقة فمامن قضية إلا وهى تنطوى فى ذاتها على نقيضها ونفيها)[٢].

فالجدلية لم تأخذ طابعها الذى يخدم الماركسيين إلا فى الآونة الأخيرة ، وخاصة على يد العلماء الألمان الكلاسيكيين وعلى رأسهم هيغل رغم أنه لم يستخدمها كما استخدمها ماركس ، ولأجل ذلك اعتبرها ماركس مقلوبة لابد من إيقافها على قدميها . وعن فلسفة هيغل يقول : (يذهب الديالكتيك الهيجلى إلى أن لكل حجة حجة مضادة وأن الحجة والحجة المضادة تلتحمان وتكونان تركيبة جديدة تجمع بين الحجتين . ولأن الديالكتيك لايتوقف فإن هذه التركيبة الجديدة تصبح بدورها حجة تصدم بها حجة مضادة ليكونا أيضا حجة جديدة أو تركيبا جديدا . وهكذا دواليك . سلسلة لاتنتهى (إلا بالوصول إلى المطلق) من المركبات المتولدة والتى تجمع أبدا بين الأشياء ونقائضها . واستخدم هيجل الديالكتيك ليثبت به تطور الفكر الإنسانى نحو المطلق فى حين طبق ماركس الديالكتيك على الظواهر المادية)[٣]. وقد أثنى

---

(١) انظر ماذكره الصدر بشأن ذلك فى كتابه فلسفتنا (٢٢١) .

(٢) فلسفتنا (٢٢١) .

(٣) موقف ماركس وانجلز من الآداب العالمية (٢٩) ، وانظر : نقض أوهام المادية الجدلية (٢٤-٢٦) ، فلسفتنا (٢٢٢) ، الكيد الأحمر (٣٤٨-٣٤٩،٣٥٢) ، ضمانات الحرية (٧٨) ومابعدها .

ماركس وانجلز على هيغل ولكـن لم تكـن نظـريته تخدم كـل توجهـاتهم فاعتبروها بداية لما جاء عنهم فيما بعد .

واعتبر انجلز أن الديالكتيكية لها شكلان:

الأول : (الفلسفة اليونانية . وهنا لايزال الفكر الـديالكتيكى يظهر فى بساطته البدائية ...) .

الشكـل الثـانى : (الشكل الأقـرب إلى العلماء الطبيعيين الألمان ، فهـو الفلسفـة الكلاسيكية الألمانيـة من كانط إلى هيغل . هنـا أرسيت بداية ما)[١].

فيرى انجلـز أن فلسفـة هيغـل أرسـت البداية حتى إذا مـاجاء مـاركس أخرج الجدليـة إلى النور . يقـول انجلز : (إن مأثرة مـاركس تقوم فى أنه ، على النقيض من "المقلدين الصاخبين ، المتصنعين والتافهين ، الذين يتبجحون فى ألمانيـا اليـوم" ، كـان أول مـن انتشـل المنهج الـديالكتيكى مـن غيـاهب النسيـان وأظهره إلى النور ، وبين ارتبـاطه بالديالكتيـك الهيغلى ... وقـام فى الـوقت نفسه بتطبيق هذا المنهج فى "رأس المال" على وقـائع علم تجريبى ، هو الإقتصاد السياسى . وقد تم له ذلك بنجاح باهر)[٢].

ومـن هنا يقول انجلز (الديالكتيك ، بالذات ، يمثـل اليوم أهم طرائق التفكير بالنسبة لعلوم الطبيعة ، إذ أنه الوحيد ، الذى يقدم النظير ، وبالتالى منهـج التفسير ، لعمليات التطـور التى تجرى فى الطبيعـة ، وللروابط الشاملة فيها ، وللانتقالات من ميدان بحث إلى آخر)[٣].

---

(١) ديالكتيك الطبيعة (٥٠) .
(٢) المرجع السابق (٥١) .
(٣) المرجع السابق (٤٧-٤٨) .

المادية الجدلية (الماركسية) :

قلنا إن ماركس أخذ من هيغل جدليته ، وأخذ من فيورباخ ماديته ، فأنشأ جدلية مادية خاصة فيه ، وقد تأثر ماركس بهيغل وأخذ عنه الكثير . يقول لينين : (لقد كان ماركس وانجلز يريان فى ديالكتيك هيغل أوسع مذهب من مذاهب التطور وأوفرها مضمونا وأشدها عمقا وأثمن اكتساب حققته الفلسفة الكلاسيكية الألمانية)[١]. ويرجع الفضل إلى ماركس وانجلز فى اخراج المادية الديالكتيكية وفصلها عن المثالية . يقول انجلز : (كان ماركس وأنا الوحيدين تقريبا اللذين خلصنا الجدلية الواعية من الفلسفة المثالية الألمانية وطبقناها فى المفهوم المادى عن الطبيعة والتاريخ)[٢].

ويقول بوشنسكى : (المادية الجدلية عبارة عن تركيبة تجمع بين الجدل الهيجلى وبين مادية القرن التاسع عشر الميلادى فى أوروبا)[٣].

وبهذا نلاحظ إدخال الطبيعة والتاريخ البشرى تحت الجدل ودراسته من خلال هذه الجدلية . يقول لينين : (فى أيامنا دخلت فكرة النمو ، فكرة التطور ، على نحو كلى تقريبا ، فى الوعى الإجتماعى ولكن عن طريق فلسفة هيغل بيد أن هذه الفكرة كما صاغها ماركس وانجلز ، بالاستناد إلى هيغل ، هى أوسع جدا وأغنى جدا فى محتواها من الفكرة الشائعة عن التطور . تطور يبدو وكأنه يستنسخ مراحل مقطوعة سابقا ولكن على نحو آخر وعلى درجة أرفع "نفى النفى" ، تطور على نحو لولبى ، إذا صح التعبير ، لاعلى نحو خط مستقيم ، تطور بقفزات وكوارث وثورات ، "انقطاعات فى التدرج" تحول الكمية إلى كيفية ، اندفاعات داخلية نحو التطور يثيرها التضاد والتصادم فى القوى والاتجاهات المتمايزة التى تعمل فى جسم معين أو فى حدود ظاهرة

---

(١) مصادر الماركسية (٢٣) .

(٢) انتى دوهرنغ (١٢) ، وانظر مصادر الماركسية (٢٣) .

(٣) الفلسفة المعاصرة فى أوروبا (١٠٦) .

أوفى قلب مجتمع معين ، تبعية متبادلة وصلة وثيقة لايمكن فصمها ، بين جميع جوانب كل ظاهرة (والتاريخ يكشف دائمًا عن جوانب جديدة وجديدة) ، صلة تحدد مجرى الحركة الوحيد ، المشروع ، الكلى : هذه هى بعض مميزات الديالكتيك بوصفه مذهبا للتطور أغنى من المذهب الشائع)[١].

يقول ميخايلوفسكى[٢]: (أطلق ماركس وانجلز تسمية الطريقة الديالكتيكية على عكس الطريقة الميتافيزيقية على الطريقة العلمية فى علم الاجتماع التى تقضى بأن المجتمع كالكائن الحى فى تطور دائم ... والذى لابد لدراسته من تحليل موضوعى لعلاقات الانتاج التى تكون مجمل التشكيلة الإجتماعية ودراسة قوانين عملها وتطورها)[٣].

فالمادية الجدلية الماركسية هى (علم القوانين العامة للحركة ، سواء أفى العالم الخارجى أم فى الفكر البشرى)[٤].

وبالتالى فالجدلية الماركسية ترى أن كل شىء متطور وغير ثابت سواء فى المجتمعات البشرية ، أو الأفكار أو الأخلاق ، فكل ذلك أخضعته الجدلية الماركسية لفكرة التطور . وأعلنوا أن جدليتهم أخرجت الجدل إلى واقع الممارسة العملية فيقولون : (إن ظهور المادية التاريخية والمادية الجدلية كان بمثابة الإعلان عن ظهور الفلسفة التى ستحدث انقلابا فى فهم العلاقة بين النظرية وبين الممارسة ، والتى ستعطى النظرية الفلسفية لأول مرة فى تاريخ البشرية طابعا اجتماعيا واقعيا حقا ، كما ستدخل "الممارسة" فى الفلسفة ، باعتبار كونها مقولة مثبتة علميا)[٥].

---

(١) مصادر الماركسية (٢٥) .

(٢) كاتب روسى ، زعيم الحركة الشعبية الليبرالية ، ولد عام ١٨٤٢م ومات عام ١٩٠٤م . انظر الماركسية قضايا أساسية ، فهرس الأعلام (١٢٤) .

(٣) نقلا من كتاب تاريخ النظريات الإقتصادية (٣١٤) .

(٤) مصادر الماركسية الثلاثة (٢٤) .

(٥) الفلسفة الماركسية فى القرن التاسع عشر (١٣-١٤) .

فقاموا بتطبيق الفكر الجدلى على المجتمع الإنسانى ، وكل مجالات الحياة من أخلاق وأفكار وأنظمة أى أنهم ـ وكما يزعمون ـ قاموا بتطبيقه عمليا ، وإذا كان ماركس قد أخذ من هيغل جدليته فإن هيغل توصل من خلالها إلى إثبات وجود (الله) وهو مايعبر عنه بالمطلق . أما ماركس فإنه استخدم هذا النهج لإلغاء هذه الفكرة ومن هنا كان بين الفيلسوفين فروقا عديدة من أهمها :

أولا : أن نظرية هيغل لاتستبطن إلحادا بل تؤكد على وجود الإله الخالق وأن هذه المخلوقات من صنعه . أما النظرية الماركسية فتقول بتأليه المادة وتنكر بالتالى وجود الخالق[١].

ثانيا : جعل ماركس العامل الإقتصادى فى ديالكتيكه هو المسيطر وهو الذى يفسر التاريخ البشرى ولم يجعل الفكرة شيئا مستقلا عن سائر العوامل الأخرى الواقعية والمتعارضة معه بل أدمج كلاً من الفكر والإجتماع والدين والسياسة معا وردها كلها إلى أسسها الإقتصادية باعتبارها هى أسس المادية المحركة عداها من نزعات البشر وهى التى تشكل العلاقات بين البشر وبالتالى فوسائل الإنتاج وطرقه هى المهيمنة على روابط الجماعة وهى التى تحدد شكل المجتمع ونظامه وتطوره .

وهذا التطور فى المجتمع إنما ينشأ كأثر للصراع بين الطبقات التى يحركها هذا العامل المادى[٢].

ثالثا : أن ماركس وانجلز لم يكتفيا باستخدام المادية وتطبيقها على قوانين الطبيعة بل طبقاها على المجتمع البشرى وعلى الدين والأخلاق والأفكار[٣].

---

(١) انظر : نقض أوهام المادية الجدلية (٤١-٤٢) ، إنهيار الشيوعية أمام الإسلام (٨٨-٨٩) .

(٢) انظر ضمانات الحرية (٧٨-٧٩) .

(٣) انظر ماجاء فى كتاب سيرة حياة ماركس (٧٤-٧٥) .

وبعد هذا العرض نصل إلى الحقائق التالية :

أولا : أن الماديين يرون أن المادة هي أصل الوجود ، وأن كل الموجودات انبثقت منها .

ثانيا : أن الماديين يرون أن المادة تطورت تطورا ذاتيا حتى وصل الكون عن طريقها إلى ماهو عليه الآن .

ثالثا : لايعترف الماديون إلا بالكون المادى ويعتبرونه هو الحقيقة الوحيدة لأنها تخضع للإدراك الحسى .

رابعا : يرى الماديون أن فكرة الإله من اختراع الإنسان متوهما وجود قوة تعينه وتساعده .

خامسا : يرى الماديون أن هذا الكون وجد مصادفة فهو ليس بحاجة إلى قوة أو هيمنة ترعاه .

سادسا : أن المادية حاربت كل فكر يقر بوجود قوة قادرة تسيطر على هذا الكون وبالتالى اتخذت من الفكر المثالى عدوا لدودا لها .

سابعا : أن الماركسية قامت بتطبيق الفكر المادى الجدلى على الطبيعة ، والمتغيرات الكونية . وبالتالى على المجتمع البشرى وعلاقاته لينفذوا من خلال ذلك لهدم الدين ، والأخلاق ، والقيم ، وكل الثوابت (وعبثا فعلوا).

ثامنا : بعد أن أعطوا المادة هذه الهالة كان لابد أن يمنحوها صفة الألوهية ، لأنها هى الخالقة . فقالوا بأزليتها وأبديتها . ونعرض لبعض من أقوالهم تلك .

المبحث الثالث
أزلية المادة وأبديتها وقوانينها عند الماديين

يقوم مذهب الماديين على تأليه المادة وإضفاء الصفات الإلهية عليها .

فهم يعتبرونها سابقة فى الوجود على الفكر فى الأصل الذى يتفرع منه غيره فحكموا لها بأنها أزلية ومن ثم فهى أبدية لاتفنى . ونظرتهم للكون أنه ليس له بداية حتى يكون له نهاية . فالمادة هى الخالقة (بل إنها عندهم غير قابلة للخلق) .

يقول انجلز : (نظرا لما نعرف نحن لايمكن خلق المادة والحركة أو الطاقة كما يقال فى الوقت الحاضر ولايمكن إبادتها بيد أنه ليس لنا أى دليل على أنها لم تخلقا فى وقت من الأوقات نجهله نحن ...)[1].

وقد أعطوا المادة السرمدية من دون كل شىء ، ولو تأثرت المادة أو تحولت فهى باقية على ماهى عليه من كونها الأصل الأول .

يقول انجلز : (إن القول بتعاقب العوالم ، الذى يتكرر أبدا ودائما فى الزمن اللامتناهى ، ليس إلا إضافة منطقية إلى القول بعوالم ، لامتناهية العدد ، توجد فى آن واحد فى الفضاء اللامحدود ... هذا هو دوران المادة السرمدى ، دوران لاينجز سبيله إلا فى حقبات من الزمن ، لايمكن أن تقوم سنتنا الأرضية بدور وحدة قياس كافية بالنسبة لها ، دوران ، كان فيه زمان التطور الأعلى ، زمان الحياة ـ ناهيك عن زمان حياة الكائنات التى تعى ذاتها وتعى الطبيعة ـ ضئيلا ضآلة المكان ، الذى ضمن حدوده توجد الحياة والوعى ، دوران ، يكون فيه عابرا أى شكل محدود لوجود المادة ـ سواء أكان الشمس أم السديم ، حيوانا منفردا أم نوعا حيوانيا ، تركيبا كيمائيا أم تحليلا دوران ، لاشىء سرمدى فيه سوى المادة ، المتغيرة أبدا والمتحركة

---

(١) المادية والمثالية (١٧-١٨) .

أبدا ، وكـذلك قوانين حركتها وتغيرها . ولكن مهما تكـرر هذا الدوران فى الـزمان وفى المكان ، ومهما اشتدت ضراوته ، ومهما نشـأ وهلك من ملايين الشموس والأراضى ، ومهما امتد الزمن قبل أن تظهـر فى إحدى المنظومات الشمسيـة ، وفى كـوكب واحد فقـط ، الشـروط الملائمة للحيــاة العضـوية ، ومهمـا كثرت الكائنات العضـوية ، التى لابد أن تنشـأ وتزول قبل أن تنبثق وتتطـور مـن بينهـا حيوانات ، تملـك دمـاغا قـادرا على التفكير ، وتجد لفترة قصيرة ، الظروف الملائمة لحياتها ، لكى يقضى عليها ، فيما بعد ، دونما شفقة ولارحمـة ، فإننا على يقين بأن المادة رغـم كل تحولاتهـا ، تبقى هى هى إلى الأبد ، وأنهـا لايمكن أن تفقـد أبدا أيا من خواصها ، وأنه لابد لهـا ، لهـذا السبـب مـن أن تبعث من جديد ، فى مكـان آخر وفى زمـان آخر ، أسمـى زهراتها ـ الروح المفكرة ، وذلك بنفس الضرورة الصارمة ، التى ستبيد بها ، ذات يوم هذه الزهرة من على سطح الأرض)[١].

فـالمادة عند الماركسيين هـى الخالقة ، وهى بالتالى أزليـة فى وجودها ، وكذلك أبدية فلانهاية لها . يقول مالك بن نبى : يرى الشيوعيون أن المادة (هـى العلة الأولى لذاتها وهـى أيضا نقطة البدء فى ظـواهر الطبيعة وبديهى أنه لايحق لنا أن نعد المادة شيئا عرضيا "حادثا" إذ أنهـا حينئذ ستكون منبثقة عن بعض الأشياء ، أى سبـب خالـق مستقل وهذا يتنـافى مـع الغرض وإذن وبكل بساطة هى موجودة وهى أيضا غير مخلوقة)[٢].

فـذهب الماديون (إلى أن المادة وجدت أولا وأن الفكـر وجد تاليا لها وأنهـا فى رأيهم أزلية لم يخلقهـا أحد وأنها أبدية ولاتوجد قـوة فوق الطبيعة أو خارج العالم ...)[٣].

---

(١) ديالكتيك الطبيعة (٤٢-٤٣) .

(٢) الظـاهرة القرآنية (٧١) ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، دار الفكـر ، دمشق ، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها .

(٣) المرجع السابق (١٧-١٨) .

فالمادة هى الإله وجاءت مقولتهم المشهورة (لاإله والحياة مادة) وقد جعلوا لهذه المادة قوانين أربعة .

قوانين المادة :

(١) الترابط .

(٢) الحركة .

(٣) التطور .

(٤) التناقض[1].

وهذه لمحة عن كل قانون من هذه القوانين .

أولا : الترابط :

يرى الماديون أن الطبيعة وحدة متماسكة مترابطة الأحداث فلايمكن أن يفهم حدث أو طور بمعزل عن الأحداث والأطوار الأخرى المحيطة به .يقول انجلز : (إن كل الطبيعة ، التى بمتناولنا ، تشكل منظومة ، كلا مترابطا من الأجسام)[2].

وقد تحدث ستالين عن هذا القانون فقال : (إن الديالكتيك خلافا للميتافيزيقية لايعتبر الطبيعة تراكما فرضيا للأشياء ، أو حوادث بعضها منفصل عن بعض أو أحدها منعزل مستقل عن الآخر بل يعتبر الطبيعة كلا واحدا ومتماسكا ترتبط فيه الأشياء والحوادث فيما بينها ارتباطا عضويا ويتعلق أحدها بالآخر ويكون بعضها شرطا لبعض بصورة متقابلة لذلك تعتبر الطريقة الديالكتيكية : أن أى حادث من حوادث الطبيعة لايمكن فهمه إذا نظرنا إليه منفردا بمعزل عن الحوادث المحيطة به إذ أن أى حادث فى أى

---

(١) انظر : نقد النظرية الماركسية (١٥-١٦) ، هادى المدرسى ، الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، وانظر ديالكتيك الطبيعة (٦٥) ، الإشتراكية العربية (١١٤) ، الفكر الماركسى (٣٢) .

(٢) ديالكتيك الطبيعة (٧٤) .

ميدان من ميادين الطبيعة يمكن أن ينقلب إلى عبث فارغ لامعنى له إذا نظر إليه بمعزل عن الشروط التى تكتنفه ، وعلى العكس ، يمكن فهم أى حادث من الحوادث وتبريره ، إذا نظر إليه من حيث ارتباطه ارتباطا لاينفصم بالحوادث المحيطة به ، أى إذا نظر إليه كما تحدده وتكيفه الحوادث التى تحيط به)[١].

فهذا القانون يهدفون من ورائه إلى القول بأن أى حادث يقع فى الكون لايمكن فهمه أو تفسيره إلا من خلال النظر للحوادث الأخرى لوجود الترابط بينها ، وهم بهذا يريدون أن يجعلوا للحوادث والمتغيرات الكونية تفسيرا من داخلها ، أو من داخل هذا الكون حتى لايقال بأن هناك قوة تهيمن عليه وتسيطر على أحداثه .

يقول بوشنسكى : (يرى الماديون الجدليون أنه ينبغى أن نتصور العالم على هيئة كل موحد وعلى خلاف الميتافيزيقا التى تجد فى العالم على مايقول الماركسيون موجودات متعددةلاربط بين بعضها والبعض فإن الماديين الجدليين يعلنون مذهب الواحدية وذلك بمعنى مزدوج فالعالم عندهم هو الحقيقة الوحيدة فلاشىء خارج العالم وعلى الأخص (الإله) ومبدأه متجانس فى جوهره فينبغى رفض القول بالثنائية أو بالتعددية على أنه خطأ)[٢].

ثانيا : قانون الحركة :

يعتبر الماديون أن الحركة صفة ملازمة للمادة ولايمكن فصل الحركة عنها ، ولايمكن السؤال من أين اكتسبت المادة هذه الحركة لأن المادة أزلية ، والحركة شكلا من أشكال وجودها .

---

(١) المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية (١٥-١٦) نقلا من كتاب موقف الإسلام من نظرية ماركس (١٣٥) .

(٢) الفلسفة المعاصرة فى أوروبا (١١١-١١٢) ، وانظر الشيوعية والأديان(١٧) ، طارق حجى ، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، مطبوعات الاتحاد الدولى للبنوك الإسلامية .

يقـول انجلز : (إن الحركة هى شكل وجود المادة ، وبالتـالى فهى أكثر من مجرد إحدى خصائصها فلامـادة دون حركة ، ولايمكـن أنهـا كانت فى أى يوم مـن الأيام .. الحركـة فى الفضـاء الكـونى ، والحركـة الميكـانيكية للكتل الصغرى على أى جرم سماوى معين ، واهتزاز الجزئيات على اعتبـاره الحرارة أو التـوتر الكهـربائى أو الاستقطـاب المغنـاطيسى أو التحلـل والتركيـب الكيمـائيين ، والحياة العضوية حتى منتجها الأعلى الـذى هو الفكر - إن كل ذرة مفـردة مـن المادة فى كـل لحظـة معينة هى فى هـذا الشكـل أو ذاك مـن أشكـال الحركة .. وإن أى توازن إما أن يكون سكونا نسبيـا أو حتى حركة فى حالة التوازن ، كما هى حال الكواكب ، ولايمكن تصـور السكون المطلق إلا فى حالـة إنعـدام المادة ، وهكـذا فإنه لايمكن للحـركة بحد ذاتهـا أو لأى شكـل من أشكالها أن تنفصل عن المادة أو تتعارض معهـا على اعتبارها شيئا منفصلا أو غريبا دون أن يؤدى ذلك إلى السخف والعبث)[١].

ويقول : (إن المادة لاتعقل بدون حركة)[٢].

ثالثا : قانون التطور فى الطبيعة :

وهـذا من أهم القوانين التى اعتمد عليها الماركسيـون ومن عداهم من الماديين ، والمقصـود منـه الانتقـال من وضع إلى آخر ، ويعبرون عـن ذلـك الانتقال التحول من الكم إلى الكيف ، وهذا التحـول يحدث بشكل مفاجىء وعلى شكـل قفزات حتمية وضرورية ، ومما يذكر هنـا أن ماركس قد جعل من نظرية داروين مصدرا له . يقول انجلز : (قانون تحول الكـم إلى كيف ، وبالعكـس يمكـن ، تبعا لما نتـوخاه ، أن نعبر عـن هذا القـانون بقـولنا : إن التحـولات الكيفيـة فى الطبيعـة - هذه التحولات المحـددة بدقـة فى كل حالة

---

(١) انتى دوهرنغ (٤١١) .

(٢) ديالكتيـك الطبيعـة (٧٤) وانظر مـابعدها ، فقـد أفاض انجلز فى الحديث عـن هـذا القانون .

فردية ـ لاتحدث إلا بإضافة كمية ، أو طرح كمى للمادة أو الحركة "المدعوة طاقة")[١].

والماركسيون يهدفون إلى أن هذا التغيير هو القضاء على القديم وإقامة الجديد مقامه .

وقد ضرب انجلز أمثلة كثيرة فى كتابه انتى دوهرنغ[٢]، ومنها قوله بعد ضربه عدة أمثلة :

(وإن الأمر سواء فى التاريخ أيضا[٣]. إن سائر الشعوب المتحضرة تبدأ بالملكية الجماعية للأرض . وأن هذه الملكية الجماعية لتصبح ، مع سائر الشعوب التى تجاوزت مرحلة بدائية معينة ، قيدا يعوق الانتاج فى سياق تطور الزراعة . وهكذا فهى تلغى ، تنكر ، وتحول بعد سلسلة تطول أو تقصر من المراحل المتوسطة إلى الملكية الخاصة . بيد أن الملكية الفردية للأرض تصبح على العكس من ذلك ، فى مرحلة عليا من التطور الزراعى تم بلوغها بفضل الملكية الخاصة للأرض نفسها ، إلى قيد يعوق الانتاج ، كما هى الحال فى الوقت الراهن بالنسبة إلى الملكية العقارية الصغيرة والكبيرة على حد سواء . وينشأ بالضرورة المطلب الذى ينادى بإنكارها هى الأخرى ، بضرورة تحويلها مرة أخرى إلى ملكية جماعية . بيد أن هذا المطلب لايعنى إرجاع الملكية الجماعية الأولية ، بل إقامة شكل للملكية الجماعية أعلى وأكثر تطورا بما لايقاس ، شكل هو أبعد مايكون عن القيام . عقبة كأداء فى سبيل الإنتاج ، بل على النقيض من ذلك سوف يحرر الإنتاج من سائر الأغلال ويمكنه من أن يستخدم على أكمل صورة الاكتشافات الكيمائية والاختراعات الآلية الحديثة)[٤].

---

(١) ديالكتيك الطبيعة (٦٦) .
(٢) انظر الحديث عن هذا الموضوع (١١٥-١١٧) وبعض الأمثلة .
(٣) أى أن هذا التطور يقع .
(٤) انتى دوهرنغ (١٦٥) .

وهكـذا يوظفون القانون فى خدمة مذهبهم ، وقد جعلـوا هذا القانون يعمل فى كل الاتجاهات .

يقـول بوشنسكى : (يرى الماركسيون أن المادة فى تحول وتطـور دائمين وبسبـب هذا التطور تتكون دوما موجودات جديدة أكثر تعقيـدا من سابقاتها الـذرات الجزئيـات الخلايا الحيـة النبـاتات الإنسـان المجتمعـات . ولايتصـور الماديون الجدليـون التطور على الشكل الدائرى بل هـو تطور خطى أو طولى وهـو بهذا يعد بمعنى ما من المعـانى تطورا تفاؤليا ، ذلـك أن آخر حلقـة منه هى دائما أكثر تعقيدا وتركيبـا ويوازى الماركسيـون بين الأكثر تعقيـدا والأفضـل أو الأعلى وهكـذا نجد الماديين الجدليين لايزالـون متشبعين تمامـا بالاعتقاد الذى كان سائدا فى القرن التاسع عشر الميلادى فى الفكر الغربى بأن التطور يؤدى بالحتم إلى التقدم)[١].

وهـذا التطـور يكـون على هيئـة سلسلـة من الطفرات ، فحين تتراكـم مجموعة من التغيرات الكمية الصغيرة فى داخل وجود الشـىء فإنه ينتج عنها نوع مـن التـوتر ومن الصراع حتى لتصبح هـذه العناصـر الجديدة فى لحظـة معينة قوية إلى درجة تجعلها قادرة على كسر التوازن السابق فى وجود الشىء وفجـأة تظهر كيفية جديدة فـالصراع هو القوة الدافعـة للتطـور ويحدث هذا عن طريق قفزات مايسمونه بالتطـور الجدلى[٢]. وهذا التطور يقع حسب خط مرسوم يسير فيه لايمكن بحال من الأحوال تغيره أى أن ذلــك التطور حتمى يستحيل الوقوف فى طريقه فـ(المجتمع متغير بالضرورة ولكنـه يسير فى طريق

---

(١) الفلسفة المعاصرة فى أوروبا (١١٠-١١١) .

(٢) انظر فلسفة أوروبا المعاصرة (١١٠-١١١) ، ولمزيد انظر : الفكر الماركسى (٣٥-٣٦) الاشتراكية العربية (١١٦-١١٧) ، فلسفتنا (٢٨٢) ، الفكر المادى فى موازين الإسلام (٥٢) ، د. صـابر طعيمة ، الطبعـة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، مـؤسسة جواد للطباعة والتصـوير ، بيروت ، لبنان ، جهود المفكرين المسلمين المحـدثين فى مقاومة التيار الإلحادى (٢٠١) .

مرسوم لايمكن أن يتغير ويمر بمراحل عينتهـا مـن قبـل ضـرورة لاتلين)[١].

يقـول ماركس : (إذا ماإكتشـف مجتمع من المجتمعـات قانونه الطبيعى الـذى يعين حركتـه فلن يمكنـه ذلك من تخطى المراحل الطبيعيـة لتطـوره أو حذفها من الوجود بجرة قلم)[٢].

إن الهـدف الأكبر الذى يرغـب هؤلاء الجدليون فى الـوصول إليه من وراء هـذا القانون هو أنه ليـس هناك شىء ثابت ، لاالـدين ، ولاالأخلاق ، ولاالمجتمعات الإنسانية . يقول بوشنسكى عن مؤدى هـذا القانون : (لايوجد شىء ثابت فالعالم كله وكافـة عناصره فريسة للتطور الجدلى ، والقـديم يموت وينشـأ الجديد دائما ، وفى كـل مكـان فليـس هناك مـن جواهـر دائمة ولامـن مبـادىء خالدة . الذى يبقى وحده دائما خالـدا فى الحركـة الكونية هو المادة من حيث هى مادة وقوانين تحولاتها)[٣].

رابعا : قانون التناقض فى الطبيعة :

يقـوم الجدل على فكـرة وجود التنـاقضات فكـل ظـاهرة تشتمـل على تنـاقضات داخلية لأن فيها السلب والإيجاب ، ولهـا ماض وحاضر ، وتوجد الحرارة والبرودة ، ويوجد النـور والظلام . ومـن هنـا يقـع الصـراع وينشأ وضع جديد .

واعتبر لينين أن الجدليـة وحقيقتها تكمن فى هذا القـانون فقال : (إن المعنى الـدقيق للجدلية هـو دراسة التناقضات داخل ذات جوهـر الأشياء)[٤]. وهذا الصراع ينتج جديداً يحمل التناقض من داخله وهكذا .

(١) عقـم المذهـب التاريخى (٦٧) كـارل بوبر ، ترجمة عبد الحميـد صبره ، ١٩٥٩م ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، دون ذكر لرقم الطبعة .

(٢) المرجع السابق (٦٧) .

(٣) الفلسفة المعاصرة فى أوروبا (١١١) .

(٤) نقلا من كتاب حوار مع الشيوعيين (١٢٩) ، وانظر فلسفتنا (٢٥٤) .

ويطبـق الماركسيـون فلسفتهـم على أساس هذه القوانين فيرون أنه مـن خلال هـذا القانون ستصل البروليتاريا إلى مبتغاها . يقـول د. صفوت : (إن الصراع حتم بين البرجوازية والبروليتاريا لأن مصالح الطبقتين متعـارضة تماما البرجوازية تعمـل بكـل جهدهـا على الإبقاء على نفوذهـا وسيطـرتها السياسية والإقتصـادية والإجتمـاعية . بينمـا تحاول البروليتاريا التحـرر مـن الاستغلال السياسى والإقتصادى والإجتماعى ، هذا الصراع الحتمـى بين هاتين الطبقتين المتعـارضتين يؤدى بالضرورة إلى الثـورة الإشتراكية ، وهـى وحدهـا القادرة على حل التناقضات العدائية للرأسمالية)[١].

فهذه قوانين الجدلية (أوقوانين المادة) فأين مكان تطبيقها؟

يجيـب انجلز على هذا التسـاؤل فيقول : (الطبيعـة هـى محك الجدلية ، ويجب أن نعترف للعلم الحديث بأنه قـدم لهـذا المحـك حصـادا غنيا جدا من الحقـائق المتزايدة يوميا ، وبذلـك بين أن الطبيعة ، فى آخر تحليـــل ، تعمـل جدليـا لاميتافيزيائيا [إنها لاتتحـرك فى الرتابة الأبدية لـدائرة متكررة بصورة متواصلة ، بل تجتاز تطورا تاريخيا حقيقيا .

ولابد فى هـذا المضمار من الاستشهاد بداروين قبل سـواه ، إذ وجه إلى المفهـوم الميتافيزيائى عن الطبيعة اللطمة الأشد وطأة حين برهـن على أن سائر الكائنات العضوية ، من نبات وحيوان بما فى ذلك الانسـان نفسه ، هى نتاج عملية من التطور استمرت ملايين السنين ...) .

ويقـول : (لايمكن الحصول على تصـوير مضبوط للكـون ، ولتطـوره ، ولنمو الجنس البشرى ، ولانعكاس هذا التطور فى أذهان البشـر ، إلا بواسطة طرق الجدلية باعتبارها المتصـــل لأفعـــال الحيـاة والموت وردود أفعـــالها التى لاتحصى ، وللتغيرات التقدمية والتخلفية)[٢].

---

(١) الفكر الماركسى (٣٣-٣٤) . وانظر : جهود المفكرين المسلمين المحدثين فى مقاومة التيـار الإلحادى (٢٠٠-٢٠١) ، الإشتراكيـة العـربية (١١٥) ، الفكـر المادى فى ميزان الاسلام (٥٢) ، وانظر مصادر الماركسية (١٦-١٧) .

(٢) انتى دوهرنغ (٢٩) .

ومن هنا قاموا بتطبيق تلك القوانين على تاريخ المجتمع البشرى وكان ذلك الاكتشاف ـ إن صح التعبير ـ يعد ماركسيا . جاء عن الماركسيين قولهم (لأول مرة فى تاريخ البشرية تتحقق الوحدة الداخلية بين المادية الجدلية فى إطار مذهب متكامل . وقد تحققت هذه الوحدة نتيجة تكوين الجدلية العلمية واستخدام المادية الجدلية فى تحليل تاريخ البشرية . لقد أشار لينين إلى أن صوغ الجدلية المادية ، المقرونة بواقع الحياة من كافة جوانبها ، كان القضية الرئيسية فى نشاط ماركس وانجلز الفلسفى ، أما النتيجة المهمة التى توصلا إليها فكانت الفهم المادى للتاريخ ، ذلك أن (مادية ماركس التاريخية هى أعظم مكتسبات الفكر العلمى)[1].

وهذه المادية بقوانينها قام الماركسيون بتطبيقها على المجتمع البشرى ، والتاريخ الإنسانى ، والأفكار والقيم والأخلاق الموجودة فيه ، فجاؤوا ببدعة جديدة وهى التفسير المادى للتاريخ . أو (المادية التاريخية) .

---

(١) الفلسفة الماركسية فى القرن التاسع عشر (١٤) .

المبحث الرابع
المادية التاريخية

يعتبر الماركسيون أن محيط اختبار قوانينهم الجدلية إنما هو الطبيعة ، وعلى هذا الأساس قاموا بتطبيقها على التاريخ الانسانى بكل مافيه . يقول انجلز : (الطبيعة هى محك الجدلية ويجب أن نعترف للعلم الحديث بأنه قدم لهذا المحك حصادا غنيا جدا من الحقائق المتزايدة يوميا ...)(١).

ولكن ماالذى حمل ماركس على تطبيق هذه القوانين على المجتمع البشرى ؟

(١) أراد تعميم فكرة المادية على كل شىء .

يقول لينين : (أدرك ماركس خلو المادية القديمة من المنطق ، وعدم اكتمالها ، وطابعها الوحيد الجانب . فاقتنع بأنه يجب جعل علم المجتمع منسجما مع الأساس المادى ، وإعادة بنائه استنادا إلى هذا الأساس)(٢).

(٢) أراد الوصول إلى إنكار الثوابت من الأفكار الدينية والقيم الأخلاقية موهما الآخرين بأن هذه القوانين حقائق علمية لايمكن ردها .

فقامت الماركسية بتطبيق قوانينها (على حركة التاريخ وتطور الشعوب وبنت نظريتها تلك على أساس أن المجتمعات البشرية تمر فى مراحل حياة تطورها بصورة تراتبية حتمية من البدائية الشيوعية (المشاعية) إلى مرحلة العبودية ، فالمرحلة الإقطاعية ، فالمرحلة الرأسمالية ، فالمرحلة الإشتراكية التى تعتبر أهم مرحلة تمهد لمجىء مرحلة التكامل الإنسانى فى الشيوعية المثالية . وأن كل مرحلة من هذه المراحل تحمل فى طياتها تناقضات واقعها وصراع الأضداد فيها بين طبقة مصالح الملكية القائمة وبين طبقة مصالح القوى المنتجة

---

(١) انتى دوهرنغ (٢٩) ، انظر مصادر الماركسية (٢٣) .
(٢) مصادر الماركسية (٢٥) .

أى بين الطبقة الإجتماعية التى تتفق مصلحتها مع علاقات الملكية القائمة وبين الطبقة الإجتماعية التى تتفق مصلحتها مع متطلبات القوى الفاعلة والمنتجة ومستلزماتها فى تطور أوضاعها الإجتماعية والإقتصادية)[١].

ويرى لينين أن مفهوم المادية التاريخية التى جاء بها ماركس قضت (على عيبين رئيسيين فى النظريات التاريخية السابقة : أولا : لم تكن هذه النظريات تأخذ بعين الاعتبار ، فى أحسن الحالات ، غير الدوافع الفكرية لنشاط الناس التاريخى ، دون أن تبحث عما يولد هذه الدوافع ، دون أن تدرك القوانين الموضوعية التى تسير تطور نظام العلاقات الإجتماعية ، دون أن ترى جذور هذه العلاقات فى درجة تطور الإنتاج المادى .

ثانيا : كانت النظريات السابقة تهمل ، على وجه الضبط ، عمل جماهير السكان بينما مكنت المادية التاريخية ، لأول مرة ، من دراسة الظروف الإجتماعية لحياة الجماهير ، ومن دراسة تغيرات هذه الظروف بدقة العلوم الطبيعية . لقد كان "علم الإجتماع" وعلم التاريخ قبل ماركس يكدسان فى أحسن الحالات وقائع خام ، مجموعة كيفما اتفق ، ويعرضان بعض الجوانب من حركة تطور التاريخ . لقد شقت الماركسية الطريق أمام دراسة شاملة لعملية نشوء تشكيلات المجتمع الإقتصادية وتطورها وإنهيارها ، وذلك بتحليلها مجموعة الميول المتناقضة وردها إلى ظروف المعيشة والإنتاج ، الواضحة المعالم ، لمختلف طبقات المجتمع ، وبابعادها اختيار الأفكار "القائدة" أو تأويلها على نحو ذاتى واعتباطى ، وبكشفها عن جذور جميع الأفكار وجميع الميول المتباينة فى أوضاع القوى المنتجة المادية دون استثناء إن الناس هم صانعوا تاريخهم)[٢]. فما هى المادية التاريخية؟

---

(١) معالم الاشتراكية العربية (٤٧) .
(٢) مصادر الماركسية الثلاثة (٢٧-٢٨) .

المادية التاريخية :

هى تطبيق قوانين الجدل على المجتمعات الإنسانية من خلال التطورات الإقتصادية . يقول انجلز : (إن المفهوم المادى للتاريخ ينطلق من الموضوعة القائلة إن الانتاج [إنتاج وسائل دعم الحياة الإنسانية] ، ومن بعد الإنتاج مبادلة الأشياء المنتجة ، هو أساس كل البنية الإجتماعية ، وأن الطريقة التى يتم بها توزيع الثروة وانقسام المجتمع إلى طبقات أو فئات ترتبط ، فى كل مجتمع ظهر فى التاريخ ، بالأشياء المنتجة ، وكيفية إنتاجها ، وكيفية مبادلة المنتجات . ومن وجهة النظر هذه ، فإنه ينبغى البحث عن الأسباب الأخيرة لسائر التبدلات الإجتماعية والثورات السياسية ليس فى أدمغة البشر ، ليس فى فهمهم النامى للحقيقة والعدالة الأبديتين ، بل فى التبدلات الطارئة على أساليب الانتاج والمبادلة ، إنه ينبغى البحث عن هذه الأسباب ليس فى الفلسفة ، بل فى إقتصاديات كل فترة تاريخية معينة)[١].

وقد تعددت التعاريف للمادية التاريخية وكلها تجمع على أن الهدف منها أى المادية التاريخية تفسير الأفكار والأخلاق وأمور السياسة والاجتماع تفسيرا إقتصاديا ، حيث عرفت المادية التاريخية بأنها : (علم قوانين الإنتاج فى تطوره ونموه ونتائجه الإجتماعية فى مختلف الحقول الإقتصادية والسياسية والفكرية) .

أو (هى علم الاقتصاد الماركسى ، الذى يفسر التاريخ كله تفسيرا اقتصاديا فى ضوء القوى المنتجة)[٢]. فهى تعنى (أن العلاقات الإقتصادية فى

---

(١) انتى دوهرنغ (٣٢١) .

(٢) اقتصادنا (٢١٣) ، محمد باقر الصدر ١٤١١هـ/١٩٩١م ، دون ذكر لرقم الطبعة ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، وانظر فلسفتنا (١٥٩-١٦٠) .

أى عصر من العصور والوسائل التى يستمد بها الناس وسائل إنتاجهم وتبادلهم للسلع وبالتالى طرائق حياتهم معاشهم - تؤثر أعظم الأثر فى صياغة شكل المجتمع وفى تشكيل العلاقات السياسية والإجتماعية بين الناس)(١).

وتشكل المادية التاريخية الأساس الثانى الذى تقوم عليه الفلسفة الماركسية ، بل هى تطبيق للقوانين الجدلية على أحداث التاريخ الإنسانى وتفسيرها حسب العلاقات الإنتاجية . ومن هنا كان العامل الإقتصادى عندهم هو العامل المؤثر فى الحياة الإنسانية وتخضع كل الحوادث لهذا العامل وتفسر بناء عليه .

فاهتم الماركسيون بها اهتماما كبيرا ، واعتبروا أن العلمية ماتحققت فى الماركسية إلا بعد أن تم الكشف عن هذه المادية . يقول انجلز : (إننا لندين لماركس بهذين الاكتشافين العظيمين ، ألا وهما المفهوم المادى للتاريخ وكشف سر الانتاج الرأسمالى بواسطة القيمة الفائضة . ولقد أصبحت الإشتراكية علما بفضل هذين الاكتشافين . وأضحت المهمة التالية هى إيضاح سائر تفاصيلها [وعلاقاتها])(٢).

ومن هنا فسرت الماركسية المجتمع الإنسانى والأحداث التاريخية على هذا الأساس (فهى ترى أن التناقض الطبقى فى صميم المجتمع تعبير عن قانون التناقضات فى الديالكتيك القائل أن كل شىء يحتوى فى أعماقه على تناقضات وأضداد وتنظر إلى التطور الإجتماعى بوصفه حركة ديناميكية منبثقة عن التناقضات الداخلية طبقا لقانون الحركة الديالكتيكية العام القائل

---

(١) النظم الإقتصادية المعاصرة (١٥٥) . ولمزيد من التعريفات انظر : الاتجاهات الفكرية المعاصرة (١٨٥) ، الإشتراكية العربية (١١٨) ، الكيد الأحمر (٣٥٦) ، الفكر المادى فى موازين الإسلام (٩) ، إنهيار الشيوعية أمام الإسلام (٣٧) ، نقض الإشتراكية الماركسية (١٤٥) ، موقف العلم من الدين (٤٨) .

(٢) انتى دوهرنغ (٣٥) .

إن كل كائن يتطور لابحركة ميكانيكية وقوة خارجية تدفعه من ورائه بل بسبب التناقضات التى تنمو فى صميمه وتنفجر وتؤمن بتراكم التناقضات الطبقية شيئا فشيئا حتى تحين اللحظة المناسبة لتتفجر عن تحول شامل فى بناء المجتمع ونظامه وفقا للقانون الديالكتيكى القائل إن التغيرات الكمية التدريجية تتحول إلى تغير كيفى آنى ، وهكذا حاولت الماركسية أن تجعل من المجال التاريخى عن طريق ماديتها التاريخية حقلا خصبا لقوانين الديالكتيك العامة)[١].

ومن هنا فالترابط قائم بين الماديتين كيف لا والأخيرة (وهى المادية التاريخية) ليست إلا تطبيقا عمليا لقوانين الأولى (المادية الجدلية) على المجتمع البشرى . بل إن المادية التاريخية (من أخطر النتائج المترتبة على المادية الديالكتيكية المتعلقة بالطبيعة وأحكامها)[٢].

الأسس التى يقوم عليها التفسير المادى للتاريخ :

أولا : أن الانتاج المادى هو أساس الحياة البشرية وأساس التاريخ الإنسانى .

ثانيا : أن قوى الإنتاج هو المقياس الذى يقاس به كل شىء .

ثالثا : أن العمل الذى يؤدى إلى الإنتاج هو محور الحياة .

رابعا : أن علاقات الإنتاج هى التى تشكل المجتمع البشرى والفكر الانسانى ويعول عليها الشيوعيون كثيرا .

وعلى ضوء هذه الأسس فإن الأفكار والأخلاق والأنظمة الإجتماعية من أسرة وغيرها تخضع لهذه الأسس .

يقول ماركس : (ماهو المجتمع مهما كان شكله؟ إنه نتاج عمل الناس المتبادل هل الناس أحرار أن يختاروا لأنفسهم هذا الشكل أو ذاك من

---

(١) إقتصادنا (٥٤) .

(٢) نقض أوهام المادية الجدلية (٥٥) ، وانظر جهود المفكرين المسلمين المحدثين فى مقاومة التيار الإلحادى (٢٠٥) .

أشكال المجتمع ، كلا مطلقا افترض حالة من التطور خاصة فى القوى المنتجة للإنسان وعندها سوف تحصل على شكل خاص للتجارة والاستهلاك ، افترض مراحل خاصة من التطور فى الإنتاج وعندها سيكون للتجارة والاستهلاك دستور إجتماعى مماثل وتنظيم للأسرة وأنظمة للطبقات وبكلمة مجتمع مدنى مماثل افترض مجتمعا مدنيا خاصا وسوف تحصل على شروط سياسية خاصة هى التعبير الرسمى فقط عن المجتمع المدنى ...) .

(إن من نافلة القول أن نضيف أن الناس ليسوا أحرارا فى اختيار قواهم المنتجة ـ التى هى قاعدة كل تاريخهم لأن كل قوة انتاج إنما هى قوة حاصلة ، هى نتاج فعالية سابقة القوى المنتجة هى نتيجة الطاقة البشرية العملية ، ولكن هذه الطاقة نفسها مشروطة بالظروف التى يجد فيها الناس أنفسهم ، مشروطة بالقوى المنتجة الحاصلة سابقا ، مشروطة بالشكل الإجتماعى الذى يوجد قبل أن يفعلوا هم شيئا ، الذى لايخلقونه ، الذى هو نتاج الجيل السابق ، وبسبب هذه الحقيقة البسيطة وهى أن كل جيل لاحق يجد نفسه يملك قوى منتجة حاصلة من الجيل السابق التى تخدم كمادة أولية للإنتاج الجديد ، فإن مطابقة نقوم فى التاريخ البشرى فتاريخ البشرية يتخذ شكلا هو تاريخ البشرية كقوى منتجة للانسان ، ولذلك فإن علاقاته الاجتماعية تطورت أكثر . ويتبع ذلك بالضرورة أن التاريخ الإجتماعى للناس ليس شيئا آخر سوى تاريخ تطورهم الفردى ، سواء وعوا ذلك أم لم يعوا ، وعلاقاتهم المادية هى أساس كل علاقاتهم . هذه العلاقات المادية هى الأشكال الضرورية فقط التى تتحقق فيها مادتهم ونشاطهم الفردى)[(١)].

ويقول : (إن الناس ، أثناء الانتاج الاجتماعى لحياتهم ، يقيمون فيما بينهم علاقات ضرورية ، مستقلة عن إرادتهم . وتطابق علاقات الإنتاج هذه درجة معينة من تطور قواهم المنتجة المادية . ومجموع علاقات الإنتاج هذه

---

(١) بؤس الفلسفة (١٧٢-١٧٣) .

يؤلف البناء الاقتصادى للمجتمع ، أى الأساس الواقعى الذى يقوم عليه بناء فوقى حقوقى وسياسى وتطابقه أشكال معينة من الوعى الإجتماعى . إن أسلوب انتاج الحياة المادية يشترط تفاعل الحياة الإجتماعى والسياسى والفكرى ، بصورة عامة فليس إدراك الناس هو الذى يعين معيشتهم بل على العكس من ذلك ، معيشتهم الإجتماعية هى التى تعين إدراكهم . وعندما تبلغ قوى المجتمع المنتجة المادية درجة معينة من تطورها ، تدخل فى تناقض مع علاقات الانتاج الموجودة أو مع علاقات الملكية ـ وليست هذه سوى التعبير الحقوقى لتلك ـ التى كانت إلى ذلك الحين تتطور ضمنها . فبعد ماكانت هذه العلاقات أشكالا لتطور القوى المنتجة ، تصبح قيودا لهذه القوى وعندئذ ينفتح عهد الثورة الإجتماعية . ومع تغير الأساس الإقتصادى يحدث انقلاب فى كل البناء الفوقى الهائل ، بهذا الحد أو ذاك من السرعة . وعند دراسة هذه الانقلابات ينبغى دائما التمييز بين الانقلاب المادى لشروط الإنتاج الإقتصادية ـ هذا الانقلاب الذى يحدد بدقة العلوم الطبيعية ـ وبين الأشكال الحقوقية ، والسياسية ، والدينية ، والفنية ، والفلسفية ، أو بكلمة مختصرة ، الأشكال الفكرية التى يتصور فيها الناس هذا النزاع ، ويكافحونه فكما أنه لايمكن الحكم على فرد وفقا للفكرة التى لديه عن نفسه ، كذلك لايمكن الحكم على عهد انقلاب كهذا ، وفقا لوعيه . فينبغى تفسير هذا الوعى بتناقضات الحياة المادية ، وبالنزاع القائم بين قوى المجتمع المنتجة وعلاقات الإنتاج" ... "إن أساليب الإنتاج ، الأسلوب الآسيوى ، والقديم ، والاقطاعى ، والبرجوازى الحديث ، مرسومة بخطوطها الكبرى ، يمكن اعتبارها بمثابة عهود متصاعدة من التكون الإجتماعى الإقتصادى ...)[١].

فهم يرون أن طريقة الناس فى المعيشة هى التى تحدد طريقة تفكيرهم فكلما تغيرت وسائل الإنتاج تغير النظام الإجتماعى ، وهم بهذه الفلسفة يصلون إلى أن الأفكار المتعلقة بالإله ، والدين ، والأخلاق والاسرة كلها تكون خاضعة للظروف الإنتاجية فى وقتها .

---

(١) مصادر الماركسية الثلاثة (٢٦-٢٧) .

يقول ماركس : (مادام الناس يطورون قواهم المنتجة ، أى ، ماداموا يعيشون ، فإنهم يطورون علاقات معينة كل مع الآخر ، وأن طبيعة هذه العلاقات يجب أن تتغير بالضرورة مع تغير القوى المنتجة ونموها . إنه لم يفهم أن المقولات الإقتصادية هى فقط تعبيرات مجردة لتلك العلاقات الفعلية وتبقى هذه التعبيرات صحيحة مادامت هذه العلاقات موجودة ...)[١].

ويقول : (إن هؤلاء الناس ، طبقا لإمكاناتهم ، ينتجون أيضا العلاقات الإجتماعية ، وقلما فهم أن الناس ، الذين ينتجون العلاقات الإجتماعية المتطابقة مع إنتاجيتهم المادية ينتجون أيضا الأفكار ، المقولات ، أى التعبير العقلى المجرد لتلك العلاقات الإجتماعية نفسها . وهكذا فإن المقولات ليست أكثر أبدية من العلاقات التى تعبر عنها . إنها منتجات انتقالية تاريخية ...)[٢].

فالمادية التاريخية تبين أن العلاقات الإجتماعية ترتبط ارتباطا وثيقا بالقوى المنتجة ، وعندما يتبدل وضع الناس ويكتشفون قوى إنتاجية جديدة فلاشك أن أساليب إنتاجهم تتغير . فإذا تغيرت هذه غيروا علاقاتهم الإجتماعية وكذلك الفكرية والأخلاقية ، حسب ذلك التغير والتطور ، ومن هنا طبق الماركسيون القوانين المادية كما قلنا على كل مايقع فى تاريخ البشرية ولأجل ذلك قسموا التاريخ البشرى إلى خمسة أطوار ، وجعلوا لكل طور أفكاره التى تتناسب مع وسائل انتاجه مع ملاحظة أن علاقات الإنتاج (علاقات إجتماعية للملكية بالدرجة الأولى) .

هذا من حيث تطبيق قوانين الجدل على المجتمع البشرى ولم يقف بهم الأمر عند هذا الحد بل أخذوا فى تطبيق قوانينهم تلك على الدين والأخلاق والأسرة وفسروها تفسيرا ماديا كما هو حال التاريخ الإنسانى .

---

(١) بؤس الفلسفة (١٧٧) ومابعدها .

(٢) المرجع السابق (١٧٩) وانظر مابعدها .

التفسير المادى للتاريخ البشرى :

يرى الشيوعيون أن هناك مراحل عديدة وأشكالاً مختلفة مرت بها البشرية فى تاريخها ، وهذه المراحل اختلفت فى وضعيتها الإجتماعية والفكرية حسب وسائل الإنتاج المختلفة من مجتمع لآخر .

(وأول هذه الأشكال هو : الملكية القبلية الملائمة للإنتاج البدائى ، حين كان الناس يمارسون القنص وصيد الأسماك والزراعة إلى حد ما لقد كانت تلك ملكية جماعية) .

الشكل الثانى : العبودية (أو الشكل القديم) .

(إن التطور اللاحق للقوى المنتجة ، وتزايد السكان والحاجات ، واتساع العلاقات الخارجية (التجارة التبادلية ، الحروب) قد ولدت جميعا العلاقات الإنتاجية العبودية ، الملائمة للشكل الثانى من أشكال الملكية ، والذى يكتفى ماركس وانجلز حتى الآن بتسميته "الشكل القديم" (Fromancient) .

الشكل الثالث : هو الملكية الإقطاعية أو الطبقية .

(وميزة ظهور العلاقات الإقطاعية فى أوروبا "من خلال الغزو البربرى للإمبراطورية الرومانية والتدمير الجزئى للقوى المنتجة والتدمير المؤقت للمدن والتجارة وغير ذلك" ، لايمكنها أنه تحجب حقيقة أساسية ، وهى أن علاقات الإنتاج الجديدة ، كما تبين لاحقا ، كانت أكثر ملاءمة لتطور القوى المنتجة من العلاقات التى كانت سائدة فى المجتمع العبودى) .

الشكل الرابع : الرأسمالية .

(إن تقدم الإنتاج فى ظروف المجتمع الإقطاعى يفضى حتما إلى تفسخ الأشكال الجماعية والمشاعية للملكية ، ويضعف فى الوقت ذاته تبعية المنتجين الشخصية للطبقة المستغلة (بكسر العين) فتظهر علاقات الإنتاج الرأسمالية ، وتصبح الملكية الخاصة هى العلاقة الإقتصادية المسيطرة دون منازع ، ويستتب

بالتالى ، الشكل الرابع ـ البرجوازى ـ لأشكال الملكية)[١].

الشكل الخامس : الشيوعية[٢].

(وهى الشكل الأسمى ، الذى لايقتصر على بلد معين ، من أشكال التعامل الاجتماعى بين الناس ، وبأنها مجتمع لاطبقى يخلو من وجود الدولة)[٣].

يقول ماركس وانجلز : (ليس التاريخ سوى تعاقب الأجيال التى يقوم كل منها باستخدام المواد ، والرساميل ، القوى المنتجة التى خلفتها له الأجيال السابقة ، وبحكم ذلك ، فإن الجيل الحاضر يتابع ، من ناحية ، النشاط الموروث فى ظل ظروف متغيرة تماما ، ويغير من ناحية أخرى الظروف القديمة بواسطة النشاط المتغير كليا)[٤]. ولم يكتف الشيوعيون بتفسير التاريخ البشرى حسب قوانينهم الجدلية بل أضافوا لذلك ـ ولعل هذا من أهم ماأرادوا الوصول إليه ـ تفسير الدين ، والقيم الأخلاقية ، والإجتماعية كذلك حسب تطور وسائل الإنتاج . ونعرض لذلك باختصار .

---

(١) الفلسفة الماركسية فى القرن التاسع عشر (٢١٤/١-٢١٥) ، وانظر : التطور والثبات فى حياة البشرية (٧٧-٧٩) ، نقض أوهام المادية الجدلية (٥٦-٥٨) ، بؤس الفلسفة (١٠٣) ، الإشتراكية على مشارف القرن الواحد والعشرين (٢٤٢) ، مجموعة من المؤلفين ، ترجمة منير غانم ، حسن خضر ، وليد الهليس ، الطبعة الأولى ١٩٨٦م ، دار البراق للنشر ، تونس .

(٢) مع ملاحظة أن هناك مرحلة تسبق هذه الشيوعية هى الإشتراكية الممهدة لقيامها .

(٣) الفلسفة الماركسية فى القرن التاسع عشر (٢١٨/١) .

(٤) نقلا من كتاب الفلسفة الماركسية فى القرن التاسع عشر (٢١٠/١) .

المبحث الخامس
التفسير المادى للدين والأخلاق والأسرة

التفسير المادى للدين :

إن موقف الشيوعيين من الدين ليس به خفاء ، فلاغرابة إن اعتبروه وهما ، أو انعكاسا لأحد العوامل . يقول انجلز : (مهما يكن من شيء ، فليس الدين إلا الانعكاس الوهمى فى أذهان البشر لتلك القوى الخارجية التى تسيطر على حياتهم اليومية ، وهو انعكاس تتخذ فيه القوى الأرضية شكل قوى فوق طبيعية)[١].

والأفكار الدينية عندهم إنما وجدت لوجود مقتضيها ، من حيث وسائل الإنتاج ، والمستوى الإقتصادى الموجود فى كل مجتمع

(أ) الدين فى عهد الرق والإقطاع :

وفى هذه الفترة وجد السيد والعبد . أى أن المجتمع انقسم إلى طبقات وحدث الاستقلال وظهرت الملكية الخاصة .

وكان لابد والحال هذه من إيجاد وازع دينى فى نفوس الطبقة المستغلة من أجل أن يصبروا فى هذه الدنيا على الاستغلال وينالوا الثواب فى الآخرة فكانت فكرة وجود الإله تطمينا لهؤلاء المضطهدين .

ويرون أن الحروب التى حصلت وكانت دينية وثارت ضد الكنيسة إنما تنبع من الأساس الإقتصادى ، فالعامل الإقتصادى عندهم صاحب الأثر الأقوى دون غيره فى الحياة البشرية .

يقول انجلز : (إن مايسمى بالحروب الدينية فى القرن السادس عشر كانت تتضمن مصالح طبقية مادية إيجابية ، فقد كانت هذه الحروب حروبا طبقية تماما تمثل الصدامات الداخلية التى وقعت بعد ذلك فى انجلترا وفرنسا . ورغم أن الصراعات الطبقية كانت عندئذ مغلفة بشعارات دينية ورغم أن

---

(١) انتى دوهرنغ (٣٨١) .

مصالح وحاجات ومطالب مختلف الطبقات كانت مختفية خلف ستار دينى فلم يبدل هذا شيئا من الأمر ويمكن تفسيره ببساطة من واقع ظروف تلك الأيام)[١].

ثم ظهرت الرأسمالية ، وكانت الأفكار الدينية فى عهدها مواكبة لما كانت عليه وسائل الإنتاج فى عصرها ، وكان ظهورها فى عصر النهضة الأوربية التى قامت على أسس غير دينية بالإضافة إلى حماقات الكنيسة التى كانت ترتكبها باسم الدين فبدأ نبذ الدين والإله الذى تدعيه الكنيسة وسارت أوروبا تدريجيا نحو الإلحاد ، وحل الإنسان محل الله فى قلوب الأوربيين بإنتهاء عصر الإقطاع حيث جاء عصر الآلة الصناعية - وكان أهل الريف ينطلقون بعواطفهم ووجدانهم إلى الله فى إنبات الحب والزرع وحفظ الأرض من الصقيع والآفات - وأصبح أهل المدن الصناعية لايرتبطون بالله ذلك الارتباط لأن الإنسان هو الذى يقوم بعملية الإنتاج فى المدينة وليس الله .

الإنسان هو الذى عرف خواص المادة حين تعلم واخترع الآلة التى تنتج والإنسان هو الذى يدير الآلة ويوقفها متى شاء ، وهو الذى يضع فى الآلة المادة الخام فتخرج مصنعة لذلك يجب أن يعبد الإنسان الصانع وصار كثير من الناس فى أوروبا يعتبرون عبادة الله وعبادة قوة غيبية لاتدركها الحواس والأخذ من هذه القوة الغيبية التى لم يروها - ولن يروها - أخلاقهم وأفكارهم وعقيدتهم ومشاعرهم - عيبا يقلل من شأنهم فى المجتمع المتحضر هذه الصورة كانت تعيشها أوروبا فى بداية ظهور الرأسمالية .

أضف إلى ذلك تأثير القوى الهدامة على زلزلة العقيدة وتحطيم الأخلاق باحتكار الصناعة عن طريق القروض الربوية[٢].

---

(١) حرب الفلاحين فى المانيا (٤٦) .

(٢) انظر جاهلية القرن العشرين (٦١) ومابعدها ، محمد قطب ، الطبعة الثانية عشرة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ، دار الشروق .

ففي مرحلة الرأسمالية ضعف الدين في أوروبا وذلك نتيجة وعي الإنسان واطلاعه على أسرار الطبيعة وتحرره من الأوهام والخيالات التي كانت تسيطر عليه سابقا ، فتحرر الإنسان من الدين وأخذ يفكر في ذاته ويؤمن بالعقل والعلم ويكفر بكل عيب نظرا لتقدم الإقتصاد في ذلك الوقت .

يقول جورج سول : (وأصبح البحث ينصب على تفسير النتائج والأسباب بالنسبة إلى السلوك البشري - سواء أكان مرغوبا فيها أم غير مرغوب - عن طريق قوانين الطبيعة بدلا من البحث عنها في إرادة الله كما قالت الكتب المقدسة والمذاهب الكنسية ، ومعنى هذا - بتعبير آخر - إن علينا أن نسترشد في أعمالنا وتصرفاتنا بالعقل دون سلطة القدامى)[1].

ثم يواصل الشيوعيون تصوراتهم عن الدين حسب قوانينهم الجدلية ، فيصلون إلى مرحلة الشيوعية وبالتالي يصبح الدين من الموروثات القديمة .

يقول انجلز : (وإنه لصحيح بعد أننا نحن في التفكير والله في التدبير (والله يعني السيطرة الغريبة لأسلوب الانتاج الرأسمالي) . وأن المعرفة المجردة ، حتى إذا ذهبت أبعد وأعمق مما يذهب إليه علم الإقتصاد البرجوازي ، لاتكفي من أجل وضع القوى الإجتماعية تحت سيطرة المجتمع إن مايلزم قبل كل شيء من أجل ذلك هو عمل إجتماعي . وحين يتحقق هذا العمل ، حين يستولي المجتمع على سائر وسائل الإنتاج ويستخدمها على أساس منهج فيتحرر ويحرر سائر أعضائه من العبودية التي تفرضها عليهم وسائل الإنتاج هذه ، وهي التي أنتجوها هم أنفسهم لكنها تجابههم على اعتبارها قوة غريبة لاسبيل إلى مقاومتها ، وبالتالي حين لايعود الإنسان في التفكير فحسب ، بل في التدبير أيضا - عندئذ فقط تتلاشى القوة الأخيرة التي لاتبرح منعكسة في الدين ، ويتلاشى معها أيضا الانعكاس الديني نفسه ، وذلك لهذا السبب البسيط ، ألا وهو أنه لم يتبق وقتذاك شيء ينعكس)[2].

---

(١) المذاهب الإقتصادية الكبرى (٤٩-٥١) .

(٢) انتي دوهرنغ (٣٨٣) .

وهكـذا كـان الدين عرضة للتغيير والتبـديل مـن مجتمـع لآخر حسب وسـائل الإنتـاج وظـروف الإقتصـاد . إلى أن يصـل المجتمـع إلى الشيـوعية وبالتالى تلغى فكرة الدين ، ويصلون من تفسيرهم ذلك إلى التالى :

(١) إنكار الإله .

(٢) أن الـدين ليـس أصلا ثابتا فى النفـس الإنسانية فالإنسـان غير مفطـور عليه.

(٣) أن الـدين مـن اختراع الطبقـات وبتعبير آخر مـن اختراع الإنسـان ، شجعه على ذلك العامل الإقتصادى .

وهـم بهذا يريدون تحقيق مبدأهم فى القضاء على الـدين . فهل صحت قوانينهم تلك ، وهل حققوا مبدأهم ذلك؟

التفسير المادى للأخلاق :

فسـر الشيوعيون الأخلاق حسـب تطور وسائل الإنتـاج ، وبالتالى فإن لكـل مجتمع أخلاقه التى تتنـاسب مع وسائل إنتاجه فـالأخلاق غير ثابتـة بل متطورة .

يقول انجلز : (إننا نرفض كل محاولة لالزامنا بأية عقيدة أخلاقية مهما كانت على اعتبارها شريعة أخلاقيـة أبدية ، نهائية ، وثابتـة أبدا ، بحجـة أن للعـالم الأخلاقى أيضا مبادئه الـدائمة التى تنهض فوق التـاريخ وفوق الفوارق بين الأمـم . إننا ننادى على النقيـض من ذلك بأن سائر النظـريات الأخلاقية قد كانت حتى هذا التاريخ ، فى آخر تحليل نتاجا لأوضاع المجتمع الاقتصادية السائدة فى زمنها)[١].

ويقول : (إن الأخلاق قد كانت على الدوام أخلاقـا طبقية ، فهى إما أن تبرر سيطرة الطبقة الحاكمة ومصالحها ، وإما أن تمثـل ، حالما تحوز الطبقة المضطهـدة مايكفى من القوة ، التمرد على تلك العقيـدة ومصالح المضطهدين المقبلة فى الوقت نفسه)[٢].

---

(١) انتى دوهرنغ (١١٤-١١٥) .

(٢) المرجع السابق (١١٥) .

فالعصر البدائى الشيوعى نظرا لكون علاقات الإنتاج جماعية فقد وجدت عادات وتقاليد جماعية ، وعندما تطورت وسائل الإنتاج تطورت آراء الناس وعاداتهم وأخلاقهم وأصبحت الملكية الشخصية لبعض الأشياء موجودة ، ومن هنا غدت الملكية معتادة بعد أن كانت لاأخلاقية .

ثم كان مجتمع الرق ووجد فيه نظام الطبقات ووقع الظلم على الطبقة المضطهدة ووجدت الأخلاق التى تسمح بظلمه ومعاملته بوحشية .

ثم كان بعد ذلك المجتمع الإقطاعى ، وقام أيضا على ظلم الفلاحين واحتقارهم وتسخيرهم لخدمة الطبقة الممتازة .

ثم المجتمع الرأسمالى : وفيه تم النضال ضد الإقطاعيين والبرجوازيين ووجدت الأخلاق البرجوازية التى تخفى استغلال العامل ، وتقيده الإقتصادى من قبل الرأسمالى ، فالأخلاق البرجوازية طابعها النفاق[1].

أما الأخلاق عند الشيوعيين : فإنها منصبة على العمل فمن يعمل فهو صاحب خلق وإلا فلا . والعمل هذا يكون للشيوعية ومن أجلها . ويرون أن الأخلاق إنما كانت بسبب ظروف اقتضت وجودها ، وفى الشيوعية لاحاجة إليها .

يقول انجلز : (نحن نرفض أن نذعن لأية عقيدة خلقية باعتبارها قانونا خلقيا خالدا وغير قابل للتبديل والتغير ، ونرفض أن نعتبر بأن هناك مبادىء خلقية أبدية تتجاوز عصور التاريخ وتتجاوز كل اختلاف بين الشعوب . وعلى العكس من ذلك نقرر أن جميع التعاليم الخلقية القديمة إنما هى عند تحليلها ليست إلا ناتجا اصطنعه المستوى الإقتصادى الذى بلغه المجتمع فى عصر معين ولما كان المجتمع الإنسانى إلى اليوم لايزال يخوض غمار حرب الطبقات فالأخلاق التى يعترف بها المجتمع ليست إلا النظام الخلقى الذى تعتز به طبقة معينة ، نظاما كان طورا يبرر طغيان الطبقة الحاكمة ويذود عن

---

(١) انظر مذاهب فكرية معاصرة (٢٩٨-٣٠٠) .

مصالحها أو يبرر طغيان الطبقة التى كانت مغلوبة على أمرها حتى وصلت إلى الحكم ولايمكن وجود نظام أخلاق وإنسانى شامل إلا بعد أن ينتهى حرب الطبقات)[١].

ويقول لينين : (يجب على المناضل الشيوعى الحق أن يتمرس بشتى ضروب الخداع والغش والتضليل ، فالكفاح من أجل الشيوعية ، يبارك كل وسيلة تحقق الشيوعية)[٢].

ويقول ستالين أن الأخلاق الفاضلة هى : (تلك التى تدعم النظام الشيوعى ولاشىء غير هذا يمكن أن يسمى أخلاقا فاضلة)[٣].

وبعد هذا فهم يرون أن الأخلاق ليست إلا انعكاسا للوضع الإقتصادى القائم ، وكل طبقة تسود فى مجتمع ما تكون أخلاقها هى السائدة والمسيطرة على ذلك المجتمع ، وهم بتطبيق هذه القوانين على الأخلاق يصلون إلى إنكار ثبات الأخلاق ،وبالتالى إنكار الدين لأن الأخلاق إنما تنبع منه ، والدين يكون مصدره الإله ،و من ثم فليس هناك إله كما هو زعمهم .

التفسير المادى للأسرة :

لايخرج تفسير الشيوعيين للأسرة عن تفسيرهم للدين والأخلاق من كونها متطورة اقتضتها الظروف الإقتصادية الموجودة فى كل مجتمع .

يقول جان فريفبل : (لاتشكل الأسرة كيانا اجتماعيا خالدا ، ولقد طرأت عليها تبدلات عديدة عبر القرون ، وهذا التطور يتحدد فى التحليل الأخير بالعامل الإقتصادى)[٤].

---

(١) نقلا من كتاب هزيمة الشيوعيين فى عالم الإسلام (٩٣) .

(٢) نقلا من كتاب اشتراكيتهم وإسلامنا (٣٧) .

(٣) إشتراكيتهم وإسلامنا (٣٨) ، ولمزيد من أقوالهم عن الأخلاق فى المجتمع الشيوعى انظر : نفس المرجع (٣٦-٣٧،٣٩) ، هزيمة الشيوعية فى عالم الإسلام (٩٣-٩٤) .

(٤) المرأة والاشتراكية (١٧) ترجمة جورج طرابيشى ، نقلا من كتاب مذاهب فكرية معاصرة (٣٠٢) .

وهم يرون أن الأسرة مرت بأطوار :

(أ) أسرة الجيل : والعلاقة فيها مباحة بين جميع أبناء الجيل بين الأخوة والأخوات ، ومحرمة فقط بين الآباء وجيل الأبناء .

(ب) أسرة الشركاء : وفيها يتم الحرمان من زواج الاخوة والأخوات ، وهذه صورة نشأت بسبب اختراع المحرم الذى لم يكن موجودا .

(ج) الأسرة الزوجية : وفيها يعيش الرجل الواحد مع امرأة واحدة ، وفى هذه المرحلة يكون تعدد الزوجات ، والخيانة ، وكذلك يمكن حل الزواج من قبل أحد الطرفين .

(د) الأسرة الوحدانية : مبنية على سيطرة الرجل ، وهدفها إنتاج أولاد لايشك فى صحة أبوتهم ، وتفترق هذه الأسرة عن الأسرة الزوجية أن حل رابطة الزواج تكون فى يد الرجل(١).

أما الأسرة عند الشيوعيين : فيقول انجلز عنها : (إن النظام الشيوعى سوف يحول العلاقات بين الجنسين إلى مجرد علاقات شخصية تخص المعنيين بالأمر ولايحق للمجتمع أن يتدخل فيها . ويتحقق هذا التحول عند إلغاء الملكية الفردية والبدء بالتربية الجماعية للأطفال الأمر الذى يطيح بالدعامتين الرئيسيتين لمؤسسة الزواج الحالية : تبعية المرأة للرجل وتبعية الأطفال للأهل)(٢).

فهذه بعض أقوال الشيوعيين عن أفكارهم فى قضايا الدين والأسرة والأخلاق وغاياتهم من هذا التفسير الجدلى لهذه القضايا هى :

أولا : أن الدين والأخلاق والأسرة قضايا متغيرة حسب العوامل الإقتصادية التى توجد فى كل عصر . وبالتالى القضاء على كل الثوابت (إنكار الأمور الفطرية) .

---

(١) انظر مذاهب فكرية معاصرة (٣٠٢-٣٠٤) .

(٢) تعاليم الماركسية (٣٧) .

ثانيا : جعل العامل الإقتصادى هو العامل الوحيد المؤثر فى حياة البشرية ولأجل ذلك ربطوا به كل تغير .

ثالثا : أن الأصل الذى كانت عليه البشرية هو الشيوعية أو المشاعية الأولى التى ترغب الشيوعية الأخيرة فى العودة إليها فلادين فيها ، ولاأخلاق ولارابطة أسرية بل كل شىء له حكم الحل .

رابعا : أن الغاية عند الشيوعيين تبرر الوسيلة حتى ولو كانت فاسدة كما رأينا أقوالهم فى الأخلاق فالخلق الفاضل عندهم هو مايؤدى إلى نصرة الفكر الشيوعى دون اعتبار للأخلاق الموجودة .

خامسا : أن فى هذه الأقوال دعوة صريحة لفصم الروابط الأسرية ، وإحلال الإباحية والرذيلة مكان العفاف والفضيلة . فيدعون صراحة إلى أن تهب المرأة نفسها لمن تشاء ، ويريدون بذلك أن لاتخشى المرأة أو الفتاة مما تفعل إذا رفض المجتمع فعلها هذا . كما يدعون إلى تسليم الأطفال للمحاضن من أجل التربية الجماعية ليقضوا على إنتماء الأطفال لآبائهم .

فهذا عرض سريع لمواقف الشيوعية من الدين والأخلاق والأسرة ، عرضت آراءهم دون أن أرد عليها وسيأتى ذلك فى حينه بإذنه تعالى وتقديره إذ أن هذه الآراء والأفكار كانت من أهم الأسباب التى عجلت بزوال ذلك الفكر ودولته ، حيث صادموا بها الفطرة الإنسانية . ومن البدهى أن الفطرة ترفض كل مايعارضها أو يصادمها ، والفكر الشيوعى قام على مصادمتها ، وبهذا التصادم حكم الفكر الشيوعى على نفسه بالهلاك وعدم البقاء وإن ظل باقيا فترة من الزمن بتأثير القوة والتسلط .

إن مصادمة الشيوعية لمسائل الفطرة فى النفس الإنسانية كان أحد الأسباب التى أدت إلى إنهيار بنيانها ، وعدم الوثوق بها ، وكفر كثير من البشر بمبادئها ، وكان هذا الصدام للفطرة أعظم الأسباب التى عجلت بالانهيار ، بل إنه السبب الأقوى والأول الذى أدى إلى سقوط الشيوعية وتفتت دولتها . وهذا ماسنعرض له فى الباب الثانى ضمن أسباب سقوط الشيوعية .

الباب الثانى
أسباب سقوط الشيوعية (الداخلية)

ويشتمل على تمهيد وخمسة فصول .

التمهيد .

الفصل الأول : مصادمة الشيوعية للفطرة .

الفصل الثانى : القضاء على الحريات .

الفصل الثالث : فشل النظام الإقتصادى الشيوعى .

الفصل الرابع : فساد تنبؤات الشيوعية وبطلان نظرياتها .

الفصل الخامس : مصادمتها للواقع والتغيير فى مبادئها .

الفصل الأول
مصادمة الشيوعية للفطرة

ويشتمل على تمهيد وعدة مباحث .

التمهيد

المبحث الأول : مصادمة الشيوعية لفطرية التدين .

المبحث الثانى : مصادمة الشيوعية لفطرية التملك .

المبحث الثالث : مصادمة الشيوعية لفطرية الزواج والحياة الأسرية .

المبحث الرابع : مصادمة الشيوعية لفطرية التجمع والإنتماء للوطن والسلالة .

تمهيد
عن السنن الربانية ومفهوم السقوط

إن من الأمور المسلم بها أن هذا الكون كله لله تعالى {**ألا له الخلق والأمر**}(١).

فلايغزب عنه سبحانه وتعالى مثقال ذرة فيه ولاأصغر من ذلك ولاأكبر إلا ويعلمها جل وعلا .

وأمره تعالى شامل للأمر الكونى ، بتدبيره وتسييره حسب نظام بديع لايتبدل ولايتغير إلا بإرادته جل وعلا . فكل أفلاك هذا الكون ونجومه وأحداثه إنما تسير بإرادته جل شأنه وقدرته {**وكل فى فلك يسبحون**}(٢).

كما أن أمر الله تعالى شامل للأمر الشرعى ، وذلك بإرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وإنزال الكتب ، وفرض الشرائع التى تصلح أحوال الناس وتحميهم من الفساد والانحراف .

فإن هم ابتعدوا عنها ، ولم يعملوا بما فيها ، ضلوا الطريق ، وتخبطوا فى الظلمات حتى يهتدوا بنور الله تعالى ليخرجهم من الظلمات إلى النور .

وشاء الله سبحانه وتعالى أن يخلق الخير والشر لحكمة يريدها العزيز الحكيم .

ومن حكمته أن الظلم والشر قد يظهران ، وتكون للظالم أيامه التى ينتصر فيها بالقوة والقهر والجبروت الذى يحمل الناس على التسليم والإذعان كارهين .

ويزداد الخضوع إذا اقترن ذلك الوعيد بشىء من الوعود التى تحمل بين ثناياها شعارات براقة ، وضعت عمدا تحقيقا للهدف ووصولا للغاية ،

---

(١) سورة الأعراف : (٥٤) .
(٢) سورة يس : (٤٠) .

دون أى اعتبار للوسيلة والطريق الذى يسلكه ذلك الظالم فى الوصول إلى مبتغاه .

وكل ذلك يصدق على الأنظمة الأرضية التى قامت على تحقيق المصالح الذاتية والنزعات المادية ، وكانت غايتها ومبلغ علمها . ومن أكثر الأنظمة زيفا وخداعا وإسرافا فى الطغيان واستخداما للقوة فى فرض مبادئه وحمل الناس عليها قسرا النظام الشيوعى الماركسى ، القائم على تحكم فئة قليلة العدد بمصير شعوب عديدة من قوميات مختلفة ، هذا النظام وإن قامت له دوله ، واستمرت نيفا وسبعين سنة بالقوة والجبروت ، إلا أنها لاتذكر مقارنة بدولة الحق والمنهج الربانى الذى سيظل إلى قيام الساعة ، فإن دولة الظلم ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة .

ومن هنا فكما أراد الله تعالى أن يخلق الخير والشر لحكمة ويجعل للظالمين أيامهم وسطوتهم ، فإنه تعالى جعل سننا لهذا الكون يسير عليها وذلك من حكمته جل وعلا أيضا .

ومن سننه تعالى أخذ الظالمين وإهلاكهم أو خذلانهم وتشتيتهم وهذا ماحصل للنظام الشيوعى ، حيث حقت عليه السنة الإلهية {**ولن تجد لسنة الله تبديلا**}[1].

السنن الإلهية :

إن لله تعالى سننا ثابتة فى هذا الكون لاتتبدل ولاتتغير .

ومن ذلك بقاء الحق والعدل ، وزوال الظلم والطغيان واندحارهما وإن طال أمدهما .

وأعظم أنواع الظلم الشرك بالله تعالى . قال عز من قائل : {**إن الشرك لظلم عظيم**}[2].

---

(١) سورة الأحزاب : (٦٢) .

(٢) سورة لقمان : (١٣) .

ومـن سنن الله تعالى فى الأمم أخذها إن هى أشـركت به ، أو كفرت أو ضلت عن أمره .

وهـذه سنة جارية على كـل أمة أو دولة وجدت فيهـا أسبـاب أخذها وهلاكها وقد أكثر العلماء فى حديثهم عن السنن الإلهية ومتى تقع ، وأسباب وقوعها ، وسنقتصر هنا على تعريفها وذكر الأمثلة عليها من كتاب الله تعالى وبعضا يسيرا مما جاء عن أهل العلم عنها .

السنة فى اللغة :

جاء فى اللسان : (السنة : السيرة ، حسنة كانت أو قبيحة . وسنة الله أحكامه وأمره ونهيه)[١].

ومنه قوله تعالى : {**إلا أن تأتيهم سنة الأولين**}[٢].

أى (معاينة العذاب)[٣].

السنة فى الاصطلاح :

عـرفها شيخ الإسلام بالآتى : (السنـة هى العادة التى تتضمـن أن يفعل بالثانى مثل مافعل بنظيره الأول . ولهذا أمر سبحانه وتعـالى بالاعتبار وقال : {**لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب**}[٤]. والاعتبار أن يقرن الشىء بمثله فيعلم أن حكمه مثل حكمه)[٥]

---

(١) لسان العرب (٢٢٥/١٣) حرف النون ، فصل السين ، الطبعة الأولى ، دار صادر ، بيروت ، دون ذكر لرقم الطبعة .

(٢) سورة الكهف : (٥٥) .

(٣) القـاموس المحيط (١٥٥٨) ، الفيروز آبادى ، باب النـون ، فصـل السين ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع .

(٤) سورة يوسف : (١١١) .

(٥) مجموع الفتاوى (٢٠/١٣) شيخ الاسلام أحمد بن تيمية ، دار عـالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤١٢هـ/١٩٩١م دون ذكر لرقم الطبعة .

وقال فى موضع آخر : (وسنته عادته التى يسوى فيها بين الشىء وبين نظيره الماضى وهذا يقتضى أنه سبحانه يحكم فى الأمور المتماثلة بأحكام متماثلة)[١].

ومن التعريفات الواردة فيها أنها (منهج الله فى تسيير هذا الكون وعمارته وحكمه وعادة الله فى سير الإنسانية وعادته فى إثابة الطائعين وعقاب المخالفين طبق قضائه الأزلى على مقتضى حكمته وعدله)[٢].

ويعرفها د. أحمد كنعان بأنها (مجموعة القوانين التى سنها الله عز وجل لهذا الوجود وأخضع لها مخلوقاته جميعا على اختلاف أنواعها وتباين أجناسها)[٣].

فالسنة الإلهية هى : العادة التى يجريها الله تعالى فى خلقه ثوابا للطائعين على قدر مافيهم من امتثال ، وعقابا للعاصين على قدر مايقترفونه من ضلال ، يحدث كل منهما متى توافرت شروط حصوله أو بعضها .

وعلى هذا (تبقى سنة الله التى لاتتبدل ولاتتغير تعمل عملها فى حركة التاريخ ، وتتخذ من المترفين أداة تسوق بها القرى والدول والجماعات والأمم نحو مصائرها المفجعة)[٤].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/٢٣) .

(٢) السنن الإلهية فى الحياة الانسانية (١/٩) ، رسالة دكتوراه ، شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

(٣) أزمتنا الحضارية فى ضوء سنة الله فى الخلق (٥٢) ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ ، طبع رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية بدولة قطر .

(٤) مقال فى العدل الاجتماعى (٤٠) ، د. عماد الدين خليل ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .

خصائص السنن الربانية :

الشمولية ، والثبات ، والإطراد .

(١) الشمولية :

يقول د. أحمد كنعان : (إن كل مافى هذا الكون من جماد وحيوان ونبات وانسان يخضع لسنن ربانية محكمة .. وأنه لاشىء فى هذا الوجود خارج عن سنة الله .. بل الكل خاضع له سبحانه)[١].

(٢) الثبات :

والمقصود بذلك أن سنن الله باقية على حالها منذ خلق الله السموات والأرض وهى مستمرة على هذه الحال من الثبات إلى أن يشاء الله .. وفى هذا مافيه من دلائل بالغة توحى برحمة الله عز وجل بالعباد .. فلولا ثبات السنن على هذه الشاكلة لما أمكن للبشر أن يسخروها أو يستفيدوا منها ولما كان استخلاف البشر فى الأرض ممكنا إذ كيف يمكن أن يستخلفوا فى عالم هلامى لايثبت على حال؟ وكيف يمكن أن يسخروا مثل هذا العالم الذى لايحكمه قانون ولاتضبطه سنة؟

ومن جهة ثانية لو لم تكن سنن الله ثابتة على هذا الحال ، لما كان فى هذا الوجود توازن ولااستقرار ولكانت الفوضى حينئذ هى سمة الخلق كله .. وهذا مايتنافى مع الواقع المشهود ، الذى تدلنا كل صغيرة وكبيرة فيه على آيات التوازن والاستقرار كما قال تعالى فى وصفه : {**وكل أمر مستقر**[٢]}[٣]. وقال تعالى : {**سنة الله فى الذين خلو من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا**}[٤].

(٣) الإطراد :

ومعنى ذلك استمرار وقوعها ماوجدت أسباب حصولها .

---

(١) أزمتنا الحضارية (٦٥) .

(٢) سورة القمر : (٣) .

(٣) انظر أزمتنا الحضارية (٦٨-٦٩) .

وانظر سنن الله فى المجتمع من خلال القرآن (١٥-١٦) ، محمد الصادق عرجون ، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، الدار السعودية للنشر والتوزيع .

(٤) سورة الأحزاب : (٦٢) .

يقـول د. أحمـد كنعـان : (إطـراد السنـة تتابع حصـولها ، أو تكـرار آثارها على الوتيرة نفسها كلما توافرت شروطها ، وانتفـت الموانع التى تحول دون تحقيقها ...)[١].

يقـول الإمام ابن القيم : (فطر الله سبحانه عباده على أن حكـم النظير حكـم نظيره وحكم الشىء حكـم مثله ، ... لذلك كان الجزاء ممـاثلا للعمل من جنسه فى الخير والشر)[٢].

الأمم السابقة والسنن الربانية :

إن سنن اللـه تعالى كائنة منـذ بدء الخليقة ، وستظـل كذلك إلى ماشاء اللـه تعـالى لهـا البقـاء ، وقـد أخبرنا المولى جل وعلا عـن الأمـم السـابقة وتاريخهـا مع أنبيائها عليهم السلام ، كما أخبرنا جل وعلا عـن ذنوبهم التى ارتكبـوها ، ممـا جعل السنن الـربانية تحق عليهم ونعـرض الآن لبعـض هذا القصص لأن فيه العبرة والعظة ، وبيان أنه متى ماتوافـرت شروطها فإنها تقع وذلك لكونها مطردة لاتعرف وقتا دون آخر .

أولا : قوم نوح عليه الصلاة والسلام :

قال تعالى : **{لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم . قال الملأ[٣]من قومه إنا لنراك فى ضلال مبين . قال ياقوم ليس بى ضلالة ولكنى رسـول مـن رب العلمين . أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم وأعلم من الله مالاتعلمون . أوعجبتم أن جاءكم**

---

(١) أزمتنا الحضارية (٧٦) وانظر (٣٤) .

(٢) إعلام الموقعين عـن رب العالمين (١٩٦/١) ، راجعـه طه عبـد الرؤوف سعيد ، دار الجيـل للنشـر والتوزيع والطباعـة ، بيروت ، لبنـان ، دون ذكـر لـرقم الطبعة أو تاريخها .

(٣) فئة قليلة من الناس وهم أعلاهم أصحاب الحل والعقد فيهـم وكذلك كان الحزب الشيوعى .

ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون . فكذبوه فأنجيناه والذين معه فى الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوما عمين}[١].

فهذه دعوة نوح عليه السلام والأنبياء من بعده عليهم الصلاة والسلام من ربهم .

والملأ من الأقوام هم الذين كانوا يتولون كبر المعارضة والمعاندة والصد عن سبيل الله تعالى لأنهم هم السادة والكبراء والقادة منهم[٢].

وهذا يذكرنا بالحزب الشيوعى وإنفراده بالسلطة والاستحواذ عليها وجعل الأمر بيد قلة من الناس ليس للبقية إلا الانصياع لهم وإتباعهم فيما يريدون . فإذا لم يكن ذلك بالرضا منهم فليكن بالقوة والتعذيب كما سيأتى معنا فى قصص بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام[٣].

وقد ذكر الله تعالى قصته مع قومه فى عدة مواضع من كتابه الكريم[٤] فدعا قومه إلى عبادة الله تعالى وترك الشرك وتلك دعوة الأنبياء جميعا ، وقص الله تعالى ماكان بينه وبين قومه وأمره جل وعلا له أن يصنع الفلك وسخرية قومه منه لذلك ، ثم أمره أن يحمل فيه من كل زوجين اثنين ، ثم قص الله تعالى ماكان بينه عليه السلام وبين ابنه ، ثم إغراق القوم أجمعين إلا من آمن وماآمن معه إلا قليل .

فكان <u>ذنبهم</u> : كفرهم بالله تعالى ، وعدم استجابتهم لدعوة التوحيد .

---

(١) سورة الأعراف : (٥٩-٦٤) .

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/٣٢٣) للحافظ ابن كثير ، دار الدعوة ، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها .

(٣) كما هو حال فرعون مع قومه عليه من الله تعالى مايستحق ، وكذلك أصحاب الفكر الشيوعى فى فرضهم على الناس قبول أفكارهم بالقوة وإن لم يتقبلوه يكون مصيرهم القتل أو النفى .

(٤) كما فى سورة يونس (٧١-٧٣) ، وسورة المؤمنون (٢٣-٣٠) ، وسورة الشعراء (١٠٥-١٢٢) ، وكذلك سورة نوح .

قال تعالى : {ومكروا مكرا كبارا وقالوا لاتذرن آلهتكم ولاتذرن ودا ولاسواعا ولايغوث ويعوق ونسرا}[١].

العقوبة : إهلاكهم بالغرق .

قال تعالى : {فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون ثم أغرقنا بعد الباقين}[٢].

وقال عز وجل : {ولاتخاطبنى فى الذين ظلموا إنهم مغرقون}[٣].

وأبان سبحانه وتعالى بأنه جعل فى ذلك آية للاتعاظ فقال تعالى : {ولقد تركنها آية فهل من مدكر}[٤].

ثانيا : قوم هود عليه الصلاة والسلام :

قال تعالى : {وإلى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك فى سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين قال يقوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين . أبلغكم رسلات ربى وأنا لكم ناصح أمين . أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بصطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون . قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ماكان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلوننى فى أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم مانزل الله بها من سلطان فانتظروا إنى معكم من المنتظرين فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وماكانوا مؤمنين}[٥].

---

(١) سورة نوح : (٢٢-٢٣) .

(٢) سورة الشعراء : (١١٩-١٢٠) .

(٣) سورة المؤمنون : (٢٧) .

(٤) سورة القمر : (١٥) .

(٥) سورة الأعراف : (٦٥-٧٢) .

ووردت قصته عليه السلام فى عدة مواضع من القرآن الكريم منها سورة هود : (٥٠-٦٠) ، سورة الشعراء (١٢٣-١٤٠) .

فذنبهم : الكفر بالله تعالى وتكذيب الرسل عليهم الصلاة والسلام .
{ألا إن عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود}(١).

العقاب : أخذهم وإهلاكهم كما هى سنة الله تعالى فى المكذبين .

قال تعالى : **{كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر . إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر . تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر . فكيف كان عذابى ونذر}**(٢).

وقال تعالى : **{وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية}**(٣).

ثالثا : قوم صالح عليه الصلاة والسلام :

قال تعالى : **{وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولاتمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم . واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولاتعثوا فى الأرض مفسدين . قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون . قال الذين استكبروا إنا بالذى ءامنتم به كافرون . فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين فتولى عنهم وقال يقوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لاتحبون الناصحين}**(٤).

---

(١) سورة هود : (٦٠) .
(٢) سورة القمر : (١٨-٢١) .
(٣) سورة الحاقة : (٦-٨) .
(٤) سورة الأعراف : (٧٣-٧٩) . وكذا وردت القصة فى سورة الشعراء (١٤١-١٥٩) وسورة النحل : (٤٥-٥٣) .

فذنبهم : الكفر وعدم الإيمان برسل الله تعالى عليهم الصلاة والسلام .
قال تعالى : {**كذبت ثمود المرسلين ، إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون**}[1].

العقاب : الإهلاك والتدمير .
قال تعالى : {**فانظر كيف كان عقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن فى ذلك لآية لقوم يعلمون وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون**}[2].

رابعا : قوم لوط عليه السلام[3]:

وكان ذنبهم تكذيبهم للوط عليه الصلاة والسلام .
قال تعالى : {**كذبت قوم لوط المرسلين**}[4].
وقال عز وجل : {**أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر**}[5].

العقوبة : {**فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود . مسومة عند ربك وماهى من الظالمين ببعيد**}[6].

---

(١) سورة الشعراء : (١٤١-١٤٢) .
(٢) سورة النمل : (٥١-٥٣) .
(٣) وردت قصته مع قومه فى عدة مواضع من كتاب الله تعالى :
سورة الشعراء : (١٦٠-١٧٥) .
سورة الأعراف : (٨٠-٨٤) .
سورة هود : (٦٩-٨٣) .
سورة العنكبوت : (٢٨-٣٤) .
(٤) سورة الشعراء : (١٦٠) .
(٥) سورة العنكبوت : (٢٩) .
(٦) سورة هود : (٨٢-٨٣) .

وهنا لفتة لسنة الله تعالى فى خلقه حيث أبان سبحـــانه وتعالى أن سنة الأخذ والإهلاك ليست سنة فى زمن مضى ولاتعود ، بل إن من اقترف ووقع فيمـا وقع فيه أولئك يكون مصيره كمصيرهـم ، فالله تعـالى لايعجزه شىء ، وسنتـه ثابتة لاتتبدل ولاتتغير فـالهلاك والعذاب يكـون لكل من وجدت فيه أسبابه {**وماهى من الظالمين ببعيد**}[١].

خامسا : قوم شعيب عليه الصلاة والسلام[٢]:

ذنبهم : تكذيبهم لرسولهم عليه السلام .

قال تعالى : {**وقـال الملأ الذين كفروا مـن قومه لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا لخسرون**}[٣].

العذاب : التدمير والإهلاك .

قال سبحانه وتعالى : {**فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين**}[٤].

سادسا : قوم موسى عليه السلام[٥]:

ذنبهم : الكفـر باللـه تعـالى وتكـذيبهم نبيهـم عليه الصلاة والسلام .

قال تعالى : {**وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين**}[٦].

---

(١) سورة هود : (٨٣) .
(٢) من المواضع التى وردت فيها قصته فى كتاب الله تعالى :
سورة الأعراف : (٨٥-٩٣) .
سورة هود : (٨٤-٩٥) .
سورة الشعراء : (١٧٦-١٩١) .
(٣) سورة الأعراف : (٩٠) .
(٤) سورة الأعراف : (٩١) .
(٥) وردت قصـة مـوسى عليه السلام فى مـواضع عديدة من كتـاب اللـه تعالى منها :
سورة الأعراف : (١٠٣-١٤١) .
سورة طه : (٤٩-٨٢) .
سورة الشعراء : (٢٣-٦٨) .
(٦) سورة النمل : (١٤) .

عقابهم : قال جل علا : {**فانتقمنا منهم فأغرقناهم فى اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين**}[١].

فهذه الآيات وغيرها إخبار من الله تعالى عن أقوام وأمم بوأهم فى الأرض فاتخذوا من سهولها قصورا ، ونحتوا من الجبال بيوتا فلم يشكروا الرب ، ولم يعرفوا حق الغير ، فطغوا فى البلاد ، وأكثروا فيها الفساد ، وظلموا وتمادوا فى الترف والبطر ، ولقد أملى الله لهم ، وأمهلهم ، لكنه لم يهملهم . وأرسل إليهم الرسل عليهم السلام ، فكذبوهم وآذوهم ولم يؤمنوا بهم[٢]فحقت سنة الله تعالى عليهم ، وستحق على من يسير فى طريقهم ، ومن الأقوام المتأخرة التى توفرت فيها أسباب أخذها وتفريق جمعها ، وذهاب ريحها (الشيوعيون) أولئك القوم الذين طبقوا فكر ماركس فى روسيا وماأشبه العصبة الشيوعية هناك ، بفرعون وعصبته حيث جمعهم الكفر والإلحاد وإنكار وجود الإله حيث قال فرعون كما أخبر الله تعالى عنه {**ماعلمت لكم من إله غيرى**}[٣].

وقال ماركس : لاإله والحياة مادة .

وعندما كانت الشيوعية التطبيق العملى للفكر الماركسى فإن سنة الله تعالى ثابتة لاتتبدل ولاتتغير فحقت سنة المولى جل وعلا على الشيوعية فتفرق جمعها وذهب ريحها {**وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد**}[٤].

---

(١) سورة الأعراف : (١٣٦) .
(٢) انظر الإسلام وحقوق الإنسان (٣٥١-٣٥٢) .
(٣) سورة القصص : (٣٨) .
(٤) سورة هود : (١٠٢) .

السنة الإلهية بالنسبة لمن تقع عليهم :

(١) إما إهلاكهم ، واستئصال شأفتهم ، كما مر معنا من ذكر للأمم السابقة التى أخذها الله تعالى بكفرها وتكذيبها وفعلها للفواحش .

(٢) وإما بذهاب ريحها وتمزيقها وعدم تمكينها ، واضمحلال المجتمع وتفككه وذهاب ريحه .

إذ أن أثرها قد يكون (جزئيا فى جانب من جوانب المجتمع فى زمن معين بسبب العوامل الانحلالية التى جعلها الله فى سننه التى تحكم تطورات المجتمع معاول هدم لبناء أى مجتمع من المجتمعات التى قام بناؤها فى أصل وجودها على دعائم اجتماعية سليمة ، ثم انحرف بها قادتها وسائقوها فى قافلة الحياة عن سنن الله البنائية والقرآن الكريم ينبه إلى سنة من سنن الله فى تصوير الآخذين بزمام المجتمع والانحراف به إلى منحدرات الرذائل الخلقية ، وحمله بالقدوة السيئة على الانحراف معهم تقليدا - إذا أراد الله أخذهم استئصالا أو خذلهم تأديبا - فتقودهم شهواتهم إلى مزالق الخبائث كفرا وإلحادا ، أو إلى الخبائث الإجتماعية رذائل وانحدارا مع أحط الشهوات...)[١].

ولاشك أن هذا الأمر قد يقع فى دولة الإسلام ، ودولة الكفر ، ومن الدول التى حق عليها أمر الله تعالى دولة الاتحاد السوفييتى أم الفكر الشيوعى ، حيث حقت عليها سنة الله تعالى فسقطت وسقط فكرها وجاء سقوطها (علامة تاريخية على صدق سنن الله تبارك وتعالى وفساد المنهج البشرى مهما تحصن بالقوة والسلطان والنفوذ فى سبيل تثبيت وجوده على أرض الواقع ...)[٢].

---

(١) سنن الله فى المجتمع (٣٥-٣٦) .
(٢) مستقبل الاسلام بعد سقوط الشيوعية (٥) .

(إن انتقال المجتمع من حال إلى حال لايحصل عشوائيا بل يحصل وفق سنن ربانية تحكم مساره وتضبط جهته)[١].

ولقد جاء سقوط الشيوعية مذهلا ومروعا لكثير من المراقبين والمحللين من غربيين وشرقيين ، إلا أن الذى يعلم سنة الله تعالى فى خلقه لم يفاجأ بما حدث ، وذلك أن الزبد يذهب جفاء ولايمكث فى الأرض إلا ماينفع الناس . قال تعالى : {**فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض**}[٢])[٣].

وسنة الله تعالى التى حقت على النظام الشيوعى هى واحدة من السنن الكثيرة التى جعلها الله سبحانه وتعالى على كل نظام وفكر مخالف لمنهجه وطريقه المستقيم .

فزوال النظام الفاسد والفكر الباطل وتصدع بنيانه وإنهيار أفكاره ليس بالأمر الغريب فطريق الله تعالى هو الطريق الحق والصراط المستقيم .

ويؤخذ مما حل بالفكر والنظام الشيوعى أن القوة والجبروت التى صاحبت قيامه وقامت على تنفيذه وتطبيقه لم تكن كافية لاستمراره وبقائه ، فإن فرعون وجنوده قد علوا فى الأرض ، واستضعفوا الناس ، وقتلوا الأبناء واستحيوا النساء ، ومع ذلك كانت نهايتهم الغرق وللآخرة أشد وأبقى ، وكذلك هؤلاء رغم مافعلوه بالناس من قتل ونفى واعتقال وتعذيب إلا أن ذلك لم يثنهم عن المطالبة بحقوقهم ولم يستسلموا لهذا الفكر الباطل والنظام الظالم بل ثاروا عليه رغم البطش الشديد ، وتحت وطأة الضغط الجماهيرى تراجع علية القوم عن مبادئهم وأدخلوا التعديلات على مناهجهم ليرضوا شعوبهم وماذلك إلا لعدم صلاح ماقامت عليه الدعاية الشيوعية وخرجت

---

(١) أزمتنا الحضارية (٦٠) .

(٢) سورة الرعد : (١٧) .

(٣) الإنهيار (٩/١) .

الشعوب التى عاشت نيفا وسبعين سنة تحت الحكم الشيوعى تطالب بالحرية ، فما كان منها إلا أن داست تماثيل الزعماء الذين قادوا الثورة البلشفية وكانوا يعبدونها من قبل ، وهذا لايعنى دخولهم فى دين الله تعالى غير أنهم أثبتوا لأولئك الضعاف الذين يرون فى الشيوعية فكرا صالحا لإسعاد البشرية أثبتوا لهم أن الحق خلاف مايعتقدونه ويدعون إليه . كما أنهم بفعلهم هذا أعطوا صورة لاخفاء بها أن المبادىء التى قام عليها الفكر الشيوعى لم تحقق للفرد ماكان يرجوه بل صادمت فطرته وصادرت إنسانيته .

فجاء سقوط الشيوعية ليؤكد (الحقيقة الأزلية القائمة على أن أى منهج يقوم على غير الأصول الربانية فلابد أن يهوى ويسقط مهما تذرع بشتى الحيل فى سبيل البقاء والاستمرار ، وقد اعتمدت الشيوعية المقاييس الزائفة والنظريات الباطلة واستعملت الوسائل المضللة فلم يغنها ذلك عن إنهيار كل منهج لايستقيم على سنن الله تبارك وتعالى وقوانينه .

وقد جاء فى سقوط الماركسية الشيوعية قبل الموعد الذى حددته بروتوكولات صهيون دليلا على الهزيمة التى ستمنى بها الليبرالية والصهيونية جميعا فى الوقت القريب مادام المسلمون قد أصروا على الثبات والاستمساك بدينهم ...)[١].

فسنن الله تعالى لاتحابى أحدا ، ولاتتبدل ، ولاتتغير ، يوقعها على الظالمين ، فيما مضى ، وفيما لحق ، وفيما سيأتى ، إذا توافرت شروط حصولها ، فالكون كله يخضع لسنن الله تعالى لأنه جل شأنه حكيم فى فعله عظيم فى إرادته ، فجعل لهذا المجتمع سننا وأبان فى آياته جل وعلا عوامل البقاء التى تحفظه من معاول الهدم والانحلال وتصونه من التفتت والإنهيار ،

---

(١) مستقبل الاسلام بعد سقوط الشيوعية (١٢٦-١٢٧) .
وانظر السرطان الأحمر (١٠٧) ، د. عبد الله عزام ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء ، دار ابن حزم ، بيروت ، الجمهورية العربية اليمنية .

وتباعد بينه وبين الفناء المفاجىء[١].

ومن سنن الله تعالى التى قررها القرآن الكريم من أجل أن يتحقق بها التوازن الاجتماعى :

(أن الله تعالى ينتقم من الظالمين بظالمين مثلهم أو أطغى منهم ، فإذا استشرى الفساد فى أمة من الأمم ، وعجز العامة عن الأخذ على يدى الخاصة من الطغاة الظالمين سلط الله تعالى على هؤلاء الظلمة بعضهم على بعض {**وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون**}[٢])[٣].

ونحن إذا نظرنا إلى النظام الشيوعى ، نرى أن سقوطه لم يكن بالقوة العسكرية حيث لم تستخدم القنابل الذرية ولاالصواريخ العابرة للقارات فى إسقاطه ، وكذلك لم يستطع الاتحاد السوفييتى نفسه من استخدام صواريخه ودباباته وقنابله فى منع هذا السقوط ، إنها السنة الإلهية التى حقت {**فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا**}[٤].

لقد (سقط النظام الشيوعى الجبار العاتى العنيد على أرض أكبر إمبراطورية شيوعية وتوابعها فى شرق أوربا .. وأنهار كالعملاق الأجوف بدون أن تطلق عليه رصاصة واحدة وبدون أن يتلقى ضربة واحدة من سيف أو خنجر أو حتى من سكين! وبعد صراخ وضجيج وطبل وزمر أضجر العالم كله طوال أعوام عمره السبعين ، هدأت الأصوات فلاتسمع إلا همسا ولم يبك عليه إنسان ، فى غمرة هذا الزلزال الصامت ، وبين أنقاض قلعة الأوهام المحطمة ، لم يقف عاقل من جهابذة وصناع ذاك النظام ليسأل ماذا فعلت تلك الآلاف المؤلفة من الصواريخ والرءوس والغواصات الذرية التى كدسوها على مدى السنين وأرهبوا بها العالم ، وهم الآن فى حيرة كيف

---

(١) لمزيد من التفصيل حول الآيات والسنن الكونية انظر كتاب سنن الله فى المجتمع (٢٦) ومابعدها .

(٢) سورة الأنعام : (١٢٩) .

(٣) سنن الله فى المجتمع (٤٥) .

(٤) سورة فاطر : (٤٣) .

يفككونها ويدمرونها ويتخلصون منها؟؟ كم أنفق عليها من ملايين ومليارات كانت شعوبهم بها أولى ، وإعمار بلادهم وإثراء حياتهم بها أحرى؟ لماذا هذا الهوس الضال المضل ، الذى يعشعش فى أدمغة بعض القادة والمتسلطين يدفعهم إلى حب السيطرة على العالم ، أو مناطق وقارات بأكملها من العالم ، والاستمتاع بنشوة الزعامة والجاه والسلطان ، على حساب ملايين الضحايا والواهمين والأبرياء ، حتى ولو كانوا من شعوبهم ورعاياهم ...)[١].

إن النظام الشيوعى قام على مصادرة إنسانية الفرد وحريته ، وانعدمت العدالة فى واقع الاتحاد السوفييتى وانتشر الظلم والاضطهاد . وكل هذه الأمور متصادمة مع سنن الله تعالى فى الكون . وقبل هذا فإن الأصل الذى يقوم عليه النظام هو الإنكار للإله وللتشريع ، فكان لابد من وقوع السنة الربانية على ذلك النظام (إن الأحزاب الشيوعية التى حكمت وتحكم الاتحاد السوفييتى ودول أوروبا الشرقية والصين وغيرها قد صادرت مصالح أساسية للجماهير ، وبهذه المصادرة اصطدمت مع السنن ولذلك كان لابد أن يحدث الذى حدث)[٢].

وقد اصطدم النظام الشيوعى بالسنن الربانية عندما قضى على العدالة ، وأحل الظلم مكانها ، وقضى على الحرية وصادرها ، والإنسان لايستطيع أن يعيش إلا بها ، لأنها متناسبة مع فطرته وبالتالى إذا كبتت وفرض عليها الحصار فإن مصيرا لحرية الانتصار ، ومصير الكبت وذلك النظام الإندحار ، فـ(الأحزاب الشيوعية كانت تقود أممها فى اتجاه مضاد للسنن الربانية ، وسنة الله فى خلقه أنهم أحرار فى اختيارهم . فعندما حصل الصدام مع الحرية كان لابد للحرية فى النهاية أن تنتصر . إن انتصار الحرية من حيث الأصل موافق للسنن الربانية ثم تكون المرحلة الثانية وهى توجيه هذه الحرية وفق

---

(١) كارل ماركس وداعا .. أم خداعا (٤-٥) ، فؤاد شاكر ، الطبعة الأولى دون ذكر لتاريخها ، مكتبة التراث الاسلامى .

(٢) الإنهيار (٥٦/١) .

منهاج الرسل ، فإذا لم يعمل بهذا التوجيه فإن صداما مروعا آخر سيقع مع السنن الربانية)[١].

إن سنة الله تعالى حقت على من كان عونا لللينين وستالين على إيصالهم إلى سدة الحكم .

يقول عبد الرحمن الميدانى : (إن قاعدة "من أعان ظالما سلط عليه" هى من سنن الله فى خلقه ، وهى تنطبق كل الانطباق على كل الشيوعيين الذين عذبوا أو أبيدوا على أيدى قادتهم أنفسهم ، وتنطبق على كل الذين نفذوا أوامر "ستالين" الطغيانية الدموية المتوحشة. لقد ذبحهم "ستالين" بمثل السكين التى أمرهم أن يذبحوا بها خصوما منافسين له ، ومن يمكن فى المستقبل أن يكونوا منافسين له ، مع أنصار لهم وأقرباء وأصدقاء ، وكذلك من يمكن أن يكونوا أنصارا لهم ولو على سبيل الظن الضعيف . ومع هؤلاء جميعا حشد كبير من الذين لايصح أن يوضعوا فى الحساب لامن قريب ولامن بعيد . ومعظم هؤلاء الأصناف برءاء من التهم التى نسبت إليهم ، وإن اعترفوا بها تحت ضغط التعذيب الذى لايحتمل ، أو الوعد الكاذب بالعفو عن عقوبة الإعدام)[٢].

ومن سننه تعالى أخذه للظلمة ، وأهل الطغيان وأنه تعالى لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم ، فجرت سنته (تعالى فى عباده أن يصلح أحوالهم إذا صلحت قلوبهم ، واستقامت أعمالهم ، وأن ينزل عليهم بأسه وعذابه إذا فسدت قلوبهم وأعمالهم!!)[٣].

قال تعالى : {**إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم**}[٤].

---

(١) الإنهيار (٤٣/١) .
(٢) الكيد الأحمر (٣٢١) .
(٣) صوت المنبر (٣٤٣) ، محمد الحجار ، الناشر دار الصابونى ، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ دار مصر للطباعة .
(٤) سورة الرعد : (١١) .

فما من شيء يحدث فى هذا الكون إلا بأمره تعالى ووفق سننه جل وعلا فـ(لاشيء يحدث جزافا ، لافى الكون المادى ، ولافى حياة البشر . إنما يجرى كل شيء بنظام . بسنن .. وهذه السنن لاتتبدل ولاتتحول ولاتحابى ولاتجامل...)(١).

وقد تكون السنن ضد مايريده الإنسان حتى لو كان مسلما إذا لم يعمل بمقتضاها . فانتصار النظام الشيوعى وبقاؤه هذه الفترة إنما حصل بسنة من سنن الله تعالى ، وذلك بتخلف الأمة ، وركونها إلى الدنيا ، وتكاسلها عن أداء رسالتها ، مما جعل الأعداء يبسطون سلطانهم وفكرهم . قال تعالى : {**فلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين**}(٢).

ومايمكن الله تعالى هؤلاء الأعداء إلا بسنة جارية ألا وهى ضعف المسلمين وتركهم أمر الله تعالى والجهاد فى سبيله لإعلاء كلمته جل وعز .

غير أن هذا التمكين للكافرين وعلوهم أحيانا الذى إنما تم بسنة من سنن الله تعالى لايغنى عنهم شيئا يوم القيامة ، قال تعالى : {**ولايحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لأنفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين**}(٣).

وإذا كان من السنن الربانية قيام تلك الأنظمة المخالفة لمنهج الله تعالى إذا تقاعس أهل الحق عن تبليغ مالديهم وتخلوا عنه ، فإن من سننه تعالى زوال تلك الأنظمة وعدم استمرارها واندحارها لما تحمله من كفر وباطل ، هذا بالإضافة إلى أن المسلمين دبت فيهم صحوة إسلامية ورجعة حقيقية إلى

---

(١) دروس تربوية من القرآن الكريم (٨٤) ، محمد قطب ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م ، المجموعة الإعلامية ، التوزيع مكتبة المأمون .

(٢) سورة الأنعام : (٤٤-٤٥) .

(٣) سورة آل عمران : (١٧٨) .

دين الله تعالى ، ومن هنا ولتوفر أسباب تحقق السنة الربانية بالأخذ والتفريق وذهاب الريح فى المجتمع الشيوعى ، حقت عليه السنة الربانية ، وتفرق جمعه ، وسقط فكره ، وكفر به أهله ، وهذا ليس أمرا مستغربا ، إذ أن الشيوعية منهج أرضى لايحقق إلا المصالح الشخصية ، والرغبات المادية ، وإشباع النزعات الحيوانية ، ويحمل الأفكار الكفرية ، فحقت عليه السنة الربانية ، فتهاوت أفكاره ، وتصدع بنيانه ، وذهبت قوته وأصبحت فى عداد الماضى ، لأن الفكر الشيوعى يحمل أسباب التفرق والتشرذم ، ومن هنا حقت على أصحابه السنة الربانية ، كما حقت على من قبلهم ، وستحق على من بعدهم ماتوفرت شروط حصولها . فما هى السنة التى حقت على الشيوعية؟

هل هى الإهلاك والإبادة؟

أم ذهاب الريح وحصول الفرقة واضمحلال المجتمع وتراجعه عن مبادئه وأفكاره التى كان يتبناها؟

ثم ماذا يعنى السقوط؟ ومامفهومه؟

وماهو الذى سقط من الشيوعية؟

وهل كان هذا السقوط مفاجئا أم لا؟

إن هذه التساؤلات سنجيب عليها فى الصفحات التالية بحول الله وقوته .

(٤٢٨)

مفهوم السقوط

كثرت الكتابات التى تتحدث عن سقوط الشيوعية ، وإن كانت مختلفة فى تفسير مايحدث فى الاتحاد السوفييتى .

وقد كان الخلاف حول السقوط هل هو متعدد الجوانب أو من جانب واحد؟ ـ أما فئة فقد رفضوا إطلاق مصطلح السقوط على مايحدث فى الاتحاد السوفييتى ، وهذا الفريق وباختصار هم أهل الفكر الشيوعى وأتباعهم(١) ـ .

فمن قصره على جانب واحد نظر إلى زوال الدولة الشيوعية من على الخارطة السياسية وتلاشى السيطرة على المعسكر الشرقى واستقلال الجمهوريات التى كان يتألف منها . وهذا يتعلق بالجانب السياسى أو السقوط السياسى .

ومن أضاف إلى ذلك الفكر اعتبر أن الفساد الذى حمله الفكر الشيوعى فى مبادئه أدى إلى إنهياره ، وعدم الوثوق به وبالتالى المطالبة بعدم تطبيقه وفرضه على الناس .

وعند النظر فى هذه الآراء نجد أن الرأى الأول : يرفضه الواقع ، وهو توجه عاطفى فى نفوس أصحاب الفكر الشيوعى يشتته ويقطعه إربا إربا واقع الاتحاد السوفييتى .

ويتبقى لدينا الرأيان الآخران والخلاف هذا قد يكون له مايبرره . ومن ذلك :

أولا : الاختلاف فى مدى انطباق لفظ السقوط ودلالاته على مايحدث فى الاتحاد السوفييتى .

---

(١) انظر كتاب هل تعود الشيوعية ، حميدى العبد الله ، قدم له زاهر الخطيب ، الطبعة الأولى ١٩٩٢م ، شركة الحقيقة للصحافة والإعلام .
وقد أجلب المؤلف بخيله ورجله فى بيان صلاح الفكر الشيوعى وأنه لم يطبق فى الاتحاد السوفييتى كما ينبغى وأن سعادة البشرية فى تحققه .

ثانيا : التناقض الكبير الذى جاء عن غورباتشوف وهـو يشرح نظرياته الجديدة التى فجـرها فى الاتحاد السـوفييتى ، فتـارة يعلـن أن التغيير جذرى ويطول كل شىء ، وتارة يعلن الإبقاء على الفكر الاشتراكـى ، فمن نظر إلى الأمـر الأول قـال بزوال الفكـر والنظـام ، ومن نظر إلى الأمـر الثـانى قصر السقوط على النظام[1]. وقبـل الحديث عن السقوط ومفهومه وبيـان مايترجح من خلال الأحداث والوقائع يجدر بنا أن ننبه على الآتى :

أولا : يتجه حديثنا بادىء ذى بدء عن البلد الأم للفكر الشيوعى ، إذ أنه يعتبر الأصـل الـذى خرجت منـه الشيـوعية التى صـدرت إلى أوروبا الشرقية.

ثانيا : هـذا لايعنى تناسى بلدان أوروبا الشرقية ولكـن إذا ثبت ووقع على الأصـل أمر ، فعلى الفرع من باب أولى ، فانهدام الأصـل هدم للفرع . بل إن بعـض الدول بدأت فى التمـرد على الفكر الشيـوعى من قبل أحداث الاتحاد السوفييتى .

ثالثا : أن بقاء بعض الدول على شيوعيتها حتى الآن لايعنى بقـاء الفكر الشيـوعى كمـا هو . بل لقـد بقـى لأنه رفض كثيرا مـن مبـادىء مـاركس ، والمثال الحى على ذلك الصين .

وبعـد هذا نأتى إلى تعريف السقـوط من حيث اللغــة ، وبالتالى تحديد مفهومه على واقع الاتحاد السوفييتى .

السقوط فى اللغة :

جاء فى اللسـان : (السقطـة : الوقعة الشديدة . سقـط يسقـط سقوطا ، فهـو ساقط وسقوط : وقع ، وسقط الشىء من يدى سقـوطا .. وسقط الشىء ومسقطه : موضع سقوطه ... وتساقط الشىء : تتابع سقـوطه . وساقطه مساقطة وسقاطا : أسقطه وتابع إسقاطه ...)[2].

---

(١) لو تركنا أقوال غورباتشوف جانبا ، ونظرنا إلى الواقع لاتضحت الحقيقة مهما قيل

(٢) لسان العرب (٣١٦/٧) باب الطاء ، فصل السين ، وانظر القاموس المحيط (٨٦٦)

(والسقطة : العثرة والزلة)[1].

وهـذه الاستخدامات وغيرهـا من جنسها ينصرف إلى المحسـوسات وقد يستخـدم لفظ السقوط ولايقصـد به الشيء المحسوس فيقـال : (سقـط فى يد الـرجل : زل وأخطأ وقيـل ندم .. وفى التنزيل العـزيز {**ولما سقط فى أيديهم**}[2]... وقـد قرىء سقط فى أيديهم ، كأنه أضمر النـدم أى سقط الندم فى أيديهـم كما تقول لمن يحصـل على شىء وإن كان ممـا لايكون فى اليد : قد حصل فى يده من هذا مكـروه ، فشبـه مايحصل فى القلـب وفى النفـس بما يحصل فى اليد ويرى بالعين)[3].

(والساقط والساقطة : اللئيم فى حسبه ونفسه ، وقوم سقطى وسقاط ... ويقال للمرأة الدنيئة الحمقى : سقيطة ، ويقال للـرجل الدنىء : ساقط...)[4].

وبعـد هذا العرض لتعريف السقوط من حيث اللغـة نصل إلى التالى :

أولا : أن السقوط يطلق على الشىء المحسوس المشـاهد كسقوط الشىء بشـدة وتهـاويه أو سقوط مـاهو مـاثل للعيان ، كسقـوط المتـاع ، وسقـوط الرجل وعثرته ونحوها .

ثانيا : أن السقوط يطلق على ماليس بمحسوس أى سقـوط معنوى كما يقـال للأحمق أو لصاحب الخلـق الدنىء ساقط ، أى إقـامة ماليس بمحسوس مقام المحسوس .

ثالثا : قـد يكـون السقوط بداية معنـويا ، ثم يتلـوه سقـوطا حسيـا ، والعكـس صحيـح فإذا سقطت الأفكـار والمبادىء ، فقـد يلحـق بذلك سقوط الـدولة أو الأمة التى تأخذ بهـا ، كما أن سقوط الـدولة قد يستتبعه سقوط فكرها ومبادئها ولكن ذلك ليس بالضرورة وخاصة إذا كـان الفكر صحيحا .

---

(١) لسـان العـرب (٣١٨/٧) ، وانظـر مختـار الصحـاح (٢٢٨) ، محمـد بن أبى بكـر الـرازى ، المركـز العربى للثقـافة والعلـوم ، دون ذكر لـرقم الطبعـة أو تاريخها .

(٢) سورة الأعراف : (١٤٩) .

(٣) لسان العرب (٣١٨/٧) حرف الطاء ، فصل السين .

(٤) لسان العرب (٣١٩/٧) حرف الطاء ، فصل السين .

وانظر : القاموس المحيط (٨٦٦) ، مختار الصحاح (٢٢٨) .

رابعا : أن سقوط الأفكار والمبادىء سقوط معنوى وليس من الضرورى أن يكون سقوطها تلاشيها واختفاؤها نهائيا بل يكفى فى ذلك السقوط أن يتحقق التالى أو بعضه (وذلك فى المذاهب الأرضية) .

(أ) كون الفكر باطلا ، حتى لو قام فإنه ساقط أصلا .

(ب) التخلى عنه ومخالفته .

(ج) مصادمته للفطرة الإنسانية المنضبطة .

(د) الرجوع إلى فكر آخر مناقض له .

(هـ) الاعتراف من قبل أصحابه أنه لم يحقق لهم ماكانوا يخططون له بل العكس هو الذى حصل .

وبعد هذا نقول إن الخلاف قد وقع فى تحديد ماهية مايحدث فى الاتحاد السوفييتى ، ولاشك أن الناظر فى أقوال غورباتشوف وتصريحاته يجد تناقضه فى سياسته الجديدة ، وأعرض ذلك باختصار من خلال هذه النقاط ، مع التدليل على ذلك من كلام غورباتشوف .

أولا : وجوب التغيير وعدم التراجع فيه .

يقول غورباتشوف : (إن بلدنا كبير وواسع للغاية وتراكمت فيه مشاكل عديدة ، ولن يكون حلها سهلا إلا أن التغيرات قد بدأت ومن المستحيل لذلك عودة المجتمع إلى مرحلة السبات)[١].

ثانيا : التغيير الجذرى فى كل مجالات الحياة تغييرا حقيقيا لامجرد ترقيع.

يقول غورباتشوف : (لقد وجد الحزب القوة والشجاعة لتقييم الوضع بوعى والاعتراف بضرورة الاصلاحات والتحولات الجذرية)[٢].

---

(١) عملية إعادة البناء والتفكير السياسى الجديد لنا وللعالم أجمع (٨) ، مجموعة من المترجمين ، الطبعة الثانية ١٩٨٩م ، دار الكرمل للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن.

(٢) المرجع السابق (٢٢) .

ويقـول : (أصبحنا على يقين مـن عدم جدوى الاصلاحات التجميليـة ومحاولات الترقيع ، وأن المطلوب هو إعادة تصنيع جدية تماما)[١].

ويضيـف أن الهدف الأخير من السياسة الجديدة الـوصول إلى أشكال جديدة لم يعهدها المجتمع السوفييتى يقول : (أن الهدف النهـائى لإعادة البناء واضـح لنـا . أنه التجـديد العميـق لكـل جوانب الحياة فى البلاد ، وإضفـاء أحدث أشكال التنظيم الإجتماعى على الإشتراكية والكشـف التام عن طبيعتها الإنســانية فى كـل المجـالات الحاسمــة الإقتصـادية والإجتمــاعية والسيـاسية والأخلاقية)[٢].

ثالثا : التغير فى الفكر بالإضافة إلى التغيرات الأخرى .

يقـول غـورباتشوف : (إننـا باشـرنا قضيـة لاسـابق لهـا ـ إعـادة تنظيم السيـاسة والإقتصاد والمجتمع والأيديولـوجيا . إلا أننـا ، إذا كنـا راغبين فى تنفيـذ مخططنـا فى الحياة ، فعلينـا تنفيذ عمل سياسـى وإجتمـاعى وإقتصادى وأيديولوجى لاسابق له على الصعيدين المحلى والخارجى ، وأن نتحمـل قبل كل شىء مسئولية لم يسبق لهـا مثيل ونحن نأخذ فى اعتبـارنا ضـرورة العمل وضخامته وجرأته وخاصة فى المرحلة الأولى)[٣].

ويقـول : (لقـد تعهدنا بتنفيـذ عمليـة إعادة البناء الضخمـة إننـا نغير مداخلنا وتفكيرنا ، كما نغير الحياة ...)[٤].

رابعا : إعلان الثورة على كل قديم .

إن عمليـة إعـادة البنـاء عمليـة ثورية تأتى على كـل قـديم مـن أجل التمكين للبناء الجديد .

يقـول غورباتشوف : (إن إعادة البناء عملية ثورية ذلـك أنها قفزة فى تطـور الإشتراكية ، فى تجسيد خصـائصها الجوهرية . لقد أدركنـا منـذ البداية

---

(١) عملية إعادة البناء (٢٥) .
(٢) المرجع السابق (٣٤) .
(٣) المرجع السابق (٦٥) .
(٤) المرجع السابق (٥٨) ، وانظر (٤٤) .

لاوقت لدينا للتردد . ومن المهم جدا أن لانؤجل لحظة الانطلاق ، أن لانتخلف ، وأن ننطلق من مستنقع العقلية المحافظة ، وأن نحطم قوة استمرار الركود . فلايمكن إنجاز ذلك بأسلوب الخطوة خطوة واللجوء إلى الإصلاحات الزاحفة ببطء)[١].

ويقول : (إن إعادة البناء هى ثورة . فالتسريع الحاسم لعملية التطوير الإجتماعية ـ الإقتصادية والروحية للمجتمع السوفييتى يفترض تحولات جذرية باتجاه حالة نوعية جديدة . وهذه بالتأكيد مهمة ثورية)[٢].

ويقول فى بيان هدم القديم ، وإقامة الجديد مقامه :

(الثورة كما نفهمها ، بناء ولكنها أيضا وبالطبع تهدم دائما . وهى توجد لأنها تحطم كل ماانتهى عهده ، وكل ماتعفن ، وكل مايعيق حركة التقدم . وبدون الهدم لن نتمكن من تنظيف الموقع لإقامة بناء جديد عليه . وهكذا فإعادة البناء تعنى الإزالة الجذرية الحاسمة للعوائق التى تعترض التطور الإجتماعى الإقتصادى .

وبديهى أن الهدم لايتم بدون صراعات . فالصراعات تنشب ولاتتم إلا بالصدام بين الجديد والقديم ...)[٣].

ثم جاء عن غورباتشوف مايدل على أنه سيبقى على الإشتراكية ، ولكن ربما ألبسها ثوبا جديدا وهذا تناقض مع ماذكرناه سابقا ، ونعرض لبعض ماجاء عنه فى هذا الجانب[٤].

---

(١) عملية إعادة البناء (٥٠) .

(٢) المرجع السابق (٤٩) .

(٣) المرجع السابق (٥١) .

(٤) نرى غورباتشوف هنا يستخدم الجدل ، ولم يتوقف هذا الجدل عند الشيوعية المرحلة الأخيرة فى المجتمع البشرى ، بل جاء غورباتشوف بحالة جديدة سوف تنشأ ولكن ليست حسب قانون التطور والذى لايرجع إلى الوراء . إن هذا الذى جاء به غورباتشوف عودة إلى الوراء حسب رأى ماركس وزعماء الثورة البلشفية الأسبقين ، وبهذا بطلت الحتمية الماركسية .

أولا : التمسك بالإشتراكية وتطويرها .

وهذا تناقض صارخ مع التغير الجذرى الذى قال به ، ونزيد على ذلك أنه تناقض فى تحديد المدى الذى يريد أن يبقى عليه من الإشتراكية . ويبين ذلك :

(أ) الإصرار على الإشتراكية :

يقول: (إن أية آمال بأننا سنبدأ بإقامة مجتمع غير إشتراكى والتحول إلى معسكر آخر ، ليست سوى آمال واهية وقائمة على رمال . ولسوف نخيب آمال كل الذين يراهنون فى الغرب على نكوصنا عن الإشتراكية)[١].

(ب) الإبقاء على الإشتراكية ولكن فى حدود الديمقراطية :

يقول : (كل مايوطد الإشتراكية سنصغى إليه باهتمام شديد وسنأخذه فى اعتبارنا ، وكل ماهو غريب عن الإشتراكية سنكافح ضده ، ولكن ، وأكرر ، ضمن أطر العملية الديمقراطية)[٢].

(ج) الإبقاء على الإشتراكية مع وجود الحرية :

يقول : (نحن السوفييت مع الاشتراكية غير أننا لن نفرض معتقداتنا على أى كان فليختر كل فرد بنفسه ...)[٣].

(د) الإبقاء على الإشتراكية مع مطالبة الناس التخلى عنها :

يقول : (من بين كل خمسة عشر مواطنا سوفيتيا هناك أربعة عشر ولدوا بعد الثورة . ومع ذلك يستمرون فى دعوتهم لنا للتخلى عن الإشتراكية والسؤال الذى يطرح نفسه هو : لماذا ينبغى ، فجأة ، أن يبادر الناس السوفييت الذين نشأوا وترعرعوا فى ظل الإشتراكية ، إلى التخلى عن نظامهم؟ إننا سنوطد ونطور الإشتراكية على كل صعيد ...)[٤].

---

(١) عملية إعادة البناء (٣٥-٣٦) ، وانظر (٨٧) .

(٢) المرجع السابق (٥٧) .

(٣) المرجع السابق (٣٦) .

(٤) المرجع السابق (٤١) .

ثانيا : أقلمة الإشتراكية ، حتى تتساير مع الواقع ، وعدم الجمود على فكر ثابت ، فكل مرحلة ينبغى أن تكون الإشتراكية فيها حسب ماتقتضيه المصلحة .

يقول : (لقد ترك لنا كلاسيكيو الماركسية اللينينية ، فى آثارهم ، المواصفات الجوهرية الأساسية للإشتراكية . وهم لم يغوصوا فى التفاصيل ، ولم يحاولوا تقديم صورة مفصلة عن الإشتراكية ، بل اكتفوا بمناقشة المراحل المرئية نظريا . أما تبيان كيفية مايجب أن تكون المرحلة الراهنة فهى من مهمتنا نحن ... وتستمد هذه المهمة قيمتها من كوننا لم نتبع أفكار لينين فى كل شيء بعد وفاته . إن أشكال وأساليب البناء الإشتراكى ، التى فرضتها الأوضاع والتى عكست فى حينه الظروف التاريخية الملموسة لبلادنا ، قد أحيطت بهالة من القداسة وتحولت إلى مثل ملهمة ورفعت إلى مرتبة العقائد التى لايمكن المساس بها . وتكونت نتيجة لذلك صورة للإشتراكية وكأنها قانون جامد ومحدود مصحوب بتضخم مركزية الإدارة والتقليل من شأن تنوع وغنى اهتمامات الناس ، ودورهم الفعال فى الحياة الإجتماعية ، وظهور اتجاه المساواة فى المداخيل بغض النظر عن الجهد المبذول فى العمل ، بشكل واضح للعيان)[١].

ومن العرض السابق لبعض تصريحات غورباتشوف نصل إلى الآتى :

أولا : أن بعض تصريحاته جاءت واضحة فى دلالتها على التحول الجذرى فى جميع نواحى الحياة فى الاتحاد السوفييتى فكريا وسياسيا وإجتماعيا.

ثانيا : من خلال العرض السابق وجد مايدل على نفى أن يكون التغيير جذريا بل وجد مايدل على المحافظة على الإشتراكية ، ورد المزاعم التى قالت بأن مايجرى فى الاتحاد السوفييتى هو أزمة حادة بسبب الفكر الشيوعى .

---

(١) عملية إعادة البناء (٤٤) .

ثالثا : جاء عنه مايدل على التوسط بين الأمرين . وهو مزيد من الحرية والديمقراطية مع الاحتفاظ بالإشتراكية ، حيث إن جوهر إعادة البناء دمج الإشتراكية بالديمقراطية . فكأن غورباتشوف يريد تطوير الإشتراكية لتتناسب مع الحياة العصرية ، ولعل لهذا التوسط دوافعه :

(أ) خشية غورباتشوف من الأزمة الحادة التى ستقوم لو أعلن بكل وضوح ذهاب الشيوعية والأفكار الإشتراكية لوجود التيار الشيوعى الذى أشرب هذا الفكر بالقوة . وبالفعل أراد ذلك التيار الإطاحة بزعماء إعادة البناء .

(ب) لعله أراد بذلك الإبقاء والاحتفاظ بشىء من الكرامة وحفظ ماء الوجه لأسلافه خشية الشماتة بهم وبالتالى بالفكر الذى عاش عليه الاتحاد السوفييتى نيفا وسبعين سنة ، فأراد التغيير الجذرى بالفعل ولكن بشىء من الحياء والتمسك بالكلمات الجوفاء والشعارات الخارجية فقط .

(ج) ثم إن غورباتشوف فضح الستالينية ، وندد بأفعالها وماقترفته من آثام فلم يبق إلا التجربة اللينينية . فلو حصل منه مايدل على نبذه حتى فكر لينين بالكلية فإن ذلك يعنى انتقاد العهد الشيوعى كله تقريبا ، وهذا سيجر إلى عواقب وخيمة ، ومن هنا أعلن غورباتشوف إن إعادة البناء قائمة ومتصلة باللينينية وتمثل الإنعاش لها .

رابعا : بالنظر فى الجوانب التى سيطرأ عليها التغير والنقاش فى عملية إعادة البناء . نجد إنها لم تترك شيئا إلا وجاءت عليه . وهذه الجوانب هى :

(١) الإصلاح الإقتصادى .
(٢) الأحوال الإجتماعية .
(٣) الدقرطة السياسية .
(٤) دور الحزب .
(٥) العقيدة ، الدين ، الثقافة .
(٦) تاريخ الستالينية .

(٧) المشاكل القومية الداخلية .
(٨) القلق المحلى من الحرب فى أفغانستان (عندما كانت قائمة) .
(٩) السياسة الخارجية والدفاعية .
(١٠) الكتلة السوفياتية والحركة الشيوعية العالمية[١].

وبناء على ماذكرناه سابقا فلاغرابة إن اختلفت الآراء حول ماهية السقوط ومفهومه ، ومن ذلك :

أولا : أن هذا السقوط يمثل (تفككا للقيم الإشتراكية والشيوعية ، ومن ثم تلاشى المعسكر الإشتراكى كقوة منافسة على الصعيد الدولى)[٢].

وهذاالتفسير يتسق مع ماجاء عن غورباتشوف فى سياسته الجديدة التى أعلن فيها أن التغير سيكون جذريا ولكل شىء .

ولكن غورباتشوف يرد مثل هذا التفسير (وهو لايملك إلا ذلك) فيقول (يجتهدون فى الغرب ، سيما فى الولايات المتحدة ، لتفسير عملية إعادة البناء بطرق متباينة . ومن بين الاجتهادات مايدعى أن عملية إعادة البناء نتجت عن كارثة ألمت بالإقتصاد السوفييتى وعكست خيبة أمل فى الإشتراكية ، وأزمة فى أفكارها ، وأهدافها النهائية . لاشىء أبعد عن الحقيقة من هذه التفسيرات أيا كانت وجهة النظر التى أفضت إليها)[٣].

ثانيا : أن هذا السقوط (عملية هجومية ينفذها الأمين العام للحزب الشيوعى السوفييتى ميخائيل غورباتشوف للتخلص من ثغرات النظام الإشتراكى والقضاء على عيوبه والتخلص من حالة الركود)[٤].

وهذا يتجه صوب الأفكار الإشتراكية وسد الثغرات التى توجد فيها ، وهذا له مايبرره من أقوال غورباتشوف السابقة حيث الإبقاء على الإشتراكية مع تطويرها وأقلمتها لتناسب الواقع .

---

(١) انظر الفشل الكبير (٨٨) ، زبينجو بريجسنكى ، ترجمة ميشيل سليمان ، مركز الكتب الأردنى ، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها .
(٢) هل تعود الشيوعية (١٥) .
(٣) عملية إعادة البناء (٩) .
(٤) هل تعود الشيوعية (١٦) .

وإن كان غورباتشوف قد صرح أن الإشتراكية لاتعيش هذا الوضع فقال : (هناك فى الغرب من تحدوهم الرغبة فى أن يفرضوا علينا صيغة تزعم أن الإشتراكية تعيش أزمة حادة ، وتقود المجتمع إلى طريق مسدود ... ومن أجل وضع حد للأقاويل الملتوية والمضاربات حول هذا الموضوع التى كثر ترديدها فى الغرب ، أود أن أؤكد من جديد ، أننا نجرى التغير فى بلادنا بالتطابق مع الخيار الإشتراكى ...)(١).

ثالثا : إن هذه السياسة رفض للإشتراكية .

يقول برجسنكى : (إن هذه العملية هى مساوية لرفض التجربة الماركسية اللينينية)(٢).

رابعا : إن هذه العملية مجرد تحسين للفكرة الإشتراكية .

يقول غيردروغ : (إن غورباتشوف لم يكن يرغب فى تغيير النظام بشكل جذرى بل يأمل فقط فى تحسين أدائه وضبط أجهزته ـ تلك الأجهزة ذاتها التى تعيق التقدم الإقتصادى)(٣).

خامسا : أن هذه العملية تغيير حقيقى للفكرة الإشتراكية مع التمسك بالشعارات الخارجية لها فقط ، وأن هذه العملية ستحقق بعض النجاحات مما يجعل الشيوعيين يبتعدون عن هذا الفكر .

يقول برجسنكى : (إن الإنحلال الشيوعى التاريخى والذى لايمكن إصلاحه ، سوف يجعل فى القرن القادم من الممارسات والعقيدة غير ملائمة ولاتناسب الظروف البشرية ، وعندما تتخلى عن الجوهر الداخلى فقط سوف تحقق بعض النجاح وحتى وإن تمسكت فى الشعارات والإطار الخارجى ،

---

(١) عملية إعادة البناء (٣٤-٣٥) .

(٢) الفشل الكبير (٢٣) .

(٣) غورباتشوف صانع القرار وضحيته (٢٦٩) ، تعريب يوسف ضومط ، الطبعة الأولى ١٩٩٢م ، مكتبة بيسان ، بيروت ، وانظر نشوء وإنهيار الإمبراطورية الشيوعية (٤٠٠) ، ميشيل هيلير ، ترجمة د. نظير جاهل ، حسن الصنيقة ، الطبعة الأولى ١٩٩٢م/١٤١٢هـ ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت ، لبنان . وقال إن الإشتراكية تبدل جلدها ، وأن هذا تقديم للمبادىء بطريقة أخرى .

وسوف تذكر الشيوعية بشكل واسع على أنها أكثر سياسات القرن العشرين غرابة وانحرافا للعقل والمنطق)(١).

وهذا يعنى أن التغير الحقيقى الفعلى لايتم إلا بالتغير فى الأفكار والمعتقدات . ثم إن ظهور التشقق فى جدار الامبراطورية السوفيتية والهبوط العميق للأساس الأيديولوجى دل على الإنهيار(٢).

وملخص هذه الأقوال :

(أ) أن الدولة والفكر قد سقطا .

(ب) أن الدولة سقطت وبقى الفكر ولكن بإدخال التطوير عليه .

ونأتى الآن لبيان مفهوم السقوط الذى نعنيه .

وقبل بيان ذلك أضع هذه المقدمات التى سيبنى عليها المفهوم :

أولا : إما أن السقوط يعنى الزوال والإهلاك التام . وإما أنه يعنى تحول وتبدل فى درجة التمسك بالفكر الشيوعى ، فحقت عليه السنة الإلهية بالتفرق وذهاب الريح .

ثانيا : إما أن يكون السقوط بمعنى تطوير الإشتراكية لكى تتناسب مع الوقت الحاضر وهكذا دواليك فى تطور مستمر إلى أن تترك أصولها نهائيا لاتطويرا فى سبيل الوصول إلى الشيوعية بل تراجعا إلى الوراء على خلاف قانون التطور الذى تشدق به ماركس وانجلز .

ثالثا : أن الفكر يكون ساقطا إذا كان بخلاف الحق حتى ولو كان قائما.

رابعا : أنه لايلزم من ترك الفكر أو تبديله زواله وذهابه نهائيا . فالمشرك قد يترك شركه إلى التوحيد ولايعنى ذلك أنه لم يعد هناك شرك أو مشركين . ولكنه يعنى أن ذلك الأمر باطل وأن مارجع إليه هو الحق ، ويخرج من ذلك ماهو حق أساسا .

وبعد هذا نأتى لتحديد المفهوم الذى نريده من السقوط .

---

(١) الفشل الكبير (٩) .

(٢) انظر نشوء وإنهيار الإمبراطورية الشيوعية (٣٦٦) .

إن الحديث عن سقوط الشيوعية يحتاج إلى تفصيل فنقول :

السقوط ينقسم إلى قسمين :

(أ) سقوط النظام (الدولة) .

(ب) سقوط الفكر (باعتبار المفهوم الذى نريده) .

فسقوط الدولة أمر لاخلاف فيه .

أما سقوط الفكر فمختلف فيه .

(١) إما أن يكون الفكر قد زال نهائيا .

(٢) إما أن يكون قد استبدل بفكر آخر .

(٣) إما أن يكون تطويرا للفكر الإشتراكى .

(٤) إما أنه لم يسقط نهائيا .

والأمر الأول : غير متحقق لأنه لايلزم من ترك فرد أو مجموعة معينة فكرة معينة أن تزول نهائيا .

والأمر الثالث : يناقضه الواقع ويرفضه بشدة ، ويتمسك به بعض الشيوعيين لأن التناقض واضح ظاهر . فإما إلحاد وإما اعتراف وإقرار ، وإما مصادرة للملكية وإما اعتراف بها .

وأما الأمر الرابع : فإن الواقع كذلك يرفضه ولايصدقه .

ويبقى لدينا الامر الثانى وهو استبدال الفكر بآخر ، مع بقاء بعض أصحاب الفكر السابق على فكرهم .

وعلى هذا فالسقوط شامل للأمرين السياسى والفكرى . وهنا جملة من الحقائق تدل على ذلك .

(أ) الاعتراف بالدين واحترام ذوى العقول الروحانية .

(ب) التراجع والسماح بما يخالف المبادىء الشيوعية .

(ج) مطالبة الشعب بترك الفكر الشيوعى ، والقاؤه فى مزبلة التاريخ ودوس

تماثيل أقطاب الماركسية بالنعال بعد الهالة التى كانت لهم[١]. وقد كان الشعب القوة التى استخدمها غورباتشوف فى سياسته .

يقول شيفرنادزه[٢]: (لم يخش غورباتشوف السباحة ضد التيار مستعينا بالشعب الذى أيده ، وقد ساعده هذا على إعداد مبادىء التفكير الجديد وعلى تطبيق تلك المبادىء بمزيد من الجرأة ...)[٣].

(د) انتصار أنصار سياسة الانفتاح وإعادة البناء على أولئك الذين يريدون الإبقاء على الفكر الشيوعى .

(هـ) حل البرلمان الشيوعى ، وماصاحب ذلك من أحداث انتهت بفشل الشيوعيين ، مما يدل على أن رغبة الشعب كانت أقوى من رغبتهم .

(و) أن الشيوعيين المتشددين الذين يحاولون الظهور كل مرة لم يعودوا مؤمنين بأفكار ماركس كما هى . بالإضافة إلى حرصهم على الإصلاحات السياسية والإقتصادية فى البلاد .

وبعد هذا نقول أن سقوط الفكر هو :

تراجع الشيوعيين عن تطبيق المبادىء الماركسية اللينينية التى تمثل الأسس الجوهرية للفكرة الشيوعية واستبدالها بمبادىء أخرى مناقضة لها .

أو : تراجع الشيوعيين عن تطبيق بعض المبادىء الماركسية اللينينية التى تتعارض مع الفطرة الإنسانية والحقائق العلمية والاعتراف بما يناقض تلك المبادىء وإقرارها بطريقة رسمية .

---

(١) لقد طالب ستالين بوضع الدين والأخلاق فى متحفة التاريخ بجوار الآثار القديمة ، ولكن هيهات . وقد وضع أخيرا فكره الذى نافح عنه بطلب من الشعب الذى عاش تحت ظله .

(٢) ادوارد شيفارنادزة : شغل منصب وزير الخارجية السوفيتية من ١٩٨٥-١٩٩١م وقدم استقالته نظرا للأوضاع الدولية الصعبة حينذاك .
انظر مذكرات شيفرنادرزة (١٩٨-١٩٩) ، ترجمة مازن محمد نفاع ، دار معد للنشر والتوزيع ١٩٩٢م ، دون ذكر لرقم الطبعة .

(٣) مذكرات شيفرنادزة (١٩) .

أو : هو ضعف مستوى التمسك بالأفكار الماركسية إلى درجة استبدالها بما يناقضها لاقتناع الشيوعيين بعدم الجدوى من الاستمرار فى التمسك بها وتطبيقها .

ولايعنى هذا أن الفكر الشيوعى حين قيامه كان صحيحا لأن الفكر المخالف لكتاب الله تعالى ساقط أصلا قبل قيامه ، وحال قيامه .

وسقوط الدولة لاخلاف فيه حيث تلاشت الامبراطورية السوفيتية من خارطة العالم السياسى . **فسقوط النظام** يعنى :

زوال القوة السياسية التى كانت تتبنى الفكر الماركسى اللينينى وتنافح من أجله وتقوم بنشره ، وتدعو إليه وتغير نظرتها فى مفهوم ذلك الفكر سياسيا وإقتصاديا وإجتماعيا .

ويمكن القول بأن سقوط الدولة (النظام) :

تخلى القوة السياسية عن المبادىء الماركسية ، مما أفقدها زعامة المعسكر الشرقى وتفككها إلى مجموعة من الولايات المستقلة التى تنتهج كل منها السياسة التى تتفق واتجاهها .

يقول نيكسون : (بدأت امبراطورية متعددة الجنسيات تتكون من اثنى عشرة دولة أو أكثر فى الإنهيار وهى فى قمة مجدها ، لقد كانت الإمبراطورية عبارة عن مجموعات الدول الصغيرة مجتمعة مع بعضها البعض)(١).

إن مايحدث فى الاتحاد السوفيتى هو (الزلزال بكل ماتحمله الكلمة من معنى ومغزى ، إنه بكل الاختصار للحدث نهاية امبراطورية عظمت وكبرت وتربعت على عرش الكرة الأرضية منفردة فى بعض الأحيان ومشاركة لطرف آخر فى زعامة العالم دون منازع فى أحيان أخرى)(٢).

---

(١) الفرصة السانحة (٣٤) ، ترجمة أحمد صدقى مراد ، دارالهلال دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها .

(٢) النار والجليد (٩) .

هل كان السقوط مفاجئا؟

نظـرا لكبر الحدث وخطـورته ، اعتقـد كثيرون أن هـذا السقـوط كان مفـاجئا ، وذلـك لأنهم نظروا إلى قـوة الدولة التى كـانت تتبنى ذلـك الفكر وتدافـع عنه ، ولكن حقيقة الأمـر أن السقوط لم يكن مفـاجئا ولامستغربا ، لأن تلـك الدولة الكبرى كانت قائمة على شفا جرف هـار فسرعان ماانهارت . وقـد وجدت كتابات عدة مؤكدة سقوط ذلك الفكر سواء منهـا الإسلامية أم الغـربية ، فالإسلامية منها كـانت منصبة فى أغلب أحوالهـا على قضـايا إنكار الألـوهية ، والغيبيـات ، ومصـادمته للفطـرة الانسانية ، والحقـائق العلميـة . وهى أسباب جوهرية بل فى مقدمة الأسباب التى أدت إلى انهيار ذلك الفكر.

كما أن بعض الكتاب الغربيين ومن أصحاب الفكر الشيوعى قد تنبأوا بسقـوط ذلـك الفكـر لما رأوا فيـه مـن مصـادمة للفطرة الإنسـانية ومصـادرته للحـرية البشرية ، ومخالفته للحقائق العلمية ، ومن الأقـوال الواردة فى ذلك ماكان فى عام ١٩٧٠م حيث أصدر أندريه المريك كتابا تنبـأ فيه بإنهيار الاتحاد السـوفييتى عام ١٩٨٤م وكتـب فيه : (إن الشيوعية التى ولـدت على أنقـاض الأرثوذكسية كعقيدة بها يهتدى المجتمع تشق سبيلها إلى الانهيار فالقيم الحسنة الـوحيدة التى تسود المجتمـع حاليا هى القومية وعبادة الشعـب لنفسه وقوته وسلطته على الشعوب المحيطة به) .

وأضـاف يقـول : (إن السلطـة الحاكمـة فى الاتحاد السـوفييتى تفقـد انسجـامها وسلطتهـا فتـوقف المؤسسـات عـن العمل ممـا يؤدى إلى التـدهور التام)[1].

وقد قوبلت نبوة اندرى المريك فى الغرب بـ(دهشـة مهذبة أو ساخرة ، أما فى بلاده فقد قوبل بالصمت والإهمال المخصصين (للخـونة) الذين فقدوا كل حق حتى فى الوجود نفسه .

---

(١) مجلة البعث الاسلامى العدد (٦/٨) المجلد ٣٦ ربيع الثانى ١٤١٢هـ .
وانظر : مجد الأمم (٦) ، هيلين كاريردانكوس ، ترجمة يوسف شلب الشام ، دار الحقيقة دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها ، كارل ماركس وداعا أم خداعا (٧) .

والخلاصة أن السؤال بدا يومذاك فريدا فى نوعه لأن الاتحاد السوفييتى كان فى ذلك الوقت قوة قاهرة تعادل الولايات المتحدة الأمريكية .

وأتى عام ١٩٨٦م فلم يخطىء أندرى أماليريك إلا بعامين . لقد اكتشف الاتحاد السوفييتى البالغ القوة يومئذ وبلمحة واحدة أن هذه القوة لم تكن سوى أسطورة وأن النجاحات الدؤوبة التى كان يباهى بها لم تكن تغطى إلا فشلا عاما)[١].

ومثال آخر ماجاء عن عضو الأكاديمية زخاروف والمؤرخ السوفييتى موفديف ، والعالم السوفييتى تورتشين حيث وجه هؤلاء (رسالة إلى اللجنة الثلاثية الحاكمة فى الاتحاد السوفييتى أشاروا فيها إلى خطر الدكتاتورية الشيوعية ودعوا إلى مزيد من ادخال الديمقراطية على الحياة الإجتماعية) .

وأضافوا فى الرسالة (أن دلائل الاضطراب والجمود برزت فى اقتصادنا كما أن معدل الدخل القومى يتدلى باستمرار وأخطاء عديدة تبرز فى بناء السياسة التقنية والاقتصادية وفى الصناعة والزراعة كما يبرز تباطؤ فاضح فى معالجة القضايا الملحة)[٢].

ويقول ريتشارد نيكسون : (منذ حوالى اثنين وثلاثين عاما قال لى خروتشوف فى موسكو بشىء من الصلف : سوف يعيش أحفادك فى ظل الشيوعية فأجبته قائلا : سوف يعيش أحفادك فى حرية وقد كنت متأكدا فى ذلك الوقت من خطأ ماقاله خروتشوف ولكن لم أكن متأكدا من صحة ماقلته أنا ، وقد كان من نتائج الانقلاب الذى حدث فى الاتحاد السوفييتى أن تحقق ماتنبأت به أنا وأصبح أحفاد خروتشوف يعيشون الآن فى حرية)[٣].

---

(١) مجد الأمم (٦-٨) .
(٢) البعث الاسلامى (٩١/٨) مجلد ٣٦ ربيع الثانى ١٤١٢هـ .
(٣) الفرصة السانحة (٧) .

هل السقوط خاص بالفكر الشيوعى؟

إن عقيدة المسلم توجب عليه أن يعلم بأنه لن يظل هناك منهج أو فكر مخالف لمنهج الله تعالى إلا ومصيره الزوال والإنهيار ، بل إن كل نظام قام على غير هدى الله تعالى فهو ساقط قبل قيامه وأثناء القيام {**وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا**}(١). فما من نظام باطل إلا وهو زاهق وإن كان له أيام يقدر الله تعالى له فيها السطوة والقوة لسنة ربانية إلا أنه يأخذه تعالى بسنة ربانية أخرى ومسألة بقاء النظام الظالم الباطل مسألة وقت وإلا زواله لامحالة كائن سواء كان شيوعيا أو رأسماليا أجنبيا أم عربيا ، وإن الدولة التى تتبجح الآن بأنها تقود العالم سيكون سقوطها غير بعيد .

وهذه سنة الله تعالى فى كل منهج منحرف عن الصراط المستقيم . كما حقت على الشيوعية ستحق على غيرها من الأفكار الباطلة ، وإن من أعظم مااقترفته الشيوعية هو عدم اعترافها بالخالق جل وعلا ومايتفرع عن ذلك كالإيمان بالنبؤات والغيبيات وماجاء عنه سبحانه وتعالى من تشريعات سواء فى الإقتصاد أو الإجتماع أو السياسة أو أى جانب من جوانب الحياة البشرية ، فوقعوا فى المهلكات واقترفوا الذنوب والآثام فكان أمر الله تعالى واقع لامحالة . وكان هذا الكفر من أعظم ماعجل بسقوط ذلك النظام وفكره وذلك لمصادمته الفطرة البشرية . فنفرت النفوس منه غير أنها أجبرت على السكوت وقبوله بالقوة والقهر وإراقة الدماء والتطهير الجماعى .

ووجد بجوار ذلك الصدام بعض الأسباب الأخرى التى ساعدت وعجلت بزوال ذلك الفكر ونظامه .

ومن هذه الأسباب مايعد داخليا من البيئة السوفيتية ومن الفكر ذاته.

ومنها مايعد أسبابا خارجية وعلى هذا فالأسباب التى أدت إلى إنهيار الإمبراطورية السوفيتية يمكن تقسيمها إلى قسمين :

(أ) الأسباب الداخلية .

(ب) الأسباب الخارجية .

---

(١) سورة الإسراء : (٨١) .

أولا : الأسباب الداخلية :

إن الفكر الشيوعى حمل بين جوانبه أسباب إنهيـاره وزواله . ولأجل ذلـك اعتبر بعض الكتاب أن زوال ذلـك النظام الذى يتبنى الفكـر الشيوعى لن يحتاج إلى قوة خارجية لتزيلــه بل سيزول بالمؤثرات مـــن داخل الاتحاد السوفييتى .

يقـول الكـاتب السوفييتى سـولجتين : (إن الشيـوعيـة لـن تغلبهـا قوة مضادة من الخارج لأن الخلاص منها سوف يأتى من داخل المجتمـع السوفييتى نفسه لأن الشعب نفسه هو الذى يشعر بما يعانيه تحت ستـار التعاليم الماركسية وهـو الـذى يملـك فى يده مفتـاح الخلاص لإبطـال هذه التعـاليم الـزائفة)[١].

فماذا نعنى بالأسباب الداخلية؟

الأسباب الداخلية هى : تلك العوامل والمؤثرات التى كـانت تنخر فى البنـاء الشيوعى داخل المجتمـع السوفييتى سواء كانت فكـرية أو سيـاسية أو إجتمـاعية أو إقتصـادية مما كـان لها أكبر الأثر فى سقـوط النظـام وتداعى أركانه .

فهـى العوامل التى تنبع من الواقع السوفييتى من البيئـة الداخلية التى كانت تزيد الشكوك فى صلاح الفكـر الماركسى يوما بعـد يوم إلى أن أصبح غير قـادر على الثبـات والمقـاومة فـانفجرت الجمـوع ضــده مطـالبة بحقـوقها وحرياتها التى سلبها الفكر الشيوعى منها .

ثانيا : الأسباب الخارجية :

وهى تلك العوامل التى ساعدت على تداعى بنيان الشيوعية من خارج الستار الحديدى سواء فكريا أم سياسيا أم عسكريا .

ونأتى الآن لتفصيل تلك الأسباب ، ونبدأ بالأسباب الداخلية .

---

(١) هزيمة الشيوعية فى عالم الإسلام (١٤-١٥) .